داج أوستين إندشو

الجنس والدين

التعاليمُ والمحظوراتُ في تاريخ الأديان

ترجمة: مرضي زنباع

الجنسُ والدِّين
التعاليمُ والمحظوراتُ في تاريخ الأديان

مرضي زنباع

مترجم مصري تخرج في كلية الألسن جامعة المنيا عام 2007 قسم اللغة الإنجليزية، ويدرس حاليًا الماجستير في الترجمة التحريرية بكلية الألسن جامعة عين شمس. يجيد اللغة الألمانية إلى جانب العربية والإنجليزية. يعمل في مجال الترجمة منذ عام 2008 حتى الآن. حصل على شهادة إدارة الأعمال من كلية فوكس فالي تيكنكال كولدج، ولاية ويسكنسون، الولايات المتحدة الأمريكية عام 2014. ترجم كتاب" نسيم الصبا في أخبار الإسلام وأخبار علماء بلاد يوربا" للكاتب آدم عبدالله الألوري من العربية إلى الإنجليزية.

الجنسُ والدِّين

طبعة 2020

رقم الإيـــداع: 1900/2020

الترقيم الدولي: 978-977-821-138-2

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

داج أوستين إندشو

الجنسُ والدِّين

التعاليمُ والمحظوراتُ في تاريخ الأديان

ترجمة

مرضي زنباع

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

شكر وتقدير

أن تكتب كتابًا أشبه بأن تقوم برحلة شاقة ومضنية، ولكن في الحقيقة هناك مجموعة كبيرة من الأشخاص الذين ساعدوني في ذلك. وبالأخص، أودُّ أن أشكر كنوت أولاف أماس، ومِيا بيرنر، وإنجفيد سايلد جيلهوس، وهيج جوندرسن، وبيورن هاتيرود، وليف إنجبورج ليد، وكايزاد ميهتا، وهنريك نوردهاوس، وشتاينر أوبستاد، وبال شتاينر، وهيلي سفيري، ووالديّ على كل ما قدّموه لي من دعم ومساعدة. كما أَودُّ أن أشكرَ كلًّا من بيل بيوربي، أوول أستاد براتن، وجينا دال، وكريستين إندشو، ومنى فارستاد، ورولد فيفانج، وجونيس فورلاند، ونتشي هيلستاد، وجانيك إيفرسن، وبير ثور لانير، وخوسيه مارتينيز، وليبيث ميكيلسون، وماراس سينيس، وجريجور سيمونيان، ومايكل ستاوسبرج وآرني فير.

تمهيد

بمجرد تطرّقنا إلى جدلية ثنائية الجنس والدين، سوف نصطدمُ حتمًا بمجموعة من الاختلافات التي لا حصرَ لها. ففي حين أنّ بعضَ المراهقات المسيحيّات يحضرنَ حفلات «التعهّد بالعذرية» حيث يتعهّدن بالالتزام بحياة نقيّة طاهرة من أجل الربّ والامتناع عن ممارسة الجنس حتّى يحينُ موعد زواجهنّ، نجد هناك رهبانًا بوذيّين يُعدّون ممارسة الجنس بين الرجال لغزًا مقدَّسا. ولا توجد ثمَّة عناصرُ بسيطةٌ لتفسير العَلاقة بين الجنس والدين. فالمناقشاتُ الدينية حول المثلية الجنسية تحتلُّ العناوين الرئيسة في وسائل الإعلام، ويفكّر أصحاب العقائد فيما إذا كانت أشكال معيّنة من المغايرة الجنسية يجب أن تُعاقب بالإعدام، وما إذا كانت العلاقات الجنسية غير الشرعية سببًا في حدوث الأعاصير والمحرقة النووية، وما إذا كان الربّ يتغاضى عن الزواج بين أتباع أديان مختلفة وما إذا كانت هناك ممارسات جنسية في الجنّة.

يبدو أنّ مجتمعنا مهووس بالجنس وكذلك أديانُنا. سواء كان من المفترض أن نمارس الجنس أو لا نمارسه (أو نمارسه بصعوبة)، فإنّ الجنس يلعب دورًا بارزًا في معظم الآراء العالمية الدينية. فالعقائد المختلفة تستنكر الجنس وتباركه على حدّ سواء؛ حيث إنها تمنعنا من ممارسة الجنس وتجبرنا على القيام بذلك في آنٍ واحد؛ فهي تعاقبنا على نشاطنا الجنسي وتكافئنا عليه في الوقت نفسه. فسلوكك الجنسي ليس له تبعات وعواقب في هذه الحياة الدنيا فحسب، ولكن له عواقب في الحياة الأخرى أيضًا. وهناك مجموعة من العوامل قد تحسم مصيرَك إلى الأبد على سبيل المثال لا الحصر: الجنس أو بالأحرى النوع (ذكر أو أنثى)، والحالة الاجتماعية، واللون، والدين، والطائفية وعدد الشركاء الجنسيين.

ولكن كيف يمكن أن يقودَك شكل الجنس نفسه إلى الهلاك، وَفقًا لما يراه بعضهم، وإلى الخلاص، وفقًا لما يراه بعضهم الآخر؟ لا تعني الطرق غير المعدودة التي يمكن من خلالها الجمع بين الجنس والدين أنّ هناك أيَّ افتقار في المنطق حال القيام بذلك. ولكنّه منطق من نوع معيّن، موجود في أنماط معقّدة تعكس عَلاقتنا مع الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، التي نشرحها بشكل مختلف في كلّ دين من الأديان على حدة.

ومن خلال التركيز بشكل خاصّ على اليهودية والمسيحية والإسلام والهندوسية والبوذية، يحاول هذا الكتاب شرح بعض المعلومات الأساسية والدوافع والمعتقدات العامّة وراء المشهد المعقّد للاتجاهات الدينية فيما يخصّ الجنس اليوم، وتوظيف النصوص المقدّسة، والأساطير القديمة، والأقوال الفقهية، والموادّ التاريخية، والدراسات الاستقصائية عن السلوك الجنسيّ، ومجموعة كبيرة ومتنوّعة من المصادر الأخرى.

إنّ التنوّع الكبير في هذا المجال ليس مجرد إثارة في وقت نواجه فيه مرارًا وتكرارًا ادّعاءات دينية عن حقائق أبديّة وعالمية عن الجنس. لذا فمن المهمّ أكثر أن نكون مدركين مدى محدودية هذا العدد الكبير من هذه الادّعاءات على المستوى التاريخي والديني. ومن المهم بالقدر نفسه أن نرى كيف أن بعض المطالب الجنسية الدينية الأكثر عمقًا اليوم كانت مرتبطة في الأصل ارتباطًا وثيقًا بالمعتقدات التي قد تبدو محرجة لكثير من أولئك الذين يدافعون عن هذه القواعد الآن. فقد جرت العادة أن تقترن الرقابة الدينية الصارمة على ممارسة المرأة للجنس خارج إطار الزواج بتسامح واضح في العلاقات الغرامية الجنسية للرجل خارج إطار الزواج؛ إنّ المنطق الدينيَّ الذي يفسر الاستنكار الصارم للجنس بين الرجال يرتبط في الوقت نفسه بقبول الجنس الضمنيّ بين النساء، كما أنّ ادّعاءات أصحاب العقائد حول قدرة الله على إبطال الزيجات بين المثليّين الجنسيين تنعكس بدورها في الحجج الإبداعية المماثلة ضدَّ الزيجات بين الأشخاص ذوي البشرة المختلفة.

بالضبط، فإنّ الجنس لم يقتصر قطّ على الجنس فقط؛ لأنّ ثنائية الجنس والدين تتعدّى كونها مجرد مزيج من الاثنين؛ إنّها تتعلّق بالسياسة والهوية، وتتصل باللغة والاقتصاد وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالنسيج الاجتماعي العام لمجتمعنا. وبغض النظر عمّا إذا كنّا مؤمنين بها أم لا، فإنّ ثنائية الجنس والدين ترتبط بالكيفية التي نعيش بها حياتنا بشكل عام وكيف نفكّر في أنفسنا كبشر.

المقدمة

كان هيبوليتوس شابًا لا يقدر الجنس كثيرًا. كان ببساطة غير مهتمّ، وكان يتجنّب ممارسة الحبّ في الفراش ولا يريد أن يفعل شيئًا بالزواج. الشيء الوحيد الذي كان يستمتع به هو الركض وراء الوحوش البرّية لصيدِها في الغابات حول مدينة تروزين اليونانية في العصر البرونزيّ.

وهذا ما جعل أفروديت، إلهة الشبق والحبّ الجسديّ، تكره هيبوليتوس. ومن خلال تفضيله الحياة في البراري على ممارسة الحبّ في الفراش، تبيّن أنّ الشابّ وإلهة الحبّ لا يتبادلان الاهتمام نفسه، واعتبرها «أسوأ الآلهة».

ولكنّ أفروديت لن تسمح لهيبوليتوس بالإفلات من العقاب لتجاهله الحياة الجنسية، كونها إلهة الحبّ والجمال. وانتهى الأمر بالشابّ الوسيم جثة مشوّهة ملقاة من عربته الحربية بعد أن ارتعبت خيولُه من وحش أرسلته الآلهة إلى هذا الغرض ذاته.

هذه القصة ليست مجرد قصة رائعة من عالم الأساطير اليونانية. إذ يعكس مصير هيبوليتوس قناعة دينية أصيلة مُفادها أنّ الآلهة لم ترغب فقط بل طالبت – أيضًا- بأن نكون نشطين جنسيًّا. أو بإيجاز، فإنّ الامتناع عن ممارسة الجنس كان أمرًا مَشينًا.

الدين مع الجنس وضده

لا تتوافق قصة هيبوليتوس وأفروديت مع الصورة المعتادة لدينا عن العلاقة بين الجنس والدين. ويمكن لعناوين الأخبار اليوم أن تعطيَ بكلّ سهولة انطباعًا بأنّ الأديان تولي اهتمامًا بالجنس أكثرَ من أيّ وقت مضى، ولكنّ الصورة تبدو تقريبًا عكس الصورة الواردة في قصة هيبوليتوس. عادة ما يُنظر إلى معظم الأديان على أنّها تعارض الجنس وتستنكر ممارسته- الجنس مع الأشخاص الخطأ، بالطريقة الخاطئة، في الوقت الخطأ، وفي المكان الخطأ. وما يثير غضب الأديان هو أنّ الجنس كُتب عنه الكثير ولغط فيه الكثيرون؛ وما زاد الطين بِلّة هو أنّ ما كُتب عن الجنس؛ كُتب بطريقة خاطئة وما قيل عنه؛ قيل بطريقة خاطئة. وغالبًا ما يكون الاستنكار مطلقًا حتى إنّ الكثير من الأفراد يتكوّن لديهم انطباعٌ بأنّ الدين يرفضُ أشكال الجنس تمامًا كافة.

كيف يمكن أن تستنكر الأديان فِعل الأشخاص الذين يمتنعون عن ممارسة الجنس بينما تستنكر أديان أخرى فِعل غالبية الأشخاص الذين يمارسون الجنس؟ لا توجد إجابة بسيطة عن السؤال، رغم أنّ السؤال المطروح في حدّ ذاته بسيطًا للغاية. حتّى الديانة اليونانية القديمة لكلّ من هيبوليتوس وأفروديت لم تحض على قبول أشكال النشاط الجنسي جميعها، وإن لم يتبع الفرد سلسلة كاملة من القواعد المعقّدة فيما يتعلّق بنوع الجنس المقبول دينيًّا، فإنّ العواقب ستكون خطيرة للغاية. وعلى

الرغم من أنّ مصير هيبوليتوس المأساوي يعكس معتقداتٍ دينية مهمّة في اليونان القديمة، إلا أنّه ليس أكثر من جزء من اللغز المعقّد الذي يشكّل صورة العلاقة بين الجنس وهذا الدين بعينه.

حتّى اليوم، فإنّ الصورة أكثر تعقيدًا ممّا توحي به العناوين الرئيسة. إن التركيز أحادي الجانب على المعارضة الدينية لمختلف أشكال الجنس لا يجعل من السهل بالنسبة لنا التمييز بين الفروق الطفيفة جدًا. فلا يسعنا إلا أن نرى أنّ الكثير من الاستنكار يعني ضمنًا في الوقت نفسه أنّ الدين يبارك الجنس – بالطبع طالما أنه جنس من النوع «الصحيح». وتسير إدانة الجنس ومباركته جنبًا إلى جنب. عند النظر إلى العلاقة بين الجنس وكلّ دين بعينه، يكون من المهمّ التركيز على المكان الذي تمتدُّ فيه الحدود الفاصلة بين ما هو مقبولٌ وما هو مرفوض، وما هو مقدّس وما هو مستنكَر.

قواعدُ اللُّعبة الأساسية

لا يوجد حتّى الآن مجتمع يخلو من قواعد حول ممارسة الجنس. فمن وقت لآخر، كان البحّارة والفنّانون وعلماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية السعداء يعتقدون أنّهم اكتشفوا مجتمعًا متحرَّرًا جنسيًّا بمعنى الكلمة على جزيرة جنوب البحر أشبه بالفردوس؛ مجتمعًا دون أيّ ضوابطَ جنسيِّة على الإطلاق. ودائمًا ما كان يثبت أنّ اعتقادهم هذا مجرّد وَهم. فهؤلاء المسافرون مسافات طويلة كانوا يجدون أنفسهم ببساطة في مجتمعات تفرض قيودًا جنسيّة أقلّ من التي عرفوها في مجتمعاتهم، ولكن لم يكن بمقدورهم تحديد القيود الجنسية المحلّية لأنّها كانت غريبة عليهم.

فمن الصعب، إن لم يكن من المستحيل، اكتشافُ أيّهما يأتي في المقام الأول؛ أنماط السلوك الجنسي الثقافية أم القواعد الدينية المتعلّقة به. هل ظهرت المحظورات والتوجيهات المختلفة المتعلّقة بالجنس في الأصل بشكل مستقلّ عن الدين، فقط لتكتسب أهمّية دينية محدّدة لاحقًا؟ وهل كان تنظيمُ الحياةِ الجنسيةِ الدينيُّ مستقلاً عمّا كان يفعله الناس فعلاً، وبعد ذلك، وفي مرحلة لاحقة، أصبح السلوك الجنسي موجَّها في اتجاهات جديدة؟ هل كانت حالة الأديان مجرّد فرض عقوبات على الأنماط الجنسية التي كانت موجودة بالفعل في المجتمع البشري، أم أنّ الأديان كانت تتدخّل وتغيّر ممارساتنا الجنسية منذ البداية؟

لقد كان أسلافنا يمارسون الجنس بالفطرة قبل أن يعتنقوا أيّ دين من الأديان. ونحن نمارس الجنس منذ ذلك الوقت الذي لم يكن فيه أسلافنا سوى مجموعات صغيرة من الخلايا منذ مئات الملايين من السنين. ومن ناحية أخرى، من المستحيل الجزم بأنه كانت لدينا قواعدُ حول الجنس قبل أن نعتنق الدين. لقد أظهر علماء الحيوان أنّه حتّى الحيوانات لديها مجموعة متنوّعة من الأنماط السلوكية التي تحكم الكثير من نشاطها الجنسي، ولكن ليس من المؤكّد ما إذا كانت هذه الأنماط يمكن عدّها بمنزلة قواعد أم لا. ومع ذلك، فإنّ كلَّ المجتمعات البشرية المعروفة لديها قواعدُ حول الجنس، على الرغم

من أنّنا لا نعرف على الإطلاق الوقت الذي نشأت فيه. فنحن نتعامل مع شيء حدث منذ مدة طويلة بحيث يتعذّر استخلاص أيّ استنتاجات صحيحة.

لا تعتنق الحيوانات أيَّ دين. ومع ذلك، تُظهِر رسومات الكهوف القديمة والمدافن المزخرفة أنّ تاريخ الدين يرجع إلى زمن بعيد، وأنّه قديم قِدم التاريخ البشري، وربّما يرجع تاريخه إلى وجود البشر فصائل بشرية. والسؤال إذًا هو ما إذا كانت الأديان قد حاولت دائمًا تنظيم النشاط الجنسي البشري أم لا. ما نعرفه هو أنّه يمكننا إيجاد عقوبات دينية في مختلف أشكال النشاط الجنسي وإدانتها حتّى في أوائل المصادر المكتوبة عن الدين - وينطبق الشيء نفسه على جميع الحضارات المعروفة التي لم تعرف القراءة والكتابة. وكلٌّ من المصادر المكتوبة القديمة وتقاليد مجتمعات ما قبل القراءة والكتابة توضّح لنا أنّ هناك، عامةً، توافق بين قواعد الجنس الدينية، وقواعد الجنس العامّة - المحظورات والأوامر الزجرية الموجودة، كقاعدة؛ الدينية منها وكذلك العلمانية.

وبغض النظر عن كيفية نشوء العلاقة بين الدين والنشاط الجنسي، فمن الواضح أن التنوّع غير المعقول والأساليب الجنسية الدينية المعقّدة التي نجدها في جميع المجتمعات قد تشكّلت وتطوّرت أثناء عملية ثقافية دينية معقّدة. ولا يوجد معيارٌ واحدٌ يوضّح كيفية ارتباط الدين بالنشاط الجنسي البشري؛ فإنّ شكلًا من أشكال الجنس الذي يقبله دين ما كمثل أعلى أو بوصفه مقدَّسا من المقدّسات قد يكون مرفوضًا لدى دين آخر إذ إنّه رجسٌ. ولكنّ كلَّ هذه الأنماط تشترك في شيء واحد؛ أنّ أيًّا من أنماط النشاط الجنسي التي تدعو إليها الأديان المختلفة لا يمثّل قيدًا طبيعيًّا على الجنس. فما نتعامل معه في كلّ حالة هو بناء ثقافي.

لماذا الجنس والدين؟

حقيقةً أنّ الدين يركّز في المقام الأول على العقيدة والإيمان تُعدُّ ظاهرةً جديدة نسبيًّا. ويمكننا أن نرى أنّ الدين كان في الأصل أكثر تركيزًا على السلوك الصحيح، وأنّ السلوك الجنسي الصحيح كان جزءًا أساسيًّا منه. إنّ القناعة بأنّ أداء أعمال محدّدة جزءٌ أصيلٌ من ممارسة الدين لم تفقد قطّ رونقها وقوّتها- وخير مثال على ذلك هو التركيز الدينيّ المستمرّ على النشاط الجنسي.

ويبدو أنّ الجنس يحتلّ مكانة مميّزة إلى حدّ ما حتّى بين السلوكيات الدينية. فهناك قواعدُ دينيةٌ حول الطريقة التي يجب أن تتصرّف بها، وماذا يجب أن تأكل، وكيف يجب أن ترتديَ شعرك المستعار، وكيف يجب أن تغتسلَ، وكيف يجب أن تؤديَ الشعائر الدينية، ومع ذلك نادرًا ما يقتل الأفراد بعضهم بعضًا بسبب هذه القواعد. من ناحية أخرى، يلقى الكثير من الأفراد حتفهم بسبب توجّهات الأفراد الآخرين الدينية تجاه حياتهم الجنسية. ومن المرجّح أنّ الجنس يثيرُ المشاعر أكثر من معظم الأشياء الأخرى في السياق الديني. ففي حين أنّ الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية ارتضت دون عناء القمع الممنهج لحقوق الإنسان الأساسية على يد فرانكو لما يقرب من أربعين عامًا، فقد نظّمت من

فورها مظاهرات حاشدة ضمت مئات الآلاف من أصحاب العقائد عندما اقترحت حكومة منتخبة ديمقراطيًّا تقنين زواج المثليّين.

لقد تخلّت معظم الأديان الحالية عن الاعتقاد بأنّه يمكنها أن تجبر الجميع على اتباع الإيمان الحقيقي الواحد. ومع ذلك، فإنّ كثيرًا من تلك الأديان نفسها تهدف إلى فرض جوانب معينة من معتقداتها على المجتمع جميعه؛ وغالبًا ما يأتي الجنس على رأس القائمة.

ما الشيء المتعلّق بالجنس الذي يجعله قضية محورية مركزية، بل أحيانًا القضية النهائيّة، فأمّا ما يتعلّق بكثير من الأديان؟ فمن المستحيل تقديم إجابة قاطعة عن سؤال كهذا، وحتمًا ستختلف أيّ إجابات، بطبيعة الحال، حسب الدين الذي نتحدث عنه. ففي كثير من الأديان، يلوح الجنس في الأفق ظاهرة قوية بشكل كبير، لا لشيء إلا أنّ الاتصال الجنسي بين الجنسين هو الطريقة الوحيدة التي يمكن للبشر من خلالها تكوينُ حياة جديدة. وأمّا ما يتعلّق بكثير من الأديان، يمثّل الجنس - أو الامتناع عن ممارسة الجنس - طريقة مهمّة يمكننا من خلالها محاكاة سلوك الآلهة وتقليده أو أولئك البشر المثاليين في بداية الزمان. ومن منظور كثير من الأديان، فهناك أنواعٌ محدّدة من الجنس تجعل الخلاص مستحيلًا؛ ويرى بعضهم أنّ الجنسَ كلّه سيمنعنا من استخراج طاقاتنا الكامنة كلّها؛ بينما يرى آخرون بدورهم أنواعًا معيّنة من الجنس ضرورية لاسترضاء الآلهة. ومع ذلك، فليست كلّ الأديان تولي القدر نفسه من الاهتمام بالجنس.

وإذا نظرنا إلى عواقب الرقابة الجنسية وتبعاتها، يمكننا اقتراح إجابة أساسية أخرى حول سبب حرص كثير من الأديان على التحكّم في سلوكنا الجنسي. تتجاوز مضامين تنظيم السلوك الجنسي الرقابة المباشرة على الجوانب الأكثر حميمية في حياة الأفراد الخاصّة؛ حيث يكون لها تأثيرٌ كبيرٌ للغاية على الكثير من الجوانب الرئيسة في حياتهم. لا تحدّد المحظورات والأوامر الزجرية بشأن الوقت والكيفية وخصوصًا شريكك الجنسي فقط نشاطك الجنسي ولكنّها تحدّد أيضًا بمن يمكنك الارتباط به في الجوانب التي تتّسم بالخصوصية، ومن سيكونون أطفالك وأحفادك؛ فهي تلعب دورًا في تحديد دائرتك الاجتماعية وحلفائك وكيف تعيش حياتك كلّها. ولذلك، غالبًا ما يكون الجنس عنصرًا رئيسًا لكيفية رغبة الأديان في أن تشكّل جوهرك الخاصّ- حتّى تتمكّن من تحقيق الخلاص والفداء.

وعلى الرغم من أن استخدام المغايرة الجنسية والمثلية الجنسية مؤشراتُ هُوية يعدّ ظاهرة حديثة نسبيًّا، إلا أنّ النشاط الجنسي كان دائمًا يلعب دورًا في تحديد الهُويّات البشرية. حيث تحافظ القواعد الجنسية على الهُويّات والفئات وتعزّزها داخل كثير من الأديان. الجنس، والحالة الاجتماعية، والدين، والإثنية، والطائفية - كلّ هذه مؤشّرات هُوية دينية مهمّة. ومن خلال تنظيم النشاط الجنسي البشري، تدعم الأديان هذه التصنيفات المقدّسة وتقوّيها. وأنت إذا رفضت الأوامر الزجرية والمحظورات الدينية الجنسية، فإنّك ترفضُ هُويّتك كلّها في آن واحد. ولأنّ المعتقدات الدينية

الجنسية تحدّد على الأرجح هُويّتك كإنسان، فإنّ أيّ شيء يقع خارج الأطر المرجعية الجنسية الدينية يمكن اعتباره أمرًا غير طبيعي. وأنت إذا فشلت في التصرّف بالطريقة الدينية الجنسية المتوقّعة، فلستَ إنسانًا سويًّا.

لذلك عندما تنظّم الأديان حياتك الجنسية، فإنّها – أيضًا- تتحكّم في حياتك وهُويتك وحتّى فهمك لما يجب أن يكون عليه الإنسان. وعندما تسعى الأديان سعيًا حثيثًا لجعل السلطات العلمانية تفرض معتقداتها الدينية الجنسية، فإنّها تعلم أنّ هذا يعني أنّ بعض القواعد الدينية المركزية ستُطوّع لتبدو طبيعية وبديهية. فربّما لا تنجح في كسب إيمانك، ولكنّها أثناء التحكُّم في النمط الجنسي الخاص بك تجعلك تعيش حياتك كما لو كنت مؤمنًا حقًّا. لقد وضعوك على طريق الخلاص وما يعدّونه هم كمالًا بشريًّا.

وهذا يجعل من الأسهل فهم السبب وراء تركيز الكثير من الأديان على الجنس. ويتّضح بشكل خاصّ في حالة تلك الأديان التي تدرك أنه لم يعد بمقدورها فرض سيطرتها على جميع جوانب المجتمع فهي إذا نجحت في إرساء قواعدها الجنسية وجعلها مقبولة كمبادئ عامّة، فسوف تصبح العناصر البنيوية الرئيسة لمجتمعها الدينيّ المثالي موضع تطبيق.

الفكرة الأساسية وبِنيَةَ الكتاب

إنّ العرض والتقديم الكامل لجميع جوانب العلاقة بين الجنس والدين يتطلّب عملًا من عدّة مجلّدات بحجم موسوعة. فالهدف هنا، إذًا، هو تحديد سمات المشهد الديني الجنسي الأكثر أهمية ونموذجية.

أحاول في هذا الكتاب أن أشير إلى بعض الأنماط الجنسية الأكثر أهمية التي يمكن إيجادها في الأديان الكبرى، وقد أدرجت - أيضًا - عددًا من الأمثلة التي، على الرغم من أنّها ليست معبّرة بالتساوي، إلا أنّها أكثر أهمية على وجه التحديد لأنّها توضّح طرقًا أخرى يمكن بها الجمع بين الجنس والدين. حتّى عند التطرّق إلى الأديان الكبرى، من المهمّ النظر إلى بعض الظواهر الأكثر هامشيّة لأنّ هذه الظواهر يمكن أن تقدّم تصحيحًا لتصريحات عامّة مثل «اليهودية لديها دائمًا ...» أو «الإسلام لديه دائمًا ...».

وهذا التنوّع الدينيّ الجنسيّ يعيدنا إلى نقطة البداية. لا يوجد شيءٌ طبيعيٌّ أو بَدَهيٌّ حول الطرق التي تصف بها الأديان المختلفة أو تحظر أو تبارك أو تدين أنواعًا مختلفة من النشاط الجنسي. وسواء أصبح الجنس مقدَّسا أو ممقوتًا، فإنّ ذلك يعتمد تمامًا على تعريف الدين للجنس على هذا النحو.

ولا توجد طريقة واحدة واضحة لتنظيم محتويات كتاب عن الجنس والدين. كان من الممكن أن أقدّم عرضًا زمنيًّا لكيفية تغيّر العلاقة بين الجنس والدين عبر التاريخ، أو كان من الممكن أن أقدّم كلّ دين على حِدة. ومع ذلك، فقد اخترت العمل بشكل موضوعيّ، حيث يعكس كلُّ فصل من الفصول بعضًا من أكثر الجوانب التي تتّسم بوجود إشكالية في العلاقة بين الجنس والدين. وسوف يشمل أشياء من هذا القبيل؛ مثل ما يقصده الأفراد بالجنس في سياق دينيّ، والأشخاص الذين قد تمارس معهم الجنس، والجنس كنشاط دينيّ مباشر، وما تقرّه الأديان من عواقب الجنس - سواء فيما يتعلّق بالفرد أو المجتمع كافّة.

ففي الفصل الأول، سأبحث في تعريفات الجنس والدين؛ وكيف يمكننا أن نقرّر ما إذا كان شيء ما دينيًّا أم لا؛ وكيف يمكننا أن نقول إن بعض القواعد نموذجية لهذا الدين عندما يتضمّن كلّ دين من الأديان مجموعة كبيرة من الآراء ووجهات النظر حول كثير من أنواع الجنس المختلفة؟ تختلف وتتنوّع المفاهيم الدينية حول ماهية الجنس في الواقع على نطاق واسع. إنه ليس بأيّ حال من الأحوال تصنيف يمكن تعريفه بشكل طبيعي. فأمّا ما يتعلّق بالمسلمين المحافظين بشدة في طالبان، فإنّ المرأة التي تُظهر كاحليها ترتكب جريمة جنسية تستحقُّ العقاب، وأمّا ما يتعلّق ببعض الأوساط المسيحية، لا يعتقد الشباب غير المتزوّجين الذين يمارسون الاستمناء المتبادل أنّهم يمارسون الجنس. يختلف تعريف ما يُمكن اعتباره جنسيًّا من مجموعة إلى أخرى من أصحاب العقائد، ممّا يوضّح مرة أخرى أنّ فهمَنا للجنس هو في الأساس بناء ثقافي.

وفي الفصل الثاني، سنرى أنّ كثيرًا من أصحاب العقائد لا يعتقدون أننا يجب أن نمارس الجنس على الإطلاق: الموضوع هنا هو المثالية الدينية للامتناع المطلق عن ممارسة الجنس.

والفصل الثالث، يتناول الاستمتاع الذاتيّ أو الجنس أحاديّ الجانب. على الرغم من أن الجنس هو نشاط اجتماعيّ في المقام الأول، إلا أنّه ليس كذلك فقط. ممارسة الجنس أحاديّ الجانب ليست ممكنة فحسب، بل هي أيضًا موضوعُ تفسيرات مختلفة من منظور أديان مختلفة.

والفصل الرابع، الأطول في الكتاب، يتناول المغايرة الجنسية. ولكنّها ليست تصنيفًا واضحًا؛ فهناك اختلافاتٌ كبيرة بين أشكال مختلفة من المغايرة الجنسية والاتجاهات الدينية حولها. وبالنظر إلى النزعة الدينية لإدانة المِثلية الجنسية، غالبًا ما ننسى أنّ القليل من الأديان، إن وجدت، تمنح مباركة غير مشروطة للمغايرين جنسيًّا الذين يريدون أن يكونوا أحرارًا في ممارسة الجنس مع أيّ شخص يختارونه. إنّ الإدانة واللعنة الأبديّة وعقوبة الإعدام ليست سوى بعض الأمثلة التي تخبّئها الحياة لأولئك الذين يفشلون في قصر أنفسهم على الشريك الجنسي المغاير الصحيح والسياق الصحيح والفتحات التناسلية الصحيحة. وينقسم الفصل إلى أقسام تتناول الجنس قبل الزواج، والزواج كمؤسّسة، والجنس الإلزاميّ، والجنس الإنجابيّ، وتعدّد الزوجات، والجنس خارج نطاق الزواج، والطلاق، وأخيرًا المحظورات الأخرى والفتحات التناسلية.

والفصل الخامس، يتناول المِثلية الجنسية. ويبدو أنّ كثيرًا من الأديان الحالية تركّز جُلّ اهتمامِها تقريبًا في إدانتها للمِثلية الجنسية، ولكنّ هناك أديانًا أخرى ترى أنّ ممارسة الجنس بين أشخاص من الجنس نفسه لا يثيرُ أيَّ مشكلة أو أنّه شيء مقدّس أو على الأقلّ أسمى من المغايرة الجنسية. ولكن المثلية الجنسية في حدّ ذاتها ليست تصنيفًا مباشرًا؛ فالكثيرُ من الأديان تقبل بعض أشكال المثلية الجنسية بشكل طبيعي بالقَدرِ الذي تدين به الأشكال الأخرى في الوقت نفسه.

إنّ التركيز الغالب على الجنوسة في المناقشات والمناظرات الدينية الحديثة حول الجنس يدفعنا إلى التغاضي عن التصنيفات البشرية الكثيرة الأخرى التي يمكن أن تؤدَّي إلى كلّ من المحظورات والأوامر الزجرية. وهذا هو موضوع الفصل السادس. في حين أنّ لونَ البشرة كان عاملًا مهمًّا لكثير من المسيحيين، فإنّ بعض الأديان الأخرى أكثر قلقًا بشأن تنظيم إمكانية أصحاب العقائد لممارسة الجنس مع شخص من ديانة مختلفة. وفي آسيا، على سبيل المثال، نجد أنّ الطائفية تعدُّ عاملًا حاسمًا في السلوك الجنسيّ للهندوس وغيرهم من أصحاب العقائد.

في حين أنّه يجب على الأديان أن تستمرّ في معركتها للحفاظ على رقعتها في العالم الماديّ والتجريبيّ، فهي تكون على أرض أكثر ثباتًا في أجزاء أخرى من الكون البشري. لا تزال الجنة والجحيم والمناطق الأخرى التي قد ينتهي بنا المطاف إليها بعد الموت هي المجالات التي يختصّ بها الدين في المقام الأول. وهذه المناطق أيضًا يتمّ فيها ممارسة الجنس وتنظيمه وَفقًا لمجموعة متنوّعة

من القواعد الدينية. والمخلوقات التي تنتمي إلى هذه الأماكن - الآلهة والملائكة والشياطين - ليست مُعفاة من الحثّ الدينيّ لتنظيم السلوك الجنسي. وهذا هو موضوع الفصل السابع.

غالبًا ما يُنظر إلى ممارساتنا الجنسية في هذه الحياة على أنّها العنصر الرئيس لما سيحدث لنا بعد الموت، لكنّ عواقب ممارسة الجنس يمكن ببساطة أن تكون أكبر من ذلك. فيُمكن للآلهة أن تعاقبك كفرد وأنت لا تزال على قيد الحياة، ليس هذا فحسب، ولكن سلوكك الجنسي يمكن أن يؤثّر في الطريقة التي تعامل بها القوى الإلهية مجتمعك كلّه. هذا هو موضوع الفصل الثامن.

ويتناول الفصل التاسع كيفية استخدام الجنس، بالمعنى الحرفيّ الأكبر، في سياق دينيّ. سنقوم، على سبيل المثال، بزيارة أماكن العبادة ونرى ما العروض الجنسية التي يمكن أن نشاهدَها أحيانًا في هذه الأماكن. استخدام الطقوس الجنسية ليس بالضرورة أمرًا غريبًا على أسياد الحفل الدينيّ.

ويتعلّق الفصل العاشر بدراسة الأولويات الدينية الجنسية. فقد تزيد أو تقلّ المحظورات والأوامر الزجرية المختلفة فيما يتعلق بعضها ببعض وفيما يتعلّق بالجوانب الأخرى من الدين. لأنّه، على سبيل المثال، يجب تجاهل بعض المحظورات والأوامر الزجرية بشدة في فترات معينة بينما في أوقات أخرى تعدّ المحظورات والأوامر الزجرية أنفسهما من بين أكثر العناصر حيوية في منظور العالم المتديّن.

الفصل الأول

تعريف الجنس والدين

كيف يمكننا تعريف العَلاقة الصحيحة بالجنس في المسيحية أو في الإسلام أو في الهندوسية؟ نسمع مرارًا وتكرارًا أنّ هذا أو ذاك محظورٌ على المسيحيين أو البوذيين أو اليهود. وبعد ذلك، كما في كثير من الأحيان، نسمع أشخاصًا يقولون أشياءَ مخالفة تمامًا. ثم تأتي الحجّة الدامغة لمعرفة مَن منهم على صواب ومن مَنهم على خطأ. أو بعبارة أخرى، يمكن أن يحدث الالتباس في اللحظة التي نتطرّق فيها إلى ثنائية الدين والجنس. ولكن ربّما في خضمّ هذا الانقسام ذاته تكمُن كثيرٌ من الإجابات.

يودُّ جميع أصحاب العقائد أن يرَوا أنفسَهم كمسيحيين حقيقيين وكمسلمين حقيقيين وكهندوس حقيقيين وصادقين مهما كان الأمر. لا جدال في ذلك، ومع ذلك، وبسبب تعدّد التقاليد، فإنّ الاعتقاد بأنّ الشخص يمكن أن يكون مسيحيًّا حقيقيًّا أو مسلمًا حقيقيًّا أو هندوسيًّا حقيقيًّا يشكّل مُعضلة كبرى. إذا كانت «مُنى»، وهي يهودية حقيقية، تؤمن بهذا وذاك، فماذا عن حنا، الذي ربّما لا يؤمن بهذا ولا ذاك؟ أليست هي سوى امرأة يهودية تعتنق الدين اليهودي فحسب؟ تظهر المُعضلةُ نفسُها عندما يتعلّق الأمر بما يفهمه أصحاب العقائد المتديّنون تحت مفهوم الجنس الصحيح. فكلُّ ديانةٍ تحوي كثيرًا من الاختلافات في داخلها بحيث يصبح من الصعب استخلاص أيّ استنتاجات مُطلقة حول علاقتها بأيّ شكل من أشكال الجنس.

يحلو لكثيرٍ من الأشخاص المتديّنين أن يتحدّثوا نيابة عن جميع رفاقهم من أصحاب العقائد، ويدلون بتصريحات تفيد بأنّ هذا أو ذاك محظورٌ على المسيحيين أو المسلمين أو الهندوس؛ لكن ما يغفلونه، سواء عن وعي أو دونَ وعي، هو التنوُّع الهائلُ الموجودُ داخل كلّ دين من الأديان. وهؤلاء لا يتجاهلون القضية الراهنة فحسب، ولكنّهم – أيضًا- يتجاهلون تاريخ الأديان. فجميع الأديان الكبرى تدين المثلية الجنسية وتدافع عنها على حدّ سواء، على سبيل المثال، على الرغم من الادّعاء بأنّ معظم الأديان قد أدانتها.

ضمن أيّ تقليد ديني معين، سيكون هناك دائمًا مجموعة من السلطات المختلفة يمكن لأصحاب العقائد الرجوع إليها - السلطات التي كثيرًا ما تقول أشياء مختلفة، ولن تقدّم بالضرورة إجابات قاطعة. إنَّ مدى اتّباع أصحاب العقائد الدينية لما تقوله السلطات المختلفة سيعتمدُ جزئيًّا على الاختيارات التي يتّخذها الأفراد لأنفسهم وكذلك على مستوى الإكراه والعقاب الذي يخضعون له. ولكن طالما أن الأفراد يعدُّون أنفسهم أتباع دينٍ أو آخر، أو على الأقلّ يحتفظون بتبعية رسمية إلى طائفة ما، فلا يزال يتعيّن عليهم أن يعدُّوا أنفسهم بوذيّين ومسيحيّين ومسلمين وما إلى ذلك. وحقيقة أنّ كثيرًا من الأفراد يتصرّفون بطريقة مختلفة عن الطريقة التي ترغب السلطات الدينية أن

يتصرّفوا بها لا تعني بالضرورة أنّهم قد انشقّوا عن المذهب على هذا النحو ولكنّهم يعبّرون عن دينهم بطريقة جديدة. وبالنظر إلى الخلاف الدائم داخل الأديان حول العَلاقة بين الجنس والدين، فإنّ إجابة السؤال عن ماهية السلوك الجنسيّ في الإسلام أو المسيحية أو الهندوسية ستحتمل دائمًا إجابات متعدّدة.

ومع ذلك، ليس كلُّ شيء نسبيًّا، فبعض السلطات - بعض الكتابات المقدّسة والشخصيات الدينية البارزة، على سبيل المثال - أكثر مركزية من غيرها. وهناك – أيضًا- اتجاهاتٌ واضحةٌ للعيان في العَلاقة الداخلية بين السلطات، حيث تُسند إلى بعض المحظورات في الكتابات المقدّسة أهمّية أكبر بكثير، بينما قد يتمّ تجاهل الأخرى تقريبًا. والتحقّق ممّا يتمّ التأكيدُ على أهمّيته وممّا يتمّ تجاهلُه أمرٌ مهمٌّ للغاية لأنّه يمكن أن يوضّح مقدار الدين المُعبّر عنه نتيجة لخيارات واعية أو غير واعية. إذ يمكننا – أيضًا- تمييز اتجاهات واضحة فيما يتعلّق بالكيفية التي يتّبعها أصحاب العقائد الدينية في الالتزام بأحد المحظورات أو الأوامر الزجرية أو تجاهلها. وسننظر عن كثب في بعض هذه القضايا عندما نحاول رسم خريطة المشهد الديني الجنسي.

كثيرٌ من الأشخاص يختارون مصادرهم بعناية من أجل الوصول إلى ادّعاءات مُطلقة. فيختارون أجزاءً محدّدة من الكتاب المقدّس أو القرآن الكريم ويستخدمونها لإثبات أنّ اليهودية أو المسيحية أو الإسلام تتبنّى مثل هذه الرؤية أو تلك كخيار جنسي محدّد. ويوضّح هذا النوع من الاختيار أن حتى المصادر الأساسية لا يُمكن استخدامُها لتقديم إجابات قاطعة عن الدين، على الرغم من أنّ هذه الادّعاءات قد تمثّل في كثير من الأحيان المعتقدات والتقاليد الدينية. ففي الأناجيل، كان المسيح عيسى يحظر الطلاق تمامًا، في حين أنّ الأغلبية الكاسحة من المسيحيين اليوم يفكّرون بشكل مختلف. ولكن هذا لا يجعل مؤيّدي الطلاق أو معارضيه أقلّ تديُّنا ومسيحيةً.

وهذا يقودنا إلى السؤال حول المصادر التي يجب أن نعتمد عليها عند التحقيق في العلاقة بين الجنس والدين.

لا يمكننا، على سبيل المثال، استخدام النصوص المقدّسة وحدَها، لسبب بسيط؛ وهو أنّ أصحاب العقائد الدينية أنفسَهم يختارون تفاسيرَها بطرق مختلفة. وعند محاولة رسم صورة للعَلاقة بين الجنس والدين، فسيكون من الضروري استخدام مجموعة متنوعة من المصادر. إذ يتعين قراءة النصوص الدينية في ضوء ما يعتقده أصحاب العقائد المختلفة اليوم وما كانوا يؤمنون به عبر التاريخ. ولا يمكننا أن نفهم تصريحات الزعماء الدينيين دون النظر إلى مدى تصرف أصحاب العقائد وفقًا لهذه الأوامر الزجرية. إذ يجب مقارنة المُثُل الدينية بما يُمارس ويُقبل فعلاً، وما ينشأ في ضوء العقوبات وردود الأفعال عندما يجد الأفراد أنفسهم في المنطقة الحدودية لما يمكن قبوله.

ومن الضروريّ – أيضًا- أن نتساءل عن حدود الدين في الواقع. بالنسبة للعديد من الأشخاص المتدينين، وخاصة اليوم، لا يدخل الجنس ضمن ما يعتبرونه دينًا. ومع ذلك، هناك آخرون يرون أن

بعض القواعد المتعلّقة بالجنس أمرٌ أساسيٌّ لدينهم، بينما تعتبر القواعد الأخرى مقرّرة من الناحية الثقافية. وهناك أشياء بدأت كأوامر زجرية ومحظورات دينية وسرعان ما تمّ استيعابها وأصبحت الآن «طبيعية». وحتى عندما يعرّف المتدينون كل حياتهم الجنسية أو جزءًا منها بأنه خارج نطاق الدين تمامًا، فإن مواقفهم من الجنس ستظل مع ذلك ذات صلة بدراسة الجنس والدين لمجرد أن هؤلاء الأشخاص ما زالوا يعدُّون أنفسهم متديّنين.

تؤدّي الاختلافات الثقافية والإقليمية الضخمة إلى تعقيد الصورة - داخل أي دين معين وبين العقائد المختلفة. في منطقة البحر الأبيض المتوسط بأكملها، على سبيل المثال، هناك نمط تقليدي شائع في الأمور الجنسية، حيث يمكن للرجال، تقريبًا، فعل ما يحلو لهم بينما يخضع نشاط النساء الجنسيّ إلى رقابة صارمة. ويسود هذا النمط نفسه سواء كنّا نتحدّث عن المسيحية أو اليهودية أو الإسلام أو الديانات الأخرى. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما إذا كانت هذه مسألة دينية أم ثقافية أم كليهما. ونظرًا لأنّ هذا هو النمط العام الذي استمرّ آلاف السنين وأثناء كثير من التغييرات الدينية، يكون هناك سبب وجيه للاعتقاد بأنّ هذا النمط يمثّل سمةً ثقافية أصولية تتجاوز الدين. ولكن إذا سألت الأفراد المسيحيين أو اليهود أو المسلمين عن ذلك، فمن المرجّح أن تحصل على إجابات مختلفة. وعلى الرغم من أنّ قلّة قليلة منهم قد تجادل بأنّ هناك تفسيرًا دينيًا يسمح للرجال بفعل بما يحلو لهم عامّة، فإنّ معظمهم سيرون أن الرقابة الصارمة على الحياة الجنسية للإناث ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعتقدات الدينية. فبمجرد أن يصبح هذا النمط مقبولًا في دين معيّن، يصبح جزءًا منه.

وهناك بعض الدول، لأسباب دينية، تحاول فرض قيود صارمة على السلوك الجنسي لمواطنيها. وحتمًا سيؤثر ذلك على درجة التزام المواطنين بالقواعد الدينية التقليدية التي تحكم السلوك الجنسي. وعلى الرغم من أنّ عددًا متزايدًا من الدول يسمح للمواطنين باتخاذ خياراتهم الخاصّة بالأمور الجنسية، إلا أنّ السلطة الفعلية للدولة على فرض الضوابط قد ازدادت لأنّ مؤسّساتها وأجهزتها أصبحت أكثر توغّلًا وفاعليّة. وعامّة، يبدو أنّ الأوامر الزجرية والمحظورات الدينية كانت أكثر صرامة في الماضي ممّا هي عليه الآن، ولكنّ السلطات الدينية وسلطات الدولة كانت تتمتّع بقوة أقلّ بكثير فيما يخصّ ضمان الالتزام بها.

وفي أجزاء أخرى من العالم، يمكننا أن نجد أنماطًا ثقافية تتخطّى الحدود الدينية؛ حيث توجد قواسم مشتركة بين أنماط السلوك الجنسي لدى الشباب اليهود والمسيحيين والمسلمين في نيويورك أو برلين وبين أنماط السلوك الجنسي للشباب المعتنقين للديانات ذاتها في قرى ولاية كيرالا Kerala أو إثيوبيا. حيث تلعب العوامل الاقتصادية وغيرها من العوامل غير الدينية دورًا بارزًا. فمن الواضح أن مستويات الرقابة الاجتماعية والدينية تختلف اختلافًا كبيرًا بين الأماكن التي يمكن فيها للفرد الأعزب أن يحيا ويعمل بشكل مستقلّ وبين الأماكن التي يعني فيها رفض المرء من قبل عائلته دمارًا اقتصاديًا واجتماعيًا له. فالأسرة النووية الصغيرة والمستقلّة اقتصاديًّا والقادرة على الانتقال إلى جزء آخر من البلاد تهيّئ للفرد مجموعة مختلفة تمامًا من الظروف على العكس من الأسرة

الكبيرة التي وإن كنت فيها شخصًا بالغًا لا يمكنك الإفلات من التحقيق والمساءلة من جانب الآباء والأمهات والعمّات والأعمام. إن العوامل من هذا النوع هي التي تفسّر لماذا يعيش الكثير من المسلمين والهندوس وَفقًا للقواعد الدينيةالجنسية التقليدية مقارنة بالمسيحيين واليهود؛ إذ أن عددًا أقل من المسلمين والهندوس يعيشون في مجتمعات يُتاح فيها للأفراد فرصة الاستقلال عن أسرهم في ظل مجموعة من العلاقات الاجتماعية محكمة النسج والتماسك. وبصعوبة يوجد أو لا يوجد أيّ شيء في هذه الديانات نفسها يعلّل هذه الاختلافات الإحصائية الكبرى. وفي جميع الأديان يمكننا أن نجد مجموعة كاملة من السلوكيّات الجنسية التي تتراوح بين كونها قواعدَ صارمة للغاية وبين كونها قواعدَ يمكن التساهل فيها.

وجملة القول، إنه من الصعب تقديم إجابات قاطعة فيما يتعلّق بمدى ارتباط أيّ دين معيّن بالجنس. فالأديان ليست وحدات معرّفة بشكل واضح. إنها تصنيفات غالبًا ما تكون ذات حدود مبهمة. فضلًا عن أنّ المعتقدات المختلفة قد تغيّرت بشكل كبير عبر التاريخ. وكلّ واحدة من هذه العقائد تتضمن مجموعة كبيرة من المعتقدات الدينية المتنوّعة للغاية. ولا بدَّ من أن يؤخذ كلّ هذا في الاعتبار عندما ندرس العلاقة بين الديانات المختلفة والجنس.

ولكن ما الجنسُ؟

عندما نأخذ في اعتبارنا الاتجاهات التي تتبنّاها مختلف الديانات تجاه الجنس، من المهمّ أن يكون لديك فكرة واضحة عن ماهية الجنس، وليس دائمًا ما يكون ذلك سهلًا. وفقًا لقاموس أوكسفورد بالإنجليزية، الجنس يعني «النشاط الجنسي، وخاصة الجماع». والتعريف الأكثر شيوعًا للجنس هو أنه نشاطٌ يشملُ الأعضاء الجنسية ومستوى من الإثارة. وعندما ننتقل إلى الدين، فإنّنا لا نجد أيَّ تعريف دقيق للغاية عن ماهية الجنس؛ بل على العكس؛ جميع الأديان تقر وتعترف أنّ الاتصال الجنسيَّ المهبليَّ هو الجنس بعينه، ولكن بمجرد أن نتجاوز ذلك نجد أن حدود ما يُفهم على أنّه جنس تختلف اختلافًا كبيرًا بين الأديان المختلفة، وفي الواقع داخل كلّ دين على حِدة.

في تاريخ الأديان، بُذل قدر كبير من الجهد لتنظيم ما يُعتبر عادة مناطق حدود جنسية. في القانون اليهودي، على سبيل المثال، إذ يشير مفهوم «يِشود» yichud (تحريم الخلوة بين الجنسين) إلى ضرورة الفصل الجسدي بين الرجال غير المتزوجين والنساء غير المتزوجات. على الرغم من أن هذا المبدأ لم يعد واسع الانتشار كما كان، إلا أنه يظهر بأشكال جديدة. فقد أصبحت الحافلات المنفصلة للرجال والنساء أكثر شيوعًا نتيجة لمطالب اليهود الأرثوذكس أو الحريديم Haredi المتطرّفين، وعلى عدد من الطرق التي لا توجد فيها مثل هذه الحافلات المنفصلة، يتعيّن على النساء الجلوس في مؤخّرة الحافلة من أجل منع السلوكيات غير اللائقة المتمثّلة في الاتصال بين الجنسين بشكل أساسي. وفي بعض الأحيان كانت النساء يتعرضن للضرب على أيدي الرجال الأرثوذكس المتطرّفين، لرفضهنّ الجلوس في مؤخرة الحافلة. توجد قوانين مماثلة للحفاظ على الفصل بين

الرجال والنساء في أماكن محافظة إسلاميًّا. وتعدُّ قوانين المملكة العربية السعودية التي تحظر على المرأة التنقّل خارج المنزل دون وجود مرافق ذكر أو مِحرم أحد الأمثلة الكثيرة في العصر الحديث. ولكنّ الرجال لا يفلتون من ذلك أيضًا؛ ففي شتاء عام 2008، أُلقي القبض على 57 شابًا في أحد مراكز التسوق في مكة المكرمة لارتدائهم ملابس غير لائقة، مع تشغيل موسيقى صاخبة ورقص، ولأن الغرض من تصرفهم بهذه الطريقة كان لجذب أنظار النساء. وفي خريف عام 2008، ظهرت مجموعة من الأئمة في أوسلو في الاحتفالات النرويجية الصومالية العامّة، معبّرين عن احتجاجهم بصوت عالٍ ضدَّ الرجال والنساء الذين تواجدوا معًا دون أن تربطهم أيّ علاقات أسرية. والهندوسية – أيضًا- لا تخلو من مواقفَ مشابهة. فالمعلوماتُ السياحيةُ في نيبال الهندوسية تحذّر الأجانب من تبادُل القُبُلات والأحضان في الأماكن العامّة، «خاصّة بين الرجال والنساء». وابتكر الحزب السياسي الهندوسيّ الراديكاليّ «شيف شينا» Shiv Shena تقاليدَه الخاصّة في عيد الحب في الهند؛ حيث يتمّ تسويد وجوه الأزواج من جنسَين مغايرَين ممّن يعدُّهم النشطاء أكثر حميمية ويتمّ قصُّ شعرهم بالإكراه، كما تمّ تخريبُ المنشآت التي تحتفل بعيد الحبّ.

بقدر ما يتعلّق الأمر بالمسيحية، أصرّ عيسى المسيح نفسُه على أنّه من الممكن أن تكون مذنبًا بالخيانة الجنسية دون اتصال جسدي: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امرأة لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ". وَفقًا لتوماس أكويناس، الذي يعدُّ من الناحية التاريخية أهمَّ رجال الدين الكاثوليكيين الرومانيين، فإنّ اللمس والتقبيل بين الجنسَين المغايرَين ليس خطيئة مميتة في حدّ ذاتها، لكنّه يمكن أن يصبح كذلك حسب الدافع. وهناك تقليدٌ طويلٌ في المسيحية بأنّ الرغبة غير المشبعة يمكن أن تكون في حدّ ذاتها خطيئة جنسية. وعندما خرج المبشّرون المسيحيون وخطبوا في الناس يعظوهم أنّ مثل هذه الأفكار الجنسية كانت إثمًا، كان ذلك مفهومًا جديدًا تمامًا لكثير من الشعوب الذين احتكوا بهم.

وانطلاقًا من المبدأ والمعنى أنفسهما، اعتقد النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم) أنّ النظر إلى الأشياء المحرّمة، أو النظر بشهوة إلى امرأة يعدُّ زنا للعين، وأنّ الحديث عن أشياء محرّمة أو عن رغبات هو زنا باللسان. وهناك - أيضًا- زنا للأذن عندما يستمع الأفراد إلى أشياء ذات طبيعة جنسية، ويقع زنا اليد عندما يلمس الناس ما يشتهونه. وبدلاً من ذلك، قد يكون زنا القدمَين الخُطى، ممّا يعني المشي إلى المكان الذي يخطّط فيه المرء لارتكاب الزنا. ومع ذلك كان النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم)، يبدو أكثر تسامحًا من عيسى المسيح مع الرغبة الإنسانية، طالما أنّها لم تُشبع بعد. فهو لا يقترح أيّ تبعات دينية على الرغبات غير المشبعة.

وتعدُّ الرغبة في حدّ ذاتها - أيضًا- تصنيفًا جنسيًّا يسبّب إشكالية للبوذية، ولكنّ الأمرَ هنا هو أنّ الرغبة في حدّ ذاتها قد تكون تحدِّيا أكبر من الجنس في حدّ ذاته. فمشكلة الرغبة مرتبطةٌ بجميع الحواسّ، وكلّ واحدة تكبح جماح شغفنا بطريقتها الخاصّة. وكما هو الحال مع الأديان الأخرى،

تطبق البوذية – أيضًا- في بعض الأحيان مفهوم الجنس الواسع. فحقيقة أنّ الرجال يستمتعون بالنظر إلى النساء، حتّى لو كانت صورهنّ فقط، تُفهم أحيانًا على أنها فعل جنسي.

يمثل العُري، أو مجرد اقتراحه، منطقةً حدوديةً أخرى تمّ صبغُها بصبغة جنسية قوية في كثير من الأديان. وتذكر الرواية التوراتية عن جنّة عدن، أنّ آدم وحواء كانا يخجلان من عريهما وغطيا أنفسهما بأوراق تين ملفوفة بمجرد تناولهما من شجرة الحكمة «وفتحا عينيهما». وعندما رأى هام بن نوح أباه في حالة سُكرٍ وهو عريانٌ، انصبّت اللّعنات على هام وأبنائه عدة أجيال. وتمّت الإشادة بأنطونيوس الكبير، أول آباء الصحراء المسيحيين الأسطوريين؛ لأنّه لم يسمح قطّ لأيّ شخص برؤيته عريان وهو حيّ. حيث تخلّى الرجل المقدّس عن الاغتسال مدى الحياة من باب الاحتياط، ولكي يكون قدوة للمسيحيين ومثالًا يُحتذى به، فلن يضع «قدمَيه في الماء إلا إذا اضطرّ إلى ذلك».

ورغم ذلك، فقد تغيّر الموقف المسيحي تجاه العري. لم ير البابا يوليوس الثاني في بداية القرن السادس عشر مشكلة مع كثير من شخصيات الكتاب المقدّس العارية التي رسمها مايكل أنجلو في كنيسة سيستين Sistine، وبعد عدة عقود أصيب البابا بولس الرابع بالرعب من كلّ هذا العُري وخطط لإتلاف اللوحات. ولم تثنيه عن خطّته الأصلية سوى قوة الاحتجاجات التي قد لا يُحمدُ عقباها. وبدلًا من ذلك، كلّف أحد تلاميذ مايكل أنجلو برسم الملابس على شخصيّات الكتاب المقدّس غير المحتشمة. أمّا في العصر الحديث فيبدو أنّ المسيحيين كرّسوا جهودهم الرامية التي لا تكلّ ولا تملّ لمحاولة الحدّ من تصوير العُرى في الأفلام والمطبوعات. حتى اليوم لا تزال القضية قائمة. فبينما تنشر الكثير من فرق كرة القدم والمعاهد النسائية روزنامات عارية لأنفسهم، فقد طردت كنيسة يسوع المسيح لقدّيسي الأيام الأخيرة تشاد هاردي الأمريكي في صيف عام 2008 لأنه نشر روزنامة لمبشرين من المورمون Mormon الذكور بأجسام عارية.

من حيث المبدأ، يجب ألا يتعرّى المسلمون البالغون، حتّى أمام أقرانهم من الجنس نفسه، ولكن الأمر يختلف اختلافًا بينًا، لا سيما في الحمامات العامة. إذ يرتبط الحظر المفروض على العري بمناشدة القرآن الكريم للنساء بارتداء الملابس المحتشمة، لا سيّما عند الاختلاط بالرجال خارج محيط الأسرة المباشرة. ويجب أن تتحجب النساء المحتشمات جيدًا، بينما تبدو القواعد أقلَّ صرامة بالنسبة للرجال، وهذا شيء ملحوظ، على سبيل المثال، على الشواطئ الأوربّية حيث يمكن في الغالب رؤية النساء المسلمات يرتدين ملابس كاملة يجلسن جنبًا إلى جنب بجوار ذويهن من الرجال والأزواج الذين يرتدون سراويل السباحة الأكثر بساطة. لكن الرجال لا يفلتون دائمًا بذلك. فمنذ ثورة 1979 في إيران، لم يعد بمقدور الرجال ارتداء ملابسهم كما يحلو لهم، بينما في عام 2009 بدأت شرطة حماس الدورية في قطاع غزّة في توبيخ الرجال الذين يتجوّلون على الشاطئ وهم عراة الصدر.

الملابس وحدها ليست دائمًا كافية لستر عُري النساء. حذّر أبو هريرة، أحد الأتباع المقرّبين للنبي محمّد (صلى الله عليه وسلم)، من «النساء العاريات الكاسيات». مثل هؤلاء النساء «يضللن الطريق ويضللن الآخرين». وفقًا لأبي هريرة، فإنّ عادات اللباس من هذا النوع تستبعد مرتديها من دخول الجنة. إنّ الحثّ على ارتداء ملابس محتشمة هو السبب وراء استخدام الحجاب والنقاب المتزايدَين اللذين نراهما اليوم، برغم أنّ النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم) نفسَه لم يطلبه أيضًا. إنّه الخليفة عمر الذي من المفترض أن أُوحي إليه ربّانيًّا بابتكار الحجاب بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) بمدّة وجيزة. ومع ذلك، هناك فرق كبير بين النساء الواعيات بالموضة في طِهران اللاتي يرتدين الحجاب المصمَّم بأناقة فوق تصفيفة الشعر المعتادة، وعادات تغطية الجسد كاملًا بالملابس والحجاب الأسود الداكن الذي يُعدُّ أمرًا طبيعيًا بالنسبة لجميع النساء تقريبًا في صنعاء، عاصمة اليمن. وفي خريف عام 2008، أعلن قاضي إسلاميٍّ بارز في المملكة العربية السعودية أنّ ظهور النساء الكاسيات العاريات و»الشرّ العظيم» يبرّر اغتيال أصحاب الشركات الإعلامية والمحطّات التليفزيونية المعنية. وبالمثل، فإنّ العائلات المحافظة في الإمارات العربية المتحدة حتّى ثمانينيات القرن الماضي لم تسمح لأبنائها بالزواج من فتاة رآها أيّ شخص - ذكرًا كان أم أنثى - خارج دائرة أسرتها المباشرة.

وعلى النقيض الآخر، يمكن أن نجد في بعض الأحيان أن الدين يكشف عن فهم محدود لما يشكّل الجنس أكثر من الفهم الذي يتبنّاه الأفراد عامّة. وقد أظهرت دراسة استقصائية أمريكية عام 2003 أن 27% من مجموعة من طلاب الجامعات الذين وقعوا تعهّدات مسيحية محافظة بالامتناع عن ممارسة الجنس قبل الزواج عدُّوا أنّهم وفّوا بوعدهم مدة عام لاحق، على الرغم من أنّهم قد انغمسوا في ممارسة الجنس الفموي أثناء تلك السنة. إنهم لا يعدّون الجنس الفموي نوعًا من ممارسة الجنس. وأظهرت دراسة أجريت على نساء نشأن في بيئة حركة الكنيسة النرويجية المنخفضة وحركة «تين سينج» Ten Sing أنّ حظر ممارسة الجنس قبل الزواج يعني، من الناحية العملية، غالبًا أنّ أيّ شيء مسموح به عدا ممارسة الجماع». حيث إنّ الأزواج من جنسَين مغايرَين قادرون على لمس بعضهم بعضًا إلى حد هِزة الجماع وأشياء من هذا القبيل «دون اعتبار هذا الفعل نوعًا من الجنس. تقول امرأة مسيحية شابة، وقد أوضحت أنّها لا ترغب في ممارسة الجنس قبل الزواج، إنّ عشيقها «على سبيل المثال، أعرب عن دهشته عندما لعقت قضيبه مباشرة». إنّ الحدود المثيرة للدهشة فيما يتعلّق بما سوف يفعله أو لن يفعله المسيحيون غير المتزوّجين في بيئة محافظة مع الجنس الآخر مع الإصرار على أنّهم لن يمارسوا الجنس قبل الزواج، مع ذلك، «طبيعية للغاية» في مجتمعهم الخاصّ.

مثل هذه الاتجاهات الجنسية تخلق جهازًا مفاهيميًّا غالبًا ما يكون مشوَّشا، ويقدّم القس الأمريكي على الإنترنت بيل ماكجين مثالاً جيدًا على نوع الالتباس الذي ينشأ جرّاء ذلك. فهو يشرح، على سبيل المثال، أنّه عند تحديد الخطوط العريضة للفهم المسيحي الأمريكي المحافظ الطبيعي للجنس قد

تكون «المواعدة مع المداعبة التي تصل إلى ذروتها خيارًا» للمسيحيين غير المتزوّجين الذين يرغبون في التمسك بالحظر المسيحي لممارسة الجنس قبل الزواج. لا يوجد شيء جديد في هذا السياق المسيحي ويشير بيل ماكجين إلى أنّ الفهم الأساسي نفسه انتشر على نطاق واسع في حوالي عام 1960. كما يقول من واقع تجربته الخاصّة: «بلغ كلا الطرفَين ذروة المتعة؛ دون أن يفقد أحدهما عذريته. وطالما أنّه لم يحدث الإيلاج، لا يمكن الشكّ في أنّ ذلك يعدُّ بالفعل نوعًا من الجنس. بعبارة أخرى، لم يتمّ استحضار تفسيرات بيل كلينتون في قضية مونيكا لوينسكي من فراغ، لكنّها عكست الأفكار الأصولية للدوائر المسيحية المحافظة نفسها التي كانت تدينه. وعلى الرغم من ذلك، لكن يبدو أنّ ما تجاهله كلينتون هو أن الحدود التي تشكّل الجنس تتغيّر بمجرّد وقوع الزواج بين الأفراد. إذ إنّ الأفعالَ المقبولةَ نفسَها كنوع من المداعبة الأليفة غير الضارّة قبل الزواج تصبح نوعًا من الجنس غير المسموح به بعد الزواج إذا قام بها أيّ من الزوجين مع شخص آخر. إضافة إلى ذلك، لكي لا يُعتقد في الأمر على أنّه جنس، يجب بوضوح أن يقتصر هذا النوع من المداعبة الشديدة على الأشخاص من الجنس الآخر، بغض النظر عن الحالة الاجتماعية. عندما يتمّ إخبار الشباب في الأوساط المسيحية المحافظة بأنّه يجب عليهم عدم لمس بعضهم بعضًا كثيرًا جدًّا أو القيام بالمداعبة الشديدة جدًّا، لا يعني البيان بالتأكيد أنّه يجوز اللمس أو المداعبة باعتدال مع أشخاص من الجنس نفسه. وعلى الرغم من القبلات العاطفية غير المعدودة بين الأزواج التي تظهر على شبكة التلفزيون لدينا، فإنّ قبلة مثلي الجنس الأولى من نوعها التي تمّ تصويرُها بوضوح، والتي ظهرت في المسلسل التلفزيوني «النسبية» في 1997، دفعت تيم ويلدمون، نائب رئيس جمعية الأسرة المسيحية الأمريكية المحافظة، لإعلان أنّ «صناعة التلفزيون تواصل دفع أجندة المِثلية الجنسية بحماسة متزايدة» وفقًا لمقاييس القيم المختلفة في بعض المناطق الإسلامية والهندوسية المحافظة، يمكن لرجلَين أن يسيرا جنبًا إلى جنب دون أيّ دلالات أو مشكلات جنسية على الإطلاق - ولكن إذا قامت امرأة غير متزوّجة ورجل بعمل الشيء نفسه فسيكون لهذا الفعل تداعيات جنسية واضحة.

إنّ الفكرة القائلة بأنّ الجنس أساسًا يتعلّق بالإيلاج المهبليّ ليست فريدة من نوعها بأيّ حال من الأحوال بالنسبة لبعض الجماعات المسيحية المحافظة. وعادة ما تتغاضى كثير من الأديان عن الجنس بين النساء على أساس أنه لا يعتبر جنسًا. ولا يحوي الكتاب المقدّس اليهوديّ العبريّ ولا القرآن الكريم على تحريم ممارسة الجنس بين النساء، على الرغم من أنّ الجنس الشرجيّ بين الرجال يستحقّ عقوبة الإعدام في الكتاب المقدّس، وعقوبة أقلّ من الإعدام تحديدًا في القرآن الكريم. وكثيرًا ما تشير الدراسات الحاخامية السابقة إلى «ميسوليتو» Mesolelot (النساء اللائي يفركن)، أي النساء اللاتي يفركن أعضائهن الجنسية بعضهنّ مع بعض. وفقًا لمعظم السلطات الدينية التي تناقش هذه الممارسة بالتفصيل، فإنّ هذا لا يعني أن تتوقّف النساء عن الحفاظ على عذريتهنّ. وبالمثل، أصرّ هنمار، رئيس أساقفة ريمس في القرن التاسع، على أنّ ممارسة الجنس بين النساء كان ممكنًا فقط باستخدام الأشياء التي يمكنها الولوج، وفي أراجون، تمّت تبرئة النساء اللاتي اتهمن

بممارسة السحاق في عام 1560 على وجه التحديد لأنهنّ لم يجامعن بعضهنّ بعضًا بآلات اصطناعية.

ولكن حتّى الإيلاج ليس بالضرورة معيارًا مطلقًا لمفهوم الجنس من منظور الدين. فمن بين بعض الكاثوليك الشباب غير المتزوّجين في مختلف البلدان في إفريقيا والأمريكتين، على سبيل المثال، يمكن أن تُستعمل ممارسة الجنس الشرجي المغاير جنسيًّا وسيلة «لحماية عذرية المرأة». وفي بورتوريكو في عام 1998، كان 44% من الطلاب الذكور النشطين جنسيًا يمارسون الجنس الشرجي المغاير جنسيًا بدلاً من ممارسة الجنس المهبلي. ومن غير المحتمل أن يزعم كثير من هؤلاء الشباب أنهم لم يشاركوا في ممارسة الجنس، لكن بما أنهم يعتقدون أن الشريكة الأنثى لا تفقد عذريتها في الجنس الشرجي، فمن الواضح أنهم يمارسون الجنس في إطار منطقة حدودية جنسية يمثّل فيها الدين أحدَ أهمّ العوامل في تحديد سلوكهم. ومع ذلك، نجد مرة أخرى اختلافًا كبيرًا في الاتجاهات اعتمادًا على ما إذا كان الجنس بين أشخاص من جنسين مختلفين أو بين أشخاص من الجنس نفسه. وليس من المؤكّد استبعاد الرجال الذين يمارسون الجنس الشرجيّ السالب مع رجال آخرين بحكم التعريف ممّا يُفهم على أنه ممارسة جنسية.

في اللحظة التي يبدأ فيها المرء اقتحام مجال الدين والجنس، يبدو جليًّا أنّ الفروق نادرًا ما تكون بسيطة ومباشرة. ولكن لا يمكن أن يكون كلّ شيء نسبي، برغم أنّ الحدود الجنسية غير واضحة في أغلب الأحيان. فعلى الرغم من أنّ الجلوس بجانب فرد من الجنس الآخر على متن الحافلة قد يكون أمرًا يستحقّ الاستنكار، إلا أنّ أكثر المدافعين بحماسة عن هذه اللوائح سوف يعترفون مع ذلك بوجود فروق بين مثل هذه الأفعال وبين ممارسة الجنس المهبليّ. وبطريقة مماثلة، فأنواع معيّنة من السلوك التي تُعرّف غالبًا على أنّها غير جنسية في بيئة دينية محافظة تعتبر بالرغم من ذلك جنسية إذا لم يكن الطرف المعني أعزبًا، أو إذا كان من الجنس نفسه.

الفصل الثاني

لا جنس، شكرًا لك

«كان من الأفضل لك كرجلٍ أحمقَ، أن تُدخل قضيبك في فم ثعبانٍ مروِّع ينفث سمومه، بدلاً من أن تُدخله في فرج امرأة ... كان من الأفضل لك، كرجلٍ أحمقَ، أن تُدخل قضيبَك في قطعة فحم، محترقة، مشتعلة، ملتهبة». كانت هذه هي الرسالة التي بعث بها بوذا إلى الراهب «سودنا» بعد أن عاد إلى زوجاته بعد مدة وجيزة وتسببّ في حمل واحدة منهنّ ليضمن استمرار نسله. كما يشير بوذا، يمكن لكل من الثعابين وقطع الفحم المحترقة أن تؤدَّي إلى الموت، ولكنّ ممارسة الجنس يمكن أن تؤدَّي إلى أشياء أسوأ بعد الموت: «قد تؤدّي بك إلى الخراب والهاوية والجحيم». ولم يعرف السياق الديني بيانًا يدلّ على أنّ الجنس شيء يجب تجنّبه أوضح من هذا البيان الذي نُسب إلى بوذا في وقت ما أثناء القرن الخامس قبل الميلاد. على أيّ حال لا يعدّ استنكار الجنس المطلق في هذه الرواية فريدًا من نوعه.

من بين التصوّرات السابقة الأكثر شيوعًا هو أنّ الدين يتعارض عامّة مع الجنس. وهناك شيء من الحقيقة في هذا التصوّر، كما هو الحال مع كثير من المفاهيم الأخرى البسيطة نوعًا ما. إذ إن الاعتقاد الدينيَّ السائد، إجمالًا، بمعارضة كلّ أشكال الجنس، بعيد كلّ البعد، كما رأينا بالفعل، عن جميع الأديان التي تأخذ بهذا الرأي. ويوجد في هذا الصدد فرقٌ كبيرٌ بين الديانات الكبرى. فمن ناحية، لا تعارض الديانة اليهودية والإسلام والهندوسية ممارسةَ الجنس عامّة - بل العكس هو الصحيح تمامًا، كما سنرى بمزيد من التفصيل في الفصل الذي يدور حول المغايرة الجنسية. ولكن غالبًا ما ينسى الكثيرون الموقف السلبيّ لكلّ من البوذية والمسيحية تجاه الجنس بأشكاله جميعًا. ولا يشير التصوّر البوذيُّ للمغايرة الجنسية على أنها أسوأ من الارتباط بالثعابين السامّة وقطع الفحم المحترق إلى الرهبنة فحسب، بل يشير ضمنًا إلى نظرة عامّة للجنس على أنّه شيء لا يتوافق مع التحرّر النهائيّ من الشغف. وعند الحديث عن المسيحية، نجد أنّ المسيح والقديس بولس شدّدا على الامتناع عن ممارسة الجنس على اعتبار أنّ الامتناع هو الطريقة المثلى حتّى الآن.

تقدّم النصوص البوذية القديمة الزواج على أنّه مصدر للمعاناة، «الدوكخا» dukkha، وهذا هو السبب في أنّ سيدهارتا، بوذا المستقبل، ترك زوجته وطفلَه وذهب في طريقه إلى التنوير. فالامتناع عن ممارسة الجنس أمرٌ ضروريٌّ من أجل إيقاف دورة التناسخ الشريرة. والرغبة الجنسية، مثلُها مثلُ كلّ الرغبات الأخرى، مرادفةٌ للشغف الذي يمنعنا من تحقيق التنوير النهائيّ أكثر من أيِّ شيء آخر. لذلك، غالبًا ما يتمّ تصوير الجماع بين الجنسَين المغايرَين على أنه أسوأ عمل ممكن من منظور الكارما (تتابع التطهير)؛ لأنه لا يؤدّي إلى الكارما السيّئة للفرد فحسب، ولكنّه يعني - أيضًا- أنّ الشغف ينتقل إلى الآخرين انطلاقًا من الحقيقة المجردة المتمثّلة في أنّ الفرد يُنجب أطفالًا.

إنّ ما فعله سيدهارتا عندما ترك زوجته ليس هو الطريقة الوحيدة التي توضّح انطلاقًا منها تصرّفات بوذا الضرورة المطلقة في الامتناع عن ممارسة الجنس إذا ما أُريد تحقيق الخلاص التام. عندما كان سيدهارتا يقترب من التنوير التامّ، حاول الساحر الشرير مارا استغلال الجنس لإبقائه سجينًا للعاطفة، انطلاقًا من إرساله بناته الثلاث لإغواء سيدهارتا. ومن المؤكّد بشكل مطلق أنّ ما تمّ التوصّل إليه هو ما وجده سيدهارتا في السابق وكان أكثر إثارة، حيث إنّ البنات الراهبات الثلاث ظهرن في صورة خيالات وهمية، فالخيالات الأولى كانت لمئة من العذارى الجميلات، ثم مئة امرأة لم ينجبن أطفالًا بعد، ثم مئة امرأة أنجبن طفلاً واحداً، والمئة التالية أنجبن طفلَين وأخيرًا مئة امرأة عجوز. ومع ذلك صمد سيدهارتا بقوة أمام إغراء المرأة في جميع صورها حتّى إن «مارا» شبّه محاولته لإغواء سيدهارتا بالجنس «بسحق الصخور بعيدان اللوتس وتحطيم الحديد بالأسنان».

إن امتناع الرهبان البوذيّين والراهبات عن ممارسة الجنس هو جزء من منحهم مكانة عالية في التسلسل الهرمي الديني أكثر بالمقارنة مع عامّة الناس. والقاعدة الأصلية واضحة جدًّا. فإنّ الراهب الذي يضاجع امرأة يفقد بهاء الرهبنة وبالمثل فإنّ الراهبة التي تضاجع رجلًا تفقد بهاء الرهبنة. وعلى الرغم من كلمات بوذا القاطعة إلى حدٍّ ما، التي تفيد بضرورة الامتناع عن الجنس، توجد الكثير من الفروق الجوهرية داخل عالم الرهبنة الخاصّ ببوذا. ففي الصين واليابان، فقط الرهبان الذين يعيشون في الأديرة هم من يتحتّم عليهم أن يبقوا بلا زواج، بينما يتزوج أغلب أولئك الذين يخدمون في المعابد. كما يوجد رهبان متزوجون في التبت Tibet (منطقة في أسيا الوسطى) وكوريا والهند الصينية، ولكن لا توجد استثناءات مماثلة في حالة الراهبات. ولا عجب أنّ الرهبان العازبين هم من يشغلون المناصب العليا عادةً.

وفقًا للتقاليد، لم يسمح بوذا للنساء بأن يصبحن راهبات إلا بعدما حثّه على ذلك أحد تلاميذه البارزين. وعلى الرغم من أنّ الامتناع عن ممارسة الجنس هو أحد المعايير الضرورية لتحقيق التنوير، إلا أنّ إمكانية الامتناع عن ممارسة الجنس كانت في الأساس محرّمة على النساء. أمّا المواقف الجنسية المماثلة التي كانت سببًا في تشكّك بوذا الأصليّ إزاء تعيين النساء الزاهدات فتنعكس في حقيقة أن التركيز على امتناع النساء عن ممارسة الجنس مدى الحياة أقلّ عمومًا من التركيز على امتناع الرجال عن ممارسة الجنس. وغالبًا ما يكون واجب النساء بأن يُسلمن أنفسهن للرجال عقبة في طريق رغبتهن في أن يعشن حياة من الامتناع التام عن ممارسة الجنس، لأنّ واجبهنّ هو أن يكنّ زوجات للرجال الذين قد لا يرغبون في ممارسة الامتناع عن ممارسة الجنس. تتبنّى البوذية موقفًا متناقضًا من عفّة المرأة التي تتمسّك بموقفها، ومفهوم «البكر المتعنّتة» التي ترفض الزواج وأحياناً تختار الموت بدلاً منه. في بعض الأحيان، تعدّ الرهبنة في البوذية ملجأً وملاذًا لمثل هؤلاء النساء، ولكن من الناحية العملية، فإنّ البوذية غالبًا ما تعطي الأولوية لواجب المرأة تجاه الأسرة بدلاً من حاجتها لتحقيق الخلاص. وحقيقة أنّ طريق العذرية الأبدية كان غالبًا مغلقًا أمام النساء لم تُفسر قطّ على أنّها نوعٌ من سوء الحظّ. أمّا البوذية الصينية، فغالبًا ما تعتبر

الزواج معاناة للنساء. إذ تلعب بوديساتفا «جوان بين» المتحولة جنسيًا دورًا مثيرًا للاهتمام في هذا السياق. وفي نصوص «الأرض الطاهرة»، تعد «جوان بين» الشخصية الإلهية المنقذة التي تحرّر الجنس البشري في ستّ نواحي من العاطفة الروحية وتقوده إلى الأرض الطاهرة، حيث يتمّ طمأنتهم بالتنوير. إنها تنقذ البشر من ظروف بائسة في هذا العالم مثل السجن، والغرق، وهجمات الحيوانات البرية الشرسة واللصوص وما شابه ذلك - وفي عدد من الأساطير التقليدية تنقذ النساء أيضًا من حالة بائسة تتمثّل في الزواج.

وكما هو الحال مع البوذية، لا يوجد خطأ في التعاليم الجنسية الأصلية للمسيحية؛ إذ يظلّ الطريق الأمثل هو الامتناع عن ممارسة الجنس. إنّ التركيز الأكبر الذي تضعه الديانة المسيحية المعاصرة على الزواج بين جنسين مغايرين مختلفين كمثال يحتذى به قد يؤدّي بنا بسهولة إلى افتراض مفاده أن المسيحية تتبنّى هذا الرأي دائمًا. وليست هذه هى القضية؛ فإذا عدنا إلى المسيحية في مراحلها الأولى، لوجدنا أنّ الزواج المغاير لم يكن في البداية سوى حلّ تفرضه الضرورة.

كانت رغبة القديس بولس الأكبر هي أن «يكون جميع الرجال مثلي أنا «: ممتنعين جنسيًّا. ومع ذلك، فقد كان واقعيًا بما فيه الكفاية ليدرك أنّ المنع المطلق من هذا النوع من شأنه أن يقلّل عدد أتباعه بدرجة كبيرة، لذلك كان فحوى رسالته إلى عامّة الناس: «وَلكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا. وَلكِنْ إِنْ لَمْ يَضْبُطُوا أَنْفُسَهُمْ، فَلْيَتَزَوَّجُوا». وبعبارة أخرى، فإنّ ممارسة النشاط الجنسيّ هي شيءٌ مثالي يجب الامتناع عنه، ولكن إذا لم يكن بمقدور أحد التحكُّم في نفسه، فمن الأفضل أن يتزوّج لأنّ الزواج يسمح بممارسة الجنس بطريقة لا تؤدّي مباشرة إلى اللعنة. الزواج ليس على الإطلاق هدفًا في حدّ ذاته، إنّه، بإيجار، مجرد ملاذ أخير، وترتيب عمليّ «لتجنّب الزنا».

وعلى الرغم من وجود قَدر كبير من الافتراضات الدينية والأدبية والسينمائية الحديثة حول هذا الموضوع، لا توجد سوى أدلّة قليلة تشير إلى أن يسوع المسيح كان متزوّجا أو نشطًا جنسيًّا. عاش يسوع المسيح دون عاشقات أو وزوجات أو أولاد، إنّه تخلّى حتّى عن والده وأمّه وإخوته. لذلك لا يمكن اتخاذ يسوع المسيح نموذجًا للجنس أو الزواج أو الأسرة. كما تخلّى أقرب حواريه عن ممارسة الجنس وتكوين أسرة ليكون من أتباعه، ومن الواضح تمامًا أنّه لم يفكّر في الزواج كأحد أهمّ أولويات الحياة: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا».

عند البحث عن توجيهات في نواحٍ مختلفةٍ من حياتهم، يطرح الكثير من المسيحيين اليوم السؤال الذي مفاداه «ما الذي يمكن أن يفعله يسوع المسيح؟» الجواب عن هذا السؤال غير واضح في جميع جوانب الحياة ولكنّه بالتأكيد يتعلّق بالجنس. الجواب عن السؤال، «من قد يفعل ما فعله يسوع

المسيح؟» الجواب بسيط جدًّا؛ لا أحد. إذا أراد المرء أن يفعل ما فعله يسوع المسيح، فيجب عليه الامتناع عن ممارسة أيّ نشاط جنسيّ.

الميلاد العذريّ الذي يعتقد الغالبية العظمى من الكنائس المسيحية أن يسوع المسيح هو نتاجه، يؤكّد التشكيك المسيحي حول الجنس عامّة. ولكنّ هذا الفهم لم يكن الفهم المسيحي الأصلي لميلاد يسوع المسيح. فلا رسائل بولس، أقدم النصوص المسيحية الباقية، ولا إنجيل مرقس - أقدم الأناجيل - تقول شيئًا عن حمل يسوع المسيح دون ممارسة الجنس. كان بولس يؤيّد الرأي الذي يؤكّد أنّ يسوع المسيح «وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا». – عن ابْنِهِ. الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ. على الرغم من أنّه لا يوجد في الكتاب المقدّس أيّ دلالة على ذلك.

كانت مريم العذراء من هذا النسب، ولم يستطع يوسف إلا أن يدّعي استمرارية ذلك النسب. يظهر الإيمان في الميلاد العذري أولاً في الأناجيل المكتوبة بعد مرقس، وربّما جزئيًّا من أجل التأكيد على مكانة يسوع باعتباره ابن الله، ويعزى ذلك جزئيًا إلى النظرة السلبية تمامًا للجنس الذي تتمسك به المسيحية في مراحلها الأولى. ويخبرنا الإنجيل وفقًا لماثيو أن مريم العذراء وجدت نفسها «مع طفل من الروح القدس»، على الرغم من أن نسب يسوع يرجع إلى داود عبر يوسف. وفي الإنجيل وَفقًا لما ذكره لوقا، تلقّت مريم الرسالة التالية من سفير الملائكة جبريل: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ». ومع ذلك، وعلى الرغم من عدم الاتساق في الكتاب المقدّس، فإنّ الميلاد العذريّ يمثّل العقيدة المركزية لجميع الكنائس المسيحية تقريبًا. لكنّ كثيرًا من أصحاب العقائد الدينية يشكّكون في ذلك: فقد أظهر استطلاع للرأي عام 2007، على سبيل المثال، أن 21 % من البروتستانت و28 % من الكاثوليك في الولايات المتحدة لا يعتقدون في الميلاد العذريّ.

إنّ الفكرة القائلة بأنّ «الامتناع عن الزواج أفضل من الزواج» لم يروّجها يسوع المسيح وبولس فحسب، بل كانت أيضًا تمثّل وجهة نظر ورؤية ثابتة لآباء الكنيسة الأوائل. ويعتقد أوغسطينوس، أب الكنيسة الغربية الكبير، أنّ الجماع بين الجنسين المغايرين كان استمرارًا للخطيئة الأصلية. كما أدرك بولس – أيضًا- أنّ البشرية يجب أن تعانيَ بسبب خطيئة آدم، الرجل الأول، لكن أوغسطينوس كان أول من رأى أنّ الخطيئة الأصلية كانت جنسية بطبيعتها. وليس علم الوراثة هو ما يفسّر ويعلّل حقيقة أن الخطيئة الأصلية تؤثّر فينا جميعًا، ولكنّها الرغبة الجنسية التي تنطوي عليها عملية الإنجاب ذاتها وهذه الرغبة، حتّى في إطار الزواج، يجب أن تعتبر خطيئة، على الرغم من كونها خطيئة تحتمل الغفران. لذلك يجب على الزوجين أن يعترفا بأن هذه الرغبة، حتّى في إطار الزواج، نوعًا من الخطيئة وأن يشعرا بالخجل منها. وهكذا فإنّ السقوط وفقًا للتقاليد المسيحية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجنس، لكنّ الربّ يصحّحه عن طريق الامتناع عن ممارسة الجنس. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ عداء المسيحية تجاه الجنس ليس مرادفًا للعداء للجسد. على العكس من ذلك؛ يساهم الامتناع عن

الجنس في الحفاظ على الجسد وهو أحد العناصر الكثيرة التي تشارك في الوصول إلى حالة الطهر الأصلية والخلود التي كنّا عليها في جنّة عدن. وفي ضوء ذلك، يساعد الامتناع عن الجنس في التنبّؤ بالجسد المثالي من الناحية البدينة الذي سيحصل عليه جميع أصحاب العقائد الدينية في يوم القيامة، في نهاية التاريخ.

وفي التقاليد المسيحية الأصلية، كان من الواضح أنّ أولئك الذين امتنعوا عن ممارسة الجنس هم أفضل من أولئك الذين لم يفعلوا ذلك. وحقيقة أن يسوع المسيح أشار إلى نفسه إذ إنّه العريس الإلهي ساهمت في التركيز بشكل خاصّ على العذرية عند النساء - لقد أصبحت العذارى الأبديات عرائس للمسيح وحتى اليوم فإنّ النساء عند الترهبُن يمررن بمراسم وحفلات تشبه حفلات الزواج. وقد أعلن ترتليان، أب كنيسة شمال إفريقيا، للعذارى الإناث قائلًا: «أنتنّ متزوّجات من المسيح، لقد أعطيتموه أجسادكن». ويتناسب هذا التركيز الخاصّ مع المعتقدات السابقة التي كانت شائعة في منطقة البحر الأبيض المتوسط، حيث كان تنظيم النشاط الجنسي للإناث أكثر أهمّية بشكل واضح من تنظيم النشاط الجنسي للذكور.

وفقًا للمسيحية في مراحلها الأولى، لم تؤدّ العذرية إلى خلاص المرأة العذراء فحسب، بل كانت مفيدة أيضًا لمن هم حولها. وقد أوضح القدّيس أمبروز بعض النتائج الرائعة لامتناع الإناث عن الجنس: «عذراء واحدة قد تساعد في خلاص والديها، وعذراء أخرى تخلّص إخوانها الآخرين». فتعسًا لأسرة دون ابنة عذراء. لذلك اختارت نساء كثيرات أن يعشن حياتَهنّ في حالة من الامتناع الجنسيّ أو أجبرتهنّ أسرهنّ على فعل ذلك. ويبدو أنّ مثل هؤلاء العذارى كن يعشن في الأصل مع أسرهن، ولكن مع تأسيس الأديرة بدأن يعشن في جماعات. وعلى الرغم من وجود الكثير من الذكور العذارى في المدن والقرى المحيطة بشرق البحر الأبيض المتوسط، إلا أنّهم لم يحظَوا باهتمام كبيرٍ حتّى بدؤوا في ترك الحضارة والخروج إلى الصحراء منذ القرن الرابع. وفي نظر العالم الهلنَستي، كانت التضاريس البرية غير المأهولة من هذا النوع تعدّ من الناحية الجغرافية تحدًّيا جنسيًّا بشكل خاصّ، ممّا جعل الامتناع عن ممارسة الجنس الذي يمارسه رهبان الصحراء أكثر إثارة للإعجاب. «الناسك الزاهد، الذي تعرض للإغراء الجنسيّ من قبل مختلف الكائنات الطبيعية والخارقة للطبيعة في الصحراء، سرعان ما أصبح نموذجًا ونمطًا أوّليًّا لما ينبغي أن يكون عليه الراهب المتديّن.

كان التركيز على الامتناع عن ممارسة الجنس أكثر قوة في «الغنوصية المسيحية» Gnosticism منه في المسيحية التي ظهرت في ثوب الانتصار. وفي إنجيل ماثيو المنتحل، تشعر مريم العذراء بالرعب من فكرة الجنس حيث إنّ «الربّ يُعبد في طُهر وعفّة». وفي أعمال توماس، يُعرَّف كلّ الجنس بأنّه مقيت وحتّى الجنس في إطار الزواج يبدّد أمل الفرد في الخلاص. وحقيقة أنّ الغنوصية كانت أكثر سلبية بالنسبة للجنس من المسيحية عمومًا كانت مرتبطة بنبذ الغنوصيين ورفضهم لكلّ المخلوقات المادية باعتبارها نوعًا من الشر. وكان أسوأ جانب من جوانب الجنس هو الحصر الأبدي للروح الإنسانية في هذه المسألة. وكانت هناك وجهات نظر مماثلة لدى الكاثار

Cathars، الذين ظهروا بأعداد كبيرة أثناء القرن الثاني عشر في ما يعرف الآن بجنوب فرنسا؛ تأكّد أنّنا في العالم المادي الذي صنعه الشيطان وتناسخ الأرواح أنّنا ما زلنا مسجونين فيه. ومن بين الكاثار، انقسم أصحاب العقائد أنفسهم إلى مجموعتين: «المثاليين»، الذين كانوا زاهدين وممتنعين جنسيًّا، و»البقية»، الذين لم يكونوا كذلك. فقط «المثاليّين» - الذين امتنعوا عن ممارسة الجنس - لديهم إمكانية للخروج من دورة الشرّ من الميلاد الجديد. وقد أصرّ الكاثار المثاليّين على مقاومتهم للجنس حتّى إنهم مُنعوا من تناول أيّ شيء ناتج عن ممارسة الجنس لأنّ أيّ نوع من الإنجاب يؤدّي إلى حبس الروح في المادة؛ وهذا يعني من الناحية العملية أنّهم لم يستهلكوا اللحوم أو البيض أو الحليب. كان مسموحًا لهم بالفواكه والخضراوات لأنّ الكاثار لا يعتقدون بأن تكاثر النباتات تتضمّن أيّ شيء جنسي.

استمرّ التأكيد على العذرية في صورة المسيحية المنتصرة وأشكالها. ويعتمد النظام الرهباني المسيحي بأكمله، الذي لا يزال موجودًا في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، على فكرة أن الامتناع عن ممارسة الجنس تعد جزءًا من الطريق لتحقيق القرب من الله. لقد تمت ممارسة أنواع مختلفة من التفريق والفصل من أجل التأكيد على الامتناع عن ممارسة الجنس. وعلى جبل آثوس Athos، في جمهورية الرهبان اليونانية في أقصى شرق شبه جزيرة هالكيديكي Halkidiki، تم حظر جميع النساء والحيوانات الأليفة الأنثوية منذ القرن الحادي عشر. وفي بعض الحالات، كان الدافع وراء الامتناع الجنسي الديني يتضح عن طريق المزيد من العوامل الاجتماعية. ففي البرازيل الكاثوليكية أثناء القرن السابع عشر، شعرت الكثير من أسر الطبقة العليا أنّه لا يوجد عددٌ كافٍ من الرجال من ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة المقبولة لذا انتهى المطاف بأغلبية بناتهم في الأديرة. وفي باهيا Bahia في القرن السابع عشر، على سبيل المثال، التحق 77% من بنات العائلات المرموقة في الأديرة ولم تتزوّج سوى 14%.

في حين أنّ النظام الرهبانيّ يستند على مبدأ الامتناع عن ممارسة الجنس، إلا أنه لم يكن من الواضح على الإطلاق ما إذا كان يجب على الكهنة المسيحيين الامتناع عن ممارسة الجنس أم لا. ففي بعض الأحيان كان الأشخاص الذين يحتجون على القساوسة المتزوجين في أوائل العصور المسيحية يتعرضون للتهديد بالطرد من الكنيسة. ولم يكن مبدأ « عزوبة الكهنة» متجذرًا في الكنائس الشرقية، على الرغم من أنه يجب على الأساقفة أن يكونوا عازبين. وعندما كان الكاهن المتزوج يصير أسقفًا، كان الحل التقليدي هو إرسال زوجته إلى دير من الأديرة. وحقيقة أن كثير من الأساقفة الأرثوذكس، بما في ذلك الكثير من بطاركة القسطنطينية، كانوا مخصيّين، جعلت حظر ممارسة الجنس في المستويات العليا من تسلسل الكنيسة الهرمي أسهل من حيث الالتزام به.

حظي مفهوم عزوبة الكهنة بتأييد أكبر في الغرب منه في الشرق منذ وقت مبكّر للغاية. وكانت إحدى أولى المحاولات الرسمية لإدخال العزوبية على القساوسة بمبادرة من الأسقف الإسباني في المجلس الأول لنيكيا في 325 بعد الميلاد، ولكنها رُفضت على وجه التحديد بسبب المقاومة من

الشرق. ومن المثير للاهتمام، أن مفهوم الامتناع الكهنوتي لا يعني دائمًا أنه يجب على رجال الدين أن يكونوا غير متزوّجين - ولكن، يجب عليهم بدلًا من ذلك أن «يمتنعوا عن زوجاتهم». لم يكن «مجلس لاتران» الأول في عام 1123 قرارًا نهائيًّا فيما يتعلّق بعزوبية وتعفّف القساوسة الكاثوليك، حتّى مع ذلك، ربّما تمّ التوصّل إلى قرار لحماية ممتلكات الكنيسة ضد رجال الدين الذين كانوا يستخدمونها لإثراء ذرّيتهم. ومن الناحية العملية، كان المرسوم الكاثوليكي بشأن العزوبية كثيرًا ما يعني أنه يجب على الكهنة الامتناع عن الزواج، وليس عن ممارسة الجنس. وكان من المقبول عمومًا في معظم البلدان الكاثوليكية في القرن العشرين أن يكون للكهنة محظيات يتعايشون معهم كأزواج، على الرغم من أنّ السلطات المركزية للكنيسة ردّت على هذا من وقت إلى آخر عن طريق التهديد بالنفى أو عقوبة الإعدام أو العبودية على القوارب. ولم يكن الكهنة بمنأى عن البغايا والعاهرات، وهو موقف قبلته الكنيسة ضمنيًّا. وعندما اجتمع قادة الكنيسة في مجلس كونستانس Council of Constance في عام 1414، تدفّقت مجموعة من العاهرات على البلدة الصغيرة - 700 منهن على الأقلّ، وفقًا للمصادر المعاصرة. في الواقع، إنّ كثيرًا من الباباوات لم يكن معروفًا عنهم أنهم نشطين جنسيًّا فحسب، بل إنهم أنجبوا وأصبحوا آباءً لأطفال. كان إينوسنت الثامن في القرن الخامس عشر البابا الأول الذي يعترف بأطفاله علانيةً، وهم في مرحلة الحمل والولادة بالمخالفة لجميع إملاءات الكنيسة. وقد عيّن خليفة إينوسنت، ألكسندر السادس، وهو أحد أفراد عائلة بورجيا، ابنه سيزار كاردينالًا ونظم حفل زفاف رائع في الفاتيكان لابنته لوكريزيا.

على الرغم من أن الكنيسة الكاثوليكية الحالية تطالب رسميًّا بعزوبية كهنتها، إلا أنّها تدرك أن عددًا كبيرًا من الكهنة غير متزوّجين في الواقع؛ هذا صحيح، على سبيل المثال، بالنسبة للكثيرين من الكهنة في الكنائس الكاثوليكية الشرقية في أوكرانيا ولبنان. بالإضافة إلى ذلك، سُمح لكثيرٍ من القساوسة الذين كانوا تابعين للكنيسة الإنجليكانية أو اللوثرية واعتنقوا الكاثوليكية بالبقاء متزوّجين. وتوجد - أيضًا- مقاومة كبيرة داخل الكنيسة نفسها للقواعد المتعلّقة بالعزوبية؛ فقد أظهر استطلاع للرأي عام 1999، على سبيل المثال، أنّ 27% فقط من الكاثوليك في الولايات المتحدة الأمريكية يعدُّون العزوبية الكهنوتية جزءًا مهمًّا من عقيدتهم الكاثوليكية.

أعدت نسخة جديدة من الطلب المسيحي الخاصّ بالامتناع الجنسيّ بسبب التمييز الذي يحرص المسيحيون المحافظون على جعله بين ما يحلو لهم للإشارة إلى «الميول الجنسية المثلية» و»الممارسة الجنسية المثلية». اقتنعت الأعداد المتزايدة من المسيحيين بأنّ الكثير من الناس يولدون مثلي الجنس، وأن الله خلقهم بهذه الطريقة. ولكن نظرًا لأنّ كثيرًا من المسيحيين المحافظين الذين يقبلون هذا يعتقدون أيضًا أنّ الجنس بين أشخاص من الجنس نفسه يتعارض مع المعتقدات المسيحية، ويجادلون بأنّ أولئك الذين «يولدون مثلي الجنس» يجب أن يمتنعوا عن الجنس تمامًا. لأنّ مثل هؤلاء الأشخاص مثليون جنسيًّا بطبيعتهم ومن ثَمَّ لا ينجذبون جنسيًّا إلى أشخاص من الجنس الآخر، فإنّ الزواج من جنسين مختلفين من جانبهم يعتبر نوعًا من الخداع لشركائهم. والحل

الوحيد الممكن، وفقًا لهذا الاتجاه الفكري المسيحي، هو الامتناع التامّ عن ممارسة الجنس. ويمكن أن تكون لهذا الحلّ عواقب مباشرة جدًّا. فقد أعلن زعيم الحزب الهولندي كريستين يوني (الاتحاد المسيحي) في عام 2010 أنّه لن يتمَّ ترشيح المرشّح البرلماني الوحيد للمثليين في الحزب إذا كان متورِّطا في علاقة غرامية. فأعلن المرشّح، جوناثان فان دير جرير، أنه اختار الامتناع عن الجنس طوال حياته.

من وقت إلى آخر ظهرت حركات مسيحية جديدة تطالب بالامتناع المطلق. على سبيل المثال طائفة الهزازين Shakers (شيكرز)، وهي الجمعية المتحدة للمؤمنين في الظهور الثاني للمسيح، وهم من أعضاء الطائفة التي تأسّست في إنجلترا في القرن الثامن عشر والأكثر انتشارًا في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر، هؤلاء اعتبروا أنّ الامتناع عن ممارسة الجنس شرط أساسي للخلاص. لأنّ الجنس هو أصل كلّ الشرور - الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية - وعن طريق الامتناع عن الجنس فقط يأمل الإنسان في إعادة تهيئة الحالة الإنسانية المثالية التي كانت موجودة قبل السقوط. وعلى حدّ زعم الأمّ «آن لي»، مؤسّسة الحركة، كان الامتناع عن ممارسة الجنس أمرًا ضروريًّا أيضًا لإعادة إرساء المساواة الأصلية بين الرجال والنساء التي كانت موجودة في جنّة عدن. لم ينجب الهزازون (الشيكرز) ذرّية، لأسباب واضحة، ممّا يعني أنّ الحركة كانت تعتمد على إيجاد أعضاء جدد باستمرار؛ فمع انخفاض عدد الأعضاء الجُدد، انخفض العدد الإجمالي، ولم يتبقَّ سوى عدد قليل من طائفة الهزازين اليوم.

وكما سنرى لاحقًا، على الرغم من رفض اليهودية للامتناع عن الجنس عمومًا، كان هناك بعض الميل نحو الفكرة داخل اليهودية الهيلينية، على الرغم من اختفائها مرة أخرى مع اليهودية الحاخامية. ويزعم ليوسيفوس، المؤرّخ اليهوديّ في القرن الأول، أن الإيسنس Essenes هم مجموعة من الزاهدين الذكور الذين عاشوا دون زواج أو جنس. وكانت مجموعة الإيسنس، المجموعة التي عرفت عادة بأنها كتبت مخطوطات البحر الميت، مقتنعة بأنّهم الجيل الأخير من الأجيال الأخيرة وأنه يجب تكريس كلّ انتباههم وطاقتهم للتحضير للمعركة النهائية ضدَّ الشرّ، التي كانت في نظرهم وشيكة.

أشار الفيلسوف اليهودي «فيلو» إلى ما أسماه «ثيرابياتو»، مجموعة من الرجال والنساء اليهود الذين قيل - أيضًا- أنّهم كانوا ممتنعين عن ممارسة الجنس. مرة أخرى، كان يُنظر إلى الامتناع عن ممارسة الجنس إذ إنّه ضروريٌّ لتمكين هؤلاء الأشخاص من التركيز تمامًا على الله، لكنّهم لم يتشاركوا قناعة الإيسنس أو ينشروها لأنهم كانوا يعيشون في نهاية الزمن. ولم يثبت وجود ثيرابياتو، لكن حقيقة أن فيلو قد كتب عنهم يدلُّ على الأقلّ على أنّه اعترف بالامتناع عن ممارسة الجنس كمثالية دينية. وعلى الرغم من تجارب الزهد هذه في العصور القديمة، إلا أنّ اليهودية لم تؤيّد الفكرة القائلة بأنّ الامتناع الجنسيّ الدائم شيئًا يمكن استهدافُه.

عوقب هيبوليتوس، كما رأينا، من قبل الآلهة لمحاولته التمسُّك بالعذرية. وعلى الرغم من أن الأديان القديمة كانت عادةً ما تطلب من أتباعها أن يكونوا نشطين جنسيًّا، فقد كانت هناك استثناءات. فقد طُلب من بعض الكاهنات اليونانيات أن يمتنعن عن الجنس وعدًا بحياة؛ مثل حياة أرتميس هيمنيا في أركاديا أو هرقل في ثيسبييا، أو طالما كن في خدمة الإله، مثل كاهنات بوسيدون في كالوريا. وتطبق كثير من الأوامر الزجرية والمحظورات المختلفة على الكهنة والقساوسة، أمّا حقيقة تورُّط بعضهم في الامتناع الجنسي فيجب تفسيرها في السياق العامّ بأنّ المختصّين بالدين يخضعون إلى قواعد لا تنطبق على الأشخاص العاديّين. عندما تمّ الامتناع عن ممارسة الجنس من قبل أشخاص يحظَون بمكانة دينية معيّنة، كانت العقوبات المفروضة على خرق القواعد شديدة بشكل ملحوظ. فقد اضطرّت عذارى فيستال، الكاهنات الرومانيات المكلّفات برعاية اللهب المقدّس للإلهة فيستا في روما، أن يظللن عذارى طوال مدة خدمتهن التي بلغت ثلاثين عامًا، على الرغم من أنهنّ كنّ أحرارًا ليتزوجن عندما أكملن المدة كنساء في منتصف العمر. ومع ذلك، إذا مارست إحدى الفيستال الجنس بينما كانت لا تزال كاهنة، فقد يتمّ تجهيز غرفة صغيرة تحت الأرض، مزوّدة بسرير وكمّية صغيرة من الطعام والشراب، حيث يتمّ دفنُ الفيستال. لتموتَ هناك من الجوع والعطش أو الاختناق.

استمرَّ الإسلام - أيضًا- في قبول فكرة أنّ يسوع كان نتيجة الميلاد العذريّ لكنّه لم ينظر إلى مفهوم الامتناع عن ممارسة الجنس مدى الحياة كمثالية. ومع ذلك، كانت هناك أجزاء معيّنة من الإسلام تمّ فيها ترويجُ العزوبية، كما هو الحال في أقسام من الحركة الصوفية الروحانية، التي كانت تؤمن بالابتعاد عن كلّ شيء آخر غير البحث عن الله. ولكن حتّى هنا يمكننا أن نجدَ الاتجاه الإسلامي الأكثر تقليدية وهو أنّ الامتناع عن ممارسة الجنس ليس شيئًا يجبُ السعي الحثيث إلى تحقيقه.

في الهندوسية، أيضًا، كان يُرى الامتناع التامّ عن ممارسة الجنس على أنه شيء إيجابي بشكل تدريجيّ. ووفقًا إلى مانوسميريتي Manusmriti ، قوانين مانو، التي كُتبت في وقتٍ ما بين 200 قبل الميلاد و200 بعد الميلاد، اطمأن البراهمة الذين مارسوا الامتناع الجنسيّ الكامل إلى مكانهم في الجنّة رغم أنه من الواضح أنّهم لم يضمنوا استمرار عائلتهم. وغالبًا ما يستخدم مصطلح البراهما «السلوك المتّسق»، الذي يشير في الواقع إلى الامتناع عن ممارسة الجنس عامّة، في الهندوسية وكذلك في البوذية للإشارة على وجه التحديد إلى الجوانب الإيجابية للامتناع الجنسي. يعتبر تجنّب ممارسة الجنس طريقة يمكن للرجل انطلاقًا منها تجاوز القيود الإنسانية العادية، الجسدية والروحية على حدّ سواء. وترتبط ممارسة العزوبية المستمرّة مدى الحياة على وجه الخصوص بالكثير من الزاهدين الذكور الموجودين في كثير من الأماكن المقدّسة. ولا توجد نساء تقريبًا بين هؤلاء الزاهدين مدى الحياة لأنّه لا يوجد تقليد موازٍ لمعالجة الامتناع عن ممارسة الجنس دائمًا بين النساء كفضيلة. إذ إنّ أهمَّ وظيفة للمرأة هي الزواج.

تعدُّ الفكرة القائلة بأنّ الدين ضدَّ الجنس بشكل أساسي مثل غالبية الافتراضات الأخرى البسيطة حول الدين، صحيحة وغير صحيحة على حدٍ سواء. ففي حين أن المسيحية والبوذية في مراحلهما

الأولى تقترحان مثالًا مثاليًّا للامتناع الجنسي تمامًا كشيء من شأنه أن يقود الإنسان تلقائيًّا ليقترب إلى الحالة النهائية التي يجب أن يكون عليها، فإنّ الهندوسية واليهودية والإسلام وكثيرًا من الديانات الأخرى تنطوي على عكس ذلك. فقد استمرّ الاستنكار العام لجميع أنواع الجنس من قبل المسيحية والبوذية في وصف هذه العقائد، على الرغم من أنها تحظى بالتجاهل اليوم إلى حد متزايد. ومع ذلك، لا تزال هذه المعارضة العامة للجنس هي السبب الأكثر أهمية لعدم السماح لجماعات دينية محددة ضمن هاتين الديانتين بممارسة الجنس. وكل كاهن أو راهب أو راهبة ممتنعة جنسيًا بمثابة تذكير دائم بالمعتقد المسيحي والبوذي الأصولي بأن الامتناع عن ممارسة الجنس أسمى وأعلى من الجنس ذاته.

الفصل الثالث

الاستمتاع الذاتي

في نهاية القرن التاسع عشر، ساور جون هارفي كيلوج، أحد الأدفنتيست السبتيين التبشيريين ومخترع فكرة رقائق الذرة، قلقًا بشأن الشهوة الجنسية التي تُعجّل بسقوط الكتاب المقدّس. كان يشعر بالقلق بشكل خاصّ حول «الرذيلة الانفرادية»، أو ما يُعرف بالعادة السرّية، التي لم تكن مجرَّد بداية خطيرة لشهوات جنسية أخرى ولكنّها - أيضًا- كانت بمنزلة فعل قد يؤدّي إلى مجموعة متنوّعة من أمراض الأعضاء الجنسية وكذلك إلى الصرع والجنون. كان الاعتقاد بأنّ مثل هذه الأمراض يمكن أن تنجمَ عن العادة السرّية اعتقادًا واسع الانتشار حتّى في عالم الطبّ حتّى وقت طويل أثناء القرن العشرين.

إنّ منعَ الناسِ من لمس أنفسِهم أمرٌ صعب للغاية ولكن كيلوج لم يكن ضيِّق الأفق وقاصرَ الفكر. ووضع جلَّ تركيزه بشكل خاصّ ليمنع الأطفال والشباب من القيام بذلك. ولم تكن رقائق الذرة التي يصنعها مخصّصة فقط من الناحية التغذوية لقمع الرغبة الجنسية لدى الشباب ولكن التدابير والإجراءات العملية الأخرى التي أوصى بها أثبتت هي أيضًا فاعليّتها. فقد كان وضع أغطية صغيرة على الأعضاء الجنسية طريقة جيدة، أمّا الأولاد، فكان يوصى بالختان بشكل خاص. ويجب على الجرّاح إجراء العملية الجراحية دون إعطاء مخدّر؛ لأنّ الألم الطفيف العابر الذي يشعر به الذكور أثناء العملية قد يكون له تأثير مفيد على العقل، خاصة وإذا كان مرتبطًا بفكرة العقاب، وكما ثبتت جدواه في بعض الحالات. وكان السبب الرئيس لممارسة الختان في الولايات المتحدة طوال القرن التاسع عشر هو الحدّ من ممارسة العادة السرية وتثبيط الشهوة لدى الذكور. أمّا في حالة الفتيات اللاتي يمارسن العادة السرية، فقد وجد كيلوج أنّ فرك حمض الكاربوليك الخام على البظر كان «وسيلة ممتازة لتهدئة الإثارة غير الطبيعية لدى الفتيات».

تعكس النصيحة التي قدّمها رجلٌ ورعٌ مثل كيلوج الاتجاهات الدينية والطبّية في عصره، ومن الصعب في بعض الأحيان الفصل بين الاثنين. فقد كانت هناك علاقة واضحة بينهما فيما يخصّ الأدفنتيست السبتيين التبشيريين. وفكرة أنّ بعض أنواع الطعام تقمع الرغبة الجنسية ومن ثَمّ تمنع ممارسة العادة السرية كانت إحدى الأفكار التي تبنّاها كيلوج مباشرة من عقائد الأدفنتيست السبتيين التبشيريين. كما الاعتقاد بأنّ العادة السرية في حدّ ذاتها خطيئة من الناحية الأخلاقية والدينية يعدُّ بمنزلة مبدأ أساسي لدى الأدفنتيست في تلك المدة.

لحظر ممارسة العادة السرية تقليدٌ طويلٌ في كلٍّ من الديانة اليهودية والمسيحية، على الرغم من أنّ هذا الحظرَ ليس له أساسٌ مباشرٌ في الكتاب المقدّس. حتّى القصّة التوراتية الأصلية المرتبطة بـ «أونان» Onan ليس لها أيُّ علاقة بالأونانية (الاستمناء أو القذف خارج المهبل)؛ فقد قتل الله أونان

لأنّه كان يمارس الجماع بطريقة الانسحاب أي القذف الخارجي مع زوجته، وليس لأنّه كان يمارس العادة السرّية. وفي الواقع لا يوجد أيُّ حظر على ممارسة العادة السرية في الكتاب المقدّس، على الرغم من أنّ التوراة تنصّ على أنّ كلّ عملية قذفٍ للحيوانات المنوية غير نظيفة. وعلى الرغم من ذلك، فقد تمَّ استخدامُ قصّة أونان في كثير من الأحيان كأساس لحظر الأونانية - وهي وجهة نظر تعزّزها حقيقةُ أنّ كلّ أنواع الجنس باستثناء الجماع أو ممارسة الجنس بين الزوجين كان محظورًا تمامًا في الديانة المسيحية وتمّ حظرُه جزئيًّا في الديانة اليهودية.

لا ينبغي إدانة العادة السرية لدى الذكور ضمن التقاليد اليهودية فقط في سياق أونان الذي «يسكب نسله على الأرض» ولكن - أيضًا- في ضوء التفسير الحاخامي لنقد النبيّ إشعياء للتضحية بالأطفال. العادة السرّية للذكور مدانة ليس فقط لأنّها تسبّب العقم وتَحُول دون الإنجاب ولكن لأنّها، من الناحية النظرية تمنع الإنجاب. إنّ هدر بذرة المرء على الأرض - إذا ما افترضنا أسوأ احتمال فيما يتعلّق بهذا التفسير- تساوي سلب الحياة من نسل الفرد في المستقبل. أمّا التعبير العبريُّ الكلاسيكيُّ عن العادة السرية هو حشكتات زارا، وهو ما يعني «الإتلاف الواعي للبذور». حتى إنّ التقاليد الحاخامية بيّنت المراجع الغامضة للنبي إشعياء التي مفاداها «يديك ممتلئة بالدم» إذ إنّها استعارة لكيفية ممارسة العادة السرية المَشينة للذكور. ومع ذلك، وباتباع المنطق نفسه، لم يكن هناك إدانة للعادة السرّية عند الإناث، فقد كانت ممارسة العادة السرية لدى الإناث غيرَ ذي صلة لأنّه لم يكن لها أيُّ عواقبَ على الإنجاب. ومع ذلك، يمكن إدانة المرأة غير المتزوّجة التي تمارس العادة السرية بطريقة تؤدّي إلى فضّ غشاء البكارة، ليس لأنّها تمارس العادة السرية ولكن لأنّ ممارستها العادة السرية قد تثير شكوك حول عِفّتها بأنّها مارست الجنس قبل الزواج مع رجل ما. تتبنّى اليهودية الليبرالية الحالية نظرة مقبولة عن العادة السرية، وفي ثمانينيات القرن الماضي دافع بعض الحاخامات علانيةً عن هذا الشكل من الجنس. وعادةً ما يتمُّ إدانة العادة السرية في إطار التقليد المسيحي لأنّها ببساطة تعدُّ نشاطًا جنسيًّا خارج إطار الزواج. ولكن مع نموّ النظام الرهبانيّ، بدأت الأونانية في الظهور بشكل بارز في الخطاب الديني. في حين أنّه كان يُسمح لأغلبية الناس بأن يكونوا نشطين جنسيًّا في سياق الزواج، كان من المهمّ منع الرهبان والراهبات من تشويه فكرة الامتناع الجنسي عن طريق العادة السرية. وكان لدى بعض الكتّاب المسيحيين نظرة سلبية تجاه العادة السرية عن الآخرين، على سبيل المثال، صنّف توماس أكويناس العادة السرية على أنّها نشاط جنسيّ «غير طبيعي» يحول دون الإنجاب مثله مثل الجنس الشرجيّ والجنس الفمويّ والبهيمية في ممارسة الجنس والشذوذ الجنسيّ أو المثلية الجنسية. وعلى الرغم من أنّه سلّم بأنّ العادة السرية كانت أفضل من هذه الأنواع الأخرى من الجنس «غير الطبيعي» المذكورة أعلاه، إلا أنّها كانت أسوأ من الأشكال الأخرى للجنس «الطبيعي» مثل الجنس قبل الزواج والزنا والاغتصاب وسفاح المحارم.

يواصل كثير من المسيحيين المحافظين إدانة العادة السرية على الرغم من أنّ بعضهم، كما رأينا، له نظرة إيجابية تجاه العادة السرية المتبادلة بين الأزواج من جنسين مغايرين لم يسبق لهما الزواج. فقد شنّت الكنيسة الكاثوليكية هجومًا مباشرًا رسميًّا على الفهم المعاصر للعادة السرية إذ إنّها «ظاهرة طبيعية للتطوّر الجنسيّ خاصّة بين الشباب»: «حتّى وإن كان من المستحيل إثبات أن الكتاب المقدّس يدين هذه الخطيئة بالاسم، فقد فهمت تقاليد الكنيسة فهمًا صحيحًا بأنّها مدانة في العهد الجديد عندما يتعلّق الأمر «بالنجاسة»، «وفقدان الطهر والعفّة» وغيرها من الرذائل التي تتعارض مع العفّة والاحتشام».

عادة ما يتبنّى المسيحيون الليبراليون رأيًا أكثر قبولًا للجنس أحادي الجانب كشيء ليس له ضرر كبير له ولا يوصى به. حتى إنّ هناك بعض المسيحيين الإنجيليين يتبنّون نظرة إيجابية عن العادة السرية ويوفّرون طاقتهم السياسية في مناهضة المثلية الجنسية والممارسة الجنسية بين الزوجين المغايرين قبل الزواج. ويعتقد جيمس دوبسون، مؤسّس منظّمة الضغط المسيحية المحافظة «التركيز على العائلة»، قائلا: «في رأيي أن العادة السرية ليست مشكلة كبيرة مع الله. . . فلم يذكرها يسوع المسيح في الكتاب المقدّس. وأنا لا أقول لك أن تمارس العادة السرية، وآمل ألا يكون هناك ما يدفعك إلى فعل ذلك. ولكن، إذا قمت بذلك، فأنا أرى أنه ينبغي لك ألّا تكابد من أجل أن تتخلّص من الشعور بالذنب فور ممارستها. ومع ذلك، هناك عدد قليل نسبيًّا من المسيحيين الذين يدعمون ويؤيّدون العادة السرية كظاهرة. في عام 1994، عندما علقت جوسلين إلدرز، الجراحة الأمريكية، والمسؤولة الأولى في النظام الصحيّ في الولايات المتحدة، قائلة: «إنّه قد يكون من الجيّد الترويج لممارسة العادة السرية من أجل منع الشباب من ممارسة الجنس المحفوف بالمخاطر»؛ سرعان ما أقالها الرئيس بيل كلينتون بعد ظهور ردود فعل مسيحية سلبية قوية. لم يتقدّم المسيحيون الليبراليون خطوة إلى الأمام لمناقشة مقترحاتها والدفاع عنها.

في الإسلام أيضًا، غالبًا ما يتمُّ حظرُ العادة السرّية خارج إطار الزواج. ويشدّد القرآن الكريم، على سبيل المثال، على أنّه يجب على الناس أن يحذروا من استخدام أعضائهم الجنسية في أيّ سياق آخر باستثناء ممارسة الجنس في إطار الزواج. وفقًا للأحاديث النبوية، والروايات والبيانات التي تم جمعها خلال القرون الأولى بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقد ظنّ النبيُّ أنّ النظام الغذائيَّ كان له تأثيرٌ على الرغبة الجنسية. وكما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) مخاطبًا الشباب: «من لم يستطع الزواج فعليه بالصوم؛ فإنّه له وِجَاء».

ومع ذلك، هناك بعض الخلاف الدائر بين المسلمين المعاصرين فيما يتعلّق بممارسة العادة السرية. عامَّة، يدين المسلمون الشيعة ممارسة العادة السرية، ولكن هناك خلافًا بين مختلف مدارس الفكر حول ما إذا كانت محرّمة تمامًا أو غير مهمّة. بعض علماء السنة، على سبيل المثال، يعدّون ممارسة العادة السرية أمرًا مسموحًا به إذا كان الفرد أعزبًا، وعلى وشك الوقوع في الزنا أو يكابد المعاناة من الضغط الجنسي القويّ بحيث لا توجد طريقة أخرى لتفريغه إلا عن طريق ممارسة العادة

السرية. بينما يشدّد آخرون على أنّه يمكن السماح بممارسة العادة السرية إذا لم تكن هناك إمكانية للصوم أو الزواج.

أمّا موقف البوذية النقديّ عامّة تجاه الجنس والرغبة فيعني أنّ العادة السرية ليست بالأمر المحمود. على الرغم من أنّ الجنس أحاديَّ الجانب لا يمكن أن يحقّق الإنجاب، إلا أنّه يرتبط بوضوح بالرغبة الجنسية الملحّة، وهو في حدّ ذاته يمثّل إشكالية للبوذيّين. ولكن نظرًا لأنّ البوذية عمومًا أقلّ انشغالًا بتنظيم النشاط الجنسي للأشخاص الذين اختاروا عدم العفّة، فإنّ الأوامر الزجرية المباشرة ضدَّ العادة السرية موجودة فقط في القواعد المتعلّقة بالرهبنة. الفينايا Vinaya، على سبيل المثال، إذ إنها نص من نصوص القرن الأول قبل الميلاد يحدّد هذه القواعد، بما في ذلك الإشارات إلى الرهبان الذين يتّسمون بالخفّة والرشاقة والذين يمكنهم ممارسة الجنس الفمويّ أو الجنس الشرجيّ بعضهم مع بعض. عدَّ بوذا هذا، كما هو الحال مع جميع أنواع الجنس أحاديّ الجانب الأخرى، إهانةً بل جريمةً ضدّ القانون الرهباني.

ونظرًا لأنّ البوذية ترى من الناحية التقليدية أنّ للنساء دوافعَ جنسية أقوى من الرجال، فإنّ العادة السرية تمثّل مشكلة خاصّة للراهبات. ومن ثَمّ، يُمنع الراهبات صراحةً من استخدام مجموعة متنوّعة من الخضروات مثل الخيار والبصل أو الفجل بمفردهنّ، وعندما يغسلن أعضاءهنّ التناسلية، يجب عليهنّ التأكُّد من غسل أنفسهنّ بطريقة تَحول دون الاستمتاع الذاتي. ولا ينبغي أن يضعن الفوط الصحّية ويضغطن عليها بإحكام شديد أثناء الحيض، ويجب ألا يسبحن عكس التيار.

تبنّت الهندوسية من بين الديانات العالمية، من الناحية التقليدية، الرأيَ الأكثرَ استحسانًا حول ممارسة العادة السرية. فهناك أمثلة على ممارسة العادة السرية لدى الذكور والإناث في سياق ديني في فنّ المعابد، على سبيل المثال في خاجوراهو في ولاية ماديا براديش، وكونارك في أوريسا وباكتابور، وكاتماندو وباتان في نيبال. لكنّ الفكرة التقليدية والمعاصرة المتمثّلة في أنّ الرجال يصبحون أقوى إذا لم يسكبوا نسلهم تنطوي على دعوة غير مباشرة للاعتدال. وهناك أيضًا قيودٌ على ممارسة العادة السرية للأشخاص الذين من المفترض أن يكونوا ممتنعين جنسيًّا، ممّا يعني أنّ العادة السرية مدرجة في فئة الأفعال التي تعتبر جنسية بحتة. ويبذلُ بعض الزاهدين الذكور الهندوس أقصى جهدهم لتفادي الانزعاج الجنسي والانتصاب - فقد يرتدون، على سبيل المثال، حلقات حديدية محكمة حول القضيب.

هناك أربعة اتجاهات دينية أساسية حول ممارسة العادة السرية: أولًا أن تكون مقبولة تمامًا أو حتى موصى بها بغض النظر عمّا إذا كنت أيضًا تمارس الجنس مع أشخاص آخرين أم لا؛ أن يكون مسموح بها فقط للأشخاص النشطين جنسيًّا على أيّ حال؛ أن تكون مكروهة حتى لو كان مسموحًا لك بممارسة أنواع أخرى من الجنس؛ أن تكون ممنوعة بالطريقة نفسها التي تُحظر بها جميع أنواع الجنس الأخرى.

في الحالات التي لا يوجد فيها أمرٌ دينيٌّ واضحٌ ضدَّ ممارسة العادة السرية، غالبًا ما يتمّ اعتبار هذا النوع من الجنس منطقة حدودية كنشاط أحاديّ الجانب، في حين أنّ الجنس المناسب هو شيءٌ يمكن أن يحدث فقط مع شخص آخر. بدلاً من ذلك، فإنّ جواز ممارسة العادة السرية ينطوي ضمنًا على عقوبات إيجابية عامّة على معظم الأشكال الأخرى للجنس.

عندما تُحظر العادة السرية فقط على الأشخاص الذين لا يجب أن يمارسوا الجنس على أيّ حال، نجد أنّه لا يوجد تمييز أساسي بين ممارسة الجنس أحادي الجانب وغيره من أشكال الجنس. إنه الفعل الجنسي بحدّ ذاته، والتلاعب الواعي بالأعضاء الجنسية الذي يؤدّي إلى الإثارة، وهو النقطة المركزية، وليس ما إذا كان يتمّ ذلك بمفرده أو بصحبة الآخرين.

عندما تتمّ إدانة كلّ أنواع الجنس، وليس هناك فائدة تُذكَر في النظر عن كثب في كيفية إعمال هذا الحظر العام وتطبيقه فيما يتعلّق بالعادة السرية. ولكن عندما تُحظر ممارسة العادة السرية بينما يتمّ التسامح مع أشكال أخرى من النشاط الجنسي، يصبح التركيز على العادة السرية مختلفًا تمامًا. وفي مثل هذه الحالة، تمثّل العادة السرّية إمّا فئة دينية جنسية خاصّة بها، أو أنّها تحتلّ مركز الصدارة في فئة دينية جنسية أكبر تُعرَّف بأنها غير مقبولة وغير مسموح بها. وتقدّم جهود كيلوج الأدفنتستية للحدّ من ممارسة العادة السرية أحد أفضل الأمثلة حول الكيفية التي يمكن بها للجنس أحاديّ الجانب كظاهرة أن يلعب دورًا رئيسًا للغاية في الرؤية العالمية الدينية الجنسية. وفي كثير من الأحيان نجد أنّ العادة السرية تتعرّض للإدانة لأنها لا تفي بالمطالب الأساسية المختلفة لما ينطوي عليه الجنس المسموح به؛ إذ تُدان العادة السرية، إذا كان الجنس شيئًا يجب أن يحدث فقط أثناء الزواج أو في ظروف قد تؤدّي إلى الإنجاب.

تمثّل العادة السرية - أيضًا- تحدًّيا خاصًّا لآليّات التحكّم الجنسي؛ لأنّها لا تشمل سوى شخص واحد. وهي على عكس الأشكال الأخرى من النشاط الجنسي، لا يمكن تنظيمها انطلاقًا من وضع قواعد على غرار مَن يمكنه الزواج بمَن أو عن طريق منع الأفراد من الاجتماع دون وصيفات. ونظرًا لأنه من الصعب إثبات السيطرة والتحكُّم فيها، لم تكن العادة السرية قطّ هدفًا للاضطهاد الدينيّ الكبير. بقَدر ما كانت هناك جهودٌ مباشرةٌ للسيطرة على العادة السرية، فقد ركّزت هذه الجهود عادة على المجتمعات المغلقة مثل المؤسّسات الرهبانية، أو استهدفت الأطفال، الذين يخضعون لمستوى من السيطرة أعلى بكثير من الآخرين.

ما يضع العادة السرية في فئة خاصّة بها هو أنّها تفتقرُ إلى الجانب الاجتماعي الذي يُعدُّ عنصرًا أساسيًّا لجميع أنواع الجنس الأخرى. ومن ثَمَّ فإنّ تنظيم العادة السرية الدينيّ له عواقبُ مختلفةٌ على أنواع الجنس الأخرى. وفي حين أنّ تنظيم النشاط الجنسيّ عادةً ما ينطوي على درجة عالية من تنظيم التفاعل الاجتماعي والهُويّة، فإنّ تنظيم العادة السرية الدينيّ - ما لم يتمّ ضبطُك متلبِّسا بهذا الفعل – يؤثّر في حياتك الشخصية وصورة الذات إلى الحدّ الذي تتأثر فيه بالاتجاهات الدينية

للمجتمع من حولك. وعندما ينجح الدين في السيطرة على رغبة الفرد الجنسية الأحادية، فهذا يعني وجود مستوى عالٍ للغاية من التأثير في كينونته وكيانه. وفي ضوء ذلك، يمكن أن تكون السيطرة على النشاط الجنسيّ الأحاديّ خطوة مهمّة في جهود الدين لتحقيق الخلاص لفردٍ معيّن.

إنّ العادة السرية، بالطبع، حقيقة واسعة الانتشار. إذ تشير الإحصاءات إلى أنّ النساء يمارسن العاة السرية أقلّ بكثير من الرجال، على الرغم من أنّ جزءًا من هذا الاختلاف يمكن تفسيرُه انطلاقًا من حقيقة أنّ النساء عادةً ما يخجلن من الإبلاغ عن «نشاطهنّ الجنسيّ» عند الردّ على الأسئلة في الدراسات الاستقصائية. وقد أظهرت دراسة أجريت عام 2009 في إيران أنّ 26% من النساء يمارسن العادة السرية و73% من الرجال يمارسون – أيضًا- العادة السرية. وأظهرت دراسة أمريكية أجريت عام 1994 أنّ حوالي 42% من النساء و53% من الرجال مارسوا العادة السرية أثناء العام الماضي وأنّ 7.6% و26.7% يمارسون العادة السرية أسبوعيًا على التوالي. وتظهر الأرقام من عام 2002 النسبة نفسها بين النساء الأميركيات. ولا نجد أيَّ تغييرات مهمّة إذا عدنا إلى الوراء: وجد ألفريد كينزي، في دراساته عن الحياة الجنسية للذكور والإناث في حوالي عام 1950، أنّ 92% من الذكور الأميركيين و62% من الإناث يمارسون العادة السرية حتّى النشوة الجنسية. ومع ذلك، فإنّ الانتماء الدينيَّ يؤثّر في ممارسة الجنس الأحادي. وكشفت الإحصاءات الأمريكية لعام 1994 أنّ غير المؤمنين يمارسون العادة السرية أكثر بكثير من المسيحيين، أو على الأقلّ يعترفون بممارسة العادة السرية دون غضاضة. في حين قال 37.6% من الرجال غير المؤمنين و13.3% من النساء غير المؤمنات إنهم يمارسون العادة السرية أسبوعيًا، فإن الأرقام الخاصّة بالمسيحيين كانت تزيد قليلاً عن 20% للرجال وحوالي 6% للنساء. ومن بين المسيحيين، يمارس البروتستانت المعتدلون العادة السرية أكثر قليلًا من الكاثوليك، في حين أنّ البروتستانت الأصوليين يمارسون العادة السرية بفارق كبير على الأقل. على الرغم من أن كثيرًا من المسيحيين الذين تمّ تعليمهم وتوعيتهم أنه لا ينبغي لهم ممارسة الجنس مع أنفسهم أو بالأحرى ممارسة العادة السرية يفعلون ذلك على أيّ حال. وفيما يبدو فإنّ الأرقام تظهر أنّ الموقف السلبيّ عمومًا تجاه ممارسة العادة السرّية بين المسيحيين يعني أنّهم يقومون بذلك إلى حدّ أقلّ.

وهكذا، على الرغم من أنه ثبت من الناحية العملية أنّ تلك الجهود المبذولة لا تجدي نفعًا، إلا أنّ محاولاتِ تثبيط الناس عن ممارسة العادة السرية كانت عنصرًا مهمًّا في مشروع السيطرة الدينية الجنسية. حيث يخدم حظر ممارسة الجنس مع الذات أو بالأحرى الاستمتاع الذاتي أيضًا التأكيد على الاعتقاد السائد لدى كثير من الأديان أنّ حدود السلوك الجنسي الواضحة قد تقرب الناس إلى الكنيسة.

الفصل الرابع

المغايرة الجنسيّة بين المُبارَكة واللَّعنة

لم تكن المغايرة الجنسية قطُّ أمرًا معقَّدا. لأنّ طبيعتها المعقّدة تبدو جليةً من وجهة نظر دينية على وجه التحديد عندما تظهر في مواقفَ لا يعتقدُ الكثيرون أنّه يجب أن تكون موجودةً على الإطلاق. وتعدُّ بعض ردود الفعل المسيحية المتعلّقة بتقديم يسوع المسيح نتيجة علاقة جنسية مغايرة خيرَ مثالٍ على ذلك. عندما عُرض فيلم مارتن سكورسيز عنوانه «الإغراء الأخير للمسيح»، بتصوير هوليود المتواضع جدًّا عن يسوع المسيح كرجلٍ متزوّج نشطٍ جنسيًّا في خريف عام 1988، تجاوزت احتجاجات الكاثوليك الفرنسيّين المحافظين الاحتجاجات الكلامية. ففي مدنٍ مثل باريس وليون ونيس وجرينوبل، هاجم نشطاء مسيحيون دور السينما بالغاز المسيِّل للدموع والقنابل كريهة الرائحة وتمّ توجيه ضربة قاضية لروّاد السينما والإطاحة بهم. تمّ إطلاق النيران على سينما لو سانت ميشيل في الحيّ اللاتينيّ بباريس في الثاني والعشرين من أكتوبر ممّا أسفر عن إصابة أربعةَ عشرَ شخصًا؛ أربعةٍ منهم كانوا في حالة خطيرة.

نادرًا ما توجد سينما في أيّ مكان وفي أيّ وقت لا تعرض فيلمًا واحدًا أو أكثر إلا ويصوّر المغايرة الجنسية المتحفّظة، فضلًا عن الأريحية الكاملة التي يتمّ التعامل بها مع هذه العروض السينمائية. ولكنّ السياق المحدّد قد يحوّل بعض الأشخاص الذين يعتقدون أنفسهم مدافعين عن المغايرة الجنسية في إطار الزواج إلى محتجّين غاضبين يثورون ضد هذه الظاهرة ذاتها. فهناك بعض المسيحيين الذين يشعرون أنّ حقيقة أنّ بعض الناس يختارون الذهاب لرؤية العروض السينمائية التي صوّرت يسوع المسيح على أنّه رجل متزوّج ونشطٌ جنسيًّا مبرّر كافٍ للعنف والحرق. وبعبارة أخرى، فإنّ المشهد الدينيّ الخاصّ بالمغايرة الجنسية قد يصبح حقل ألغامٍ على وشك الانفجار.

إنّ النقاش الرئيس في عصرنا الحالي حول الدين والمثلية الجنسية قد يقودنا بكلّ سهولة إلى افتراض أن العلاقة بين الدين والمغايرة الجنسية تخلو من الإشكاليات. وهذا بعيدٌ كلَّ البعد عن كونها قضية بالمرة. فالمسألة لا تقتصرُ على كون العدائية العامة لممارسة الجنس في بعض التقاليد الدينية هي التي تزيد المغايرة الجنسية تعقيدًا؛ لأنّ هناك بعض الأديان التي تحاول باستمرار فرض فهمِها الصحيح لمفهوم المغايرة الجنسية على المجتمع عامّة. والأشخاص الذين يرغبون في ممارسة العلاقة الجنسية الطبيعية بطرق تبدو مناسبة بمنأى عن المعتقدات الدينية لهذا الدين أو ذاك يجدون أنفسهم مكبّلين بالمشكلات بكلّ سهولة. ولا يقتصر الأمر على أصحاب العقائد الذين يواجهون مجموعة من المطالب والمحظورات التي تحكم ميولهم الجنسية المغايرة؛ فهناك بعض الطوائف والجماعات الدينية التي تحاول باستمرار تحريض السلطات على أن تجبر الأفراد عمومًا، بصرف

النظر عن معتقداتهم الدينية، على اتّباع ما تؤمن به هذه الطوائف لتشكيل النوع الصحيح من المغايرة الجنسية. والمشكلة ليست أقلَّ تعقيدًا من حقيقة أنّ هناك تباينًا كبيرًا في المدى الذي تتوقع فيه الجماعات الدينية من الناس الالتزام باللوائح جميعها.

هناك كثيرٌ من أوجه التشابه المرئية بين الأديان المختلفة ولكن لا توجد خطوط فاصلة على الإطلاق. فسوف تصطدم بعض الإملاءات الدينية دائمًا بالأخري وسيكون من المستحيل العيش وفقًا لقواعد ما يعتقد أصحاب كلّ دين من الأديان أنّها تمثّل سلوكيات المغايرة الجنسية الصحيحة. فالمغايرون جنسيًّا الذين لديهم ميل مسكوني على الأقل لديهم سببٌ وجيهٌ لفقدان رباطة جأشهم.

العذريُّة المحدودة

نُظِّمَت حفلة رقص رائعة في فندق برودمور في كولورادو في فصل الربيع في مايو 2008، ورقص فيها رجال في منتصف العمر مع فتيات صغيرات السنّ. كانت حفلة الربيع هذه، التي يُقام مثلُها في كثيرٍ من الأماكن الأخرى في جميع أنحاء الولايات المتحدة، تتّسم بالبراءة وتخلو من الجنس قَدر الإمكان. كانت كلُّ الفتيات عذارى، وكان الرجال آباءهنّ، أو أزواج أمهاتهنّ، أو حموهنّ المحتملين. وبعد العشاء الرسميّ الذي تبادل فيه الرجال أطراف الحديث فيما بينهم، وبينما كانت الفتيات تركز على تناول الطعام، كان الرجال يقرؤون نصًا على الحلوى التي على إثرها يقدّمون الوعود «أمام الله لستر بناتهنّ وحمايتهنّ وبقائهنّ عفيفاتٍ طاهراتٍ». وفي وقتٍ لاحق من المساء، تتقدّم الفتيات اثنتين اثنتين إلى الأمام وينثرن الزهور والورود أسفل صليب عملاق مزيّن بأناقة في ساحة مكسوّة بالحرير. وتقدّم كثير من الفتيات وعودًا صامتة. وها هي كاتي سويندلر البالغة من العمر ستةَ عشرَ عامًا، تقطع على نفسها وعدًا وتتعهد بما يأتي: «أقطع على نفسي عهدًا لي ولعائلتي أنّني سأبقى نقيَّة طاهرةً في أفكاري وأفعالي حتّى أتزوّج». وتسمّى الحفلة التي نشهدها هنا حفلة الطُّهرِ والنقاء، وهي حفلةٌ ينظّمها المسيحيون الإنجيليون لتشجيع الفتيات على البقاء عذارى حتّى يتزوّجن.

تُعدّ حفلات الطُهر والنقاء في الواقع مجرّد عنصرٍ واحدٍ في برنامج شامل، بدءًا من تشغيل موسيقا الروك، ودروس التربية الجنسية، وتقديم الوعود والتعهّدات والدعاية السياسية، التي تهدف إلى إقناع الناس بالامتناع عن ممارسة الجنس قبل الزواج. ومن البدهيّ أنّ حوالي 12% من الشباب الأمريكي في عام 1995 قطعوا على أنفسهم عهدًا بالالتزام بالعذرية المماثلة لتلك التي رأيناها في حفلات الطُهر والنقاء. ويجدرُ بالذكر أنّ دراسة استقصائية في عام 2005 كشفت أنّها وعودٌ خاوية في معظمها بل وزائفة. حيث إن 88% من جميع الذين أعطوا تعهُّدات العذرية سواء المكتوبة منها أو الشفهية مارسوا الجنس قبل الزواج. قد تكون هذه الحفلات، وتعهُّدات الطُهر الرسمية، وموسيقا الروك التي تروّج للعذرية من الاتجاهات الحديثة، ولكنّها تعكس المثالية الدينية التي يمكن تتبُّع أثرها بمرور الوقت. فالغالبية العظمى من المطالب الدينية المتعلّقة بالامتناع الجنسيّ محدودة زمنيًّا، وهي

ليست مطالب بالامتناع مدى الحياة من النوع الذي رأيناه في الفصل السابق. فالهدف منها ببساطة هو الامتناع عن ممارسة الجنس قبل الزواج.

ومن هذا المنطلق كان يرى المسيحيون دائمًا أنه يجب ألا يكون هناك أيّ ممارسة للجنس خارج نطاق الزواج. وعلى نحو مفضّل، ينبغي تعميم هذا النوع من الجنس، إلا أنّ القديس بولس أشار إلى أنّ الزواج ضرورة لمَن لا يستطيعون الامتناع عن ممارسة الجنس. وأوضح أن الجنس قبل الزواج ليس خيارًا ممكنًا للمسيحي، كما أنّ «الزناة» بالتأكيد لا يرثون «ملكوت الله».

كان مطلب القديس بولس الواضح بالامتناع الكامل عن ممارسة الجنس قبل الزواج فكرة جديدة لمعظم الناس في العالم القديم. وهناك نمطٌ أكثر شيوعًا يتمثّل في وجود مطالب مختلفة للرجال والنساء. حيث إنّ أيَّ امرأة كانت تأمل في الزواج، كان يجب عليها أن تظلّ عذراءَ حتّى يحينُ موعد زواجها، بينما كان يمكن للرجل الأعزب أن يفعل ما يحلو له. ولم تقتصر هذه الآراء على العالم القديم فحسب، فهي لا تزال تمثّل الأراء الحالية في كثير من الأديان حتّى اليوم. وغالبًا ما يكون التحيُّز الجنساني المتعلّق بممارسة الجنس قبل الزواج مقرونًا بتزويج النساء في سنّ مبكّرة جدًّا، وليس غريبًا أن يتمَّ تزويجهنّ في وقت البلوغ تقريبًا، وهذا الأمر في حدّ ذاته يقلّل من فرص ممارسة الجنس قبل الزواج. وعادة ما تفرض التقاليد الخاصّة بتزويج النساء في سنّ مبكّرة رقابة صارمة للغاية على الحياة الجنسية للإناث لأنّ عذريّتهنّ أكثر أهمّية من عذريّة الرجال. وعلى الرغم من أنّ المسيحية من حيث المبدأ أيّدت الحظر الكامل على ممارسة الجنس قبل الزواج للجنسين كليهما، إلا أنّه سرعان ما أصبح واضحًا من الناحية العملية أنّ المسيحيين عاشوا وفقًا لوجهة النظر التقليدية القائلة بأنّ عذرية الإناث أكثرُ أهمّية من عذرية الذكور. ولا يزال هذا التقليد قائمًا. إذ تعكس حفلات الطُهر والنقاء في الوقت الحالي التحيز الجنسي نفسه، حيث لا توجد ترتيبات معادلة للذكور.

ومن الطبيعي في معظم الأديان أن تُعاقب النساء أكثر من الرجال فيما يتعلّق بالمغايرة الجنسية غير الصحيحة. وقد أسهمت الفروق الجسدية بين الرجال والنساء بشكل واضح في الطرق المختلفة التي يُعامل بها الرجال والنساء في كثير من الأديان. حيث يعني غشاء البكارة دليلًا على العذرية في كثير من الأحيان أنّ هناك تركيزًا مختلفًا تمامًا على العذرية الأنثوية مقارنة بالعذرية الذكورية. وإذا أسفر الجنس قبل الزواج عن الحمل، فإنّ المرأة تحمل دليلًا دامغًا على ما ارتكبته. حتّى في الحالات التي يكون فيها الرجال والنساء على قَدَم المساواة، وفقًا لما تمليه القوانين الدينية، فإنّ فقدان غشاء البكارة أو احتمال حدوث الحمل يعني أنّ النساء غيرُ المتزوّجات يخضعن لرقابة أكثر صرامة من الرجال غير المتزوّجين. وفي الإسلام، على سبيل المثال، فإنّ الطلب الصارم لتقديم الدليل الدامغ والبرهان الساطع على عذرية المرأة يعني أنّ معاقبة النساء أسهلُ بكثير من معاقبة الرجل على ممارسة الجنس غير المشروع.

إن حقيقة أنه ليس من السهل دائمًا إثباتُ والد الطفل ومعرفته أسهم في الطريقة التي تهتم بها كثير من الأديان بمنع المرأة من أن يكون لها أكثر من شريك ذكر - في الوقت نفسه على الأقلّ. والحقيقة التي مفاداها أنّ معظم الأديان عادة ما تمنح الرجال مكانةً أعلى من النساء ساهمت، بلا شكّ، بشكل أكبر في الطريقة التي كفلت بها معظم الأديان من الناحية العملية سيطرة الرجل على حياة المرأة الجنسية وعلى المرأة المعيلة لأطفالها.

توجد الكليشيهات التي تفيد بأنّ الجنس يتضمّن دائمًا شريكًا نشطًا وشريكًا سلبيًّا في كثير من الثقافات، ويبدو أنّها تحدّد الكيفية التي يفكّر بها معظم الناس في الطريقة التي يجب أن يتصرّف بها الفرد الجيد سواء أكان ذكرًا أو أنثى من الناحية الجنسية في الديانات التي تشمل الإسلام والمسيحية والهندوسية. وبينما يحقّق الذكر «النشط» الانتصارات التي لا تؤدّي إلا إلى توطيد مكانته الاجتماعية، فإنّ النساء اللاتي يتمتّعن بحياة جنسية «سلبية» يجب حمايتها من مثل هذه الانتصارات الذكورية. فالشاب نفسه سيرحب بممارسة الجنس مع أخت غير متزوّجة لأحد الجيران في الوقت نفسه الذي يبذل فيه كل ما في وسعه لمنع الشباب الآخرين من ممارسة الجنس مع أخته غير المتزوّجة. وفي المشهد الجنسيّ من هذا النوع، غالبًا ما يكون من الصعب التمييز بين ما يفكّر فيه الناس وبين ما يرونه قواعد دينية وبين ما تحكمه الاعتبارات الدينية الأقلّ مثل الشرف والعار. فغالبًا ما تكون الحدود مائعة. ولكن عامّة، فإن الرجل متعدّد الشركاء الجنسيين لا يمثّل مشكلة أخلاقية في كثير من الأديان، في حين أنّ المرأة التي تمارس الجنس مع الرجال الآخرين بخلاف زوجها تمثّل تحدًّيا كبيرًا لكثير من الأديان - وغالبًا ما تكون الأديان نفسها.

في الكتاب المقدّس العبريّ، والعهد المسيحيّ القديم، لا يوجد حظر عام على ممارسة الجنس قبل الزواج. وتعتبر الجندرية والحالة الاجتماعية من العوامل الحاسمة فيما إذا كان الجنس قبل الزواج مسموحًا به أم لا. فيُحظر على الرجل ممارسة الجنس مع نساء متزوّجات أو مخطوبات لرجال آخرين، بينما يُسمح له بممارسة الجنس مع نساء غير متزوّجات. وسواء كان الرجل نفسُه متزوًّجا أم لا، فهذا الأمر لا يمثّل أيّ أهمّية على الإطلاق. وحتّى الحظر المفروض على الاغتصاب يقتصر على النساء المتزوّجات أو المخطوبات لرجال آخرين؛ لأنه في حالة الاغتصاب، يكون الجاني قد انتهك حرمة «امرأة تخصُّ رجلًا آخر». ومع ذلك، إذا تمّ القبض على رجل يرتكب فعل الزنا مع فتاة عذراء غير مخطوبة لشخص آخر، فيجب عليه أن يعطي والد الفتاة خمسين شيكلاً من الفضة ويتزوّجها. إن سلب المرأة عذريَّتها يعني إلحاق الضرر بها وتقليل فرصها في الزواج ومن ثَمّ تقليل القيمة السوقية لها. ولمّا كانت المرأة غير المتزوجة هي ملك لأبيها، فهو الشخص المنوط به الحصول على التعويض.

قد يتمّ الحكمُ بالإعدام على أيّ فتاة مخطوبة، مثلها مثل المرأة المتزوّجة، إذا مارست الجنس مع أيّ شخص باستثناء زوجها المستقبلي. وحتّى الفتاة البِكر المخطوبة التي تعرّضت للاغتصاب داخل أسوار المدينة يجب، من حيث المبدأ، رجمُها بالحجارة مع مغتصبِها. ومثلما يحدث مع الرجال، من

حيث المبدأ على الأقلّ، فلن تتمَّ معاقبة النساء غير المتزوّجات أو غير المخطوبات على ممارسة الجنس. ومع ذلك، إذا رغبت امرأة في العثور على زوج، فإنّها ستخاطر بشدة إذا مارست الجنس قبل الزواج. فقد يدّعي زوجها أنّه لم يجد «علامة تثبتُ عذريَّتها» عندما تزوّجها وسيكون الأمر متروكًا لوالديها لتقديم «دليل على أنّها كانت عذراء وإحضارها إلى كبار السنّ عند بوّابة المدينة «ستكون في موقفٍ حَرِجٍ لا يُحمدُ عقباه إذا لم يتمكّن والداها من تقديم مثل هذا الدليل». وإذا ثبتَت صحُّة الاتهام، وإذا لم يكن هناك ما يشير إلى أن المرأة كانت عذراء، فلزامًا أن يخرجوها أمام أبواب منزل والديها ويقوم رجال المدينة برميها بالحجارة حتى تلفظ أنفاسها؛ لأنّها ارتكبَت فعلًا مخجلًا في إسرائيل؛ ألا وهو الزنا، ذاك الجرم الفاحش الذي ارتكبته في منزل والديها. ولهذا يجب أن تتطهّر من الخطيئة. ومن الناحية العملية، كان هذا يعني أنّ المرأة النشطة جنسيًّا قبل الزواج لا يمكن أن تتزوّج أبدًا ما لم تعثر على زوج يُعتقد أنه من الأفضل له أن يتزوّج بامرأة حيّة غيرِ عذراء بدلًا من امرأة ميّتة. ولا ينطبق هذا النوع من التشديد على البغايا والعاهرات وغيرهنّ من النساء غير المتزوّجات اللائي فقدن بالفعل عذريَّتهنّ ولم يكن يخطّطن للزواج، حيث كان هؤلاء النساء يتمتّعن بدرجة أكبر من الحرية الجنسية.

تغيّرت قواعد النشاط الجنسي اليهودية المغاير قبل الزواج منذ أيام العهد القديم. وبالإشارة إلى المعاشرة غير الشرعية أو اتخاذ محظية في الكتاب المقدّس العبريّ، فقد رأى عدد من الحاخامات في العصور الوسطى أنّ العَلاقة الجنسية المستقرّة التي تتّسم بالإخلاص مع امرأة خارج نطاق الزواج مسموح بها بموجب القانون اليهودي - المهمّ هو تجنّب الاتصال الجنسي غير الشرعيّ. والمنطق والبدهيّ في هذه العَلاقة أن المرأة قد تكون غير متزوّجة، بينما لا تمثّل الحالة الاجتماعية للرجل أيّ أهمّية كما كانت من قبلُ. وهذا النوع من العلاقة خارج نطاق الزواج لم يحقّق أيَّ اعتراف عام بين يهود العصور الوسطى. ومن الناحية العملية، فقد تمَّ تأييدُ حظر ممارسة الجنس قبل الزواج للنساء عامّة. وإضافة إلى ذلك، كما هو الحال في الديانة المسيحية، كان هناك ميلٌ متزايدٌ إلى النظر إلى ممارسة الجنس قبل الزواج عند الذكور على أنّها تتعارضُ مع القانون اليهوديّ.

هناك اختلافاتٌ هائلةٌ بين المجتمعات اليهودية المعاصرة وَفقًا لمكان تواجدها سواء أكانت في الأحياء الأرثوذكسية المتطرّفة في القدس أو في ضواحي كوبنهاجن أو شيكاغو العلمانية. وتكشف الدراسات الاستقصائية أنّ 60% من اليهود في الولايات المتحدة يعتقدون أنه من الجيد للثنائي المغايرَين غير المتزوَّجين ممارسة الجنس إذا كانوا يتبادلون الحبّ. كذلك أصبحت الاتجاهات حول ممارسة الجنس قبل الزواج أكثر ليبرالية في العقود الأخيرة، حتى فيما بين اليهود الأرثوذكس. ومن جهة أخرى، حافظ الأرثوذكسي المتديّن على القيود التقليدية إلى حدّ كبير والتزم بها، وتخاطر النساء غير المتزوّجات في القدس بالتعرّض للاعتداء الجسدي من قبل الرجال الأرثوذكس المتطرفين إذا ما شوهدن حتى مع رجال آخرين في الشارع.

أظهرت الاتجاهات المسيحية تجاه السلوك الجنسيّ المغاير قبل الزواج تباينات هائلة. ورغم أنّ سلطات الكنيسة غالبًا ما كانت تتّخذ موقفًا صارمًا من حيث المبدأ، إلا أنّ مستوى الطاعة المطلوب لم يتحقق. ومرة أخرى، فإنّ التمييز بين الذكور والإناث يُعدُّ عنصرًا محوريًّا وأساسيًّا؛ لأنّه في معظم البلدان المسيحية، كان من المقبول ضمنيًّا أنّ الرجال غير المتزوّجين قد يقيمون علاقاتهم الجنسية الأولى مع البغايا والعاهرات وليس عندما يتزوّجون. وقد نُظّمت الدعارة بشكل علنيّ وفرضت عليها ضرائب حتّى في الولايات البابوية. ومع ذلك، فقد تمّ طردُ البغايا من كثير من المدن البروتستانتية والكاثوليكية إبان عمليات الإصلاح في أوربّا الوسطى. ولم يكن ذلك بالتأكيد نهاية الدعارة، التي استمرّت، وتأرجح استمرارها بين القبول الضمنيّ والاضطهاد الصريح والعلنيّ. وبالمثل، لو سلمنا جدلًا بالمغايرة الجنسية للإناث، لوجدنا أنها تعدُّ أكثر إشكالية من المغايرة الجنسية للذكور؛ لأنّ البغايا أنفسهنّ تعرضنَ للاضطهاد والتمييز. وكانت هناك فترات تمّ فيها سجن المومسات، وعانين في تلك الفترات من العقاب البدني، وتمّ ترحيلهنّ وأحيانًا حتّى - بعد تكرار الجرائم - تمّ إعدامُهنّ. ونادرًا ما كان يتعرض الزبائن الذكور لأيّ عقوبات خطيرة. وأثناء القرنين التاسع عشر والعشرين قاد النشطاء المسيحيون حملات مكثّفة ضدَّ الدعارة والبغاء، التي اعتبروها خطيئة مقنّنة، ولكن مهما كان مستوى الاضطهاد، فنادرًا ما كانت العاهراتُ يستنفذن الزبائن المسيحيين.

أوجدت مؤسّسة العبودية في الأمريكتين اتجاهًا مسيحيًّا خاصًّا بممارسة الجنس قبل الزواج. ففي كثير من المناطق، كان العبيد يفتقرون إلى الحقّ القانونيّ في الزواج، وكانت أيّ احتفالات ومراسم اعتادوا فيها على إقامة علاقات بعضهم مع بعض تفتقد إلى الوضع القانونيّ. وقد قدّم ذلك حلًّا للمعضلات الأخلاقية التي واجهت أسياد العبيد في بعض الأحيان عندما قاموا بعزل الأزواج الذين تجمعهم علاقات جنسية غيرية وبيعهم بشكل منفصل. وانطلاقًا من الاعتراف بالزواج فقط بين أشخاص أحرار، جعلت السلطات المسيحية ممارسة المغايرة الجنسية في إطار الزواج مستحيلة على قطاعات كبيرة من السكّان. ولم يبقَ أمام العبيد، والأغلبية الكاسحة منهم كانت من المسيحيين، بديل سوى ممارسة الجنس خارج إطار الزواج. وفي كثير من الولايات داخل الولايات المتحدة، أخذت التشريعات في الاعتبار العواقب المنطقية لذلك، وأصدرت الأحكام بعدم جواز معاقبة العبيد بتهمة البغاء أو الزنا. ولم تكن السلطات وحدها هي التي وجدت هذا الموقف غير قابل للحلّ، فالكنائس في الولايات الجنوبية لم تفعل شيئًا يذكر ولم تقدّم شيئًا لمنح العبيد الحقّ في الزواج.

وفي الأوقات التي تكون العقوبات فيها أكثر اعتدالًا، يظهر لدى الناس ميل مصاحب إلى التعامل مع الأخلاق الجنسية الدينية الرسمية بمزيد من الحرية مع الحفاظ على عقيدتهم المسيحية. وهناك أمثلة جيدة على ذلك في أوربّا الغربية في المدّة القريبة من مدة الحروب النابليونية، في وقت أصبحت فيه التشريعات التي تتحكّم في الحياة الجنسية أقلَّ صرامة في عدد من البلدان. فضلًا عن تعزيز الحماية القانونية للأطفال غير الشرعيّين وأمهاتهم، وهو ما يعني بشكل غير مباشر توافر

درجة أكبر من التسامح مع ممارسة الجنس قبل الزواج. وأدّى إلغاء القوانين الصارمة التي تحكم السلوك الجنسي وتعكس الأخلاق الجنسية المسيحية إلى تغييرات في العادات الجنسية، لا سيّما بين الطبقات الاجتماعية الأدنى. وعندما سُئلت امرأة كاثوليكية شابّة في بافاريا في أوائل القرن التاسع عشر عن سبب استمرارها في إنجاب أطفال رغم كونها غير متزوّجة، أجابت قائلة: لا بأس في إنجاب أطفال [غير شرعيّين]. لقد وافق الملك على ذلك! إذا كان الله لم يعد يضمن أنّ السلطات تعاقب على ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج، فما المشكلة؟ واشتكى رجال الدين من أنّه لم يبقَ من العذارى إلا القلائل. كما يمكن ملاحظة تغيير مماثل في أيرلندا في نهاية القرن العشرين. فقد أدّى تحرير القوانين إلى ثورة في المواقف والاتجاهات. ومع ذلك، كان هناك اختلافات كبيرة جدًا في المواقف والاتجاهات اعتمادًا على درجة النشاط الديني. ففي عام 1974، اعتقد 71% من السكان الأيرلنديين أن ممارسة الجنس قبل الزواج كانت دائما خطأً ولكن بحلول عام 1994 تقلّصت هذه النسبة إلى 32%. وعلى الرغم من أن غالبية الإيرلنديين مسيحيون، إلا أن هناك اختلافات واضحة في المواقف والاتجاهات يمكن تمييزها في هذه الأرقام. أما أولئك الذين أدانوا ممارسة الجنس قبل الزواج، فقد كان حوالي 43% منهم يذهبون إلى الكنيسة أسبوعيًا، وكان حوالي 5 % منهم يذهبون إلى الكنيسة مرة واحدة في الشهر أو أقل.

ولا يزال كثير من المسيحيين يرون أن ممارسة الجنس قبل الزواج لا تتفق مع التعاليم المسيحية، رغم أن هناك عددًا قليلًا فقط يحاول إقناع الدولة بمنع ممارسة الجنس قبل الزواج. ومع ذلك، يحاول الكثير استخدام التشريعات لردع ممارسة الجنس قبل الزواج بشتى الطرق، على سبيل المثال، عن طريق مهاجمة التربية الجنسية في المدارس. وقد ركز المسيحيون في الولايات المتحدة الأمريكية على البرامج التعليمية الخاصة بالامتناع عن ممارسة الجنس فقط، والتي تشجع على الامتناع الكامل قبل الزواج بدلاً من تقديم الثقافة الجنسية العامة. وفي عام 2006 وحدَه، خصّصت السلطات المسيحية المحافظة في واشنطن 200 مليون دولار أمريكي لهذه البرامج فضلًا عن التمويلات الكبيرة التي قدّمتها حكومات الولايات أيضًا. ومع ذلك، تشير الإحصاءات إلى أنه على الرغم من أنّ هذه الأساليب قد تغيّر الاتجاهات بين بعض الشباب، إلا أنها فشلت في تغيير السلوك بالقدر نفسه. ومن المؤكّد أنّ النتائج العملية لم تؤدِّ إلى ممارسة الشباب الجنس بشكل أقلَّ، بل إنّهم قد يمارسون الجنس بشكل أكثرَ في بعض الأحيان. فهم، من ناحية أخرى، أقلّ ميلًا إلى استخدام وسائل منع الحمل، ومن ثَمّ من المحتمل أن يتعرّضوا للأمراض المنقولة عن طريق الاتصال الجنسي فضلًا عن حدوث الحمل غير المرغوب فيه.

يحاول المسيحيون الشباب الذين يتبنّون الحظر الديني ضد ممارسة الجنس قبل الزواج الالتزام به، ولكن كما لاحظنا بالفعل، هناك ميلٌ واضحٌ لإيجاد حلول مبتكرة، مثل تصنيف العادة السرية المتبادلة والجنس الفموي والجنس الشرجي على أنّها أنواعٌ غيرُ حقيقية من الجنس. ومن ثَمّ، ليس من المستغرب أن تشير الإحصائيات إلى أن المسيحيين الشباب الذين تعهّدوا بالامتناع عن ممارسة

الجنس يتمتّعون في الواقع بممارسة الجنس الفموي والجنس الشرجيّ المغاير أكثر من غيرهم من الشباب. ولا تخلو هذه الأشكال الأخرى من النشاط الجنسيّ من المشكلات من وجهة نظر كثيرٍ ممن يمارسونها؛ لأنها تزيل الحدود الفاصلة فيما بينهم، ومن ثَمّ قد تؤدّي إلى الجماع المهبليّ. ولكنّ الحدود التفسيرية قد يكتنفها الغموض فيما يتعلّق بالماهية التي تشكّل الجنس قبل الزواج. في حين يرى الكثيرون أنّ الإيلاج المهبلي هو الحدُّ الفاصل، يعتقد بعض المسيحيين النرويجيين الشباب أنّ «الإيلاج دون قذف نوع من الجنس المسموح به» ويعتقد آخرون مرة أخرى أنّ «الاتصال الجنسيّ مع كثيرٍ من الشركاء فقط هو خرق القواعد الحقيقي».

لم تعد تجربة ممارسة الجنس المغاير قبل الزواج خطيئة من قبل غالبية المسيحيين؛ إنها مجرد شيء يقدم عليه معظم الناس. وفي عام 2005، بلغت نسبة البالغين الذين شعروا أنّه من المهمّ تشجيع الشباب على الامتناع عن ممارسة الجنس قبل الزواج 1% فقط في كلّ من بلغاريا الأرثوذكسية بشكل أساسي واليونان وصربيا - مونتينيجرو؛ و4% في أيرلندا، و2% في إيطاليا، و6% في بولندا - ومعظمها دول يغلب عليها الطابع الكاثوليكي؛ و2% في أيسلندا اللوثرية والسويد بشكل رئيس. وفي الولايات المتحدة الأمريكية التي يقطن فيها أكبر عدد من المسيحيين المحافظين، اعتقد 14% من المستجيبين أنّ الامتناع عن ممارسة الجنس قبل الزواج رسالة مهمّة يجب إيصالها للشباب. تقدّم الإحصاءات مؤشّرا جيّدا على المواقف والاتجاهات المتغيّرة انطلاقًا من إحصاءات الأطفال المولودين خارج نطاق الزواج. إذ تشير إحصاءات الدول المسيحية إلى حدّ كبير إلى أن نسب الأطفال غير الشرعيين قد ازدادت، خاصَّة منذ عام 1980. وفي الدول الأعضاء في الاتحاد الأوربّي حاليًا (باستثناء رومانيا وبلغاريا) بلغت النسبة حوالي 5% في عام 1970، ولكن بحلول 2004 زادت هذه النسبة ستة أضعاف وقُدرت بحوالي 31.4 %. وتوجد أدنى المعدلات في أوربّا في بعض الدول الأرثوذكسية مثل اليونان وجمهورية قبرص (4.9% و3.3% على التوالي)، في حين أن النسبة في الدول الأرثوذكسية الأخرى مثل بلغاريا وجورجيا ورومانيا بلغت 48.7%، و44.6و29.4 % على التوالي. وفي الولايات المتحدة ارتفعت النسبة من 3.8 % في عام 1940 إلى 2% في عام 1970 و33% في عام 1999، بينما ارتفعت النسبة في شيلي من 30% إلى 62 % بين عامي 1990 و2007. وتنعكس كل هذه التغييرات في المواقف والاتجاهات. ففي عام 1997، في كولومبيا وجواتيمالا والمكسيك، بلغت النسب 87%، و67%، و57% على التوالي، وكان من غير الأخلاقي إنجاب الأطفال خارج إطار الزواج، بينما بلغت النسب الخاصة بألمانيا وأيسلندا 90% و95% على التوالي. كما انخفض عدد الزيجات بدرجة ملحوظة. وفي خمس وعشرين دولة من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوربّي، كان هناك ثماني حالات زواج لكل 1000 نسمة في عام 1964 ولكنّ الرقم انخفض إلى 4.8 بحلول عام 2004. وعلى الرغم من وجود زيادة هائلة في عدد المسيحيين الذين أنجبوا أطفالًا خارج نطاق الزواج، فمن الضروري أن ندرك أنّ الأفعال والمواقف في تعارض مستمرّ. ففي الولايات المتّحدة، مرّ 97% من الذين مارسوا الجنس

بتجربة ممارسة الجنس قبل الزواج؛ وحتّى بين النساء المولودات في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، بلغت النسبة 88%. ومع ذلك، في عام 1997، كان 47% من السكّان لا يزالون يعدُّون إنجاب أطفال قبل الزواج خطأً فادحًا.

الإسلامالزواج قبل للجنس العام الحظر يتبنّى ،اليهودية من النقيض على ولكنّه المسيحية مثل العقوبات ماهية حول والتقاليد الكريم القرآن بين مطلق توافق يوجد لا ،ذلك ومع .له انطلاق كنقطة نِّسَائِكُمْ مِن الْفَاحِشَةَ يَأْتِينَ وَاللَّاتِي(:على القرآن ينصّ إذ .الزواج قبل الجنس ممارسة ضدَّ المناسبة اللَّهُ يَجْعَلَ أَوْ الْمَوْتُ يَتَوَفَّاهُنَّ حَتَّىٰ الْبُيُوتِ فِي فَأَمْسِكُوهُنَّ شَهِدُوا فَإِن مِّنكُمْ أَرْبَعَةً عَلَيْهِنَّ فَاسْتَشْهِدُوا سَبِيلًا) (سورة النساء؛ 15). وليست النساء وحدها من يخضعن للعقاب، حيث ينصّ القرآن لَهُنَّ الكريم أيضًا على: (وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (سورة النساء؛ 16). ولكن لم يتم توضيح كيفية معاقبة الرجال. ومن بين الأوامر الزجرية في القرآن الكريم التي نادرًا ما يتم اتباعها هي أن أولئك الذين يمارسون الجنس قبل الزواج قد .«يتزوّجون فقط من «زناة» أو «مشركين

تقدّم الأحاديث الشريفة تعليماتٍ حول كيفية معاقبة الأشخاص الأحرار غير المتزوّجين لممارستهم الجنس - يجب أن يجلدوا، وعادة مئة جلدةٍ. بالإضافة إلى ذلك، يجب طردهم، عادة مدة عام. بينما يجب بيع العبيد غير المتزوّجين الذين يستمرّون في ممارسة الجنس حتّى بعد عقابهم ثلاث مرات أو أربعٍ (الرجل الذي روى كلمات النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في هذه الحالة لا يمكنه أن يتذكّر الرقم الدقيق الذي أوصى به النبي)، «ولو بحبلٍ من شَعرٍ».

ولكن من الناحية العملية، أظهر الإسلام قَدرًا أكبرَ من التسامح مع ممارسة الذكور للجنس قبل الزواج خارج إطار الزواج. ويمكن ملاحظة ذلك، على سبيل المثال، في مواقف الإسلام من الدعارة والبغاء. والشيء الوحيد الذي يقوله القرآن عن البغاء والدعارة هو أنّه لا ينبغي إكراه الإماء على ممارسة البغاء والدعارة إذا ما رغبن في البقاء عفيفات. ورغم أنّ النبيَّ محمدًا (صلى الله عليه وسلم) قال: «لا يوجد بغاء في الإسلام»، غالبًا ما يتمّ التسامح مع الدفع مقابل ممارسة الجنس في البلدان الإسلامية وكثيرًا ما يتمّ تنظيمُه وتفرضُ ضرائب السلطات الإسلامية نفسها عليه. إن وجود الدعارة يفتح الطريق لإضفاء الطابع المؤسّسي على الحياة الجنسية للذكور خارج حدود الزواج، وفي الوقت نفسه، وعلى النقيض من ذلك تقف البغايا في موقف المقابلة مع النساء الأخريات، اللائي يُمنعن تمامًا من ممارسة الجنس قبل الزواج. وبسبب القيود الصارمة المفروضة على الحياة الجنسية للنساء غير المتزوّجات اللائي لا يمارسن البغاء والدعارة، كثيرًا ما توفّر الدعارة أول تجربة جنسية مغايرة لكثير من الرجال المسلمين في البلدان المحافظة، مثلما أفادت في الماضي في كثير من البلدان التي تسكنها أغلبية مسيحية. ومع ذلك، كانت هناك فترات تخلّلتها المعارضة الشديدة للدعارة، وكما هو الحال في البلدان المسيحية، كانت هذه المعارضة عادةً موجّهة لمن يتاجرون

بالجنس أكثر من زبائنهم. فبعد الثورة الإسلامية في إيران، على سبيل المثال، تمّ إعدام كثير من البغايا والعاهرات بعد محاكمات سريعة.

تحظر كثير من الدول الإسلامية مثل أفغانستان والإمارات العربية المتحدة وإيران والسعودية والسودان ممارسة الجنس قبل الزواج. أمّا حقيقة أنّ الدول الإسلامية الأخرى تسمح بممارسة الجنس قبل الزواج فلا ينبغي أن تعني أنّ السلطات في تلك البلدان تعدّ القضية غير إشكالية من وجهة نظر إسلامية. فعدم وجود الحظر معناه فقط أنّ الدولة تعدّ القضية تخصّ مجال الحياة الخاصّة. ومع ذلك، هناك بعض الأشخاص الذين يجادلون بأنّ الإسلام لا يحظر ممارسة الجنس قبل الزواج. فالناشطة النسوية المسلمة الأمريكية إسراء قراتولين نعماني تذهب إلى حدّ القول بأنّ النساء المسلمات (ومن ثمّ الرجال، أيضًا) لديهنّ الحقّ في أن يقرّرن بأنفسهنّ ما إذا كنّ يرغبن في ممارسة الجنس قبل الزواج أم لا. وهناك عدد قليل من المسلمين الذين قد يصرحون بذلك بشكل قاطع. وفي النرويج، تعتقد السياسية البارزة في حزب العمل المسلم سايرا خان أنّ «الإسلام يحرِّم ذلك» لكنّها تواصل التأكيد على أنّ «جميع النساء لهنّ الحقّ في السيطرة على أجسادهنّ». وهي من ثَمّ تحافظ على التوازن بين الحرية الدينية وحقوق الإنسان الأخرى. وفي الوقت نفسه الذي تعترف فيه بأنها تعتقد أنّ الإسلام يحرِّم ممارسة الجنس قبل الزواج، وتتجنّب معارضة زميلاتها المؤمنات الأكثر تحفُّظا، تقول سايرا خان إنّ الأمر متروك للناس لكي يقرّروا بأنفسهم. وكما هي تعلم، فإنّ أيّ حظر قانونيّ يتعارض مع حقّ الإنسان في احترام الحياة الخاصة للفرد. من ناحية أخرى، هناك مسلمون محافظون يريدون استخدام التشريعات للحدّ من ممارسة الجنس قبل الزواج بطريقة غير مباشرة، على سبيل المثال، انطلاقًا من السماح بالحصول على الحد الأدنى فقط من وسائل منع الحمل أو التربية الجنسية في المدارس. حيث تسبّب جهاز صيني صغير عملي يمكن للمرأة وضعه في مهبلها ليطلق كمّية مناسبة من السائل الشبيه بالدم حتّى يعتقد الرجلُ أنّها عذراء في ضجّة في مصر في عام 2009. طالب المسلمون المحافظون من فورهم بوقف بيع أجهزة البكارة الاحتيالية هذه. لم تكن الضجّة الاعلانية للمبيعات التي صاحبت هذه الأجهزة - «لا تقلقين بشأن فقدان عذريتك» - هي الرسالة التي أراد الإخوان المسلمون إيصالها إلى الأخوات والبنات.

عندما يُسأل المسلمون عمّا إذا كان الجنس قبل الزواج مسموحًا به أم لا وفي ظِلّ أيّ ظروف يكون الجنس مسموحًا، قد تختلف الإجابات حسب السؤال المطروح ومدى ارتباطه بالدين. فقد أظهرت دراسة استقصائية أجريت في عام 2002 شملت الطالبات الجامعيات في تونس وبيّنت أن 45% من الطالبات اعتقدن أنّه من المقبول بالنسبة للنساء ممارسة الجنس قبل الزواج طالما أنهنّ «مستعدات للمخاطر؛ الاجتماعية منها والطبّية». وفي تركيا عام 2005، قال 9% فقط إنّه من المهمّ إخبار الشباب بالامتناع عن ممارسة الجنس قبل الزواج، بينما اعتقد 79% أنّه من المهمّ تشجيع الشباب على ممارسة الجنس الآمن. ومن المثير للاهتمام أنّ المسلمين في بعض أجزاء أوربّا الغربية يبدو أنهم أكثر تحفُّظا وتشير الأرقام من عام 2008 إلى أنّ 38% و30% و11% من المسلمين في

برلين وباريس ولندن على التوالي يعتقدون أنّه من «المقبول أخلاقيًّا» ممارسة الجنس قبل الزواج. ويشارك المسلمون أيضًا مثل غيرهم من أصحاب العقائد الأخرى في تغيير دينهم انطلاقًا من التصرف بطرق تختلف عن تلك الطرق التي يقرّها الدين من الناحية التقليدية. وعلى الرغم من أنّه نادرًا ما يتمّ مناقشة الأمر على الملأ، إلا أنّ العاملين في القطاع الصحيّ في تونس على يقين من أن متوسط العمر الذي تتمتّع فيه المرأة بتجربتها الجنسية الأولى ينخفض، في حين يرتفع متوسط سنّ الزواج إلى 26 عامًا. تشير التقديرات إلى أن 70% من النساء في المغرب يمارسن الجنس قبل الزواج. ولكن لا يزال هناك فرق كبير بين الجنسين من المسلمين المعاصرين وما زالت الحياة الجنسية للمرأة هي المحور الرئيس لمحاولات فرض الضوابط. وكشفت دراسة استقصائية على الإنترنت عام 2005 في النرويج أن 37% من جميع المسلمين غير المتزوّجين مارسوا الجنس، ولكن بلغت هذه النسبة 17% فقط للفتيات المسلمات. وعندما طُلب منهم تصنيف ردود أفعال آبائهم المحتملة حول مجموعة من القضايا، قال 48% من الشباب الذين شملهم الاستطلاع إنّ أولياء أمورهم قد يتفاعلون بقوة أكبر لمعرفة ما إذا كان أبناؤهم يمارسون الجنس أم لا.

وفي بعض المناطق الإسلامية التقليدية، كما هو الحال في كثير من المجتمعات الدينية المحافظة الأخرى، تتزوّج الفتيات في سنّ مبكّرة للغاية، وهي تقاليد مصمّمة جزئيًّا لضمان عذريّتهنّ حتّى الزواج. وفي المناطق الريفية في اليمن عام 2008، على سبيل المثال، كان متوسط سنّ زواج الفتيات أقل من 13عامًا، و57% من جميع الفتيات في أفغانستان يتزوجنَ قبل بلوغ سنّ السادسة عشر، وفقًا لإحصاءات عام 2007. النساء هنّ اللائي يواجهنَ عقوبات صارمة في حين يُسمح للشباب غير المتزوّجين، إلى حدّ كبير، أن يفعلوا ما يحلو لهم، على الأقلّ مع النساء الغربيات غير المسلمات. يمكن للعائلة نفسها أن تشجع أبناءها على ممارسة النشاط الجنسي - حتّى مع البغايا والعاهرات- مع التشديد على حماية بناتها والحفاظ على عذريّتهنّ. وغالبًا ما تكون عذرية المرأة غير المتزوّجة مطلبًا مطلقًا، وغالبًا ما يُنظر إلى عذرية الرجل غير المتزوّج على أنّها علامة على نقص الرجولة. وتختلف المطالب المفروضة على النشاط الجنسي للذكور والإناث في بعض البيئات الإسلامية تمام الاختلاف بحيث يستحيل مقارنتها بعضها مع بعض من الناحية العملية. يمكن أن تكون الحقيقة البسيطة المتمثّلة في خروج فتاة شابّة «بمفردها أو مع صديقاتها في المساء» كفيلة وكافية «لتشويه سمعة الفتاة «، وهو أمر «سيتمُّ تذكرُه وتناقله على مدار سبعة أجيال تالية»، وَفقًا لمجموعة من النساء النرويجيات الباكستينيات في الخمسينيات والستينيات. وفي هذه الحالة، «الموت أفضل من العار». ومن ناحية أخرى، لا يتمُّ التشكيك في أفعال الشباب الجنسية المغايرة، ويمكن للصبيين النرويجيين الباكستانيين إلى حدّ كبير فعل ما يحلو لهم. حتّى الأبناء الذين قضَوا عقوبات بالسجن يحظَون بتفضيل عن البنات ذوات «السمعة المشبوهة»، حيث يمكن للصبي دائمًا أن يبدأ «بحضور دروس في المسجد» وسيسعد الناس به لأنّه تمالك نفسه واستجمع قواه».

تتعرّض النساء، دون الرجال، للقتل والاغتيال على أيدي عائلاتهنّ فيما يُسمّى بـ«جرائم الشرف» بسبب السلوك الجنسي المغاير غير المقبول. حيث تُقتل حوالي أربعين امرأة فلسطينية على أيدي عائلاتهنّ كلَّ عامٍ نتيجة لما يُسمّى بجرائم الشرف، وفي عام 1999 بلغ هذا النوع من القتل حوالي ثلثي جميع جرائمِ القتل العمد في فلسطين. وتشير التقديرات إلى أنّه تمّ ارتكاب حوالي 400 جريمة قتل عمد من هذا النوع في اليمن في عام 1997. ومعظم الضحايا من النساء. ومن المهمّ أن ندرك أن الشائعاتِ وحدَها يمكن أن تكون كافية لإثارة «جريمة الشرف»، وأنّ الأسرة ليست معنيّة بالضرورة بإثبات أنّ الجنس قبل الزواج قد حدث بالفعل. في الأردن، على سبيل المثال، أثبتت غالبية النساء اللائي قُتلن على أيدي أسرهنّ أنهنّ عذارى. حتّى النساء اللواتي تعرضنَ للاغتصاب تعرضنَ لخطر القتل العمد على أيدي أسرهنّ من أجل استعادة شرف العائلة. عندما يُقتل الرجال في «جرائم الشرف» ذات الصلة بالمغايرة الجنسية، فإنّ عائلة المرأة هي التي تحرّض على القتل عادة. وعادة ما يُعدُّ الشخص الذي ينفذ عملية القتل العمد فيما يُسمّى «بجريمة شرف» بطلاً. ومثلما لطّخت «المرأة المنحلّة شرف العائلة، فإنّ القاتل يغسل العار ويعيد شرف العائلة». ومع ذلك، قد يكون من الخطأ تمامًا لصق «جرائم الشرف» بالإسلام وحدَه على هذا النحو - حيث يتعرّض كثير من النساء المسيحيات في الشرق الأوسط وأماكن أخرى للقتل العمد على أيدي عائلتهنّ للسبب نفسه. ففي البرازيل، حتّى عام 1991، كان «صون الشرف» أساسًا لتبرئة رجل قتل زوجته - كما فعل الآلاف من الرجال. وبين عامي 1980 و1981 في ولاية ساو باولو الفيدرالية وحدها، ادّعى 72،2 رجلاً متّهمين بقتل زوجاتهنّ عن عمد أنّهم فعلوا ذلك دفاعًا عن شرفهم بعد اتهام زوجاتهم بارتكاب فعل الزنا. والقاسم المشترك في جميع «جرائم الشرف» المزعومة هو أنّها تمثّل دفاعًا دينيًا عن الحق الأساسي في تنظيم النشاط الجنسي للإناث. وفي الأردن، في عام 2003، تضافرت جهود المحافظين والإسلاميين لتشكيل أغلبية ساحقة في البرلمان للحيلولة دون إقرار قانون كان من شأنه أن يجعل عقوبة «القتل بدافع الشرف» أكثر من مجرّد عقوبة تعزيرية رمزية. لقد احتجّوا بأنّ القانون الجديد «سيشجّع على الرذيلة وسيهدم القيم الاجتماعية.

تشترك الهندوسية مع كثير من الديانات الأخرى في حظر العَلاقات الجنسية المغايرة قبل الزواج، ومرة أخرى، من الناحية العملية، تواجه النساء غير المتزوّجات بشكل أساسيّ عقوبات صارمة إذا مارسن الجنس قبل الزواج. تقدّم الملحمات الهندوسية مرارًا وتكرارًا العفّة قبل الزواج كفضيلة، خاصَّة للشابّات الصغيرات. ولكن وَفقًا للتعاليم الهندوسية التقليدية حول مراحل الحياة، يجب أن تتضمّن أيضًا المرحلة الأولى للبالغين الذكور الامتناع الجنسي. ومن ثَمّ، لم تشدّد الحركات القومية الهندوسية على أهمّية عفّة النساء الهندوسيّات غير المتزوّجات فحسب، بل طالبت - أيضًا- بتعهُّدات العفّة من جانب مجموعات منظّمة من الشباب الذكور. ويمثّل هذا التشديد المعاصر على الامتناع عن ممارسة الجنس من جانب الذكور الدافع وراء فكرة أنّ الرجال يمكن أن يعزّزوا قوّتهم الروحية والجسدية عن طريق الحفاظ على الحيوانات المنوية الخاصّة بهم.

أثّرت التغييرات التي أدّت إلى زيادة مساحة الحرية الجنسية في جميع أنحاء العالم – أيضًا- على الهندوسية. غالبًا ما يكون الجنس قبل الزواج أحدَ مناطق الصراع، حيث يتطلّع الشباب إلى حدّ كبير إلى فرصة يعيشوا انطلاقًا من حياة تخلو من القيود التقليدية. وهذا يتّضح بشكل خاصّ في مجتمعات المهاجرين؛ لأنّه في بعض الأحيان يندر التوافق بين ما هو مقبول بالنسبة للأقليات من المهاجرين وما هو مقبول لدى المجتمع عامّة. وكشفت دراسة استقصائية أجريت على المهاجرين الهنود في جنوب فلوريدا أنّ هناك اختلافاتٍ كبيرةً بين مواقف المهاجرين من الجيل الأول والثاني تجاه قضايا شائكة مثل المواعدة وممارسة الجنس قبل الزواج. فقد صرّح 30% ممّن أدلَوا بإجاباتهم من الجيل الثاني بشكل قاطع بأنّهم قد يرغبون في ممارسة الجنس قبل الزواج. وكان هذا أمرًا لا يمكن تصوّره لوالديهم، الذين تملّكهم الخوف والرعب من أن يكونوا صارمين للغاية لأنّهم قد يخاطرون بتفويت أيّ فرصة لتنظيم سلوك أطفالهم إذا ما أبعدوهم عنوة عن هذا الفعل. ومع ذلك، فإنّ بعض التغييرات التي تحدث في المواقف لا تحدث دون الإشارة إلى التقاليد. عندما ألغت المحكمة العليا في الهند جميع القيود القانونية على الجنس والتعايش بين البالغين غير المتزوّجين في عام 2010، أشارت إلى الاعتقاد الهندوسيّ بأن كريشنا تعايشت مع رادها.

والعرف الشائع حول الامتناع عن ممارسة الجنس في مرحلة لاحقة من الحياة أمر غريب ودخيل نوعًا ما على الهندوسية. فليس من المتوقّع أن تتزوّج الأرامل ومن ثَمّ أن ينشطن جنسيًّا. ومع ذلك، فقد كان من الشائع للنساء من الطبقات الدنيا أن يتزوّجن مرة ثانية وما يسمّى قانون داركوا أو كاريوا حيث يتيح هذا القانون استثناءات من شأنها تسمح للمرأة بالزواج من أخ زوجها المتوفّى. ولكن هذا لم يكن قطّ من الأمور المثالية المنشودة. ووفقًا للهندوسية المتحفّظة، فإنّ الأرامل الأكثر ورعًا وتقوى يرتكبن ما يُعرف بـ «ساتي» (انتحار الأرملة حرقًا)، sati أي أنهنّ ينمن على محرقة الجثث مع أزواجهنّ- أو، كما هو الحال في كثير من الأحيان، يضطررن إلى الاحتراق مع أزواجهنّ المتوفّيين. وهذا أمرٌ يندرُ حدوثه هذه الأيام، ليس أقلّه لأنّه ممنوع منعًا باتًا في الهند. فعندما أُحرقت الأرملة روب كانوار، البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا، عن قصد أو عن غير قصد، مع زوجها المتوفَّى في قرية ديورالا في ولاية راجستان في عام 1987، لم تتسبّب فقط في احتجاجات صاخبة من جانب السلطات والهندوس الليبراليين، ولكنّها - أيضًا- أثارت الحماسة والحمية بين أصحاب الفكر التقليدي. وقد جاء عدد لا بأس به حوالي من 200000 إلى 300000 من الهندوس المتديّنين إلى القرية لحضور الاحتفالات الدينية التي أعقبت «ساتي» (انتحار الأرملة حرقًا).

ينبغي للرجل الهندوسي أن يبدأ حياته وينهيها في حالة من الامتناع الجنسي. وفقًا للعقيدة الهندوسية لمراحل الحياة أو الأشرما Ashrama (أربع مراحل عمرية تشمل براهمشاريا، وجراهاثا، وفانابراستا، وسانياسا))، وتُتبع المدة، التي تكون فيها زوجًا، بمدة انسحاب تدريجي من العالم، حيث توجد آراء مختلفة حول ما إذا كان يجب على الرجل الامتناع عن ممارسة الجنس أم لا. وأخيرًا تأتي مرحلة التخلّي الكامل عن العالم، حيث يجب على الرجل مغادرة منزله وعائلته. ومن الواضح أن

العزوبية جزء من ذلك. فالامتناع عن ممارسة الجنس أمر طوعيّ والغرض منه هو توفير حياة أفضل له بعد الموت. حيث كان يُنظر إلى الامتناع عن ممارسة الجنس في نهاية حياة الفرد في كثير من التقاليد الهندوسية على أنه ضرورة حتمية للخلاص النهائي، ولكنّ الرجل لا يُعاقب إذا اختار عدم اتباع هذا المسار أو إذا وافته المنية قبل بلوغ هذه المرحلة من الحياة. وفي ضوء ذلك، فإن الرجل لديه ما يكسبه عن طريق الامتناع أكثر من الأرملة التي يكون بديلها الوحيد عن الامتناع هو اللعنة التلقائية والحرمان من التطهر (الكارما المريعة). وعلى الرغم من كونهنّ أقلّ ظهورًا من الرجال، إلا أنّ هناك نساء ناسكات زاهدات في الحياة يتركن الحياة الطبيعية ويعشن أكثر قربًا من مُثُل مراحل الحياة الذكورية.

تتبنّى البوذية نظرة سلبية عامّة عن السلوك الجنسي المغاير، رغم تفضيل النشاط الجنسي المغاير في إطار الزواج وليس خارجه. لقد قبل بوذا الزواج من أشخاص عاديين لم يناضلوا من أجل التحرر في حياتهم الحالية. ومن الناحية العملية، فإنّ العقوبات المفروضة على النساء لممارسة الجنس قبل الزواج أقسى من العقوبات المفروضة على الرجال، على الرغم من أنّ الامتناع عن ممارسة الجنس في بعض المناطق البوذية للشباب غير المتزوّجين يلعب أيضًا دورًا مهمًّا؛ ففي البوذية في جنوب شرق آسيا، على سبيل المثال، يتوقّع من الشباب أن يقضوا مدة ما - عادةً ما تكون سنة - كرهبان قبل الزواج. حيث يبقى معظم الرجال رهبانًا فقط بضعة أسابيع، لكن هذا لا يزال يبرز الأهمية المحورية للامتناع عن ممارسة الجنس. حيث لا تزال نسبة الشباب التايلاندي الذين يدخلون الأديرة كبيرة، حتى لو كان العدد في انخفاض.

إنّ الدعوة إلى الامتناع الجنسي المحدود تعني شيئًا مختلفًا تمامًا عن الدعوة إلى الامتناع التامّ عن ممارسة الجنس، فعادة ما يعني هذا الأخير إدانة شاملة للجنس وإدراك أنّ العذرية تقرِّب المرء من الملكوت. ويمكن للامتناع عن ممارسة الجنس الذي يقتصر فقط على الحاجة إلى الزواج أن ينطويَ أولاً على واحد من أمرين؛ إمّا أنه يُمكن التسامح مع الجنس على الأكثر في إطار الزواج - كما كان الحال أصلاً في المسيحية والبوذية؛ أو أنّ الجنس في إطار الزواج يعدُّ في الواقع ذا قيمة إيجابية، كما في الهندوسية والإسلام واليهودية. وفي هذه الحالات، ومن وجهة نظر دينية، يعدُّ الزواج بحدّ ذاته هو العامل الذي يحدّد ما إذا كان الفعل الجنسيّ ذاته شيئًا بغيضًا تمامًا أو مجرّد أمرٍ يمكن قبولُه أو مباركته.

إنّ الدعوة إلى العذرية المحدودة تعني - أيضًا- أنّ الجنس يبقى ضمن حدود إطار الزواج المغاير الواضح والممكن والقابل للتحكّم فيه بسهولة، بصرف النظر عمّا إذا كان الزواج بحدّ ذاته مؤسسة دينية أم لا. وإذا كان من المقبول تمامًا ممارسة الجنس قبل الزواج، يصبح التحكُّم في عدد الشركاء الجنسيين وحالتهم أكثر صعوبة مقارنةً بالجنس القانوني الوحيد الذي يحدث في إطار الزواج. وتتحقق السيطرة الأفضل حتّى ولو كانت النساء فحسب هن من يُعاقبن فعليًّا على ممارسة الجنس قبل الزواج. ولكن حقيقة أنّ الزواج يفتح الطريق إلى تحقيق درجة أكبر من السيطرة الدينية الجنسية

تدفعنا إلى التفكير بدقّة في كيفية محاولة الأديان الفردية للسيطرة على المغايرة الجنسية ضمن هذا الإطار.

تضمينات الزواج

كان الزواج «مملكة الربّ في زمن براءة الإنسان»، كما ورد في كتاب الصلاة المشتركة الصادر في 1662 بالإنجليزية. وعلى هذا النحو، فإنّ الزواج مؤسّسة مقدّسة ظلّت كما هي في الأساس منذ بداية الزمان، وغالبًا ما تستمرّ الحجّة على ذلك. وإذا كانت الأمور بهذه البساطة، فلن يكون هناك الكثير للكتابة عنه، ولكنّنا نعرف أنّ الأمر ليس كذلك. فقد عدَّ كثير من الناس، سواء المسيحيين أو من مختلف الديانات الأخرى، الزواج، كما رأينا، شرًّا عظيمًا، أو لا يزيد عن كونه الملاذ الأخير لأولئك غير القادرين على الامتناع المطلق عن ممارسة الجنس.

لم يتغيّر مفهوم الزواج كمؤسّسة منذ آلاف السنين إذ إنه عنصر أساسي في بنية المعتقد لكثير من الناس، رغم أنّه لا يوجد أساس تاريخي لذلك. إذا قال هندوسي أو يهودي أو مسيحي إنّ الزواج مقدّس لديه لأنّه لم يتغيّر قطّ، فإنّ هذه حقيقة لاهوتية، وشهادة على الإيمان من النوع نفسه الذي يفعله الشخص المتديّن عند الاعتراف بالإيمان بإله من الآلهه. ومع ذلك، هناك اختلاف شاسع، فلم يستطع أي شخص أن يدحض ويفنّد بصورة قاطعة وجود الربوبية أو الألوهية من هذا النوع، في حين أنّ الادّعاء بأنّ الزواج قد بقي على حاله دون تغيير هو بيان تاريخي يفتقد إلى الصحّة تمامًا. عندما تذكّر الفاتيكان، على سبيل المثال، أنّ «المجتمع مدينٌ لبقائه المستمرّ للأسرة القائمة على الزواج»، فهذه - أيضًا- شهادة على الإيمان، ولكنّها بالتأكيد ليست حقيقة موضوعية لأنّنا نعلم أنّ كثيرًا من المجتمعات قد نجحت تمامًا دون مفهوم الزواج الكاثوليكي، وما زالت الكثير من المجتمعات تفعل ذلك.

لطالما استخدمت الأفكار حول الطبيعة غير المتغيّرة للزواج كحجج وبراهين لما يعدّه الله جنسًا مقبولًا أو غير مقبول. وفي مثل هذا السياق، قد يكون من المفيد أن نضع في اعتبارنا أنّ الناس بدؤوا في استخدام أسطورة آدم وحواء للدفاع عن مختلف المواقف والقيم الأصولية قبل الميلاد بحوالي 200 سنة فقط. وبصرف النظر عمّا حدث بالفعل في جنّة عدن، فمن الواضح تمامًا أنّ الزواج المغاير لم يظلّ كما هو في أيّ من الديانات التي تشير إلى قصة الخلق في الكتاب المقدّس.

يبدو واضحًا لنا أنّه يجب علينا أن نكون أحرارًا في اختيار شريك حياتنا - بل إنّ الحرية المطلقة في اختيار شريك الحياة تعدّ أحد حقوق الإنسان. ولكنّ فكرة السماح للشباب والشابات باختيار شريك الحياة ظاهرة حديثة نسبيًّا ويمكن وصفها بأنّها ثورة اجتماعية. فقد كان الزواج في الأصل صفقة تجارية ترتبها الأسرة وتشترك فيها جميع الأديان تقريبًا؛ وما كان الشركاء المحتملون أنفسهم

يعتقدون فيه لم يكن ذي صلة إلى حدّ ما. كان للرجل في بعض الأحيان رأي في القرار؛ لأن الفوارق العمرية كانت كبيرة جدًا لدرجة أن الرجال كانوا يبلغون قبل أن يكونوا في وضع يسمح لهم بزواج يمنحهم في بعض الحالات سلطة كافية لاتخاذ قرارهم وخياراتهم بأنفسهم. وعلى النقيض، يمكن تصنيف المواقف التي يُسمح فيها للنساء بالاختيار بأنفسهنّ على أنّها نوادر اجتماعية أنثروبولوجية.

إنّها القاعدة الدينية التقليدية واسعة الانتشار التي تختزل المرأة في أن تكون تابعة للرجل في الزواج. وفي اليهودية التوراتية، يبدو جليًّا أنّ المرأة عادة ما تُعتبر ملكًا للرجل. أنت (أي الرجل) لا ينبغي أن تشتهيَ زوجة جارك، ولا خادمة له، ولا خادم له، ولا ثوره، ولا حماره، ولا أيّ شيء يخصّ جارك. وَفقًا لبولس في العهد الجديد، «رأس المرأة هو الرجل» تمامًا مثل «رأس كلّ رجل هو المسيح». وقد أعلن أوغسطين أنّ الزواج «اتحاد حقيقي يتسم بالودّ لرئيس واحد، والآخر هو المرؤوس». ويصف القرآن الكريم كيف أنّ الرجل هو وليّ المرأة أو معيلها (قوَّام). لقد أدركت كثير من الأديان، بما في ذلك اليهودية التوراتية والمسيحية التقليدية، أنّ خضوع المرأة للرجل يكون خضوعًا كاملًا حتى إنّ الرجل كان يحقّ له أن يغتصب زوجته. ولم تستنكر الأديان ذلك، بل كان جزءًا مقبولًا من قوانين الجنس المستوحاة من الأديان. وبحلول عام 2003، كان ما يزيد قليلاً على خمسين دولة فقط جعلت الاغتصاب في إطار الزواج جريمة جنائية. في الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، كان لا يزال الاغتصاب في إطار الزواج قانونيًا في جميع الولايات حتّى عام 1975، عندما أصبحت ولاية داكوتا الشمالية أول ولاية تجعله (الاغتصاب في إطار الزواج) غير قانوني. إنّه لا يزال غير مخالف للقانون في معظم الدول الإسلامية.

لا تزال الزيجات التي تخضع للترتيبات اللازمة أشبه بالممارسات الشائعة في كثير من الأديان. لا يزال استمرار وجود الزواج القسري يشكّل انتهاكًا خطيرًا لحقوق الإنسان في أجزاء كثيرة من العالم، بما في ذلك الدول الغربية، ويؤكّد حقيقة أنّ الزواج، كما كان يتمّ ترتيبه تقليديًّا في معظم الأديان، يتعارض مع الفهم الحديث لحقوق الإنسان. وأولئك الذين يدافعون عن طبيعة الزواج التي لم تتغيّر إلى الأبد لا يحرصون على تذكيرنا بهذا النوع من الحقائق المؤلمة.

ماذا عن التغييرات التي طرأت على أفكارنا عن الزواج؟ في المسيحية على سبيل المثال، انتقل الزواج تدريجيًا من محيط الطقوس إلى موقع مركزي في نظر العالم الديني للكثير من أصحاب العقائد. ففي بادئ الأمر لم يكن المسيحيون ينظمون حتى إبرام عقد الزواج - الأمر الذي تُرك للسلطات الوثنية في الإمبراطورية الرومانية. ولا يوجد دليل على حفلات زفاف مسيحية قبل القرن الرابع. على الرغم من أنّ الزواج كان ولا يزال الإطار القانوني الشرعي الوحيد لممارسة الجنس، إلا أنّه لم يُنظر إلى الزواج على أنّه مؤسّسة ذات أهمية خاصّة أو مقدّسة. وأثناء العصور الوسطى تطوّر الزواج من كونه مؤسّسة تضمّنت مشاركة كنسية طفيفة إلى كونه إجراء انخرطت فيه الكنيسة بعمق. ولم يكن الزواج سراً مقدَّسا إلا في القرن الثالث عشر.

وعلى الرغم من أنّ الزواج أصبح سرًّا مقدَّسا، إلا أنّ الكثير من الناس استمرّوا في إجراء الزواج خارج الكنيسة. فمن الناحية القانونية، كان أداء قسم الزواج وحده كافيًا، بغض النظر عن المكان الذي يحدث فيه. ولم يصبح حفل الزفاف في الكنيسة هو الطريقة الوحيدة الملزمة قانونًا لعقد الزواج في إنجلترا وويلز إلا بعد عام 1753 عندما تنصّ المؤسسات الدينية المختلفة مثل الكنيسة الكاثوليكية رسميًّا على أنّ «الزواج مقدّس»، فهي محقّة تمامًا ويجانبها الصوابُ في فهمها اللاهوتي لموقفها، لكنّ الحال لم يكن دائمًا هكذا داخل الكنيسة الكاثوليكية أو في بقية العالم المسيحي.

هناك مفهوم مختلف للزواج المسيحي يقول بأنّه يجب على الناس ممارسة الامتناع عن الجنس حتّى في إطار الزواج. وقد نادى بهذا، على سبيل المثال، عدد من آباء الكنيسة الأوائل. وعلى وجه الخصوص، حُثّ الكهنة الذين سُمح لهم بالتزوج في كريستيندوم الغربية حتى عام 1123 على «الامتناع عن زوجاتهم».

يوجد نوع مختلف تمامًا من الزواج الذي يخلو من ممارسة الجنس بين الهندوس. وفي ظلّ ظروف خاصّة، لا يتزوّج الهندوس من أشخاص آخرين، بل يتزوّجون من الحيوانات أو الجماد. على سبيل المثال، تزوّج رجل يُدعى ناندي موندا من قرية غانتشيلا الهندية في ولاية جهاركاند من جبل يدعى لاخاسيني في عام 2007. فقد زارته إلهة الجبل في المنام وأخبرته أنّ هجمات العصابات المسلّحة من الماويين المحليين ستتوقّف إذا تزوّج من الجبل. فأيّد زملاؤه القرويون قراره واحتفلوا بزواجه من الجبل في حفل زفاف تقليدي حضره مئات الضيوف. وفي ولاية تاميل نادو في عام 2007، تزوج بي سيلفاكيومار مانامدوراي من كلب من أجل التكفير عن ذنب قتل اثنين من الكلاب قبل خمسة عشر عامًا. فبعد قتل الكلبين، ابتلي بمجموعة كبيرة من المصائب، ووفقًا لأحد المنجّمين، فإنّ الزواج من كلب كان هو السبيل الوحيد لتغيير مصيره وإنقاذه من تلك المصائب التي حلّت به. وتمّ الاحتفال بالزفاف باتباع جميع القواعد المعتادة، بما في ذلك حمام الطقوس (بغرض التطهر) في المعبد الهندوسي المحلّي. واختيرت العروس، الكلبة المسمّاة سيلفي، بمساعدة عائلة العريس بالطريقة نفسها التي اختاروا بها عروسه لإتمام زواج بشريّ هندوسيّ تقليديّ. وفي قرية باليبودبيت، وكذلك في تاميل نادو، يوجد تقليد في ترتيب حفلات الزفاف بين الضفادع والفتيات الصغيرات من أجل حماية الفتيات الصغيرات من الأمراض الباطنية. وتعود هذه العادات والتقاليد إلى أسطورة حول كيف تحول الإله شيفا إلى ضفدعة. ووفقًا لتجربة الطفلتين البالغتين من العمر سبع سنوات، فيجنيسواري وماسياكاني، في عام 2009، لم يكن هناك أيّ نوع من ممارسة الجنس متضمّن في هذا النوع من الزواج، فقد عادت الفتيات الصغيرات إلى حياتهن السابقة وتمّ السماح لأزواجهنّ، وهما ضفادع، بالعودة إلى بركة مياه قد أتوا منها.

شهد نموذج آخر من الزواج دون ممارسة جنس نهضة في الدين الصيني. فمن القواعد الأساسية للأزواج الصينيين أن يتمّ دفنُهم معًا عند الموت. ومن ثَمّ، هناك حالات يموت فيها رجل غير متزوّج ولا يرغب والداه في أن يدفنا ابنهما بمفرده، لذلك يشترون جثّة أنثى ويزوّجان الجثّتين ويدفنانهما

معًا. وليس من السهل دائمًا العثور على جثّة متوفّرة عندما تكون هناك حاجة إليها، وقد أوجد هذا فرصًا لتحقيق الأموال الطائلة. فهناك لصوص خطيرون يجنون أموالاً طائلة عن طريق سرقة أجساد النساء. وكلما كانت الجثة طازجة، ارتفع سعرها. وكانت هناك بعض الحالات التي وجد فيها لصوص القبور أنه من السهل قتل النساء الأحياء وبيع جثثهنّ للآباء الباحثين عن عروس لابن ميت بدلاً من معاناة البحث عن جثة امرأة ميّتة.

لا ينظر البوذيون إلى الزواج كمؤسّسة دينية مركزية. في الواقع، وغالبًا ما يتمّ تأكيد المنظور غير الديني، ووفقًا للتقاليد، لا يجب أن يحضر الرهبان. وعلى النقيض من المسيحية التي فقدت عمومًا مُثُلها الأصلية المتمثّلة في الامتناع التامّ عن ممارسة الجنس، وهي سعيدة بمباركة الزواج المغاير بين جنسين مختلفين، لم تنظر البوذية إلى الزواج على أنه غاية في حدّ ذاته. ومع ذلك، فقد طوّرت بعض فروع البوذية مستوى أكبر من الرمزية الدينية التي تنطوي على مشاركة نشطة من قبل السلطات الدينية. وفي البوذية الغربية، تمّ تطوير مراسم الزفاف على طراز الاحتفالات المسيحية. وتقدّم بعض الفنادق التايلاندية عروضًا شاملة تشمل حفلات الزفاف البوذية التي تتّسم بالمواءمة مع الأذواق الغربية، ومع الرهبان، وباقات ورود العروس، وكعكة الزفاف والراقصين المحليين.

إذا كنا نأمل في إيجاد صورة مبسطة وموحدة للزواج كمؤسسة دينية، فإنّ الإسلام هو الآخر ليس الدين الذي نقصده ونتخذه مثالًا. فقد كان الإسلام دائمًا على يقين من أنّ هناك عدةَ أنواع مختلفة تمامًا من الزواج. فالزواج الطبيعيُّ الذي يدوم مدى الحياة، الذي لا يمكن حلّه إلا عن طريق الوفاة أو الطلاق الرسميّ، تكمله عدة أنواع أخرى. حيث يعدُّ زواج المتعة زواج مدة محددة بحدود زمنية واضحة، وهو أحد أشكال العلاقة الزوجية المعترف بها قانونًا بين الجنسين المغايرين ويمكن التفاوض عليها لتدوم لأي مدة زمنية قد تستغرق من ساعتين إلى عامين. والهدف الأساسي، هنا، هو ببساطة إعطاء الشركاء الفرصة لتحقيق رغباتهم مع تجنبهم ممارسة الجنس خارج إطار الزواج. وبعد هذا الزواج، يتعين على المرأة أن تحيض ثلاث حيضات قبل السماح لها بالزواج مرة أخرى، وهذا لضمان عدم وجود حمل تكون نتيجته ميلاد طفل مستقبلي. وغالبًا ما تؤخذ إشارة القرآن الكريم إلى الوقت الذي يُسمح فيه للرجال قانونًا بممارسة الجنس مع نساء عبيد أو نساء أسيرات حرب لتكون مرجعًا لهذا النوع من زواج المتعة. ولم يعد معظم المسلمين الذين يتبعون المذهب السنِّي يرون أن زواج المتعة جائزًا. وتقول الأحاديث الشريفة أنه كان مشروعًا في عهد النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم)، لكن الخليفة عمر حظره لاحقًا. ومع ذلك لا يزال يُمارس زواج المتعة في الإسلام لدى الشيعة وهو زواج قانونيّ في إيران.

زواج المسيار هو شكل آخر من أشكال الزواج مع قليل من الالتزامات. وفي هذه الحالة، لا يتعين على الرجل أن يعيش مع المرأة أو يدعمها ماليًا. ويُمارس هذا النوع من الزواج إما لأن الزوجين غير قادرين على عقد زواج عادي مع الوفاء بالالتزامات الاقتصادية لكل منهما، أو كبديل لما قد يكون خلافًا لذلك علاقة خارج إطار الزواج، وفي هذه الحالة يكون للزوج زوجات أخريات في كثير

من الأحيان. ومع ذلك، لا يوجد اتفاق على موقف الإسلام فيما يتعلّق بهذه الزيجات. ولا يوجد أيّ اتفاق بين العلماء المسلمين حول مشروعية ما يُسمّى بالزواج العرفي. وهذه هي الزيجات السرّية التي دليلها القاطع الوحيد هو الإشهار والإعلان المكتوب الموقّع من قبل الشهود؛ وإذا غاب الإشهار وسقط الإعلان فلا يوجد دليل آخر على الزواج. وعلى الرغم من ذلك، كان هناك تزايد في عدد الزيجات السرية، وخاصة بين الشباب الذين لا يستطيعون تحمل تكاليف الزواج كالنفقة وغيرها أو الذين يستخدمونه بديلًا للإفلات من عقاب الدين على ممارسة الجنس قبل الزواج، ويتمّ إدانة هذا النوع الأخير بشكل قاطع في القرآن الكريم.

إنّ المفهوم السائد بأنّ الزواج قد وُجد دائمًا كمؤسّسة دينية غير متغيّرة إلى حدّ ما هو ببساطة مسألة إيمان واعتقاد ديني. لقد عُدّ الزواج شيئًا ما يتعارض مع الدين، أو شيء لا ديني على وجه الخصوص، بقدر ما كان يُعتقد أن له دورًا أساسيًّا ومركزيًّا في مجموعة من الأديان. ثم هناك أيضًا فكرة وجود أنواعًا واضحة من الزواج يمكن تمييزها؛ بعضها يفوق بعض الآخر من حيث القيمة. وهناك أيضًا بعض الاختلافات الأساسية حول أمور مثل من يمكنه الزواج بمن.

وعلى الرغم من وجود لوائح وقواعد مختلفة فيما يتعلق بالسلوك الجنسي المغاير بين الجنسين، إلا أن هناك أنماطًا معينة تتخطى الحدود الدينية. وباستثناء تلك الأديان التي تدين كل أشكال الجنس، فإن غالبية الأديان تميل إلى الاتفاق على أن النشاط الجنسي المغاير بين الجنسين في إطار الزواج مقبول إلى حد ما - على الرغم من أنه قد لا يكون دائمًا محمودًا. ومع ذلك، كما سنرى، لا ينطبق هذا بأي حال من الأحوال على جميع أنواع النشاط الجنسي المغاير.

الجنس سواء كنت ترغب فيه أم لا

أوضح الشينتوي الياباني البارز مياهيرو سادو في عام 1831 أنّ الأعضاء الجنسية تعدُّ «علامات مرئية على الأوامر الملزمة المتلقاة من الآلهة». وكانت وجهة نظره أن «الرجال يولدون مجهّزين بأعضاء جنسية ذكورية وهذه الأعضاء هي الأجهزة التي ينبغي استخدامها للقيام بالمهمة التي صُممت من أجلها - أي الإنجاب، لزيادة عدد الأشخاص في أرضنا.» والقضيب هو « في الحقيقة ... أداة لتكريم جيل الأحفاد». وتعدُّ أيّ محاولة لمنع أيّ شخص من استخدام قضيبه بمثابة نوعًا من انتهاك المحرمات وتدنيس المقدّسات.

ولذلك ليس هيبوليتوس البائس المسكين الذي تكلمنا عنه في مقدمة الكتاب هو الوحيد فحسب الذي يتملكه الخوف والرعب من الآلهة لأنه لا يريد ممارسة الجنس. وليست الديانة اليونانية القديمة وحدها التي تصر على أن يمارس أتباعها الجنس، حيث تعتبر الشينتوية اليابانية واحدة من بين الديانات التي تعظ بإنجيل المغايرة الجنسية بشكل صريح. وعندما يتبنى الدين وجهة النظر هذه حول

الجنس، فإن السماح للرجال بالامتناع عن ممارسة الجنس يصبح مشكلة، وانتقد الكثير من الشينتويين البوذية علانية، بحجة أن رسالتها المناهضة للجنس كانت تكفيرية. ذهب مياهيرو سادو إلى حد القول: «تحويل الأولاد الشباب غير التنويريين إلى كهنة بوذيين هو في حد ذاته خطيئة نرتكبها أمام آلهتنا».في حين أن البوذيين والكاثوليك وغيرهم يبذلون قصارى جهدهم وكل ما في وسعهم لترويج العزوبية بين القساوسة والكهنة، فإن واجب قساوسة الشينتوية، وهذا يبدو منطقيًا بما فيه الكفاية هو الزواج.

إن الموقف المتناقض للزواج واضح العيان في بعض أجزاء المسيحية والبوذية ليس هو الطريقة الوحيدة التي يحاول بها الدين تنظيم السلوك الجنسي المغاير؛ حيث يمكن اعتبار كل من الجنس والزواج أيضًا واجبات دينية. وتعد اليهودية التي تمثل نقطة البداية للمسيحية واحدة من بين الديانات التي تتسم بفهم مختلف جدًا عن المغايرة الجنسية والزواج على عكس ما نجده في البوذية أو في تعاليم القديس بولس. فلم تتوقع من الرجال والنساء في اليهودية ممارسة الزواج فحسب؛ بل يجب عليهم القيام بذلك. وتقدم قصة ابنة يفتاح في كتاب القضاة مثالاً جيدًا على الدور المحوري للزواج في العصور القديمة جدًا. فعندما خرج يفتاح للحرب ضد العمونيين وعد الله أنه قد يضحي بأول شخص يخرج من منزله لمقابلته إذا عاد من المعركة دون أن يُصاب بأذى أو مكروه. وبعد هزيمة العمونيين، قابلته ابنته، وطفلته الوحيد، التي جاءت ترقص لتحييه وهي تدق على الطبول. وأدركت ابنته أن نذره لله يعني أنها يجب أن تموت وأن توسلها وطلبها الوحيد لوالدها برهن على أنه كان الطلب الأكثر أهمية في الوجود. قالت: «اتركني وحدي قرابة شهرين، حتى يتسنى لي الصعود أعلى الجبال وأنزل إلى أسفلها، وأحزن على عذريتي وأبكي عليها ندمًا، أنا وزميلاتي».أن تلقى حتفك على يد أبيك أمر عادي، ولكن موتك دون زواج هو المأساة.

لو كان أمامها وقتًا للزواج قبل أن يسلبها والدها حياتها، كان سيتوجب على ابنة يفتاح أن تمارس الجنس، لأن الجنس يصبح إلزاميًا حالما يتزوج الشخص. وقد بيّن الله هذا الالتزام لآدم وحواء في جنة عدن: «كن مثمرًا، وتكاثر، وجدد الأرض» وبعد عدّة قرون لاحقة، وعند مغادرة السفينة، تلقّى نوح وأبناؤه التعليمات نفسها بعد أن أغرق الله جميع البشر الآخرين في الطوفان.

تبنت اليهودية طوال تاريخها نظرة سلبية عمومًا عن العزوبية. حيث يرتبط الجنس والإثمار ارتباطًا وثيقًا بعضها مع بعض. إذا كان الإنسان يعتقد أن نسله مكافأة من الله، فإن الامتناع عن ممارسة الجنس الطبيعي يعادل الاعتراض على مشيئة الله. كما يمكننا أن نقرأ في سفر المزامير: «الأطفال هم ميراث الربّ: وثمرة الرحم مكافأته» إنّ وعد الله للشعب اليهودي مطابق للوعد الذي أعطاه إبراهيم: أَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وعن طريق الزواج والجنس الإجباري الهادف إلى الإنجاب، يساهم جميع اليهود في تنفيذ الوعد الذي قطعه الله لإبراهيم. والخصوبة هى علامة تدلّ على أن الله حليف المخلصين والصادقين؛ «لاَ يَكُونُ عَقِيمٌ وَلاَ عَاقِرٌ فيك». وعندما أمر الله إرميا -الشخص الوحيد في الكتاب المقدّس العبريّ الذي حدث له ذلك - ألا

يتزوج، حدثت له هذه الواقعة في سياق تكليفه بمهمة أن يوضح للإسرائيليين أنهم قد ابتعدوا عن الله. وتمثل حالة إرميا غير المتزوج الرمز المأساوي لإسرائيل التي هجرت الله وابتعدت عنه.

ذهب حق المرأة في أن تكون مثمرة في اليهودية التوراتية أبعد من ذلك لدرجة أنه كان يحق لها الزواج من شقيق زوجها إذا مات عنها زوجها قبل أن تحمل منه. في سفر التكوين، نلتقي تامار، التي تزوجت أولاً من ابن يهوذا الأكبر، ولكنه سرعان ما تركها ومات لأنه «كان شريرًا في عين الرب». ثم تزوجت من ابن يهوذا الثاني، الذي مات أيضًا دون أن تنجب منه أطفالًا. وعندما أدركت أن والد زوجها لن يزوّجها ابنه الثالث والأصغر، احترفت البغاء والعهر لتغريَ يهوذا نفسه ليتسبّب في حملها. وعندما ظهرت عليها علامات الحمل، واجهت تهمة الزنا، وأثبتت أن والد زوجها هو السبب في حملها. وكان استنتاج يهوذا كرجل يخشى الله (وزبون يحب الاسترخاء لأجل الجنس) كالتالي: لقد كانت أكثر صلاحًا مني؛ لذلك لم أبارك زواجها [كزوجة] لشيله؛ ابني [الثالث]. وتعدُّ القصة دليلًا أسطوريًّا مبالغًا فيه على مدى أهمية الواجب الذي يقع على عاتق عائلة الزوج في ضمان التأكّد من حمل الزوجة.

احتفظت اليهودية الحاخامية بوجهة النظر المرتبطة بواجب الجنس وتنصّ المشناه Mishnah، التوراة الشفهية التي كتبت في حوالي عام 200 ميلادية، بشكل قاطع على أنّ الجنس هو واجبُ الرجل؛ «لا يجوز للرجل الامتناعُ عن أداء واجب تكثير الأعراق ما لم يكن لديه أطفال بالفعل». حتّى بعد مرور عشر سنوات من الزواج دون أطفال، يجب عليه ألا يمتنعَ عن ممارسة الجنس». «إذا تزوّج الرجل زوجة وعاش معها مدة عشر سنوات ولم تنجب طفلاً، لا يجوز أن يمتنع عن ممارسة الجنس». و«من لا يشارك في تكثير الأعراق والنسل مثله كمثل من يسفك الدماء». إنّه إذًا واجب الرجل أن يتكاثر وينجب الأطفال، ولكن وَفقًا للمشناه، لا يتعيّن على المرأة أداء الواجب نفسه». «يؤمر الرجل فيما يتعلّق بواجب التكاثر وليس المرأة». اعتقد موسى بن ميمون المشهور في الغرب باسم ميمونيدس، الذي كتب في القرن الثاني عشر وواحد من أكثر العلماء اليهود نفوذًا، أنّ على المرأة - أيضًا - واجبَ ممارسةِ الجنس، وإذا رفضت الزوجة زوجها ومنعته من الاستمتاع بها، فعليه الانفصال عنها. ولم يحظَ هذا المطلب الخاصّ بالنساء بالكثير من الدعم؛ لأنّ أحد تداعياته هو أنّ النساء قد يحصلن بسهولة على الطلاق.

يحدّد كتاب الزوهار Zohar في القرن الثالث عشر، إذ إنه واحدٌ من أهمّ النصوص الكابالية اليهودية، واجب الذكور في ممارسة الجنس الإنجابي من منظور كوني. وقد أعيد تعريف الوصية السادسة - لا يجب أن ترتكب الزنا - لتعني أنك يجب أن تتكاثر. ورفض الرجل لفكرة التكاثر والتناسل يعني التمرّد على الله. والرجال الزاهدون في الجنس أدينوا بشكل واضح في شولحان عاروخ (المائدة المنضودة)، (عمل قانوني من القرن السادس عشر قام به الحاخام الفلسطيني جوزيف بن إفرايم كارو والحاخام البولندي موسى الإسرائيلي). حيث يقول كارو: «أيّ شخص يتقاعس عن المشاركة في عملية الإثمار والتكثير فمثله كمثل من يسكب نسله هباءً، ويتسبّب ذلك في

خروج الوجود الإلهي من إسرائيل». ويضيف موسى الإسرائيلي: «من لا يتزوّج يُحرم من الحصول على النعم والبركات أو الدخول في التوراة ولا يُسمّى رجلًا، وعندما يتزوّج من امرأة تُغفر خطاياه، كما قيل [في الأمثال]: «من وجد زوجة وجد الخير ويُوتى الفضل والنعم في عيون الربّ».

على الرغم من اعتقاده الأساسي أن الزواج كان مؤسسة تأسست لمنع الزنا، اعترف القديس بولس بالجنس كواجب لإشباع الشبق الجنسي بمجرّد أن وجدوا ملاذًا لشهواتهم في الزواج. ومن المقبول للزوجين الامتناع عن ممارسة الجنس أثناء الزواج ما دام بموافقة الطرفين ولفترة محدودة».ويكفي أن يكون شريكًا واحدًا قد فقد الرغبة، أو يعاني من صداع، أو أي شيء ما. وعلى النقيض، ينبغي للمرء أن يمنح نفسه للشريك الأكثر شغفًا بغض النظر عن قلة الرغبة لديه؛ لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذلِكَ توفي الْمَرْأَةُ أَيْضًا حق الرَّجُل. ولَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِلرَّجُلِ. وَكَذلِكَ الرَّجُلُ أَيْضًا لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهِ، بَلْ لِلْمَرْأَةِ. إنه تقليد يهودي قديم يمنح الزوجة الحق في ممارسة الجنس في الزواج. أما حقيقة أن ذلك كان يعني أيضًا أن للزوجة تسلطًا على جسم الزوج فكان أمرًا لم يسبق له مثيل ونادرًا ما كان المسيحيون اللاحقون يؤكّدونه.

بينما كان هناك بعضُ آباء الكنيسة الذين اعتبروا أنّه من الأفضل عدم ممارسة الجنس حتّى أثناء الزواج، تلخّصت النظرة المسيحية للزواج في القرون الوسطى في أنّ الزواج الحقيقيَّ قد ينطوي بالضرورة على ممارسة الجنس. وتميز معظم القوانين المتعارف عليها بين إبرام عقد الزواج وبين إتمام هذا الزواج عن طريق الاتصال الجنسي. حيث يمكن حل الزواج دون صعوبة طالما أنّ الزوجين لم يمارسا الجنس، ولكن إذا مارسا الجنس، فقد أصبح الزواج غير قابل للحلّ. وبالفعل كان لأول اتصال جنسي في إطار الزواج آثار قانونية وتداعيات لاهوتية خطيرة. هذا هو السبب في أنه كان من المعتاد في حفل الزفاف أن يُصطحب العروس والعريس إلى فراش الزوجية ويوضعا حرفيًّا في فراش الزوجية، وأن يبارك الكاهن السرير الذي يرقدون فيه. ومع ذلك، كان يُسمح للزوجين عادةً بإتمام الزواج على انفراد حتّى يتمكّن الزوج من مباشرة الزوجة بمجرد مغادرة الضيوف للغرفة.

وعلى الرغم من أنّ الكنيسة الكاثوليكية لم تصرّ على ترسيخ فكرة أنّ الجنس في إطار الزواج واجب من الواجبات المهمّة، فإنّها لا تزال تصرّ على أنّ القدرة على ممارسة الجنس المهبليّ مطلبًا من المطالب. وينصّ قانون الشريعة الكاثوليكي على أنه إذا افتقر الرجل والمرأة أحدهما أو كلاهما إلى القدرة على ممارسة الجنس عند إبرام عقد الزواج، يُلغى الزواج. وتمّ حلّ كثير من الزيجات من قبل الكنيسة على وجه التحديد بسبب اكتشاف الزوجة عُنة الزوج ومدى عجزه الجنسي. وكان البرازيلي حيدر أنطونيو دي بريتو ضحية تبعات غير معروفة لهذه اللائحة المقدّسة. فعندما تزوّج دي بريتو من إلزيمار سيرافيم في عام 1996، أرسل جميع دعوات الزفاف، لكن قبل أربعين يومًا من حفل الزفاف المخطّط له؛ أبلغته الكنيسة الكاثوليكية في مدينته بأنّها قد رفضت طلبه للزواج لأنّه

كان يجلس على كرسي متحرّك، ومن ثمّ، وَفقًا للكنيسة، لن يكون بمقدوره ممارسة الجماع. كما رفضت الكنيسة الكاثوليكية تزويج أشخاص معاقين للسبب نفسه.

لقد شعر الكثير من المسيحيين ببعض الضغوط الاجتماعية العامّة ليتزوّجوا، ولقد كانت هناك أوقات كان فيها عنصر الواجب أكثر هيمنة. فقد سعى أهل هرنهوت (أحد فروع الكنيسة المورافية) في القرن الثامن عشر إلى رمي التعويذات لاتخاذ قراراتهم بشأن الزواج، معتقدين أنّ يسوع المسيح قد يقرر من يجب أن يتزوج وبمن. واستمرت هذه العادة بين أهل هرنهوت الذين هاجروا إلى جزر الهند الغربية الدنماركية، على الرغم من أنه تقرر في النهاية أن هذه الممارسة يجب أن تنطبق فقط على الإرساليات التبشيرية؛ وتمّ إلغاؤها أخيرًا في عام 1836. وتتبنّى حركة كريستيان موني وجهة نظر مختلفة بقيادة القس سون ميونغ مونحيث حيث تنتشر بينهم فكرة أنّ ممارسة الجنس كواجب ترجع إلى القراءة التقليدية للسقوط. فقد كانت خطّة الله الأصلية هي أن يعكس يسوع المسيح السقوط عن طريق الزواج، وأن يكون نشطًا جنسيًّا مع جنس مغاير، ومن ثَمّ يخلق جيلًا جديدًا من الجنس البشري الذي سيكون بلا خطيئة. ولسوء الحظّ، صُلب يسوع المسيح قبل أن يحدث هذا، وقد أرسل الله الآن الكاهن المبجل مون بدلاً منه حتى يمكّنه أن يُنتج جيلًا جديدًا منه ومن نسله بلا خطيئة. وينظر أتباع الكاهن المبجل مون إلى الزواج على أنه واجب، وبفضل مباركة الكاهن، يمكن لهذه الزيجات أن تكون بلا خطيئة بشكل ملحوظ. وأثناء حفلات الزفاف الجماعية المنسّقة جيدًا، يقرّر الكاهن المبجّل مون نفسه مرارًا وتكرارًا من يتزوّج من، وعليه، يضمن التدخُّل الإلهيُّ الحقّ من بداية الزواج.

يشترك.واجبًا الأزواج بين والجنس الزواج اعتبار في المتمثّلة التقاليد في اليهودية مع الإسلام إِن وَإِمَائِكُمْ عِبَادِكُمْ مِنْ وَالصَّالِحِينَ مِنكُمْ الْأَيَامَىٰ وَأَنكِحُوا) :الكريم القرآن في - تعالى – الله يقول ،الرجل يتزوّج عندما (30 آية ،النور سورة) (.عَلِيمٌ وَاسِعٌ وَاللَّهُ فَضْلِهِ مِن اللَّهُ يُغْنِهِمُ فُقَرَاءَ يَكُونُوا ،الجنس ممارسة عن (زوجها امتناع) الامتناع من تشتكي زوجته كانت وإذا الجنس يمارس أن يجب على عاتقه واجب صريح في مباشرتها قبل مرور عام. ولا يجوز له الامتناع عن ممارسة يقع فإنه .الجنس معها لأكثر من أربعة أشهر بعد ذلك. وإذا واصل الامتناع، يجب عليه تطليقها

وفي الهندوسية، يعتبر الدور الأكثر أهمية للمرأة هو الزواج وممارسة الجنس مع زوجها وإنجاب الأطفال. على الرغم من أن الامتناع عن ممارسة الجنس يعتبر واجبًا على الفتيات الصغيرات والأرامل، إلا أن واجب النساء المتزوجات هو العكس تمامًا. وفي الواقع، الزواج هو السر المقدس للنساء في ديانة الفيدا، وبالتالي فإن النساء اللائي يمتنعن عن ممارسة الجنس والزواج ينتهكن أحد المفاهيم الجنسية الأصولية في الهندوسية.

وتقع واجبات مختلفة على عاتق الرجل الهندوسي اعتمادًا على مرحلة الحياة التي يبلغها. في سنّ الرابعة والعشرين، يعدُّ الرجل الهندوسي في المرحلة المثالية للدخول في الزواج وينبغي له أثناء هذه

المرحلة أن يجاهد من أجل المتعة الحسية والرفاه المادي. وعندما يتزوّج الرجل أول مرة، يكون هناك فهم واضح بأنّه يجب عليه ممارسة الجنس. وتنصّ قوانين مانو، على سبيل المثال، على أنّه يجب على الرجل أن يمارس الجنس مع زوجته عندما تكون خصبة ونشطة جنسيًّا ويجب أن يشبع رغباته معها دائمًا. فالرجل الذي لا يمارس الجنس مع زوجته في الوقت الذي من المحتمل أن تحمل فيه يصبح منبوذًا. إن الإنجاب ذو أهمية قصوى لأن إنجاب الابن يضمن فعليًّا للرجل مكانًا في الجنّة. وعلى الرغم من أنّ غالبية الهندوس حتّى اليوم لم يقرؤوا قوانين مانو، إلا أن مبدأ «واجب الرجل» في أن يكون نشطًا جنسيًّا وإنتاج ذرية من الذكور لا يزال مستمرًا. يُعدّ عدم التمكّن من إنجاب ابن يضيء محرقة الجثث لوالده عندما يحين وقت الوفاة من الكوارث العظيمة.

بينما يوجد الكثير من الأشخاص المقتنعين لأسباب دينية بأنه يجب علينا عمومًا الامتناع عن ممارسة الجنس، توجد - أيضًا - الكثير من المُثُل الدينية التي تصرّ على عكس ذلك - بأنه يجب علينا ممارسة الجنس. وإذا نظرنا إلي هذه المثل في ضوء ذلك، يُمكننا استخلاص أوجه الشبه مع الممارسات الأخرى التي يتطلبها الدين، مثل الصلاة، وتقديم القرابين أو اتباع الأشكال الصحيحة لطقوس العبور مثل المعمودية أو الدفن، وبالتالي نرى فجأة أن الجنس يتربع وسط الشعائر الدينية. وعندما يكون مطلب ممارسة الجنس مطلبًا مطلقًا، تصبح الصلوات والقرابين غير كافية. ويصبح الجنس واجبًا ضروريًا، كما اكتشف ذلك هيبوليتس وغيره بشكل مؤلم للغاية.

ولذلك تتعدد أسباب ممارسة الجنس. ويتمثل واجب البشرية تجاه الآلهة في الإنجاب باعتباره أحد الأسباب التي ظهرت مرارًا وتكرارًا في اليهودية والشينتوية والهندوسية وديانات أخرى. غالبًا ما يوجد عنصر جنسي واضح في مفهوم الواجب الجنسي: في الهندوسية التقليدية، على سبيل المثال، يصبح الجنس في إطار الزواج دون جدوى تذكر إذا كانت نتيجته إنجاب بنات فقط. وعلى النقيض الأول، يعد الامتناع عن ممارسة الجنس جريمة ضدّ الآلهة. وفي سياقات أخرى، يكون من واجبك أن تكون متاحًا جنسيًّا لزوجتك عندما تتزوّج في المرة الأولى- نجد هذا على سبيل المثال في اليهودية والمسيحية والإسلام. وقد تثير بعض هذه القواعد الدينية الكثير من مشاعر الخوف والذعر في نفوس الناس؛ ليس لأنك مطالب بالدخول في علاقة الزواج المغاير سواء كنت ترغب في ذلك أم لا، ولكن لأنك يجب أن تكون أيضًا متاحًا جنسيًّا لشريكتك وقتما تطلب ذلك وأن تكون الزوجة متاحة جنسيًا لشريكها وقتما يطلب ذلك.

من أجل الإنجاب فحسب

يعدُّ تعريف نوع معيّن من النشاط الجنسي على أنه «غير إنساني» إستراتيجية معروفة للسيطرة على الحياة الجنسية للأشخاص الآخرين. ومن المحتمل أن الكنيسة الكاثوليكية تتبنى أحد أكثر التعاريف تقييدًا لما يشكل الجنس البشري الصحيح: «تكون العلاقات الجنسية علاقات إنسانية عندما تعبر عن المساعدة المتبادلة بين الجنسين في الزواج وتعزز الانتقال إلى الحياة الجديدة».لذلك يتم

تعريف أي نوع من أنواع الجنس، بخلاف المغايرة الجنسية التي تخلو من استعمال وسائل منع الحمل أثناء الزواج، على أنه غير إنساني. وكما رأينا، غالبًا ما يرتبط التشجيع الديني على الجنس بالجنس ذاته في خدمة الإنجاب. ومع ذلك، فإن الكنيسة الكاثوليكية تقول شيئًا مختلفًا تمامًا: ليس هناك واجب لممارسة الجنس، ولكن إذا اضطرّ المرء إلى ممارسة الجنس، فإنه ينبغي أن يكون من النوع الذي يمكن أن يؤدّي إلى الإنجاب. حيث تقابل أنواع الجنس الأخرى بالاعتراض وتُنعت بالإثم واللاإنسانية بشكل أساسي. لكن هذا الإصرار الرسمي الذي يعود إلى عام 2003 ليس استثنائيًّا بأيّ حال من الأحوال؛ فهو يمثل تقليدًا طويلًا يعود إلى بدايات المسيحية ومع جذور ترجع إلى اليهودية، إن أمكن تتبعها. ومن الممكن أيضًا إيجاد أفكار مماثلة في الديانات الأخرى.

تقدم القصة التي تم سردها في سفر التكوين عن أونان، زوج تمار الثاني، مثالاً قاسيًا على ما يمكن أن يحدث عندما ينخرط الناس في ممارسة الجنس غير الإنجابي. فعندما توفي أخوه، استولى أونان على زوجة شقيقه التي تُسمى تمار كوسيلة لإنجاب ذرية لأخيه. وكان أي طفل ينجبه أونان مع تمار يُحتسب لشقيقه من الناحية القانونية. وبعد أن انطفأت رغبة أونان في إنجاب أطفال لمجرد خلق أحفاد لأخيه، كان «أونان» يسكب [نسله] على الأرض في كل مرة يجامع فيها زوجة أخيه. ولكن هذا «أغضب الرب» وعاقب الله أونان بقتله.

لم يستمر الرب في القضاء على الأشخاص الذين رفضوا الإنجاب ولكن هناك قواعد صارمة بشأن تحديد النسل في النصوص اليهودية الكنسية. حيث يُحظر عمومًا استخدام وسائل منع الحمل أو مقاطعة الجماع، على الرغم من أن المصادر اليهودية الأخرى تُظهر أن كلا الطريقتين كانتا منتشرتين على نطاق واسع بين اليهود حتى في العصور القديمة. ويسمح التلمود بشكل علني باستخدام وسائل منع الحمل عندما يتعلق الأمر بصحة المرأة. وفي هذه الأيام، يتم قبول وسائل منع الحمل بشكل عام من قبل غالبية اليهود، ولكنه لا يزال قبولًا غير مطلق. حيث يقبل كثير من الحاخامات استخدام حبوب منع الحمل في إطار الزواج ولكن فقط بعد أن يكون للزوجين طفلان على الأقل. لا يزال الأرثوذكسيون المتطرفون يلتزمون بالمبادئ القديمة ويعدُّون هدر البذور وسكب النسل غير مقبول. ومن المفهوم بما يكفي أن حجم العائلات الأرثوذكسية المتطرفة يعكس هذا الاتجاه.

للتعاليم المسيحية الحديثة حول وسائل منع الحمل تاريخٌ مستقلّ عن اليهودية. فعلى الرغم من أنّ الزواج في حدّ ذاته يمثّل «اتحاد محبّة» يسود فيه حكم أحد الطرفين وعلى الآخر واجب الطاعة، إلا أنّ أوغسطين يخبرنا أنّ الأطفال هم «الثمار الفاضلة» الوحيدة للحياة الجنسية الزوجية. إذا كان الزوجان يمارسان الجنس ويستبعدان إمكانية الإنجاب، فإنّ الآب والكنيسة يجدان صعوبة في «تسمية هذا الزواج». إذ إن ممارسة الجنس في إطار الزواج مع محاولة تجنّب الإنجاب تعادل في نظرهم الزنا في إطار الزواج.

يظهر تأكيد الجانب التناسلي للجنس في المسيحية المبكّرة مرة أخرى مدى تركيز المسيحية على الجوانب المادية لهذا العالم. فكلّما زاد عدد المولودين، تواجد الكثيرون لتحقيق الخلود. وقد عُرف أوغسطين أيضًا بالرأي المعاكس، بعد أن كان من المنانيين Manichean في شبابه. ووفقًا للمناوية، إذا كنت تنتوي ممارسة الجنس، فلزامًا أن يكون ذلك الجنس في إطار المغايرة الجنسية، ولكن يفضل أن يكون ذلك أثناء فترات العقم عند المرأة لمنع روح أخرى من «التشابك في الجسد».

استمرّ التقليد الكلاسيكي في توجيه أشكال التعرّض المحتملة للأطفال غير المرغوب فيهم إبّان المدة المسيحية ولم يحظر أيّ من الأباطرة المسيحيين الأوائل هذه الممارسة كشكل أكثر تطرُّفا لتحديد النسل. ولكنّ الكنيسة بدأت تدريجيًّا في إدانة تعرّض الرضع لوسائل تحديد النسل بقوة أكبر. في مرسوم صدر عام 1230، أعلن البابا جريجوري التاسع أنّ «من يفعل السحر أو يُعطِ جَرعات تسبّب العقم، فهو قاتل متعمد». في عام 1588 كرّر سيكتوس الخامس القول بأنّ وسائل منع الحمل والإجهاض كانتا جريمة قتل عن عمد، لكن في عام 1591 قام جريجوري الرابع عشر بتمييز واضح بين الإجهاض وبين وسائل منع الحمل وقرر أنّ هذه الأخيرة (وسائل منع الحمل) كانت جريمة أقلّ خطورة.

كررت الكنيسة الكاثوليكية معارضتها لتحديد النسل مرة تلو الأخرى. وأكّد البابا بيوس الحادي عشر أنّ أيَّ شخص يحاول ممارسة الجنس في إطار الزواج بطريقة تمنع بشكل متعمّد حدوث الحمل يعتبر مذنبًا بارتكاب «خطيئة جسيمة» وكأنّما ينتهك كلًّا من قانون الله و»قانون الطبيعة الكاثوليكي» - مجموعة من قواعد السلوك العقائدية لا علاقة لها بأفكار نيوتن أو أي نوع آخر من العلوم الطبيعية الأولية. ومع ذلك اتخذ البابا بيوس الثاني عشر في عام 1951 خطوة راديكالية إلى الأمام عندما سمح للأزواج بمحاولة الحدّ من عدد الأطفال انطلاقًا من تقييد نشاطهم الجنسي على فترات آمنة - «فترات العقم الطبيعي». وبشكل مفاجئ، حصل جميع الأزواج الكاثوليك المتزوّجين على تصريح لممارسة الجنس المهبلي لأجل ممارسة الجنس فحسب. ولم يؤدّ ذلك إلى مزيد من التحرّر وفي الوقت نفسه اشتكى كثيرٌ من الأزواج الكاثوليك علنًا من أن مدة الأمان أفسدت حياتهم الجنسية وقطعت الرابط بين الحبّ والجنس.

أحدثت وسائل منع الحمل ذات الإنتاج الكمّي الهائل والضخم والرخيص، وفوق كلّ ذلك حبوب منع الحمل، فصلاً أكثر وضوحًا بين الجنس والإنجاب. وحقيقة أنّه قد أصبح الآن أسهل بكثير بالنسبة للأشخاص أن يمارسوا الجنس دون الحاجة إلى القلق بشأن الحمل زادت مستوى المقاومة النشطة للمراسم الدينية التي حاولت الحدّ من ممارسة الجنس عامّة. وأصبحت التحدّيات التي تواجه السلطات الدينية إذا كان عليها تجنّب الدخول في مسار تصادمي مع أتباعها كبيرة وجديرة بالدراسة.

في وقت انعقاد مجلس الفاتيكان الثاني في بداية الستينيات، كانت هناك علامات تدل على أن الكنيسة الكاثوليكية على استعداد للسماح باستعمال وسائل منع الحمل. حيث أعرب البابا يوحنا الثالث

والعشرون على سبيل المثال، عن قلقه المتزايد إزاء الانفجار السكاني، وقبل وفاته مباشرة بمرض السرطان في عام 1963، قام بتعيين لجنة تكونت من ستة أشخاص لدراسة قضية وسائل منع الحمل. وحقيقة أن هذه القضية طرحت للمناقشة كانت بمثابة إشارة قوية إلى أنّ البابا يوحنا يرغب في تغيير الموقف الكاثوليكي رسميًا. وفي هذه الأثناء صرح الأسقف الهولندي الشهير ويليم بيكرز من هيرتوجنبوش أنّ وسائل منع الحمل أمرًا من الأمور التي يقرّرها الزوجان بأنفسهم. وتمّ منح الراهبات الكاثوليك في الكونغو-ليوبولدفيل، حيثما كانت هناك حرب أهلية مستعرة، الإذن لاستخدام وسائل منع الحمل إذا تعرضن لخطر التعرّض للاغتصاب. وعندما عارض البابا بولس السادس، خليفة يوحنا، كلّ أشكال منع الحمل والتعقيم في رسالته المنشورة عام 1968 «السيرة الذاتية»، اندلعت الاحتجاجات الضخمة التي نظّمها كثير من أصحاب العقائد. وسجّل كثير من اللاهوتيين الكاثوليك اعتراضهم. وامتلأت صفحات الجرائد في جميع أنحاء العالم بآلاف الرسائل الاحتجاجية من الكاثوليك. وانخفض عدد الحضور في الكنيسة وقلت التبرعات النقدية بشكل كبير في السنوات الأولى بعد صدور كتاب «السيرة الذاتية». وفي عام 1969 وحده، انخفض عدد الحضور في الكنيسة بمقدار الثلث. وبدأت السلطة الأخلاقية لجزء كبير من قيادة الكنيسة تتلاشى وأصبحت في مهب الريح عندما تحرّكت ضدَّ رغبات أتباعها بشكل واضح. ولم يستمر الانخفاض بالوتيرة نفسها ولكن العلاقة بين القطيع والراعي لم تعد كما كانت مرة أخرى. وفي عام 1999، على سبيل المثال، اعتقد 10% فقط من الكاثوليك في الولايات المتحدة الأمريكية أنّ الكنيسة لها السلطة الوحيدة والمطلقة لتصدر حكمها بشأن ما هو أخلاقي فيما يتعلق بتحديد النسل.

لم يتغير موقف الفاتيكان منذ سنوات. وفي عام 1993، عرّف البابا يوحنا بولس إحدى عشرة وسيلة من وسائل منع الحمل بأنها «شرٌّ دفينٌ» تحت أيّ ظرف من الظروف. وأيّد البابا بنديكت الحظر المفروض عليها في أكتوبر 2008. ويقدّم موقف الكنيسة الكاثوليكية تجاه الجنس والإنجاب مثالاً جيدًا حول كيفية اختلاف مواقف الزعماء الدينيين بشكل كبير في كثير من الأحيان عن مواقف أتباعهم. في حين أن الفاتيكان لا تزال تدين استخدام جميع وسائل منع الحمل، بينما تبدو وجهة النظر الأبعد من التسلسل الهرمي مختلفة تمامًا. ما زال الفاتيكان يعتقد أن ممارسة الجنس مع موانع الحمل ليست عملاً إنسانيًا ،ولكن 73% من الكاثوليك الأمريكيين في عام 1993 قالوا أنه من الممكن استخدام وسائل منع الحمل دون أن ينقص ذلك من كاثوليكية الفرد. وتكشف إحصاءات استخدام وسائل منع الحمل في مجموعة كبيرة من الدول الكاثوليكية في المقام الأول عن قلة التأييد والدعم الذي تحظى به مواقف الفاتيكان الرسمية بين المؤمنين. فقد بلغت النسب المئوية لاستخدام وسائل منع الحمل بين النشطين جنسيًا في منتصف التسعينيات على النحو التالي: البرازيل 76.7%، بوليفيا 72.2%، بيرو 64.2%، الفلبين 48.3% وجواتيمالا 31.4%. يجب أيضًا فحص هذه الأرقام في ضوء عوامل أخرى، مثل معرفة وسائل منع الحمل وإمكانية الوصول إلى وسائل منع الحمل ذات الأسعار المعقولة.

شهدت التجمعات الكنسية الأخرى تغييرات كبيرة على مدار القرن الماضي. فقد قبلت الكنيسة الإنجليكانية استعمال وسائل منع الحمل في إطار الزواج في عام 1930، على الرغم من أن الامتناع عن ممارسة الجنس اعتبر الأفضل حتّى في هذه الحالة. وأثناء الخمسينيات من القرن الماضي، قرّرت الكنائس اللوثرية الأكثر أهمّية أن وسائل منع الحمل في إطار الزواج مقبولة، وأكّدت في الوقت نفسه أن الإنجاب لم يكن هو الغرض الوحيد من الجنس- وقد لعب الحبّ والرضا البدني دورًا مهمًّا. وتسمح غالبية التجمّعات الكنسية البروتستانتية الآن باستعمال وسائل منع الحمل، رغم أنه لا تزال هناك معارضة كبيرة بين المسيحيين المحافظين لوسائل منع الحمل المتاحة لغير المتزوجين. ويبدو أن المقاومة الدينية لوسائل منع الحمل في الوقت الحاضر تمثل معارضة لممارسة الجنس قبل الزواج وخارج إطار الزواج أكثر من الجنس غير الإنجابي. ويظهر ذلك بشكل خاص في المعارضة الكبيرة لاستخدام الواقي الذكري لوقف مرض الإيدز الوبائي. فأولئك الذين يلتزمون بشكل صارم بالمثل المسيحية للأزواج والزوجات المخلصين جنسيًا الذين لم ينغمسوا في ممارسة الجنس قبل الزواج هم، بطبيعة الحال، أقل عرضة لخطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز). ومن خلال معارضة منهجية لتوزيع الواقيات الذكرية التي يمكن أن تحدث فرقًا بين الحياة والموت لأشخاص يمارسون الجنس خارج نطاق الزواج المغاير، يتبدد أمل كثير من المسيحيين في أن يحولوا هؤلاء الأشخاص إلى مُثُلهم الجنسية المسيحية الخاصة بهم، حيث إنه لا يوجد سبب آخر سوى البديل الذي يتمثل في الموت بسبب الإيدز.

يمكن أن تؤديَ مقاومة استعمال وسائل منع الحمل في الأوساط المسيحية إلى بعض العواقب الغريبة. حيث يشعر بعض البروتستانت الشباب غير المتزوّجين بالقلق حيال استخدام وسائل منع الحمل لأنهم يشعرون أنها قد تمنحهم مبرَّرا «للوقوع في الخطيئة» و»العيش في الخطيئة». ويبدو أنّ استخدام وسائل منع الحمل يضفي الشرعية على ممارسة الحياة الجنسية، في حين أنّ ممارسة الجنس دون وسائل منع الحمل لا تكون متعمدة بالطريقة نفسها. وتتحدث امرأة شابة غير متزوجة، على سبيل المثال، عن حبوب منع الحمل وتصفها بأنها أسوأ من الواقي الذكري لأن تناولها سيجعلها مسئولة بشكل فعال عما تفكر فيه بشأن «حياتها الجنسية المليئة بالخطايا».ولكن هذا ليس هو المنظور الوحيد الذي قد يكون لدى المحافظين المسيحيين بشأن تحديد النسل. حيث يقترح حزب الشعب النرويجي المسيحي المحافظ اجتماعيًا استعمال وسائل منع الحمل المجانية للشباب من أجل تقليل حالات الإجهاض، حيث إنهم يعدُّون الإجهاض شرًّا أكبر من ممارسة الجنس قبل الزواج.

كانت علاقة الإسلام مع وسائل منع الحمل علاقة بسيطة بشكل ملحوظ منذ البداية لأنّه، كما يشير النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم)، فإنّ الله هو القدير بحيث لا يستطيع أيّ عمل إنساني تغيير قراره بشأن من سيُنشأ في رحم أمه ويولد. وبالتالي، فإن النبي لم يرَ مقاطعة الجماع والامتناع عنه كمشكلة.

بدأ الفقهاء الإسلاميون في مناقشة استخدام وسائل منع الحمل المختلفة منذ القرن التاسع. ويدعم غالبية القادة المسلمين اليوم الحق في تحديد النسل. وقد كشفت الدراسات الاستقصائية أن حوالي نصف الأشخاص النشطين جنسيًا في بنجلاديش، وإندونيسيا، ومصر والأردن يستخدمون وسائل منع الحمل، وبحلول نهاية التسعينيات بلغت النسب 20.8% و11.8% في اليمن وباكستان على التوالي.

وعلى الرغم من قناعة النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم) بأنه لا يمكن للإنسان أن يفعل شيئًا لتغيير خطّة الله حول من سيصوّره في الأرحام، إلا أنّ هناك كثيرًا من المسلمين اليوم الذين يعارضون وسائل منع الحمل. حيث يجادل بعض المسلمين بأنه لا يمكن استخدام وسائل منع الحمل إلا في ظروف معيّنة، كما في حالة عدم رغبة الزوجين في إنجاب أطفال لأنهم ما زالوا في التعليم أو عندما تكون هناك فرصة لولادة طفل معاق. وأدان مجلس العلماء في المملكة العربية السعودية، وهو أعلى سلطة دينية في البلاد، مؤتمر الأمم المتحدة للسكّان والتنمية لعام 1994 في القاهرة إذ إنّه «اعتداء شرس على المجتمع الإسلامي» وطلب من المسلمين عدم الحضور. لقد تقدمت الغالبية العظمى من الدول الإسلامية على أي حال وشاركت في المؤتمر، على الرغم من أن السودان والعراق ولبنان (التي نصف شعبها من المسيحيين) تخلّفوا عن الحضور وقاطعوا المؤتمر. ونظرًا لأنّ الإسلام قد تبنّى نظرة هادئة تجاه منع الحمل منذ البداية، فمن الواضح جدًّا أن ما يحرك الاعتراضات لدى المسلمين في الأساس هو الرغبة في تثبيط ممارسة الجنس خارج حدود الزواج المغاير بين جنسين مختلفين.

تسبّب تحديد النسل في مشكلة للهندوسية منذ البداية بسبب التركيز التقليدي على الأهمية الكبيرة للجنس الإنجابي. ولكن حتى في كتابات الأيورفيدا السابقة في القرون السابقة للمسيح، يوجد عدد من الوصايا حول استعمال وسائل منع الحمل والإجهاض. وتكررت النصائح المماثلة في النصوص الهندوسية في القرون الأخيرة. حيث تمّ استبدال وسائل منع الحمل التقليدية هذه إلى حد كبير بطرق أحدث وأكثر أمانًا، لكن الإحصائيات منذ بداية التسعينيات تبين أن ما يزيد قليلاً عن 40% فقط من النشطين جنسيًاً في الهند (والتي ستكون الغالبية العظمى منهم هندوس) يستخدمون وسائل منع الحمل. وربما يرجع تفسير هذه النسبة المنخفضة إلى الفقر المدقع الذي يقبع ويعيش فيه قطاع كبير من السكان الهنود، مما يعني أنهم لا يستطيعون شراء وسائل منع الحمل. وهناك عوامل إضافية أخرى

تولي الهندوسية أهمية كبيرة لإنجاب الأبناء الذكور، وسيُعتبر استخدام وسائل منع الحمل من المشكلات الكبيرة بالنسبة للزوجين ما لم يكن لديهم أبناء ذكور بالفعل. حيث يعتبر الإجهاض الانتقائي للأجنة الأنثوية من قبل أولئك الذين يطيقون فعل ذلك، والقتل واسع النطاق والممنهج للرضع في بعض المناطق الأكثر فقرًا من النتائج الأخرى للتركيز على إنجاب ذكر.

لقد عارض عدد من القوميين الهندوس تحديد النسل في المقام الأول لأنهم يخشون انخفاض نسبة الهندوس بين الهنود. ولتدعيم قضيّتهم، ادّعى كثير من النشطاء الهندوس منذ سبعينيات القرن الماضي أنّ المسلمين يعارضون تحديد النسل وأنّ الإحصاءات تشير إلى أنّ معدّل المواليد بين المسلمين الهنود أعلى بعض الشيء من الهندوس. وفي حركة العصر الجديد هير كريشنا Hare Krishna، هناك مقاومة دينية أكثر وضوحًا لتحديد النسل. حيث لا تسمح تلك الحركة، التي يعدُّها الكثير من الهندوس شكلًا محافظًا للغاية للهندوسية، بالجنس إلا أثناء الزواج عندما تكون هناك إمكانية للإنجاب.

تؤكّد نصوص بالي البوذية من القرون الأولى قبل العصر المسيحي أنّ وسائل منع الحمل مقبولة طالما لم تتسبّب في موت أو ضياع أيّ شيء حيّ. وأظهرت دراسة استقصائية في سريلانكا في تسعينيات القرن الماضي أن الرهبان المتعلّمين لم يجدوا أيَّ تناقض بين البوذية وتحديد النسل ولم يروا أنّ المسألة مهمّة بشكل خاصّ من منظور ديني. أمّا الكهنة الأقل تعليمًا في المناطق الريفية، فيعتقدون أن تحديد النسل يتعارض مع البوذية لأنّ منع حدوث شيء من أن يُولد يعد بمنزلة قتل له. حتى هذه الأخيرة، لم تكن الجماعة الأكثر سلبية تعتبر وسائل منع الحمل مشكلة دينية خطيرة. حيث تضاعف استخدام وسائل منع الحمل في تايلاند عدة مرات خلال العقود الماضية، وشجّع البوذيون في شمال البلاد بنشاط على استخدام وسائل منع الحمل قبل الزواج، على الرغم من أن ممارسة الجنس قبل الزواج لا تلقى تأييد البوذيين.

يبدو واضحًا إلى حدّ ما أنّ الحصول على وسائل منع الحمل يؤدّي عمومًا إلى ممارسة المزيد من الجنس، كما يتّضح من الدور الذي تلعبه حبوب منع الحمل في الثورة الجنسية. وبطبيعة الحال، فإنّ وسائل منع الحمل تقلّل من خطر حدوث الحمل الناتج عن ممارسة الجنس العرضي أكثر من منع حياة جديدة من النشوء؛ ويبدو هذا الأمر أكثر ازعاجًا لكثير من المعارضين لمنع الحمل. وحقيقة أنّ هناك جماعاتٍ من المسلمين تعارض وسائل منع الحمل، على الرغم من أنّ وسائل منع الحمل لا تمثّل مشكلة للإسلام من الناحية التقليدية، تشير إلى الاتجاه نفسه. حيث إنّ المسألة تتعلّق بأن وسائل منع الحمل تقلّل من القيود المفروضة على ممارسة الجنس من النوع الذي يتمّ رفضُه. ويبدو أنّ هذا هو الحال مع الكنيسة الكاثوليكية. منذ عام 1951، عندما أوصت الكنيسة بممارسة الجنس أثناء فترات آمنة للمرأة، اعترفت الكنيسة باحتمال ممارسة الأزواج للجنس لأجل الجنس فحسب. كما تعارض كثير من الجماعات الدينية المحافظة استخدام وسائل منع الحمل كوسيلة لمنع انتشار مرض الإيدز. أما الأكاذيب المتكررة بأن الواقي الذكري لا يمنع انتقال فيروس نقص المناعة البشرية فتعطينا سببًا وجيهًا للشكّ في أن كثيرًا من المحافظين المتدينين يعدُّون حربهم على ممارسة الجنس خارج إطار الزواج أكثر أهمية من مكافحة كارثة الإيدز.

عددُ الأزواج أو الزوجات

في عام 1524، صرح مارتن لوثر بأنه لا يستطيع من حيث المبدأ منع رجل يتزوّج من عدة زوجات لأنه لم يُذكر شيء في الكتاب المقدّس يمنع ذلك. في رسالة كتبها في عام 1540 إلى لاندجراف فيليب هيسه (رائد الإصلاح البروتستانتي)، أحد أهمّ أنصاره، أقرّ لوثر صراحةً بحقّ لاندجراف في الزواج من الزوجة الثانية. ومع ذلك لم يتخذ لوثر خطوات إضافية بشأن مفهوم تعدد الزوجات في المسيحية، وهكذا لم يصبح تعدد الزوجات جزءًا من الممارسة العامة للوثرية. وربّما كان أهم درس يمكن أن نتعلّمه من حالة فيليب هيس هو أنّ لوثر كان يعتقد أنّ هناك فرقًا جوهريًا بين الناس عامّة والحاكم القوي، الداعم بشكل خاصّ. فلو كان هناك رجال أقوياء آخرون قد حذوا حذو فيليب واتخذوه قدوة، لكانت هذه المرحلة الغريبة من وقت الإصلاح ربّما أدّت إلى قبول مبدأ تعدّد الزوجات في بعض الأوساط البروتستانتية. ومع ذلك، فقد بات دفاع لوثر التوراتي عن تعدّد الزوجات منسيًّا اليوم إلى حد كبير، على الرغم من أنّ حجّته تثبت أنه لا يوجد شيء واضح من الناحية الدينية عن الزواج من زوجة واحدة فقط.

يبقى عدد الشركاء المسموح بهم واحد رغم كثير من الاختلافات في العقاب الديني على المغايرة الجنسية. ولم يكن الزواج الأحادي هو الزواج الأسمى من منظور تاريخي. وفي الواقع تعدُّ المسيحية الديانة العالمية الوحيدة التي يبدو أنّها اتخذت موقفًا لصالح الزواج الأحادي في اللحظة التي طُرح فيها السؤال، على الرغم أنه من المهمّ أن نأخذ في الاعتبار أن يسوع المسيح وبولس لم يتناولا مناقشة مسألة تعدّد الزوجات أو منعها. وقد يكون عدم اهتمامهم مرتبطًا بحقيقة أنّ القانون الروماني لم يكن يسمح إلا بالجمع بين أكثر من زوجة في الوقت نفسه، وأن هذا كان أيضًا بمثابة القاعدة الطبيعية في اليهودية الفلسطينية المعاصرة. لذلك ربما كانت المسيحية تقبل ببساطة الزواج الأحادي كقاعدة دينية لأنها كانت القاعدة في المجتمع الذي نشأ فيه الدين.

على الرغم من ذلك لم يخلو الزواج الأحادي من المشكلات بالنسبة للمسيحيين، حتى إن آباء الكنيسة الأوائل أدركوا، كما فعل لوثر لاحقًا، أنّ الكتاب المقدّس قدّم لهم تحدِّيًا في هذا الشأن. كيف يمكننا أن نتّفق مع مطلب الكنيسة من الزواج الأحادي مع حقيقة أنّ الكثير من الرجال الملتزمين بنماذج من الكتاب المقدّس كان لهم عدد من الزوجات؟ لقد حاول أوغسطين أن يدافع عن تعدّد الزوجات لدى آباء البطاركة بحجّة أنّهم فعلوا ذلك لمجرّد الرغبة في الإنجاب وأنه لا علاقة للرغبة الجنسية بذلك. وفي ذلك الوقت، واصل أوغسطين موضِّحا أنه لم تكن هناك قوانين أو أعراف تنصّ على صحّة أو خطأ تعدّد الزوجات. وكانت حجّته جيدة كدفاع عن تعدّد الزوجات في العهد القديم، ولكنّ هذه الحجّة جعلت من الصعب عليه القول بضرورة اكتفاء الرجال في عصره بزوجة واحدة لكلّ منهم.

في الكتاب المقدّس، الذي يعدّ نقطة البداية لكلّ من اليهودية والمسيحية، لا تتاح للمرأة أبدًا إمكانية تعدّد الأزواج. وهذا، بطبيعة الحال، يرتبط بمبدأ الملكية الذي يعكسه الزواج في العهد القديم؛ فالمرأة ملكًا لرجل واحد في وقت واحد من حيث المبدأ. إن انتماء امرأة واحدة إلى كثير من الرجال في الوقت نفسه يمكن أن يؤدّي إلى عدد من المشكلات التي يستعصي حلّها. فلو كان للمرأة عدة أزواج، على سبيل المثال، فأيّ منهم يجب عليها طاعته؟ وفي تلك الأيام وقبل مدة طويلة من استحداث اختبار الحمض النووي، كيف يمكن لأي امرأة التأكد من والد طفلها الذي كانت ستجلبه إلى العالم؟

كما أشار كل من لوثر وأوغسطين، كان تعدّد الزوجات في اليهودية قانونيًّا في الأصل. ولا يروي الكتاب المقدّس العبري أنّ البطاركة وملوك بني إسرائيل كان لهم في كثير من الأحيان عدد من الزوجات فحسب، ولكنه يورد أيضًا قواعد حول كيفية تصنيف الرجل لزوجاته. حتى لو لم يعد يحب زوجته الأولى، فإنه لا يستطيع أن يهضم حقوق ابنها كأول مولود. ويمكن للملك، نظرًا لثرائه، أن يأخذ عددًا من الزوجات كما يريد، لكن يُنصح بعدم وجود عدد كبير من الزوجات، و«ألا يُضاعف الزوجات لنفسه». كما أنّ العدد الذي لا ينبغي أن «يضاعفه» غير معرّف بشكل دقيق.

تطوّرت التقاليد داخل اليهودية الحاخامية؛ فأحدها يؤيّد تعدّد الزوجات والآخر يعارضه بشدة؛ أحدها في التلمود البابلي، والآخر في التلمود الفلسطيني. وقد تأثر هذا التمييز تأثرًا واضحًا بقبول تعدد الزوجات في المجتمع الفارسي على العكس من حظر تعدّد الزوجات بين الرومان والإغريق والمسيحيين. وللسبب نفسه، كان من السهل لمفهوم تعدّد الزوجات أن يبقى ويترعرع في الشرق، فقد سيطر على الشرق الأوسط مسلمون عدّدوا الزوجات؛ وحتّى يومنا هذا يحتفظ بعض اليهود في بعض الدول الإسلامية بتقاليد تعدّد الزوجات.

يصرّ الإسلام، مثل اليهودية والمسيحية على أنّه لا يجوز للمرأة تعدّد الأزواج، في حين أنه يجوز للرجال المسلمين الزواج بأربع زوجات. كان للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، الذي كان يتمتع بمكانة خاصة كنبي، أربع عشرة زوجة أو خمس عشرة زوجة. وكان لدى الرجال المسلمين الآخرين في بعض الأحيان زوجات كثيرات، لكن من الصعب الدفاع عن ذلك على أساس الدين، فقد يؤدّي ذلك إلى التعرّض لعقوبات. فقد تلقّى الرجل النيجيري الذي ظهر في وسائل الإعلام في عام 2008 وهو يتحدّث عن زوجاته الستّ وثمانين زوجة أمرًا على وجه السرعة من قبل سلطاته الإسلامية الوطنية بتطليق اثنتين وثمانين منهن وإلا، فقد يتعرّض لخطر إدانة المحكمة الشرعية في الولاية الفيدرالية التي يعيش فيها. ولأنّه ينبغي للرجال رعاية المحتاجين – على سبيل المثال الأبناء اليتامى الذين يكونون في أمس الحاجة إلى الأبوَين - فيحثّهم القرآن الكريم على الزواج من الأرامل المعيلات لأطفال، حتّى من «اثنين وثلاثة وأربعة أرامل». وإذا كان الرجل متزوَّجا من عدة زوجات، فإنّ الإسلام يوضّح تمامًا أنّه ملزم بواجب معاملتهن جميعًا بالعدل، بما في ذلك النساء اللائي ربما يكن قد تزوّجنه من أجل حماية أطفالهنّ اليتامى. ولمّا كان القرآن الكريم يطالب - أيضًا

- بأن يمتلك الرجل الحدّ الأدنى من المعايير الاقتصادية قبل الزواج، فمن الواضح أنه يجب أن يمتلك الرجل أموال كافية إلى حدّ ما إذا كان يريد الارتباط بأكثر من زوجة واحدة في وقت واحد.

لم يضع الإسلام في الأصل حدًّا سواء على عدد المحظيات التي يمكن للرجل التمتّع بهنّ، أو على السلوك الجنسي للرجل مع النساء العبيد. حيث كانت هناك فترات اتخذ فيها الأعضاء الأكثر ثراءً في المجتمعات الإسلامية محظيات على نطاق واسع جدًّا. وفي القرن التاسع، على سبيل المثال، كان الخليفة المتوكل، كما يُفترض، مشهورًا بأن له 4000 محظية، تشاركن جميعًا سريره. وبالنظر إلى هذا العدد الهائل من المحظيات، فإنه ليس من المستغرب أن تصور ألف ليلة وليلة عدد حريم المتوكل. لكن من المحتمل أن الحرملك قد ظهر بشكل بارز في الأوهام والخيالات الغربية عن الشرق أكثر مما ظهر في النظام الاجتماعي التاريخي للحياة الإسلامية. فلم يكن هدف الحرملك جمع أكبر عدد ممكن من الزوجات والمحظيات، بل عزل النساء في الأسر الأكثر ثراءً، ومن بين أشياء أخرى، منعهن من الاتصال بالرجال من خارج العائلة. فكان الحرملك المكان الحرام - المحظور على الرجال، وبالتأكيد لم يكن المكان الذي يتم فيه جلب الضيوف الذكور. وكان كثير من النساء اللائي انتهى بهنّ المطاف إلى الحرملك من الإماء، لكن ربّما كان ينتهي بهنّ الأمر أيضًا كزوجات أو محظيّات للرجال في العائلة ذاتها. وفي نهاية القرن التاسع عشر، ضمّ الحرملك الإمبراطوري العثماني في القسطنطينية ما بين 400 و500 من النساء العبيد، والكثيرات منهنّ كنّ من مناطق شمال القوقاز. ولم يكن الحرملك بالضرورة نهاية الطريق أمامهن جميعًا، ولكنّ كثيرًا من النساء تركن الحرملك انطلاقًا من الزواج من مسؤولين حكوميين أقوياء النفوذ.

يختلف قبول تعدّد الزوجات اليوم من بلد مسلم إلى آخر حتّى في البلدان التي يُسمح فيها بوضع قيود مختلفة على تعدّد الزوجات. وفي الإسلام السنّي، على سبيل المثال، لا يحتاج الرجل تقليديًّا إلى موافقة زوجته الحالية أو زوجاته قبل أن يتزوّج من زوجة جديدة، بينما يحتاجها في الإسلام الشيعي. وفي إيران تم في عام 2008 اقتراح إجراء تغيير قانونيّ لتمكين الرجل من الزواج من زوجة ثانية دون موافقة زوجته الأولى. وقد انتقد آية الله هذا الأمر على أنه «حرام، وخطيئة، وجريمة دينية مخالفة لمفهوم العدالة المنصوص عليه في القرآن». ورفض البرلمان في وقت لاحق هذا الاقتراح.

يحدّد الكاما سوترا Kamasutra، الكتاب المكتوب في القرن الثاني الميلادي وربّما كان النصّ الهندوسي الأكثر أهمّية بشأن الجنس والحبّ، القواعد المتعلّقة بشأن توقيت زواج الرجل من زوجة أخرى؛ إذا كانت زوجته الأولى باردة جنسيًّا أو منحلّة أخلاقيًّا أو غير محظوظة في الحبّ، وإذا لم تستطع أن تنجب له أطفالًا، أو كانت تلد بنات فحسب. على أيّ حال من الأحوال فإنّ مجموعة الأسباب الكاملة هذه غير ضرورية طالما أنّ الزوج لا يحبّ زوجته الحالية، إذ إنّ هذا يُعدّ سببًا كافيًا في حدّ ذاته. وقد بقي احتمال تعدّد الزوجات - أيضًا - في الديانات الهندية الأخرى. ومن بين أتباع الجاينية Jains، تعتبر إمكانية الزواج من زوجة ثانية واحدة من القضايا التي تميّز أهمّ فرعين من فروع الإيمان؛ في حين أنّ الفرع الرئيس للجاينية وهو السفيتامبارس Svetambara الذي يسمح

بالزواج من زوجة جديدة إذا كانت الأولى عقيم، فإنّ الفرع الثاني من الجاينية وهو ديجامبارا Digambara يحظر ذلك. حتّى في القرن التاسع عشر، كان يُمكن للرجل البارسيّ Parsee - عضوًا في مجتمع الزرادشتية في الهند - أن يتزوّج زوجة جديدة إذا لم تتمكّن الأولى من أن تنجب له أطفالًا. كما يوجد تعدّد الزوجات - أيضًا - بين الطبقة العليا في السيخية.

ومع ذلك، لم يعد تعدّد الزوجات موجودًا في الهندوسية. حيث ترتبط الحقوق الزوجية في الهند المعاصرة بديانة الفرد. فيحظر قانون الزواج المشترك بين الهندوس والبوذيين وأتباع الجاينية والسيخ تعدّد الزوجات، كما تحظر قوانين الزواج الخاصّة بالبارسيين والمسيحيين تعدّد الزوجات. ويشير قانون الأحوال الشخصية الهندي للمسلمين، من ناحية أخرى، إلى الشريعة، ممّا يعني أنّه وَفقًا للشريعة الإسلامية التي مصدرها القرآن الكريم، فإنّ الرجل المسلم قد يتزوّج بأربع زوجات.

وعلى الرغم من موقفها المتناقض نوعًا ما من المغايرة الجنسية، فإن تعدّد الزوجات ليس معروفًا في البوذية. وقد قبل بادما سامبهافا، مؤسّس البوذية التبتية، بكل سرور وسعادة زوجة أهداه إياها الملك التبتي على الرغم من أنه كان متزوجًا بالفعل بزوجة رئيسة واحدة على الأقلّ. وكان للملك جيغمي سينغي ملك بوتان، الذي تخلّى عن العرش في عام 2006، أربع زوجات. وفي أقصى الشرق، في الطاوية الصينية، كان من الممكن - أيضًا - أن يتزوّج الرجل من عدّة زوجات.

لقد كان من غير الشائع من الناحية التاريخية أن يسمح دين من الأديان للمرأة بأن يكون لها عدة أزواج، على الرغم من أنّ البوذية التبتية تسمح من الناحية التقليدية للمرأة بتعدّد الأزواج أو أن تكون زوجة لعدّة رجال في وقت واحد. والإجراء المعتاد في مثل هذه الحالة هو أن تتزوّج المرأة من عدة أشقاء في الوقت نفسه، وهذا يعني دحض الشكوك التي تتعلّق بنسب أطفالها إلى عائلة الزوج.

كان تعدّد الزوجات إجراءً شائعًا في مجموعة كبيرة من الديانات الإفريقية التقليدية على الرغم من تباين أهمّيتها الدينية. لقد تبنّى الراستافاريون Rastafarians في جامايكا وأماكن أخرى فكرة تعدّد الزوجات على أساس أنّها جزء مهمٌّ من الثقافة الإفريقية الأصلية ومن ثَمّ يجب الاستمرار فيه. على الرغم من أنّ الإرساليات التبشيرية المسيحية والسلطات الاستعمارية عملوا بشكل منهجيّ ضدَّ تعدد الزوجات في البلدان الإفريقية، إلا أنّ هذا لم يمنع الكثير من المسيحيين الأفارقة المعاصرين من الاعتقاد بأنّ تعدّد الزوجات متوافقًا مع المسيحية. إنّهم يبنون حججهم على حقيقة أنّ تعدّد الزوجات كان قانونيًّا في العهد القديم ولا يوجد ما يمنعه في العهد الجديد. تكشف إحصاءات من عام 1994 أنّ 13% من النساء بين سنّ الخامسة عشرة والتاسعة والأربعين يعشن في علاقات متعدّدة الزوجات في ناميبيا، و18% في زامبيا و17% في زيمبابوي، وجميعها بلدان مسيحية أساسًا.

يخلق مبدأ تعدّد الزوجات بعض الصعوبات القانونية في الدول الغربية، وخاصة المسيحية، فيما يتعلق بوضع الأسرة الممتدة وجزئيًا فيما يتعلّق بالوضع الدبلوماسي للزوجات الأخريات سواء الثانية أو الثالثة أو حتّى الرابعة. وهناك مشكلة أقلّ صعوبة مع أطفال الأسر متعدّدة الزوجات لأنّ

تشريعات حقوق الإنسان تحظر على الدولة التمييز ضدَّ الأطفال بسبب الميلاد؛ فلا يهمّ ما إذا كانوا قد ولدوا في زواج أحادي أو تعدّدي، أو حتّى خارج إطار الزواج.

يوجد تعدّد الزوجات المسيحي في أجزاء معينة من العالم حيث توجد هذه الممارسة كاستمرار للممارسات الدينية السابقة. وبعد الفتح الإسباني لأمريكا اللاتينية مباشرة، قاومت الطبقات العليا الهندية الحظر الكاثوليكي على تعدد الزوجات. وقد أدى ذلك إلى قيام الرجال بزواجهم الأول وفقًا للطقوس الكاثوليكية ثم استخدام الطقوس التقليدية للزواج الثاني أو الثالث. وكان هناك بعض الكهنة الهنود التقليديين الذين اقترحوا تعدد الزوجات كوسيلة فعّالة بشكل خاص للاحتجاج على الكاثوليكية وتقويضها.

كانت الزيجات أحادية الزوجة هي المعيار في الديانة النورودية Norse، على الرغم من أن الملوك وغيرهم من الرجال الأقوياء كانوا يحرصون على الزواج من عدة زوجات. وفي أوائل القرن العاشر كان للملك النرويجي هارالد لفاينهير ست زوجات وعدد من المحظيات أيضًا. واستمر الحفاظ على المحظيات و«مديرة المنزل» كعادة شائعة في النرويج الكاثوليكية المبكرة على الرغم من أن التسلسل الهرمي الديني كان أقلّ حماسة لمثل هذه الترتيبات.

حاول عدد من الجماعات المسيحية ممارسة تعدّد الزوجات منذ ذلك الحين. فقد مارس المعموديون الراديكاليون الذين تولّوا زمام السلطة في مونستر في المدة بين 1534 إلى 1539 تعدّد الزوجات وفقًا لنموذج العهد القديم، ولكن عندما اقترحت امرأة أن يكون للمرأة أيضًا كثير من الأزواج، تمّ إعدامها سريعًا بسبب اقتراحها الذي يتنافى مع تعاليم المسيحية. لم تدم تجربة الزواج للمعموديين مدّة طويلة على أيّ حال؛ إذ تمّ الاستيلاء على المدينة في غضون مدة قصيرة من قبل الجيش الكاثوليكي الذي ذبح بعد ذلك غالبية أصحاب العقائد.

قامت جماعة أونيدا Oneida المسيحية في الجزء الشمالي من ولاية نيويورك في منتصف القرن التاسع عشر بتيسير ما أسموه «الزواج المعقّد»؛ أي أنّ جميع الرجال وجميع النساء كانوا متزوّجين بعضهم من بعض. إذا أراد الزوجان ممارسة الجنس فحسب بعضهم مع بعض، سيُمنعا من رؤية بعضهم بعضًا مدّة محدّدة، حيث يُعدّ الجنس الحصري والمثقل عاطفيًا مشحونًا بالأنانية والوثنية. يجب على أصحاب العقائد تخصيص هذا الارتباط العاطفي لله فحسب، وليس لغيرهم من البشر. واعتبر الزواج أحادي الزوجة غير متوافق مع المسيحية الحقيقية وأشار أتباع أونيدا إلى أنه «لا يوجد مكان لمثل هذا في «ملكوت السماء».

يعتبر المورمون Mormons خير مثال على تعدد الزوجات المسيحي، حيث تزوج جوزيف سميث، مؤسس كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، هيلين ماركيمبال البالغة من العمر أربعة عشر عامًا، وهي واحدة ضمن نساء عديدات، وقد تزوجها في ربيع عام 1843، وأخبرها أنه «إذا كنت ستتخذين هذه الخطوة [الزواج متعدد الزوجات]، فسوف تضمنين خلاصك وتمجيدك

وتمجيد عائلة والدك وجميع أفراد عشيرتك». ومنحت النساء الأخريات تأكيدات مماثلة حول العلاقة بين تعدّد الزوجات والخلاص. وبعد وفاة سميث، أصبح من المبادئ الراسخة للإيمان أن تضمن الزوجة الثانية الحصول على مكان في ملكوت السماء ليس لنفسها فحسب بل لزوجها وللزوجة الأولى. ثبت أن كل رجل لديه عدة زوجات يمثّل مشكلة من وجهة نظر عملية بحتة، فقد كان هناك كثير من الرجال «المورمون» لا يرغبون في القيام بذلك على أيّ حال. ولم يكن هناك أيّ إلزام على الرجال بالزواج من عدة زوجات في وقت واحد - نفس مبدأ الخلاص المعمول به إذا تزوج الرجل زوجة جديدة بعد وفاة زوجته الأولى. فأتم بعض الرجال الزواج الرسمي مع النساء المتوفيات غير المتزوجات أو مع النساء الأكبر سنًا ولم يتعايشا معًا أبدًا كزوج وزوجة. ومع ذلك، لم ير الجميع أي سبب لتقييد أنفسهم وقد تزوج بريجهام يونغ، خليفة سميث، أكثر من خمسين امرأة.

النوع الوحيد من الزواج الذي كان مهمًا من منظور الخلاص هو ما عرّفه المورمون بالزواج السماوي؛ أمّا الزيجات الأخرى فلم يكن لها النتائج الأبدية نفسها. وكانت نتيجة ذلك أنّه من حيث المبدأ، يمكن أن تتزوّج المرأة من عدّة رجال في وقت واحد. وفي عام 1846، تزوّجت كورديليا مورلي زواجًا سماويًا (ومن ثَمّ أبديًا) مع جوزيف سميث بعد عام ونصف العام من مقتل الأخير، في الوقت الذي تزوّجت فيه من رجل آخر زواجًا اقتصر على حياتهم على الأرض.

لاقى تعدّد الزوجات في المورمونية استنكارًا شديدًا من المسيحيين الأمريكيين الآخرين، وفي عام 1862، وفي منتصف الحرب الأهلية، وافق الكونجرس على حظر تعدد الزوجات في «إقليم من الولايات المتحدة، أو في أماكن أخرى تتمتع فيها الولايات المتحدة بالاختصاص القضائي الحصري، وهو تعريف دقيق يستهدف ويشمل المورمون على وجه التحديد، الذين عاشوا بشكل رئيسي في ما كان يعرف آنذاك بإقليم يوتا. سمح الرئيس أبراهام لنكولن للمورمون بالاستمرار في تعدد الزوجات كما كان من قبل على الرغم من القانون الذي وقّع عليه، ولكن الضغط على المورمون زاد بخطى ثابتة مع مرور السنين. وفي عام 1887 وافقت واشنطن على اقتراح بحل كنيسة المورمون ومصادرة جميع ممتلكاتها. وقد يصدر حكم بالسجن على من يعددون الزوجات لمدة تصل إلى خمس سنوات؛ والأطفال المولودون لأية امرأة غير الزوجة الأولى أو الزوجة الوحيدة للزوج يفقدون جميع حقوقهم في الميراث؛ ولا يُسمح إلا للرجال الذين أقسموا على التخلي عن تعدد الزوجات بالتصويت أو شغل مناصب عامة؛ وتم إلغاء حق المرأة في التصويت - الذي كان قائمًا منذ عام 1870 - بالنسبة لجميع النساء في إقليم يوتا لأن زوجات الرجال الذين يعددون الزوجات اعتبرن تهديدًا سياسيًا. وحُكم على أكثر من ألف رجل بتهمة تعدد الزوجات وتم القبض على ما يقرب من 200 امرأة حامل في علاقات متعددة الزواج بتهمة الزنا. كان الضغط الفيدرالي قويًا لدرجة أن ويلفورد وودروف، رئيس كنيسة المورمون، رفض منح الكنيسة إذنًا بزواج الجدد ممن يعددون الزوجات بعد عام 1889. ومع ذلك، تم حل القضية برمتها عندما ظهر الله في منام وودروف في 23 سبتمبر 1890 وأخبره أنه لم يعد يدعم مبدأ تعدد الزوجات. ونُشر المعتقد الجديد والتعاليم

الجديدة في بيان بعد يومين، وبعد ذلك مباشرة وافقت قيادة الكنيسة بالإجماع على أنها تعاليم رسمية. ومع ذلك، استمرت الكنيسة في الاعتراف بأي زواج متعدد الزوجات سابقًا، واستمرت معظم هذه العلاقات حتى انتهى بها المطاف إلى نهايتها الطبيعية بسبب الموت.

على الرغم من نشر المعتقد والتعاليم الجديدة، واصل كثير من «المورمون» عقد الزيجات متعدّدة الزوجات بعد عام 1890، بما في ذلك عدد من الأفراد البارزين داخل الكنيسة. ومع ذلك، فإنّ كنيسة المورمون أخذت هذه العقيدة الجديدة على محمل الجد، وفي عام 1904 اعتمدت اقتراحًا لإبعاد جميع أولئك الذين تزوّجوا في إطار تعدّد الزوجات. ومنذ اتخاذ هذه الخطوة، كان هناك حرص شديد يمنع تعدّد الزوجات. وعندما اكتشف في عام 1943 أن واحدًا من اثني عشر رسولًا في الكنيسة - واحدًا من أبرز الشخصيات في تنظيم الكنيسة - كان لديه امرأة كان يعاملها كزوجة ثانية، تم إعفائه من جميع مناصبه الرئيسية وطُرد خارج الكنيسة.

مع مرور الوقت، استحدثت الكنائس المورمونية الأصولية المنشقة المبررات اللاهوتية الكبيرة مع الادعاء بأنها تمثل التقليد الحقيقي لجوزيف سميث وبريغام يونج. فهم يتبعون ممارسات تعدد الزوجات التقليدية، والتي ما زالت ترتبط بالخلاص. نظرًا لعدم وجود حظر قانوني على وجود شركاء جنسيين بالإضافة إلى الزوجة الشرعية، ولم تعد هذه الجماعات مضطهدة لممارسة مبدأ تعدد الزوجات، على الرغم من أنه في إحدى الحالات في ولاية يوتا عام 2001، حُكم على رجل متعدد الزوجات بتهمة الجمع بين زوجتين، بالإضافة إلى كونه أدين بتهمة الاحتيال في التأمين واغتصاب القاصرات.

لا تحظى الزيجات متعددة الزوجات في هذه الكنائس المورمونية المنشقة بالاعتراف القانوني. وبنفس الطريقة التي يقوم بها الشواذ جنسيًا في كثير من البلدان بشنّ حملات للاعتراف القانوني بزواج المثليين، فإنّ بعض الأصوليين المورمونيين يضغطون من أجل الاعتراف بتعدد الزوجات في الولايات المتحدة.

أثرت العقوبة الدينية المفروضة على تعدّد الزوجات على الكثير من جوانب العلاقة العامة بين الجنس والدين. حيث يعد تعدد الزوجات، كما اكتشف لوثر وأوغسطين، مثالاً جيدًا على نوع المشكلات التي يواجهها الناس عندما تخبرهم مصادرهم المقدّسة بشيء مختلف تمامًا عما يعتبرونه هو الإيمان الحقيقي. وبعدة طرق، كان لدى المورمون في القرن التاسع عشر والأصوليين المورمون في يومنا هذا تجارب قاسية لإصرار الناس على محاولة تنظيم الحياة الجنسية للآخرين وفقًا لمعتقداتهم الدينية. وبالنظر إلى أن تعدد الزوجات كما هو انعكاس لتعدد الأزواج يعتبر النوع الأول أمر نادر الحدوث، إذ أن العقوبة الدينية لتعدد الزوجات تبرز أيضًا مدى تباين الاختلافات بين القواعد الدينية للرجال وتلك الخاصة بالنساء. ومن العبث التحدث عن وضع متساوٍ للرجال والنساء في الدين إذا كان الزواج الأحادي المطلق مطلوبًا للنساء بينما يُسمح للرجال بتعدد الزوجات. الأمر

الذي لا يزال يمثل مشكلة على الرغم من الجهود المبذولة لإيجاد حل يمنح الجنسين مكانة متساوية. فكيف يمكن منح المرأة الحق في الزواج من عدة أزواج إذا كانت كل المصادر المقدسة تمنع ذلك؟ وعلى أي أساس يمكن منع الرجل من أن يكون له عدة زوجات إذا سمحت نفس المصادر بذلك؟

وأهم من ذلك هو أن تعدّد الزوجات ربّما يمثّل تصحيحًا للادّعاءات بأنّ الزواج المغاير أحادي الزوجة أمر طبيعي بدهي - وهي ادّعاءات يتمّ التعبير عنها بشكل شائع في السياقات المسيحية. ولكن المصادر المسيحية نفسها لا تمنح في الواقع الزواج المغاير أحادي الزوجة هذا النوع من المكانة الفريدة.

خارج إطار الزواج

في الخامس من يوليو لعام 2007 في مدينة أغشي كاند في شمال شرق إيران، تمّ تقييد أيادي جعفر كياني خلف ظهره قبل دفنه حتّى وسطه. وفي هذا الوضع، حيث كان الجزء العلوي من جسده فوق الأرض، رُجم حتّى الموت بالحجارة التي لم تكن كبيرة جدًّا حتّى لا يقتلوه سريعًا. إنّ «الجريمة» التي أدين بها كياني هي أنّه مارس الجماع في إطار الجنس المغاير خارج إطار الزواج مع امرأة متزوّجة قبل حوالي عشر سنوات.

لا يوجد أيّ تناقض بين الآراء الإسلامية الإيجابية بوجه عام حول العلاقة بين المغايرة الجنسية ومصير جعفر كياني المأساوي. وما يمكننا رؤيته هنا هو مثال على أحد الحدود الأكثر وضوحًا ضمن قبول المغايرة الجنسية التي يتفرّد بها الإسلام بأيّ حال من الأحوال، ولكنّها موجودة في الغالبية العظمى من الأديان؛ الحدود «بين المغايرة الجنسية داخل إطار الزواج وبين المغايرة الجنسية خارج إطار الزواج».

أُدين جعفر كياني وفقًا للقانون الإيراني، والذي يستند أساسًا إلى الشريعة الإسلامية. ولكن فكرة رجم الناس بسبب المغايرة الجنسية خارج إطار الزواج منصوص عليها - أيضًا - في كتاب موجود في رفوف كثير من المنازل الغربية. حيث يخبرنا الكتاب المقدّس، في سفر التثنية، أنّه «إذا وُجد رجل يضاجع امرأة متزوّجة، فسوف يموت كلاهما؛ الرجل الذي يضاجع المرأة والمرأة». ثم سرعان ما يُذكر الأساس المنطقي لعقوبة الإعدام، عندما يقول الله: «حتّى ترفع الشرّ عن إسرائيل». وإذا لم يكن كتّاب التناخ (الكتب الخمسة) قد تلقَوا هذه الرسالة من الله نفسه مباشرة، فربّما يكونون قد تأثّروا بأقدم عمل قانوني قائم، ألا وهو مدوّنة حمورابي Hammurabi. وفيما ورد من أخبار ظهر هذا العمل ما بين النهرَين عام 1700-1800 قبل الميلاد، ويُقال - أيضًا - إنه نصٌّ إلهيٌّ، ينصُّ على أنه ينبغي إغراق المرأة غير المخلصة جنبًا إلى جنب مع عشيقها.

ومع الأخذ في الاعتبار أنّ الرجم مُوصى به في الكتاب المقدّس على مجموعة متنوّعة من الأفعال الجنسية خارج إطار الزواج، نحتاج إلى إيلاء اهتمام خاصّ لجنس أولئك المتورّطين في هذه

الأعمال. وعلى الرغم من أنّ كلّ فعل جنسي مغاير بطبيعته يشمل كلا الجنسَين، إلا أنّ القواعد الدينية المطبقة على الرجال لا تتوافق دائمًا مع تلك القواعد المطبقة على النساء. لقد لاحظنا هذا بالفعل فيما يتعلّق بلوائح ما قبل الزواج. إذ تتعرّض المرأة المتزوّجة لخطر الرجم إذا مارست الجنس مع أيّ رجل آخر غير الرجل الذي تزوّجت به؛ وينصّ القانون على عقوبة الإعدام حتّى إذا تعرّضت للاغتصاب. ومن ناحية أخرى، يتمتّع الرجال بحرية ممارسة الجنس مع نساء غير متزوّجات قبل الزواج وخارج إطار الزواج. وحقيقة أنّ التناخ Pentateuch لا يحظر الدعارة أمر ذو صلة في هذا السياق، ويحتوي الكتاب المقدّس على إشارات إلى عدد لا بأس به من البغايا والعاهرات. ومن ثَمّ فإنّ الوصية «أنت لا ترتكب الزنا» لا تنطبق من الناحية العملية على جميع أشكال الجنس خارج نطاق الزواج. فيحظر على الرجال ممارسة الجنس مع نساء متزوّجات أو مخطوبات لرجال آخرين. سواء كان الرجل نفسه متزوًّجا أم لا، فهذا أمر غير ذي صلة عندما يتعلّق الأمر بالعقاب على ممارسة الجنس غير القانوني. وعليه، فليس الزواج هو نفسه الذي تحميه القوانين، بل حقّ الزوج الوحيد في زوجته. حيث يضمن القانون حماية شرف الرجل من الأذى الذي قد ينجم عن ممارسة الزوجة الجنس مع شخص آخر.

توقّفت اليهودية عن فرض عقوبة الإعدام على الجرائم الجنسية بعد العصور القديمة؛ لم يكن هذا فقط بسبب أنّ المجتمعات اليهودية، كونها جماعات من الأقليات، لم تكن عادة في وضع يمكنها من فرض عقوبة الإعدام، بل لأنّ الأدب الحاخامي يكشف عن نفور ثابت إلى حدّ ما من عقوبة الإعدام .

لا يتضمّن القرآن الكريم أوامر مفادها أنّه ينبغي رجم الناس بسبب ممارسة المغايرة الجنسية خارج إطار الزواج رغم أنّ الخليفة عمر، الذي كان من أصحاب النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم)، ادّعى أنه كان هناك في الأصل أمرًا بهذا المعنى في الكتاب المقدّس. ومع ذلك، فإنّ الإسلام يتبع مبدأ الكتاب المقدّس الأساسي المتمثّل في أنّ ممارسة الجنس خارج إطار الزواج تخضع بشكل صحيح للقانون الديني. ووفقًا للإسلام، كلّ الجنس خارج نطاق الزواج إثم - زنا – ويتعارض مع تعاليم الدين الحقيقية. ولأنّه شرٌّ وبغيض، فإنّ ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج يمكن أن تؤدّي إلى أسوأ الأشياء ومن ثَمّ تكون تهديدًا للنظام الإسلامي كلّه. لذلك، ووفقًا للقرآن الكريم، يجب معاقبة أيّ شخص مذنب بالزنا بمئة جلدة.

على الرغم من أنّ القرآن الكريم لا يذكر عقوبة الإعدام بالنسبة للزنا بين جنسين مغايرين، إلا أنّ التقاليد تشير إلى أنّ النبيّ محمّد (صلى الله عليه وسلم) طالب بها، وأنّ كثيرًا من الأحاديث الشريفة المختلفة تشهد على ذلك. ولا يوجد بالضرورة تناقض بين أمر النبي وحقيقة أنّ القرآن لم يذكر عقوبة الإعدام بسبب المغايرة الجنسية خارج إطار الزواج. فقد ربط النبي محمّد دعوته الخاصّة لعقوبة الإعدام لممارسة الجنس غير القانوني بالتناخ، الذي يعدّه الإسلام - أيضًا - من التقاليد الإلهية. فقد رأى النبي محمّد نفسه أنّ رجلاً يهوديًّا وامرأة ارتكبا الزنا، ورُجما بالحجارة وفقًا للكتاب

المقدّس. ووصف الخليفة عمر، الخليفة اللاحق هذه الحادثة قائلًا: «كنت واحدًا من الذين رجموهم، ورأيته وهو يحميها بجسده ... وهو يميل على المرأة ليحميها من الحجارة».

يأمر النبي محمّد بمعاقبة المدانين بتهمة الزنا مئة جلدة، كما يصف القرآن الكريم، لكن النبي يوضّح - أيضًا - أنّه يجب رجم الزناة بعد الجلد. على الرغم من أنّ الرجم بالحجارة هو العقوبة الطبيعية للزنا، إلا أنّ هناك بعض التدابير التي يجب اتخاذها قبل تنفيذ الحكم. في إحدى المرات، جاءت امرأة إلى النبي، واعترفت بالزنا وقالت إنّها حامل. أخبرها النبي أن تعود حتّى تضع حملها، وهو ما فعلته. ثم أمرها بالعودة حتى تقطم رضيعها، وهو ما فعلته أيضًا. ثم طلب منها أن تعطي الطفل لأشخاص آخرين بعيدًا عنها. وعندما عادت للمرة الثالثة، كانت خالية الوفاض، ودفنها النبي حتّى صدرها و«أمر الناس أن يرجموها بالحجارة».

ومع ذلك، لا يزال هناك أمل للأشخاص المحكوم عليهم بالإعدام بتهمة الزنا لأنه إذا مات أحدهم موحدًا بالله، فسيظل بإمكانه دخول الجنة. هكذا قال النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم).

في الوقت نفسه الذي يُطالب فيه بتنفيذ مثل هذه العقوبة الشديدة لأولئك الذين يمارسون الجنس خارج إطار الزواج، فإنّ الإسلام يطالب بتقديم دليل قاطع وبرهان ساطع على ارتكاب الجريمة. وقبل أن يُعاقب أيّ شخص يجب أن يكون هناك اعتراف منه أو أربعة شهداء من الرجال العدول. وتكشف الرواية التالية عن مدى إصرار النبي محمّد على ذلك. فقد سأل رجل النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم) عمّا يجب عليه فعله إذا وجد رجلاً آخر يضاجع زوجته في المنزل: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنِّي وَجَدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلاً أَأُمْهِلُهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ؟» أجاب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) «نعم».

يتمّالحد عليه يقام بالزنا مملوكه قذف ومن .كافية أدلة تقديم دون اتهامات توجيه من الناس تحذير زائفة اتهامات يوجّهون الذين وهؤلاء (عليه متّفق :شريف حديث) .قال كما يكون أنّ إلا ،القيامة يوم يَرْمُونَ وَالَّذِينَ» :الفوري العقاب من المزيد يتوقّعوا أن عليهم الصحّة من لها أساس لا أو وَأُولَئِكَ هُمُ أَبَدًا شَهَادَةً لَهُمْ تَقْبَلُوا وَلَا جَلْدَةً ثَمَانِينَ فَاجْلِدُوهُمْ شُهَدَاءَ بِأَرْبَعَةِ يَأْتُوا لَمْ ثُمَّ الْمُحْصَنَاتِ .الْفَاسِقُونَ» (سورة النور، آية رقم 4)

كما أنّ الطلب الصارم على الإثبات قد فتح الباب على مصراعيه تاركًا الثغرات التي استفاد منها الكثير من المسلمين بشكل أو بآخر. وفي القرن الثالث عشر، على سبيل المثال، كتب التونسي أحمد بن يوسف التيفاشي كتابًا عنوانه: «نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب»، حول كيفية استمتاع المرء بأشكال مختلفة من الجنس المحظور دون التعرّض للإزعاج. ومن بين النصائح العملية حول هذا الموضوع، يمكننا العثور على نصائح حول كيفية التعرف على المرأة الراغبة في الجنس على مسافة أو من وراء حجابها.

على الرغم من أن القانون الإسلامي الخاص بالزنا هو نفس القانون الذي يُطبق لكلا الجنسين، إلا أن التكافؤ والمساواة في المكانة لا يدخلان ضمن حدود الصورة. وبما أن القواعد تسمح للرجال بأن يكون لديهم أربع زوجات وتسمح لهم أيضًا بممارسة الجنس مع النساء العبيد والمحظيات، تعدُّ فكرة خيانة الذكور فكرة تتسم أكثر بالمحدودية منذ البداية. ونظرًا لأن النساء يمكن أن يصبحن حوامل، فغالبًا ما يكون إثبات الخيانة الزوجية على الإناث أسهل، ممّا يعني بدوره أن النساء متّهمات أكثر من الرجال بارتكاب جرائم جنسية. ومع ذلك، لا يُعفى الرجال من أقسى العقوبات بمجرد إثبات الإدانة- كما يمكننا أن نقرأ في الأحاديث الشريفة وكما اكتشف جعفر كياني الإيراني بشكل مؤلم جدًّا في عام 2007.

يضع الاغتصاب الإسلام في مواجهة تحديات خاصة، حيث يُشترط، مع ممارسة الجنس الآخر غير القانوني وكمسألة مبدأ، إما الاعتراف بالفعل أو أربعة شهود عدل من الذكور لإثبات الإدانة. يمكن أن ينتهي المطاف بضحية الاغتصاب التي تبلغ عن الهجوم والاعتداء الذي وقع عليها بتهمة ممارسة الجنس غير القانوني إذا حدث الاغتصاب خارج إطار الزواج. إن إجراء الإبلاغ عن الجريمة هو اعتراف من جانب الضحية، سواء أكانت الضحية رجل أو امرأة، بأنها قد مارست الجنس قبل الزواج أو خارج نطاقه أو تورطت في جريمة من جرائم المثلية الجنسية. وإذا لم تستطع الضحية، سواء أكانت الضحية رجل أو امرأة، إثبات الاغتصاب، فستتعرض للعقاب نتيجة لذلك. وأظهرت دراسة أجرتها الأمم المتّحدة في أفغانستان، على سبيل المثال، أنّ حوالي نصف النساء دخلن السجن في عام 2006 بسبب اتهامهنّ بممارسة الجنس قبل الزواج أو خارج نطاقه، لكنّ السبب الحقيقي هو أنّ كثيرًا من هؤلاء النساء كنّ ضحايا للاغتصاب. وفي باكستان، إلى أن تمّ تغيير قوانين الاغتصاب في عام 2006، كان هناك أيضًا كثير من ضحايا الاغتصاب اللائي اتهمن بالفجور أو بالزنا. وعندما تغيّر القانون، احتجّ التحالف الإسلامي المكوّن من ستة أحزاب بشدة لأنّ تغيير القانون يعني أنّ الاغتصاب لم يعد يخضع للشريعة الإسلامية.

ومع ذلك، سيكون من السهل للغاية استنتاج أن نظرة الإسلام الحالية للجنس مماثلة لتلك التي نقرأها في القرآن الكريم وفي الموروثات. وهناك اختلافات كبيرة في مدى اعتقاد المسلمين حقًا أنّ هذه القوانين ذات صلة. ويرفض الكثير من الناس هذه القوانين تمامًا ويعتقدون أن الله لا يهتم بالطريقة التي يمارس بها الناس حياتهم الجنسية على وجه التحديد. ويرى آخرون أنه لا ينبغي معاقبة الأفراد بسبب نشاطهم الجنسي الرضائي مع الاعتقاد بأن ممارسة الجنس خارج إطار الزواج تتعارض مع الإسلام. ومع ذلك، يعتقد الكثير من المسلمين حقًا أن ممارسة الجنس خارج إطار الزواج تتعارض بشكل أساسي مع المبادئ الإسلامية بحيث يستحيل تجاهل المطلب التقليدي لتنفيذ العقوبات الصارمة.

يُظهر مدى ارتباط المسلمين بالحظر المفروض على ممارسة الجنس خارج إطار الزواج تباينًا كبيرًا. وعلى سبيل المثال، كشفت دراسة استقصائية أجريت في عام 1992 أن نحو 4% من السكان

المسلمين الذين يقطنون في أوزبكستان اعتقدوا أنه من المقبول تمامًا أن يكون لديك حبيبة أو عاشقة أو زوجة. ومن ناحية أخرى، أظهرت إحصائيات من دولة طاجيكستان المسلمة المجاورة بالقدر نفسه أن 14% فقط من السكان يعدّون الخيانة الزوجية من هذا النوع مقبولة. وتكشف الدراسات السابقة أيضًا عن مواقف متباينة، كما نرى في قصة الحبّ الكلاسيكية هير رانجا Heer Ranjha، التي كتبها الشاعر الصوفيّ الهنديّ المسلم وارث شاه في القرن الثامن عشر. في هذه القصة، تترك المرأة زوجها وتفرّ هربًا مع حبيبها. وعندما يتمّ القبض عليهما وقبل مثولهما أمام الحاكم، يلعنان المدينة بأسرها لظلمها. ويستمع الله لصلوات الزوجَين الزانيَين وسرعان ما يضرم النار في المدينة. قد لا يكون ذلك شائعًا، لكن، يصوّر المسلمون الله على أنه يجعل الحبّ الحقيقى في مرتبة تفوق مرتبة مؤسسة الزواج.

لم تتضمن المسيحية في الأصل مثل هذه القواعد القضائية الواضحة بشأن المغايرة الجنسية خارج إطار الزواج. بل على العكس تمامًا. تدخل مباشرة يسوع الأناجيل للحيلولة دون إعدام المرأة التي ارتكبت الزنا. ومع ذلك، فهو لم يعتبر الزنا عذرًا؛ لأنه قال للمرأة: «اذهبي، ولا خطيئة بعد الآن». وفي مناسبة أخرى أعلن أنّ أولئك الذين يرتكبون الزنا قد يذهبون مباشرة إلى الجحيم. ولكن نظرًا لأنه منع رجم المرأة الزانية، فيبدو أن يسوع اعتقد أنّ مسألة من هذا النوع لا تخصّ العدالة الإنسانية كي تصدر الأحكام بشأنها، بينما يوضح في الوقت ذاته أن ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج قد تؤدّي إلى اللعنة الأبدية. ووفقًا ليسوع المسيح، فإنه الله، وليس إخواننا ورفاقنا، هو الذي سيحكم على سلوكنا الجنسي.

نظرًا لأنّ القديس بولس يعدّ الزواج ملاذًا لأولئك الذين لا يقدرون على الامتناع عن ممارسة الجنس، فهذا يستتبع منطقيًا أنه يعتقد أنّ الخيانة الزوجية تتعارض مع تعاليم الله. لكن حتّى بولس لا يقترح عقاب دنيوي على المذنبين بالزنا؛ إنّه يؤكّد ببساطة أنّهم لن يرثوا ملكوت الله. إن نبرة إدانته أكثر اعتدالًا من نبرة يسوع المسيح. إنّ رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، التي يعتقد الكثيرون أن بولس لم يكتبها، تؤكّد أنّ «الزناة» لا يرثون ملكوت المسيح وملكوت الله. وبينما يركز بولس على استبعاد الآثمين بأفعال جنسية، فإنّ رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين تركز بقدر أكبر على العقوبات السلبية صراحة وتؤكّد أنّ الله سوف يحكم على «الزاني والزانية «. ولهذا تبدو أن هذه المصادر التوراتية الأخرى تتفق مع يسوع المسيح؛ فكلاهما يعتبر الزنا مرادفًا للعنة وملازمًا لها ويقول إنه ليس من حق الناس في هذا العالم معاقبتهم. وعلى الرغم من اعتراف يسوع المسيح وبولس كليهما بأنّ الجنس غير المشروع كان شيئًا يخضع لعقاب الله وحده، إلا أنّ المسيحيين عندما تولّوا السلطة بدؤوا سريعًا في استخدام النظام القانوني لضمان اتباع السكّان للمسار الجنسي الصحيح. ولمّا كان الكتاب المقدس قد أوضح أنّ الزنا يؤدّي بالزناه إلى الجحيم، فقد بدا من الصواب أن يكون هناك قوانين لتخويف الناس من الزنا وإبعادهم عنه. وسريعًا ما نسي الناس أن يسوع المسيح نفسه لا يريد أن تكون مثل هذه الأمور في قبضة العدالة الإنسانية.

في المسيحية أيضًا، كان هناك اختلافٌ تقليديٌّ بين معاملة الرجال الزانين والنساء الزانيات، رغم أنه لا يوجد أي أساس لهذا في العهد الجديد. إن المواقف تجاه النساء المومسات العاهرات تقدم لنا في كثير من الأحيان أمثلة على ذلك. فقد أوصت كتب التوبة في العصور الوسطى الأولى طرد البغايا والعاهرات من الكنيسة، في حين لم يُقترح شيء بالنسبة لعملائهن الذكور حتى لو كانوا من الرجال المتزوجين. وعامّة، توجد نزعة لقبول البغايا ضمنًا كتنفيس للجنس الذكوري خارج إطار الزواج. وقد دافع كل من أوغسطين وتوماس أكويناس عن وجود العهر والدعارة كوسيلة لمنع ما اعتقدا كلاهما أنه خطايا أكبر، مثل الرجال الذين يمارسون الجنس مع زوجات رجال آخرين. ومع ذلك، رفض مارتن لوثر القبول الضمني للبغاء.

في كثير من الأحيان، كان تعريف الزنا محدودًا بالنسبة للرجال مقارنةً بالنساء. وفي التقاليد الروسية الأرثوذكسية، يوصف الرجال بأنهم غير مخلصين إذا أنجبوا أطفالًا خارج إطار الزواج، في حين أن الفعل الجنسي وحده يكفي لوصف النساء بعدم الإخلاص. كما تمدّنا أوربّا البروتستانتية الأولى بأمثلة عن هذه الاختلافات الكبيرة. إذ إن إدانة النساء بجرائم ممارسة الجنس المغاير لم تكن أكثر تكرارًا من إدانة الرجال فحسب، ولكن القانون نفسه غالبًا ما كان يميز بين الرجال والنساء. وفي إنجلترا الجديدة الاستعمارية، لم يكن الرجل يُعاقب إلا إذا كانت المرأة التي زنا معها متزوّجة أو مخطوبة. ومن ناحية أخرى، كانت المرأة تواجه عقوبة قاسية على أي حال. وفي جنيف في 1566 صدر قانون جعل المرأة المتزوجة عرضة لعقوبة الإعدام بسبب الزنا في حين أن الرجل قد ينجو بفعلته مقابل البقاء في السجن مدة اثني عشر يومًا. أما القانون الإنجليزي الخاص بالزنا لعام 1650 فقد جعل كلا الطرفين عرضة لعقوبة الإعدام بتهمة الزنا إذا كانت المرأة متزوّجة، لكن إذا كان الرجل متزوًّجا، لم تكن العقوبة سوى السجن مدة ثلاثة أشهر فحسب.

في الهندوسية، تُعدّ الجندرية عاملًا حاسمًا في المواقف الدينية للخيانة الزوجية. وفي الأدب الملحمي والنصوص الكلاسيكية الهندوسية، يتمّ تقديم الجنس خارج إطار الزواج ببساطة شديدة كجزء من حياة الرجل. وتصف الكاماسوترا، على سبيل المثال، كيف أنّ الرجال أحرار في ممارسة الجنس مع نساء من الطبقة الدنيا، أو مع النساء اللائي فقدن مكانتهن أو مع البغايا والعاهرات، ولكن لا يمكن أن يتزوجوا أيًّا منهنّ. فممارسة الجنس مع نساء من هذا النوع للمتعة فحسب.

تمّ قبول الدعارة النسائية على نطاق واسع في الهندوسية وكان للعاهرة مكانة في المجتمع الذي تحدده الكارما الخاصّة بها. وكان يحظى رجال الطبقة العليا بالمومسات المتعلّمات بينما كانت البغايا العوام من نصيب الرجال الآخرين. في حين توافر مجموعة كبيرة من الإمكانات الجنسية للرجال، تستحق النساء غير المخلصات، وفقًا لقوانين مانو Laws of Manu، أن تلتهمها الكلاب. ومع ذلك، تتهاون الكاماسوترا في حقّ المرأة بأن تسمح بتعرّضها للإهانة الخفيفة انطلاقًا من الخيانات الزوجية التي يرتكبها زوجها في حقها، حتّى لا تشتكي كثيرًا. ويجب على الزوجة ألا توبّخ زوجها، بل يجب عليها أن «تلومه بكلمات استرضائية، سواء كان برفقة أصدقاء أو بمفرده».

وفي الهندوسية لا يمتلك الرجال الحرية المطلقة لفعل أي شيء بطريقتهم الخاصة. إذ يجب عليهم ألا يرتكبوا جرائم بحقّ الرجال الآخرين؛ بمعنى ألا يضاجعوا زوجات الرجال الآخرين. وتعدُّ مضاجعة زوجة المُعلم أمرًا محزنًا للغاية. إن الأوامر الزجرية ضدَّ الزنا والعواقب الوخيمة الكارثية الناتجة عن ذلك تؤدّي إلى ظهور بعض الحلول الإبداعية للأشخاص الذين يجدون القليل من الإثارة في الإخلاص الجنسي. ويؤسّس النص المثير جنسيًّا في القرن السادس عشر أنانجا رانجا Ananga Ranga نقطة انطلاقه بناءً على حقيقة أن ممارسة الجنس خارج إطار الزواج يمكن أن تؤدَّي بسهولة إلى كارثة، ثم يمضي في وصف كثير من المواقف الجنسية التي قد يشعر بها الزوجان كما لو كان لديهم اثنان وثلاثون شريكًا.

صرح الدالاي لاما، في تعليقه في عام 2010 حول العلاقات العامة خارج إطار الزواج بشكل فعليّ لزميل بوذي، نجم الجولف تايجر وودز، بأنّ «جميع الأديان لديها الفكرة نفسها» عن الزنا. لكن كما رأينا، هذه ليست القصة الكاملة، والإدانة العامة من هذا النوع ليست بهذه البساطة حتى في البوذية. وعمومًا، فإنّ النظرة السلبية للجنس لدى البوذية لا تحول دون تصوير بعض الأنواع الأخرى من الجنس على أنها الأسوأ من غيرها، ويندرج الزنا بشكل واضح تحت هذه الفئة. حيث يُقارن الزنا في كثير من الأحيان بالقتل والكذب والسكر والسرقة، ولكنه، إلى جانب ذلك، يعدّ أيضًا أحد أسوأ الأعمال التي يمكن أن يرتكبها المرء فيما يتعلّق بكلّ من الأخلاق عامّة وبعواقب عدم التطهر. وكما ورد في نص بالي التقليدي سوتا نيباتا Sutta Nipata المذكور في القرن الأول قبل الميلاد: «إذا كان الرجل غير قادر على حياة العزوبية، فلا ينبغي له أن يذهب إلى زوجة أخرى». ولم يأت اختيار هذه الكلمات من قبيل المصادفة لأنّ الحظر المفروض على الزنا يستهدف «عدم إلحاق الأذى بالآخر أكثر من كونه يتعلق بالجنس نفسه. والشخص المتأثر بالزنا والمتضرّر منه هو بالطبع الرجل الذي يقع فريسة للخداع. والفرضية الأساسية هنا، كما هو الحال في كثير من السياقات الدينية الجنسية الأخرى، هي أن النشاط الجنسي للمرأة يخضع للرجل - إن الزوج الذي تنتمي إليه المرأة هو الذي قد يعاني من الأذى والضرر إذا ضاجعت زوجته رجلًا آخر. ومن ثَمّ، كانت القوانين في الدول البوذية متحيّزة جنسانيًا في كون خيانة المرأة لزوجها لها عواقب قانونية في حين أن خيانة الزوج لزوجته ليس لها أي عواقب.

ما يدركه عدد قليل من البشر نسبيًّا هو أنّ عددًا من الدول المسيحية أبقت الحظر على الزنا رغم أنها نادرًا ما تستخدم هذا الحظر. فقد ألغت المحكمة الدستورية في أوغندا الحظر القانوني على الزنا في عام 2007 لأنه تمييز ضد المرأة – حيث كانت النساء الزانيات فقط هن من يُعاقبن وليس الرجال. طلب السكرتير العام للمجلس الأوغندي المشترك للكنائس الكاثوليكية والإنجليكانية والأرثوذكسية على الفور من السلطات إصدار قانون جديد ضد الزنا، ومعاقبة الرجال والنساء على حد سواء.

لا يزال هناك عدد من الولايات الأمريكية تطبق قوانين ضد الزنا، على الرغم من أن جميع هذه القوانين معطلة من الناحية العملية. حتى المحامي العام في ميتشيجان فوجئ باكتشافه في عام 2007 أن قانون الولاية الخاص بالزنا يمكن أن يؤدي إلى عقوبة السجن مدى الحياة. ومؤخرًا ، حُكم على الشاب جون آر بوشي في عام 2004 بالخدمة مدة عشرين ساعة في فرجينيا بتهمة الزنا. واكتشف كل من ديفيد سكوت من بريطانيا وسينثيا ديلفينو من الفلبين في عام 2008 أنه لا يزال هناك بلدان مسيحية تُطبق فيها قوانين الزنا ولكنها قوانين معطّلة. ونظرًا لأن طلاق ديلفينو من زوجها لم يكن طلاقًا بائنًا، فقد تم اتهامها هي وسكوت بالزنا، وتم إلقاء القبض عليهما وزُجّ بهما في السجن في مانيلا. وكانت حقيقة وجود طفل معهما دليلًا كافيًا على ما فعلاه. ووفقًا لقانون ذلك البلد الكاثوليكي شديد الصرامة، كان الزوجان عرضة للسجن لمدة قد تصل إلى سبع سنوات. وبدلاً من الانتظار لمعرفة كيف ستفسر محاكم الفلبين القانون بشأن قضيتهم، هربا من السجن وفرا إلى تايلاند ومن هناك إلى بريطانيا.

من الصعب العثور على أي أرقام دقيقة حقًا حول تواتر حدوث الزنا في مختلف الديانات اليوم. فغالبًا ما تكون هناك اختلافات ملحوظة بين الجماعات التي تنتمي إلى الدين نفسه ولكنها تعيش في بلدان مختلفة. فقد أظهرت دراسة استقصائية أجريت عام 2005، على سبيل المثال، أن 10% من البالغين في بولندا، وهي دولة كاثوليكية بأغلبية ساحقة، اعترفوا بأنهم مارسوا الجنس خارج نطاق الزواج بينما بلغت النسبة في إيطاليا الكاثوليكية 26%. وتظهر اختلافات مماثلة في البلدان ذات الأغلبية المسلمة، حيث سجلت تركيا نسبة 58%، بينما لم تسجل إندونيسيا سوى نسبة 16%. وهناك سبب آخر لصعوبة استخراج أرقام دقيقة، وهو أنّ الاستطلاعات تستند في المقام الأول على ما يقوله الناس. وانطلاقًا من الدراسات الاستقصائية التي أجريت في الولايات المتحدة تبيّن أن مستوى مشاركة الفرد في الدين المؤسّسي هو أحد العوامل التي تقلّل من احتمال الزنا. ولكن بسبب الإدانة الشديدة للزنا في هذه الأوساط الدينية على وجه التحديد، فمن الصعب اتخاذ نتائج مثل هذه الدراسات الاستقصائية كحقائق مطلقة لأنّها تستند إلى إجابات الناس فحسب. بعد كل ذلك، أدان عدد لا بأس به من السياسيين والزعماء الدينيين - خاصة في الولايات المتحدة - ممارسة الجنس خارج إطار الزواج علانية وبشدة بعد تعرض زوجاتهم للزنا.

الزنا مثله مثل أيّ نوع من أنواع الجنس الرضائي بين البالغين محميّ بموجب تشريعات حقوق الإنسان من أجل الحفاظ على حرمة الحياة الخاصة. ومع ذلك، نادرًا ما يوجد دعاة جادين سواء داخل نطاق الدين أو خارجه ممّن يمارسون الأنواع القليلة من الجنس الرضائي. وعلى الرغم من أنّ الخيانة الجنسية قد لا تعدو إلا أن تكون أحد الأنواع الكثيرة من الجنس الرضائي، إلا أنّها تعتبر شكل من أشكال السلوك الذي يشمل الآخرين فضلًا عمّن يشاركون فيه مشاركة إيجابية. والزنا بطبيعته يعني أن أحد طرفيه على الأقل متزوّج، مما يعني بدوره أن ذاك الطرف – غالبًا ما تكون المرأة- شريكًا في عقد الزواج الذي يستوجب عدم الخيانة الزوجية. وبالتالي فإن الحنث بالعهد يضيف بعدًا

إضافيًا. حتى لو لم يحق للدولة معاقبة الذين يرتكبون الزنا، فقد يكون لهذا الفعل عواقب قضائية، ولأن الزنا عادة ما ينطوي على خرق العقد، فإنه يمنح الطرف المتضرّر في كثير من الأحيان حقوقًا معيّنة عندما يطلب الطلاق.

تتوازى الإدانة الدينية للزنا على وجه التحديد مع القبول الطفيف للخيانة الزوجية في كثير من المجتمعات. وتتصدّر أقسى العقوبات عناوين الصحف. ولا يتعرّض الرجال والنساء لعقوبة الإعدام بسبب ممارسة الجنس المغاير غير المشروع في إيران فقط، ولكنّ الوضع نفسه قائم في الإمارات العربية المتّحدة ونيجيريا وباكستان والسعودية والسودان. وهناك عدد من الدول الإسلامية الأخرى التي تفرض عقوبات أقلّ وطأة على ارتكاب الزنا. ويشارك السياسيون الغربيون والمدافعون عن حقوق الإنسان بشكل عام في بعض الأحيان نيابة عن الأفراد المتهمين، لا سيما النساء، الذين ينتظرون الإعدام أو الذين صدر بحقهم حكم الإعدام. والأمر المثير للاهتمام هو أن مشاركتهم غير مدفوعة فقط بحقيقة أن الزنا محظور ولكن بكونه يؤدي إلى عقوبة الإعدام. لم يضغط الكثير من الناس على الدول لإزالة الحظر على الزنا، على الرغم من أن هذا الحظر يتعارض مع حماية حقوق الإنسان لجميع ممارسات الجنس الرضائي بين البالغين.

تعدّ الاحتجاجات الشديدة على الحزب الإسلامي الحاكم في تركيا عندما حاول إعادة فرض الحظر على الزنا في عام 2004 استثناءً فريدًا من نوعه إلى حد ما. فقد ألغت المحكمة الدستورية القانون السابق في عام 1996، ليس بسبب المبدأ العام لحقوق الإنسان ضد معاقبة الجنس الرضائي ولكن لأنه يعاقب النساء أكثر من الرجال وبالتالي يتعارض مع مبدأ حقوق الإنسان المتمثل في المساواة بين الجنسين.

تعزز الحقيقة التي مفاداها أن النساء أكثر استهدافًا للحظر الديني على الزنا أوجه الشبه بين التعاليم الدينية والمزيد من الأخلاقيات اليومية وتضعفها في آنٍ واحد، وهذا يتوقف على مدى انتشار المعايير المختلفة للجنسين في أي مجتمع بعينه. إن التركيز المتزايد على المساواة بين الجنسين يعني أن الممارسة الدينية المتمثلة في معاقبة النساء الزانيات أكثر من الرجال الزناه تسبب مشكلة يصعب على الكثير من الديانات تفسيرها. وكما رأينا في حالتي تركيا وأوغندا، فإن حقيقة أن القوانين المستوحاة من الدين غالبًا ما تعاقب النساء وحدهن - أو تعاقب النساء بشدة وقسوة - تسبّبت في إلغاء تلك القوانين إذ إنها مخالفة للمبدأ القانوني للمتعلق بالمساواة بين الجنسين.

هجر الزواج

هُجرت زوجتان يهوديتان أرثوذكسيتان- ميشيل، أم لثلاثة أطفال، وداني، أم لأربعة أطفال- من قبل زوجيهنّ في نهاية التسعينيات. ومع ذلك، لم يكن لدى الرجلين أي رغبة في الطلاق على الرغم من أنّه كان لكليهما علاقات نسائية مع نساء أخريات وأنجبا أطفالًا. ووفقًا لليهودية الأرثوذكسية،

يحقّ للرجال فقط التقدّم بطلب للحصول على الطلاق، لذلك لم يكن لدى ميشيل وداني أي خيار سوى البقاء زوجتين.

في إسرائيل تنظم السلطات الدينية وحدها الزواج والطلاق - وليست السلطات العلمانية. حيث يخضع جميع اليهود، بغض النظر عن طوائف اليهودية التي ينتمون إليها تلقائيًا للمحاكم اليهودية الأرثوذكسية لأنها المحاكم الوحيدة التي تعترف بها إسرائيل في مجال قانون الأسرة اليهودي. والطريقة الوحيدة لتجنب اختصاص السلطات الدينية هي الزواج من الخارج. وحالات ميشيل وداني، التي تم تصويرها في الفيلم الوثائقي Mekudeshet 2004 أو «محكوم عليهن بالزواج»، ليست حالات فريدة من نوعها على الإطلاق وكثير من النساء اليهوديات في إسرائيل يعيشن في وضع مماثل. وحتى إذا اعترف أزواج ميشيل وداني علنا بعلاقاتهما مع نساء أخريات، فإن المحاكم الدينية الأرثوذكسية لن تسمح للنساء بالطلاق ما لم يوافق الرجال على ذلك. وفي هذه الأثناء، لا يُسمح لميشيل وداني بمقابلة ومواعدة رجال آخرين أو الزواج منهم، بينما يمكن للرجال الذين هجروهم فعل ما يحلو لهم طالما لم يتزوجوا مرة أخرى.

تشكّل القواعد التي تحكم الطلاق عنصرًا مهمًّا في التنظيم الجنسي الديني، لأسباب ليس أقلّها أنّها توفّر طريقة فعّالة للأديان للحدّ من عدد الشركاء الجنسيين الذين يتورّطون في علاقات مع الأفراد. ويعدّ الزنا، البديل عن الطلاق، أحد الأفعال القليلة التي تتضمّن ممارسة الجنس الرضائي الذي ما زال يقابل بالرفض من قبل غالبية أصحاب العقائد، أيًّا كانت عقيدتهم. وتلك الأديان التي تنجح في الحد من وتقليل حالات الطلاق، تقلّل أيضًا من احتمالات ممارسة الجنس للأشخاص المتزوّجين مع أي امرأة باستثناء زوجاتهم.

ونظرًا لأنّ غالبية الأديان تضع جلّ تركيزها عمومًا على التحكّم في السلوك الجنسي للنساء، فليس من العجب أن نجد أنّ عدم التوافق بين الحقوق الدينية الجنسية للرجال وحقوق النساء ينعكس كثيرًا في القواعد الدينية المتعلّقة بالطلاق. وفي الوقت نفسه، يمكننا أن نرى أنّ الطلاق هو أحد المجالات التي اضطرت فيها الأديان إلى التنازل عن سطوتها وسيطرتها على أتباعها إلى حدّ كبير على مدار القرن الماضي. كما تجدر الإشارة أيضًا إلى أنّ بعض الديانات كانت تنظر إلى الطلاق من الناحية التقليدية على أنه أمر لا يمثّل إشكالية، سواء بالنسبة للرجال أو النساء.

إذا ذهبنا إلى التناخ نجد قاعدة واضحة إلى حد ما فيما يتعلّق بالطلاق. «إِذا اتَّخَذَ رَجُلٌ امرأة وتَزَوَّجَها، ثُمَّ لم تَنَلْ حُظْوَةً في عَينَيه، لأَمرٍ غَيرِ لائِق وجَدَه فيها، فلْيَكتبْ لَها كِتابَ طَلاقٍ وُيسَلِّمْها إِيّاه ولَصرِفْها مِن بَيته». وإذا غيّر الزوج رأيه، فله مطلق الحرية في الزواج من المرأة نفسها، ولكن فقط إذا لم تكن قد تزوّجت من رجل آخر في تلك الأثناء. وإذا تزوجها الزوج الأول في هذه الحالة، فإنّ ذلك يعدّ «رجس أمام الربّ».

ومع ذلك، كان هناك نوع واحد من النساء لا يستطيع الرجل تطليقها. فإذا ضبط رجلًا متلبسًا مع امرأة عذراء ولم تقطع وعدًا على نفسها لرجل آخر، فيجب عليه أن يدفع إلى والد العذراء خمسين شيكلًا ليس فحسب، بل ويجب عليه أن يتزوّجها أيضًا، «ولا يجوز له أن يتركها طوال حياتها».

لا تمثّل رؤية الزوجة وهي مطلقة ومطرودة من منزلها بسبب نزوة زوجها أيّ أهمية على الإطلاق. ولم يكن للمرأة أيّ حقّ مماثل في الطلاق برغم أن بعضهم أخذ على عاتقه تطبيق القانون بنفسه. ونسمع من القضاة عن محظية غاضبة من زوجها اللاوي Levite وتفرّ منه إلى منزل والدها في بيت لحم. إلا أنّ المحظية لا تُمنح مطلقًا طلاقًا رسميًّا، إلا إذا منحها زوجها الطلاق، وكان الأمل الحقيقي الوحيد للمرأة التي ترغب في الطلاق هو أن «لا تَنَلْ حُظْوَةً في عَينَيه» أو ببساطة يتعب منها زوجها.

استمرّت اليهودية الحاخامية في السماح للرجال بالطلاق وحرمان النساء من هذا الحقّ. وكما ورد في المشناه، «يجوز تطليق المرأة سواء بموافقتها أو دون موافقتها، بينما لا يمكن تطليق الرجل إلا بموافقته الكاملة». وبمجرد أن تُطلّق المرأة، فإنّ حياتها الجنسية لا تصبح خاضعة للقواعد التي تحكم حياة المرأة المتزوّجة. ويتضمّن إعلان الطلاق الرسمي بأن الزوج ملزم قانونًا بمنح زوجته تأكيدًا أنّها «متاحة الآن لأيّ رجل». وبعد مدة وجيزة من الفتح الإسلامي لبلاد ما بين النهرَين، أعطى العلماء اليهود النساء الحقّ في الطلاق ولكن تمّ إلغاء هذا الحقّ في غضون القرن الثالث عشر.

نجح الباحث التلمودي الشهير جيرشوم بن يهوذا في القرن الحادي عشر في تقديم مقترح لليهود الأشكناز مفاداه أنّ الزوج يجب أن يحصل على موافقة زوجته «لتطليقها، وهو تقييد مهمّ للحقوق الأصلية للرجل، ولكن معظم اليهود السفارديم لم يقبلوا هذا التقييد قطّ. وعندما صدرت قوانين الطلاق الوطنية في الدول الغربية وكان بإمكان اليهود الطلاق قانونًا بصرف النظر عن اللوائح الدينية الأكثر صرامة، كانت حياة اليهود الذين يتزوّجون مرة أخرى وفقًا للقانون المدني تعدُّ حياة زنا وأيّ أطفال ينجبونهم يعدُّون أطفالًا غير شرعيين. ويقبل اليهود الإصلاحيون المعاصرون الآن حقًّا مشتركًا في الطلاق ولا يرون أيّ تعارض بين قوانين الطلاق الديني والمدني، لكن كما رأينا، لا يزال الكثير من اليهود الأرثوذكس متمسّكين بالحقّ التقليديّ المتحيّز جنسانيًّا في الطلاق.

يبدأ الإسلام من الموضع نفسه الذي انتهت إليه اليهودية؛ حيث يحقّ للرجل الطلاق، بينما لا يحق للمرأة الطلاق. ومع ذلك، فقد تعامل الإسلام مع لوائح الطلاق الأكثر شمولاً منذ البداية؛ سورة الطلاق بأكملها وترتيبها 65 في القرآن الكريم مخصّصة لهذا الموضوع. حيث يُمنع الزوج صراحةً من طرد زوجته من منزلها بالطريقة التي تحدث في التناخ وتكون مدة العزل إجبارية وكما جاء في الحديث الشريف، ظنّ الخليفة عمر وعلى ابن أبي طالب ابن عمّ النبي كلاهما أن مدة العزل يجب أن تبدأ عندما يصدر الزوج يمين الطلاق ليمتنع عن ممارسة الجنس مع زوجته. ويجب أن يستمرّ العزل أربعة أشهر. وبمجرّد انتهاء مدة العزل، يجب على الزوج إمّا أن يسترجع زوجته «بإحسان»

أو يطلقها «بإحسان». وإذا قرّر أنّ الطلاق هو ما يريده، فلا يمكنه ببساطة وضع خطاب بين يدي زوجته. بل يجب أن يأتي بشاهدَين من الذكور لإعلان الطلاق. ويكون الرجل ملزمًا كذلك بدعم زوجته السابقة وفقًا لقدرته الاقتصادية، خاصّة إذا كانت حاملاً.

إنّ العرف المألوف والواسع الانتشار للزوج الذي يكرّر عبارة «أنت طالق» ثلاث مرات ملزم قانونًا في الإسلام، لكن هناك كثيرًا من المسلمين الذين يرون أنه سوء استخدام خاطئ لحقوق الذكور ويتعارض مع القرآن الكريم. والكثير من الدول ذات الأغلبية الكاسحة من السكّان المسلمين لا تعتبر إعلان الطلاق بهذه الطريقة ساري المفعول من الناحية القانونية ضمن أنظمتها التشريعية الوطنية، ومن ثَم فهي تجبر الرجال المسلمين على اتّباع إجراءات طلاق أكثر شمولية.

لم يكن للنساء المسلمات، مثل أخواتهن اليهوديات، في الأصل أيّ حقّ في المطالبة بالطلاق، ولكنّ هناك اختلافاتٍ إقليميةً كبيرةً في هذا الأمر. فهناك قَبولٌ تقليديٌّ بين النساء اللائي يحصلن على الطلاق بمبادرة منهنّ في الصحراء الغربية، على سبيل المثال، وهو إقليم جل من يقطنوه من المغاربة. وكثير من الدول الإسلامية تسمح اليوم للمرأة بالطلاق لأسباب عدّة، وتستند كثير من التغييرات القانونية إلى تفسيرات القرآن الكريم. فقد أعطت تركيا والسودان كلاهما النساء حقّ بَدء إجراءات الطلاق في بداية القرن العشرين. بينما تواجه النساء في إيران عددًا من احتمالات الطلاق، وغالبًا ما يعتمد ذلك على ما هو مذكور في عقود زواجهن. في عام 2004، أدخل المغرب قانونًا يمكّن المرأة من مقاضاة الزوج للحصول على الطلاق.

تبنّت المسيحية وجهة نظر مختلفة تمامًا عن الطلاق مقارنة بالإسلام واليهودية منذ البداية. فقد أعلن يسوع المسيح أنّ جميع أولئك الذين يتزوّجون مرة أخرى بعد الطلاق يرتكبون الزنا بحكم التعريف وسيلقون سعيرًا. حتّى إذا ظلّ الرجل المطلق عازبًا، فلن يكون هناك فائدة؛ لأنّه سيكون مذنبًا بالزنا الذي ترتكبه زوجته السابقة إذا تزوّجت من جديد. وفي نظر يسوع المسيح، كان الزنا هو الأساس الشرعي الوحيد للطلاق، لكن حتّى هذا الاستثناء قد يكون تكملة لاحقة للنصّ وليس ممّا قاله يسوع المسيح فعليًّا.

غالبًا ما يُنظر إلى حقيقة أن يسوع لم يقل كثيرًا عن الحياة الجنسية إذ إنها مشكلة نظرًا لأنه أجبر المسيحيين على محاولة استخلاص استنتاجات من أشياء أخرى قالها. لكن يسوع المسيح واضح تمام الوضوح بشأن الطلاق؛ إنه ممنوع ويؤدّي مباشرة إلى اللعنة.

لا فائدة من الرجوع ومحاولة التخفيف من تصريحات يسوع المسيح بإظهار أنّه كان يحقّ للرجال في العهد القديم فعل ما يحلو لهم. كانت نقطة الانطلاق لمناقشة يسوع المسيح للطلاق هي قواعد التناخ التي بموجبها يحقّ للرجل التخلّي عن زواجه. ويرفض يسوع المسيح هذه القواعد لأنّها خارج نطاق السيطرة ويقول إنّها ليست صارمة بما فيه الكفاية. ولا يوجد شيء آخر في العهد الجديد يمكن أن تُبنى عليه أيّ حجّة تعطي المسيحيين الحقّ في الطلاق. يسمح بولس لغير المسيحيين بأخذ زمام

المبادرة وطلب الطلاق، وفي هذه الحالة فإنّ المسيحي الذي يمثّل نصف شراكة الزواج، سواء أكان ذكراً أم أنثى، يتحرّر من العبودية. ولكن لا يحقّ للمسيحي ترك زوجة غير مسيحية. إذًا، نقطة البداية للمسيحية لا جدال فيها؛ الطلاق ممنوع منعًا باتًا.

ولو افترضنا جدلًا أنّه من المستحيل تفسير تعاليم يسوع المسيح وبقية العهد الجديد أيّ تفسير آخر سوى الحظر الكامل للطلاق، فمن المثير للاهتمام بشكل خاصّ ملاحظة مدى قبول الطلاق بشكل كامل أو عدم اعتباره مشكلة من قبل أغلبية المسيحيين المعاصرين. حتّى إنّ الكثير من المسيحيين المحافظين على خلاف ذلك يجدون أنّ الطلاق أمرًا مقبولًا. وكان أول رئيس مطلق والرئيس الوحيد المطلق حتّى الآن في البيت الأبيض هو رونالد ريجان، الذي تمّ انتخابه بدعم هائل من اليمين المسيحي المحافظ. وكان جون ماكين، مرشّح الرئاسة لعام 2008 المدعوم من الغالبية العظمى من المحافظين الأمريكيين المسيحيين مطلقًا أيضًا دون أن يكون الطلاق قضية مهمة على الإطلاق.

عندما بدأ بير أوسكار كيولاس أسقف شمال هالوجالاند إجراءات الطلاق كأول أسقف نرويجي يفعل ذلك، لم يطالب بإعفائه من منصب الأسقف سوى عدد قليل من الوزراء المحافظين اللايستاديينين. ولم ير أولاف سكيفيسلاند، رئيس كنيسة النرويج، أنّ الحظر التامّ الذي فرضه يسوع المسيح على الطلاق مشكلة. بل على العكس من ذلك، فقد عدّ «هذا أمرًا خاصًّا ولا يهمّ العوام على الإطلاق». وجادل قائلًا: «من الممكن تمامًا أن يكون الأسقف مطلقًا». ووفقًا لرئيس الكنيسة، لم يكن لطلاق الأسقف أي «جوانب أثرت على دوره الرسمي» - على الرغم من الحظر التامّ في الكتاب المقدّس.

اعتقد عدد من آباء الكنيسة الأوائل أنّه حتّى عندما يكون الطلاق ناتجًا عن الزنا، فإنّ الشريك البريء ليس له الحق في الزواج مرة أخرى. وكان ترتليان، على سبيل المثال، واضحًا تمامًا عندما ذكر أنّ الزواج الثاني «لا يمكن أن يكون سوى شكل من أشكال الزنا». لكن التحيّزات التقليدية للجنس سرعان ما ظهرت مرة أخرى. فقد طالب مجلس الفيرا في إسبانيا في بداية القرن الرابع عشر، على سبيل المثال، بوجوب طلاق الزوج لزوجته إذا كانت الزوجة غير مخلصة، ولكن إذا كان الزوج غير مخلص، فلن تتمتع الزوجة بحق المطالبة بالطلاق مطلقًا. وفي الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية، كان للرجل الحقُّ في طلاق زوجته ليس فحسب بسبب الزنا، بل وأيضًا إذا تردّدت على أماكن سيّئة السمعة مثل مضمار السباق أو الحمامات العامّة. ومع ذلك، إذا كان الزوج وحده هو الزاني، فلا يكون الزنا وحده سببًا كافيًا لطلاق المرأة؛ بل يجب أن يكون الزنا علنيًا أو أن يكون له تأثير مباشر على المجتمع.

بالإضافة إلى الفروق بين الجنسين، كان هناك أيضًا اختلاف اجتماعي بين المستويات العليا والدنيا. فقد تزوج شارلمان نفسه أكثر من مرة، رغم أن قانونه المدني كان يحظر الزواج مرة أخرى بعد الطلاق. ولكن كما نتذكر جميعًا من كتب تاريخنا، لم يكن من السهل دائمًا على الملوك الهروب

من زواجهم سواء بالطلاق أو الإلغاء. فقد رفض البابا السماح للملك هنري الثامن ملك إنجلترا بهجر زوجته الأولى، وقد ساهم هذا الرفض في الانفصال بين الكنائس الكاثوليكية والإنجليكانية.

لم يفتح الإصلاح الطريق أمام الطلاق ليصبح أكثر شيوعًا حتّى في إنجلترا. وكان الزنا هو السبب الوحيد للطلاق الذي قبلته الكنيسة الأنجليكانية حتّى عام 1857. ولم يكن من السهل ترك الزواج حتى لو كانت زوجتك زانية: تمّ التصديق على ست عشرة حالة طلاق فقط بين عامي 1670 و1749. وفي البلدان البروتستانتية الأخرى، كان من الممكن المعاقبة بالطلاق إذا كان هناك دليل على الزنا أو العجز الجنسي، وأحيانًا إذا كان الزوج مصابًا بمرض مُعدٍ أو غيّر دينه أو أُدين بارتكاب جريمة خطيرة. ومع ذلك، كان معدّل الطلاق في كثير من البلدان في المدة الحديثة المبكّرة يبلغ حوالي حالتين فقط في العام لكل 100،000 نسمة، مقارنة مع 350 لكل 100،000 نسمة في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 2008.

من الناحية الرسمية، لم تتهاون الكنيسة الكاثوليكية مطلقًا مع الطلاق، على الرغم من أنّها تحايلت على حظرها الخاصّ بإلغاء أعداد كبيرة جدًّا من الزيجات، وعارضت بشكل دائم معظم الجهود لإضفاء الطابع القانوني على الطلاق في البلدان الكاثوليكية. لقد قاومت الكنيسة الكاثوليكية بشدّة، على سبيل المثال، عندما صادقت الجمهورية الإسبانية على الطلاق في عام 1932 ولكن لحسن حظّ الكاثوليكية، عكس فرانكو هذا القرار عندما تولّى الفاشيون السلطة بضع سنوات. ونجحت الفاتيكان في نسف مقترح قانون الطلاق في إيطاليا عام 1921 وفعلت ما في وسعها لإقناع الإيطاليين بالتصويت ضد قانون جديد يقرّ الطلاق في استفتاء عام 1974. وصوت 59% من الإيطاليين الكاثوليك بأغلبية ساحقة لأجل الاحتفاظ بحقّهم الجديد في الطلاق.

أقامت كنيسة الولاية اللوثرية في الدنمارك حفلًا للطلاق، لكن هذا النوع من القبول المؤسّسي المسيحي للطلاق ما زال نادرًا. إنّ أهمّ دليل على التغيير الكامل لموقف الطلاق بين المسيحيين هو ببساطة عدد الأشخاص الذين يمضون قدمًا في الطلاق. حيث تتراوح نسبة الزيجات التي تنتهي بالطلاق في الدول البروتستانتية الأوربّية بين 40% و50%. وفي الدول الكاثوليكية، نجد أنّ الكثير من الناس يعيشون في معارضة مباشرة للتعاليم الرسمية للكنيسة الكاثوليكية، ليس هذا فحسب، ولكن التبعية الدينية ليست هى العامل الحاسم الوحيد. فهناك اختلافات كبيرة بين مختلف البلدان الكاثوليكية الأوربّية؛ في كل من بلجيكا وليختنشتاين وليتوانيا ولوكسمبورج والمجر والنمسا، يتجاوز معدل الطلاق نسبة 40%، بينما في إيطاليا وكرواتيا وبولندا وإسبانيا أقل من 20%.

موقف البوذية المبدئي فيما يتعلق بالطلاق هو موقف الحياد، الذي يرتبط بوضوح بحقيقة أنه لا الجنس ولا الزواج يحتلان مرتبة عالية جدًا في هذا الدين. وتم قبول الطلاق تقليديًا وأصبح من السهل الحصول عليه في البلدان البوذية مثل سريلانكا وبورما وتايلاند، ولكن عندما ننظر إلى الممارسات البوذية في عدد من البلدان الأخرى، يبدو أنه كانت هناك صعوبات في كثير من

الأحيان، خاصة بالنسبة للنساء، وقد أسهمت المعتقدات الكونفوشيوسية، وكذلك عقائد الأديان الأخرى، في تعقيد المشكلة بالنسبة للنساء في دول مثل فيتنام والصين. وفي اليابان حيثما تشترك البوذية في المرتبة الأولى مع الديانة الشينتوية من بين الديانات الأخرى في البلاد، كان من المستحيل تقريبًا أن تحصل المرأة على الطلاق قبل عام 1947 ما لم تحصل على موافقة زوجها، في حين أن الزوج، أو حتى أسرة الزوج، يمكن أن تحصل على الطلاق لمجرّد أنّهم لم يعودوا يحبّون الزوجة. وإذا لم تصبح الزوجة حاملاً، يمكن لعائلة الزوج المُضيّ قُدُمًا في الطلاق حتّى لو لم يكن للزوج نفسه رغبة في ذلك. ولم يعط الزنا من جانب الزوج مبرَّرا للزوجة كي تطلب الطلاق، بينما كان زنا الزوجة سببًا كافيًا وواضحًا للطلاق.

كانت الطريقة الوحيدة التي تمكّنت بها امرأة بوذية يابانية من الحصول على الطلاق هي أن أخذت المبادرة في أن تصبح راهبةً، ولكن هذا يعني بالطبع أنه لا توجد إمكانية لتتزوّج من جديد؛ والنساء اللائي أصبحن راهباتٍ بهذه الطريقة اعتُبرن أنّهن أقلُّ مكانة من الراهبات الأخريات.

تعدُّ البوذية من حيث النشأة فرع من فروع الهندوسية ولكن هناك أوجه التشابه بينهما في الرؤى بشأن الطلاق قليلة. حيث يمثّل الطلاق إشكالية كبيرة للهندوسية، حيث يُنظر إلى الزواج على أنه اتحاد أبديّ يدوم أثناء كثير من الأرواح وفي السماء. وهذا ما يفسّر لماذا ينبغي للمرأة ألّا تتزوج مرة أخرى إذا كانت أرملة؛ ولم يكن الرجال يواجهون المشكلة نفسها لأنه سُمح لهم بالزواج من عدة زوجات.

ومع ذلك، هناك الكثير من الاستثناءات - كما هو الحال في الهندوسية. عادة ما كان يتمتّع الأشخاص الذين هم من أدنى الطبقات بالحصول على الطلاق بسهولة، وكذلك الحال بالنسبة لكثير من شعوب الهند القبلية. والأمر الأكثر إثارة للدهشة هو أنّ الطلاق كان يسعى له حتى أعلى الطبقات في أجزاء من بنجاب وماهاراشترا. كانت قواعد الطلاق تعتمد إلى حدّ كبير على الطبقة التي ينتمي إليها الفرد وفي كثير من الطبقات كان الطلاق مسموحًا به تقليديًا إذا وافق الطرفان عليه. ومع ذلك، في بعض الطبقات، يحقّ للرجل تطليق زوجته بغض النظر عن ما تريده. وفي بعض الطبقات، كان هناك احتمال حصول المرأة على الطلاق بمبادرة منها، إمّا عن طريق دفع كلّ نفقات حفل الزفاف للرجل، أو إذا كان الزوج عاجزًا جنسيًّا أو إذا اختفى أو أصبح زاهدًا في زوجته.

تمّت الموافقة على التشريع الهنديّ الحديث للأسرة المطبق على الهندوس في عام 1955 وقد جعل الطلاق متاحًا عامّة بالإضافة إلى ترسيخ وضع النساء والرجال على قدم المساواة فيما يتعلّق بالطلاق وإلغاء الزواج. وأعلن عدد من المتحدّثين باسم الطبقة العليا أنّ هذا أحد أعراض التدهور الديني والانحدار الثقافي. حيث يمكن على سبيل المثال إلغاء الزواج إذا تبيّن أنّ الزوج عاجزًا جنسيًّا أو إذا كانت المرأة حاملاً من رجل آخر وقت الزواج. أصبح الزنا، والقسوة، والجذام، والأمراض التناسلية، والهجر، والزهد، والدخول في النظام الديني أو الخروج من الهندوسية كلّها أسباب للطلاق

لكلّ من الرجال والنساء على حدّ سواء. قدّمت كينيا وأوغندا قوانين متشابهة للغاية للهندوس في عامي 1960 و1961 على التوالي. ومنذ عام 1976، كان للهنود الهندوس الحقّ في الطلاق دون أيّ سبب سوى رغبة أحد الطرفين أو كليهما في القيام بذلك، بعد انفصال عام واحد.

لا يمكن تصنيف المواقف الدينية للطلاق ببساطة على أساس ما إذا كانت ديانات بعينها تسمح بذلك أم لا. فعند دراستها عن كثب، يتبيّن أنّ هناك مجموعةً كاملةً من العوامل التي تحكم هذه المواقف. وفي المسيحية والهندوسية، يوجد المبدأ الأساسي لعدم قابلية الزواج نفسه للفسخ، وهو ما يعني بوضوح أن نقطة البداية بينهما هي أنّ الطلاق غير مقبول. وفي البوذية، من ناحية أخرى، فإنّ العامل الرئيس هو عدم أهمّية الزواج. فلا يُعَدُّ الدخول في الزواج قضية دينية – ومن ثَمّ، ولا الخروج منه. وفي اليهودية والإسلام لم تكن نقطة البداية حظرًا تامًّا ولا قبولًا عامًا للطلاق. والمبدأ الإرشادي هو حقّ الرجل في التحكّم في الحياة الجنسية للمرأة وفرض السيطرة عليها. حيث يكون للرجل فقط الحقّ في الشروع في الطلاق، ممّا يعني أنّ حقّ الرجل في السيطرة على المرأة يحتلّ مرتبة أعلى بكثير في الزواج كمؤسسة.

تقدّم المواقف الدينية الحديثة تجاه الطلاق، خاصّة داخل المسيحية، مثالاً جيدًا على الطريقة التي يمكن بها للأديان أن تغضَّ الطرف عمّا تعتبره عادة سلطات مطلقة. فقد أصبحت إمكانية الطلاق بدهية للغاية في حياة الكثير من المسيحيين حتّى إنّ معظمهم لا يعترف حتّى بإدانة يسوع المسيح المطلقة للطلاق إذ إنّها مشكلة من نوع ما. ومن ثَمّ، فإنّ الموقف المسيحي من الطلاق هو مثال واضح جدًّا على كيفية تجاهل الحظر الديني المطلق تمامًا إذا لم يعد أصحاب العقائد أنفسهم يرون أنه ذو صلة.

المحظورات الأخرى والفتحات الجنسية

وكلّم الربُّ موسى قائلًا: «وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امرأة طَامِثٍ وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا، عَرَّى يَنْبُوعَهَا وَكَشَفَتْ هِيَ يَنْبُوعَ دَمِهَا، يُقْطَعَانِ كِلاَهُمَا مِنْ شَعْبِهِمَا." حيث لا جدوى من التشكيك في هذا الحظر المذكور في الكتاب المقدّس حول ممارسة الجنس أثناء الحيض؛ فقد حظره الله تمامًا ويجب قتل أولئك الذين يرتكبون هذا «الرجس». قد يبدو ذلك أكثر تطرفًا بعض الشيء، ولكنّه وفقًا للكتاب المقدّس مهمّ للغاية.

إنّ الغرضَ من ذكرنا لهذه القصّة ليس التوصُّل إلى أيّ استنتاج لاهوتيّ نهائيّ حول ما ينبغي القيام به لأولئك الذين يمارسون الجنس في مدة الحيض، ولكن لإظهار أنّ القواعد الدينية للسلوك الجنسي المغاير تغطّي موضوعات أكثر بكثير ممّا إذا كان يُسمح للناس بممارسة الجنس داخل إطار الزواج أو خارجه. حيث تمثّل القواعد المتعلّقة بالجنس أثناء مدة الحيض مثالًا جيدًا على كثير من القواعد الجنسية المشابهة. لكنّنا إذا نظرنا عن كثب إلى ظاهرة الجنس المحدّدة أثناء مدة الحيض، فإننا سرعان ما ندرك أنّ هذه القاعدة وحدها تمثّل طابعًا معقّدًا.

على الرغم من أنّ الدعوة التوراتية لعقوبة الإعدام لممارسة الجنس في مدة الحيض كانت مطلقة، فليس هناك ما يشير إلى ما تمّ اتخاذه بشأن ذلك من إجراءات. قبل ذلك بقليل، كان النصّ نفسه يشير، بصورة مربكة، إلى عقوبات مختلفة تمامًا. فإذا جامع الرجل امرأة حائض أثناء الأيام السبعة التي تكون فيهما غير طاهرة، فعليه فقط التأكّد من أنّ «عدم طهارتها» لم يصبه. فإذا حدث ذلك، يصبح هو نفسه نجسًا مدة سبعة أيام؛ وكلّ السرير الذي يرقد فيه يكون نجسًا. وهذا أيضًا هو الشيء الذي «تكلّم الربّ به إلى موسى» لذلك من الصعب نوعًا ما معرفة ما يجب فعله بالضبط مع الأشخاص الذين يمارسون الجنس أثناء الحيض. لكنّ الشيء الواضح تمامًا هو أنّ الجنس أثناء الحيض محظور وربّما يعود للفرد المؤمن ليقرّر ما إذا كان مرتكبو الجرائم الجنسية يستحقّون عقوبة الإعدام أو لا.

في اليهودية يرتبط حظر ممارسة الجنس في مدة الحيض بفهم أوسع للطهر الديني والشعائري والذي يتضمّن كثيرًا من العناصر الجنسية وغير الجنسية. ومن أشهر هذه القواعد تلك القواعد المتعلّقة بما يمكن أن يؤكل وما لا يؤكل- ويشمل ما لا يؤكل لحم الخنزير والأرانب البرية والجمال والنعام والروبيان وأنواع معيّنة من الجراد (أنواع الجراد الأخرى مقبولة تمامًا). وتشير الأوامر المماثلة المتعلّقة بالنجاسة إلى أمراض الجلد والولادة والعفن على الملابس. وجميع أنواع الجنس التي تحوي سوائل جسدية نجسة: «المرأة التي ينام معها الرجل أيضًا ويضع فيها بذرة الجماع، يجب عليهما الاستحمام في الماء»؛ وحتّى بعد الاستحمام بغرض التطهُّر، سيظلّان «نجسَين حتّى المساء». وينطبق مبدأ النجاسة نفسه على الرجل الذي «يقذف» منيه عندما لا يمارس الجنس مع امرأة، ولا تقتصر النجاسة على أولئك الذين يقذفون منيّهم عند ممارسة الجنس أو دون ممارسة الجنس: «كلّ ثوب وكلّ جلد، حيثما تقذف بذرة الجماع، يُغسل بالماء، ويكون نجسًا حتّى المساء». عندما يتمّ تعريف المرأة الحائض بأنّها نجسة مدة سبعة أيام، فإنّه من المدهش أن يقترن هذا المستوى من النجاسة مع النشاط الجنسي - الذي هو أيضًا نجس – وبدوره يؤدّي أحيانًا إلى عقوبات شديدة إلى حدّ ما.

ومع ذلك، فإنّ ممارسة الجنس في مدة الحيض ليست النوع الوحيد من الجنس النجس الذي يستحقّ ويستوجب عقوبة الإعدام، حيث يوصى باستخدام العقوبة نفسها في الزنا والبهيمية والجنس الشرجي بين الرجال وزنا المحارم والجنس مع أولئك الذين تزوّجوا من العائلة. وتعدّ كلّ هذه الأنواع من الجنس النجس، إلى جانب لعنة الوالدين، والسحر وأكل حيوانات نجسة من الأفعال المثيرة للاشمئزاز، وفيما ورد من أنباء كانت يمارسها المصريون و«الأمم السابقة التي أخرجت من قبل». وليس مؤكَّدا ما إذا كانت هذه الأشياء تمارس بالفعل من قبل الشعوب الأخرى في المنطقة، ولكن التصوّر السائد هو أنّ فعل مثل هذه الأشياء مهمّ في دين الكتاب المقدّس. والنقطة المهمّة هنا هي أن بني إسرائيل قد صدّقوها، ولمّا قال لهم الله: «أنا الربّ قدّوس، وقد عزلكم عن الآخرين، يجب أن تكونوا لي»، لذا كان على الإسرائيليين أن يهتمّوا بعدم تقليد الشعوب التي عاشت جوارهم. وإذا ارتكبوا مثل هذه الأعمال، فإنّ الأرض المقدّسة نفسها ستكون «مدنّسة». لذلك عندما كان

الإسرائيليون يقتلون أولئك الذين انغمسوا في ممارسة الجنس في مدة الحيض أو تجاهلوا أيًّا من أشكال الحظر الجنسي الأخرى، كانوا يقومون بعمل مقدّس يؤكّد الطبيعة الفريدة لعلاقتهم مع الله.

كما هو الحال مع كثير من الجوانب الأخرى من أوامر الكتاب المقدّس حول الطُّهر، أبقت اليهودية الحاخامية على حظر ممارسة الجنس في مدة الحيض. وعلى الرغم من أنّهم تجاهلوا المطالبة بتطبيق عقوبة الإعدام، إلا أنّ الحظر المتقطّع لممارسة الجنس أثناء الأيام السبعة التي تكون المرأة فيها «غير طاهرة» قد أضاف إليها «سبعة أيام طهر» - وبعبارة أخرى، تمّ حظر ممارسة الجنس مدة أسبوعين من كلّ شهر بسبب الحيض.

فرضت الأديان السماوية الأخرى حظرًا على ممارسة الجنس أثناء مدة الحيض، على الرغم من أنّ التبعاتِ الإلهيةَ الشديدةَ قد نُسيت إلى حد كبير. حيث يدعم القرآن الكريم حظر ممارسة الجنس في فترة الحيض، لكنه لا يذكر شيئًا عن العقوبة، ويقول ببساطة إن الرجال يجب ألا يمارسوا الجنس مع النساء في فترة الحيض لأنهن غير طاهرات. ولم تحظر المسيحية في العصور الوسطى ممارسة الجنس أثناء فترة الحيض فحسب، بل وأيضًا حظرت ممارسة الجنس أثناء فترة الحمل وفترة الرضاعة الطبيعية. وأي شخص يرتكب هذه الخطايا يجب عليه أن يؤدي كفارة أربعين يومًا. أما الكمون الأيرلندي في كتاب التوبة في القرن السابع فقد مضى شوطًا أبعد ونهى عن ممارسة الجنس في ليالي الأربعاء والجمعة والآحاد والسبت. ويجب أن يمتنع الزوجان أيضًا عن ممارسة الجنس ثلاث فترات مدة كل واحدة أربعين يومًا كلّ عام – وكلّ ما سبق يترك لهما في النهاية 90 يومًا متبقّية يمكنهم فيها ممارسة الجنس. وفي وقت لاحق من العصور الوسطى، كان الحظر من هذا النوع يعدُّ أقلَّ أهمية. وهناك عدد قليل جدًا من المسيحيين المعاصرين يعتقدون أنّ أيًّا من هذه الأمور قد تمثّل مشكلة من وجهة نظر دينية.

وعند الحديث عن الشرق، نجد أنّ قوانين مانو تحظر الجنس أثناء مدة الحيض. وتحوي هذه النصوص القديمة أيضًا على كثير من المحظورات الجنسية التي يدعمها عددٌ قليلٌ جدًّا من الهندوس المعاصرين. فيبدو أنّ ممارسة الجنس في الماء خطيئة، ويجب على الرجل الذي يفعل ذلك التكفير عن طريق عمل كريك سامتابانا Kricchrasamtapana، التي تعني أخذ جرعة من بول البقر، وروث البقر والحليب والحليب الحامض والزبد وغلى عشبة كوشا kusa -، وبعد ذلك يجب أن يصوم مدة 24 ساعة. قد لا يجوز للرجال من الطبقات الرئيسة الثلاث الأعلى ممارسة الجماع مع امرأة أثناء النهار أو في عربة تجرّها الثيران؛ وحال قيامهم بأيّ من هذه الأشياء البغيضة، يجب عليهم أن يلبسوا ثيابهم كلّه بعد الاستحمام بغرض التطهر. ويبدو هذا النوع من الحظر سخيفًا في نظر معظمنا، لكنّه يبيّن بوضوح شديد قلة القيود المفروضة على أنواع الجنس التي يمكن أن تخضع للتنظيم الديني.

مارست البطلة اليونانية أتالانتا وزوجها ميلانيون الجنس ذات مرة في معبد مخصّص لزيوس أو للإلهة الأمّ سيبيل. وليس من المعروف ما إذا كانا فعلا ذلك في المعبد مصادفة أثناء رحلة صيد أم أنّهما كانا مدفوعين لفعل ذلك انطلاقًا من رغبة ملحّة حرّضتها إلهة الحب أفروديت، التي غضبت لأنّهما فشلا في تقديم تضحية مناسبة للاحتفال بامتنانهما لها. أيًّا كان الأمر، كان ينبغي لهما أن يعرفا بشكل أفضل أنّ الدين اليونانيَّ عادة ما يمنع الناس من ممارسة الجنس في المعابد. وفقًا لأوفيد، فإنّ كثيرًا من الصور الخشبية القديمة للآلهة قد حوّلت أعينها عن الزوجين اللذين ضاجعا بعضهما بعضًا في المكان المقدّس. ولم تفلت أتالانتا وميلانيون من العقاب بسبب جريمتهم الجنسية التي ارتكباها. فقد أصبحت أعناقهما مثنية ومغطّاة بالفرو، وتقوّست أصابعهما وتحولت إلى مخالب، وتبدّلت أذرعهما إلى أرجل أمامية وظهرت ذيولهما. وفجأة لم يعودوا بشرًا، لقد تحوّلوا إلى أسود.

لا شكّ في أن التحوّل إلى حيوانات لممارسة الجنس في معابد يونانية يعدّ استثناءً ولكنّه يؤكّد مدى حظر الجنس في هذه الأماكن المقدّسة. يحظر التناخ أيضًا ممارسة الجنس في المعبد، الحظر الذي استمرّ، وينطبق على جميع الأماكن المقدّسة اليهودية. وعندما مارس أبناء إيلي الجنس مع النساء اللاتي يخدمن في الحرم المقدّس للإله، تلقّى والدهما رسالة من الله، كعقاب، «في يوم من الأيام سيموتان كلاهما»، وهو ما حدث بالفعل. وتنطوي المسيحية على الحظر العام نفسه على الرغم من أنّه ضمنيّ. ربّما يكون أفضل مثال على الحظر المسيحي على ممارسة الجنس في الأماكن المقدّسة هو التخيّلات المسيحية الكثيرة حول الطقوس الشيطانية وغيرها من الطقوس غير المسيحية التي تُجرى في الكنائس. وهي غالبًا ما تنطوي على ممارسة الجنس في الكنيسة نفسها أو الطقوس التي تعكس طقوس الكنيسة بصورة واعية.

في عام 1481 قُطعت رأس جوفاني فورلان وحُرق في مدينة البندقية لممارسة الجنس مع زوجته. لكن هذا لم يكن تعبيرًا متطرّفا عن الشكوك العامّة حول المغايرة الجنسية التي هزّت عرش المسيحية طوال تاريخها. فمشكلة فورلان أنّه مارس النوع الخطأ من الجنس مع زوجته - مارس الجنس في موضع غير لائق. وكان حكم الإعدام ناتجًا عن اللواط المتكرّر، أو بدقّة أكثر عن الجماع الشرجيّ مع زوجته. وفي عام 1578، حُكم على رجل فرنسي في كاتالونيا بالعبودية مدى الحياة في القوارب لممارسة الجنس الشرجيّ مع زوجته، وتمّ إعدام بعض الرجال في 1583 و1619 في سرقسطة للجريمة نفسها. ومن ثّم، فإنّ الرأي السائد في بعض الأوساط المسيحية اليوم بأنّ الجنس الشرجيّ المغاير هو أمر مقبول من حيث إنّه يحفظ عذرية الشريكة الأنثوية بالتأكيد لا يشغل موقعًا مسلمًا به في اللاهوت الجنسيّ المسيحيّ. كان الحظر المسيحي على ممارسة الجنس الشرجيّ مرتبطًا بفكرة أنّ اللواط والجنس الشرجيّ مترادفان وأنّه ليس شيئًا ينبغي أن يقوم به الرجال والنساء بعضهم مع بعضًا. وكان يُنظر إلى الجنس الشرجيّ على أنه مشكلة لأنه تمّ تعريفه على أنه جنس غير طبيعي. وبعبارة أخرى، لا يمكن أن يؤدّي إلى الإنجاب.

لم يذكر شيء في الكتاب المقدس عن الجنس الشرجي بين الرجال والنساء. لذا فإن الحظر المسيحي على ممارسة الجنس الشرجي لا يعتمد على التفسير المسيحي لما يعتقد الله أنه أخلاقيات جنسية مناسبة. التقاليد اليهودية الحاخامية تأتي بتفسير مختلف؛ الجنس الشرجي مسموح به في الزواج. عند مناقشة المواقف الجنسية المسموح بها، تمنع الأحاديث الإسلامية الأزواج من ممارسة الجنس الشرجي - ولكن لا يتمّ تقديم تفسير للحظر. كما هو الحال في الفكر المسيحي، فإن عددًا من فقهاء السنة يعقدون مقارنة بين الجنس الشرجيّ المغاير بين الجنسين وبين نوع الجنس الذي يُمارس في اللواط.

في عام 342، حظر الأمبراطوريان المسيحيان كونستونيوس وكونستانس جميع العلاقات الجنسية أثناء الزواج بخلاف الجنس المهبليّ. وهذا ليس مجرد مثال على الاهتمام المسيحيّ بالجنس الشرجيّ؛ بل يشمل أيضًا الجنس الفمويّ. فكما رأينا، يعدُّ الكثير من المسيحيين المحافظين في يومنا هذا ممارسة الجنس الفمويّ بديلاً جيدًا وعمليًّا لأولئك الذين لا يريدون ممارسة الجنس قبل الزواج. ومن الواضح إذًا أن وجهة النظر هذه لم يتمسّك بها جميع المسيحيين، بل إنّ الجنس الفمويّ كان يعدُّ في كثير من الأحيان أسوأ من الجنس الشرجيّ.

يرى أوغسطين أنه من الأفضل للرجال الذين يحبّون «الجنس غير الطبيعي»، مثل الجنس الشرجيّ أو الجنس الفمويّ، القيام بذلك مع البغايا والعاهرات بدلاً من زوجاتهم، والسبب هو أنه من الأفضل القيام بمثل هذه الأشياء المؤسفة أخلاقيًّا مع النساء اللائي كان خلاصهنّ بالفعل موضع شكّ بدلاً من تعريض زوجاتهم الأتقياء للخطر. واعتقد جراتيان، الذي تعدُّ مجموعته من القوانين الكنسية في القرن الثاني عشر أحد أهمّ الأعمال من نوعها في المملكة المسيحية الغربية، أنّ هذا النوع من الجنس غير الطبيعي «في الزواج كان أسوأ من الزنا. وأعرب آباء الكنيسة الآخرون عن أسفهم لحقيقة أن هذه الأنواع المروّعة من السلوك الجنسيّ كان من الصعب للغاية إثباتها ولم يكن من السهل معرفتها ما لم يعترف الناس بفعلها. على الرغم من أنّها تأتي بصعوبة في مقدّمة اهتمامات المسيحيين، فإنّ تحريم المسيحيين للجنس الشرجيّ والجنس الفمويّ ليس مجرد تاريخ قديم. حيث تندرج هذه الأنواع من الجنس بشكل واضح خارج الجنس الإنجابيّ في إطار الزواج الذي تعرفه الكنيسة الكاثوليكية على أنه النوع البشري الوحيد المسموح به من الجنس. وقد ظلّ الجنس المغاير الشرجيّ والجنس الفمويّ يعدُّ جريمة في بعض التشريعات المسيحية الحديثة. ولم يكن حتّى عام 2003 أن ألغت المحكمة العليا في الولايات المتّحدة القوانين الأخيرة للولاية التي تحظر الجنس الشرجيّ والفمويّ بين الرجال والنساء. ويقدّم الجنس الشرجيّ، بالمناسبة، مثالًا جيِّدًا آخر على عدم التوافق المتواتر بين ما يفعله الناس بالفعل وبين ما هو محظور إمّا عن طريق أمر ديني مباشر أو بموجب قانون مستوحى من الدين. وتشير إحصائيات عام 2005 إلى أن 47% من جميع البالغين في الولايات المتحدة قد مارسوا الجنس الشرجيّ معًا. وفي إيطاليا، على الرغم من أن تسعة من كلّ

عشرة من السكّان هم أعضاء في الكنيسة الكاثوليكية التي تدين بشدة الجنس الشرجيّ، فإنّ 50% من السكّان اعترفوا بممارسته على أيّ حال من الأحوال.

تشمل القواعد الدينية التي تحكم الوقت والمكان والكيفية التي يمكن للناس انطلاقًا منها ممارسة الجنس كثير من الطرق المختلفة لتنظيم النشاط الجنسيّ. وتتعلّق القيود المفروضة على توقيت ممارسة الناس للجنس بقواعد الطهر والنقاء والرغبة في وضع قيود صارمة على الحياة الجنسية في إطار الزواج. وحتى في الأيام التي كانت فيها الحياة الخاصّة للأشخاص المتزوّجين أقلّ خصوصية ممّا هي عليه الآن (كان للأثرياء فقط غرف نومهم الخاصّة)، كان من الصعب للغاية تطبيق اللوائح التي تحاول وضع حدود زمنية على النشاط الجنسي. وكذلك، باستثناء الجنس في فترة الحيض والعقوبات على ممارسة الجنس عندما تكون المرأة أكثر خصوبة، فإن محاولات الحد من وقت الحياة الجنسية للناس كانت مبنية على أسس خاصة إما بالمنطق السليم أو المصادر الدينية. ولا شك أن هذه العوامل تفسر سبب عدم نجاح فرض حدود زمنية جنسية - دينية.

يمثّل التنظيم الديني المتشدّد الذي يمكن أن يستخدم فيه السبيلان في ممارسة الجنس مجالًا آخرًا يصعب إنفاذه لأنه ينطوي على اقتحام عميق للحياة الجنسية للشركاء الذين يحق لهم ممارسة الجنس بعضهم مع بعض. ومع ذلك، فقد ركّزت اللوائح الدينية الجنسية بشكل أكبر على تحديد أيّ من الفتحات الجنسية مسموح بها بدلاً من القيود الزمنية، رغم أنه يوجد مجدَّدا عدد من الجوانب المختلفة المتضمّنة. إذ إن الاستخدام الجنسي المغاير لأيّ فتحة جنسية بخلاف المهبل يعني تلقائيًّا أنّ الجنس غير إنجابي ومن ثم، فإنّ أيّ دين يرى أنّ الجنس يقتصر على أغراض الإنجاب سيدين الاستخدام الجنسي لهذه الفتحات الأخرى. وبمجرد التهاون في الاستخدام الجنسي المغاير للفتحات غير المهبلية، يبدأ الانتقال إلى المناطق الحدودية الجنسية المغايرة. وإذا كان تعريف الجنس مقصورًا على فعل القضيب الذي يخترق المهبل، فسيتمُّ تلقائيًّا تعريف أيّ نوع من أنواع الجنس، وخاصّة الأفعال الجنسية المغايرة على أنّها غير «طبيعية»؛ ولكن إذا تمّ التهاون والسماح باستخدام فتحات أخرى، فإنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لا ينبغي السماح للأشخاص بالقيام بالشيء نفسه مع أشخاص من الجنس نفسه.

كان الحظر المفروض على ممارسة الجنس في الأماكن المقدّسة وفي أماكن أخرى أكثر شيوعًا من القيود الزمنية، ولكنّه لم يكن له أهمّية كبيرة على الإطلاق، ربّما لأنه يتزامن مع القاعدة اليومية الأساسية في معظم الثقافات بأنّ الفعل الجنسيّ ليس شيئًا يجب أن يؤدّى في العلن. ولذلك، نادرًا ما تتعارض القيود على نطاق واسع سواء من حيث المبدأ أو الممارسة.

يمكن لهذه القواعد الدينية الخاصّة بمكان حدوث الجنس ووقت حدوثه وكيفية حدوثه أن تعمل بمثابة تذكير أخير بمدى اختلاف المغايرة الجنسية من وجهة نظر دينية. وفي الوقت نفسه، تقدّم

أمثلة جيدة للدور المركزي الذي تلعبه المسائل الجنسية في مختلف الديانات؛ فهناك القليل من مجالات السلوك الجنسي، إن وجدت، لم يحاول الدين تنظيمها.

وفوق كل ذلك، هناك تنوّع في اللوائح التي تصف النهج الديني للمغايرة الجنسية. ويبدو أنّ الكثير من النقاش الحالي يوحي بأنّ الأديان قد تعدّ المثلية الجنسية مشكلة، ولكن من المهم أن ندرك بوضوح أنّ أشكال مختلفة من المغايرة الجنسية- في الواقع، يمكن أن تكون في حدّ ذاتها إشكالية من وجهة نظر دينية.

حتّى التعامل مع المغايرة الجنسية كفئة بحدّ ذاتها داخل الديانات المختلفة يمكن أن يكون بحدّ ذاته مشكلة. حيث تختلف القواعد الخاصّة بالرجال والنساء في كثير من الأديان، بحيث تصبح المغايرة الجنسية بلا معنى كتصنيف لمناقشة ما هو مسموح وما هو محظور؛ وسيكون الأمر أكثر دقّة حال اعتبار المغايرة الجنسية الأنثوية والمغايرة الجنسية الذكورية تصنيفات منفصلة.

إنّ التركيز على الزواج كإطار للجنس تركيز مطلق للغاية في بعض الديانات بحيث يكون من المجدي دعمُ الجنس في إطار الزواج والجنس خارج إطار الزواج كأهمّ التصنيفات. وإذا اتّبعنا هذه المنهجية، فإنّ مسألة ما إذا كان الجنس مغايرًا أو كان نوعًا آخر من الجنس خارج إطار الزواج ستكون أقلّ أهمّية؛ فأيّ شيء آخر غير الجنس في إطار الزواج يتمّ إدانته بشكل متساوٍ.

هناك ديانات أخرى تصنف الجنس على أساس ما إذا كان يمكن أن يؤدّي إلى الإنجاب أم لا، وهم يباركونه أو يدينونه وفقًا لذلك. ويبدو واضحًا أنّ جنس الشريك واختيار الفتحة الجنسية يعدّان عاملين مهمّين، ولكنّهما في حدّ ذاتهما لن يكونا العاملين الوحيدين اللذين قد يحدّدا نوع الجنس الصحيح من منظور الدين.

هناك ميل واضح يمكن ملاحظته في غالبية الديانات اليوم لإقرار الاعتراف بالمغايرة الجنسية كتصنيف بحدّ ذاته. وهذا، إلى حدّ كبير، نتيجة التعريف الواضح للمثلية الجنسية على أنّها تصنيف في حدّ ذاتها، سواء من قبل الأديان أو المجتمع عامّة. وبمجرد أن يصبح جنس الشريك هو العامل الرئيس في تحديد النشاط الجنسي، فإنّ ذلك يعني أنّ المغايرة الجنسية أيضًا تصبح محور اهتمام أكبر كتصنيف له معنى ومغزى محدّدين. وعندما ننظر، على سبيل المثال، إلى المواقف والاتجاهات المسيحية المعتادة تجاه ممارسة الجنس بين الشركاء المغايرين في أجزاء كبيرة من أوربّا، يتّضح أنّ القضية بالنسبة لكثير من الناس لم تعد مسألة ما إذا كان الجنس يُمارس في إطار الزواج أو خارجه. وهكذا تمّ استبدال النشاط الجنسي في إطار الزواج إلى حد كبير بالمغايرة الجنسية كتصنيف مهيمن في الخطاب الديني الجنسيّ.

الفصل الخامس

المثلية الجنسية:
التوقّع، والإلزام، والإدانة

في نهاية القرن السادس عشر كان هناك رجلٌ ألمّ به اليأسُ والإحباط يُدعى ميتسو ساداتومو حيث ظلّ يتجّول في أدغال اليابان على أمل أن يتلقّى الوحي المعجزة من الراهب البوذي والرجل المقدّس كوبو دايشي الذي عاش في القرن التاسع. مكث ميتسو مدة ستة عشر يومًا يصلّي بمعزل عن أيّ شيء يحدث حوله. ولكنّ جهوده لم تذهب سُدى. في اليوم السابع عشر، كشف الراهب المقدّس الذي مات منذ زمن طويل عن نفسه للمريض ميتسو وأرشد الرجل الورع بكلّ ما يتعلّق «بأسرار الغلمان الودودين».

كتب ميتسو ساداتومو قصّته ولقاءه القديس البوذي الذي كان يمتلك هذه البصيرة النافذة والعجيبة في المثلية الجنسية المقدّسة. هذه هى مقدّمة كتاب دايشي كوبو، المنشور في عام 1598. ويحتوي الجزء المتبقّي من الكتاب على نصيحة تفصيلية لكوبو دايشي المقدّس (المعروف أيضًا باسم كوكاي) حول كيفية تفسير الرهبان لمختلف التلميحات من المبتدئين الذكور، وكيفية إغوائهم، وما أنواع الأساليب والوضعيات الجنسية التي يجب أن يستخدمها الرهبان بمجرد جذب انتباه الغلمان الصغار.

إن وجهة نظر كوبو دايشي بأنّ ممارسة الجنس بين الرجال كانت سرًّا مقدَّسا ليست نموذجية تمامًا ولا تتوافق مع المواقف والاتجاهات الدينية تجاه المثلية الجنسية. ومع ذلك، فهى تقدّم تصحيحًا مهمًّا من حيث إنّ هناك تركيزًا كبيرًا على الإدانة الدينية للمثلية الجنسية، بحيث يمكن للمرء أن يستنتج بسهولة أنّ هذا هو الرأي الأوحد. ومع ذلك، فإنّ الحقيقة القائلة بأنّ غالبية الأديان ترفض المثلية الجنسية أكثر من المغايرة الجنسية لا تعني بالضرورة وجود صدام أساسي بين الدين والمثلية الجنسية. وكما تكشف رؤى ميتسو، يمكن بسهولة أن يُنظر إلى المثلية الجنسية على أنها مقدّسة بقدر ما هى ملعونة. ولا يوجد شيء في طبيعة الدين يعني ضرورة وجود ما يُعرف برهاب المثلية الجنسية.

كما أشار عدد من العلماء، فإنّ المثلية الجنسية ليست بأيّ حال من الأحوال إشكالية كتصنيف. وبالضبط كما رأينا في حالة المغايرة الجنسية، فإنّ فكرة المثلية الجنسية كتصنيف موحّد تعدُّ غريبة على كثير من الأديان والثقافات. ففي كثير من السياقات الدينية والثقافية، على سبيل المثال، لا يهمّ جنس (نوع) شريك حياتك الجنسي بقدر ما يهمّ ما تفعله معه بالفعل. وفي كثير من السياقات الدينية الأخرى، على الجانب الآخر، رأينا أن الجنسانية أكثر أهمّية ممّا تبدو اليوم؛ لأنّ النشاط الجنسي للذكور والإناث ببساطة لا يعدُّ ظاهرة متوازية؛ وهذا ينطبق أيضًا على المثلية الجنسية.

هناك عامل مهم آخر يجب أخذه في الاعتبار عند النظر إلى العلاقة بين الدين والنشاط الجنسي بين شخصين من الجنس نفسه، وهو أنّ اللواط أو السحاق إلى حدّ ما صناعة حديثة. فقد ظهر مفهوم المثلية الجنسية في القرن التاسع عشر. لطالما كان هناك أشخاص يمارسون الجنس مع أشخاص آخرين من الجنس نفسه، ولكن فكرة أن يمثّل النشاط الجنسي بين شخصين من الجنس نفسه جزءًا من هُويّتك بالطريقة التي يمثّلها النشاط الجنسي في المجتمع الغربي الحديث لم تكن هي الحال دائمًا. وفي الوقت نفسه، وعلى الرغم من صعوبة العثور على نظراء للرجل اللوطي المعاصر أو المرأة السحاقية المعاصرة في فترة بعيدة من التاريخ، كانت هناك أفكار واسعة الانتشار حول الأشخاص الذين يفضلون تجنب العلاقات الجنسية مع أشخاص من الجنس المغاير.

تميل الطبقة الوسطى العالمية اليوم إلى الحديث عن ثلاث فئات رئيسية للهوية الجنسية للإنسان: أشخاص من جنسين مغايرين يعرّفون أنفسهم على أنهم ينجذبون إلى الجنس الآخر ويمارسون الجنس معه؛ لوطيون وسحاقيات يعرّفون أنفسهم على أنهم ينجذبون عاطفيًا وجنسيًا لأشخاص من نفس الجنس، ومزدوجو الميول الجنسية، الذين يعرّفون أنفسهم على أنهم ينجذبون عاطفيًا وجنسيًا إلى أشخاص من كلا الجنسين.

لكن هذه الفئات ليست واضحة المعالم حتى اليوم. فمعظم الأشخاص الذين مارسوا الجنس مع آخرين من نفس الجنس ما زالوا لا يعرّفون أنفسهم على أنهم لوطيون أو سحاقيات أو ثنائي الميول الجنسية: هؤلاء هم الأشخاص الذين يعيشون بشكل رئيس في حياة تجمع بين جنسين مغايرين ولكنّهم يمارسون أو مارسوا الجنس مع أشخاص من الجنس نفسه ومازالو يعرّفون أنفسهم على أنهم إما مغايرين جنسيًّا أو لا شيء على الإطلاق من حيث التصنيف الجنسيّ. وقد كشفت دراسة استقصائية أجريت في عام 2007 أن ما يزيد قليلاً عن 97% من البالغين الأستراليين قد يعرّفون أنفسهم بأنهم مغايري الجنس ولكن 8.6% من الرجال و15.1% من النساء قالوا إنهم ينجذبون جنسيًا إلى آخرين من الجنس نفسه. وكان ما يصل إلى 6.9% من الرجال الذين شملهم الاستطلاع و13.2% من النساء لديهم تجارب جنسية مع أشخاص من الجنس نفسه. تشير دراسة استقصائية أخرى إلى أن ما يصل إلى 22% من البالغين الأستراليين مرّوا بتجارب المثلية الجنسية. وفي النرويج، يقول 14% ممن يعرّفون أنفسهم بأنهم يمارسون الجنس المغاير إنهم منفتحون لممارسة الجنس مع أشخاص من نفس الجنس، وسبق لنسبة 4% منهم أن مارسوا المثلية الجنسية. ويمكن لك أن تتخيل أن ثلاث نساء من أصل عشر نساء من مغايري الجنس دون سن الثلاثين يمارسن الجنس مع شريك من نفس الجنس. يكشف عدد من الدراسات الاستقصائية في باكستان أن الغالبية العظمى من الرجال الذين يمارسون الجنس مع الرجال هم في الأصل متزوجين. وتظهر أرقام من عام 2000، من بين أمور أخرى، أن 49% من سائقي الشاحنات الباكستانيين الذكور مارسوا الجنس مع رجال آخرين رغم أن 83% من هولاء السائقين كانوا متزوّجين من الجنس المغاير. ووفقًا لدراسة استقصائية إيرانية أجريت في عام 2009، فإنّ 24% من النساء و16% من الرجال مرّوا بتجارب

المثلية الجنسية. وكشفت أبحاث ألفريد كينسيس في الولايات المتحدة في عام 1948 أن 37% من جميع الرجال مارسوا الجنس مع رجال آخرين، في حين أنّ الرقم المناظر للنساء كان 14%. وفي دراسة استقصائية أجريت في موسكو، أجاب 42% من طلاب الطبّ الأرثوذكس بشكل أساسي في روسيا بأنهم «اكتشفوا العادة السرية... من خلال شخص آخر»؛ وهذا «الشخص» يشمل رجال وفتيان آخرين. وأظهرت دراسة استقصائية أجريت في عام 1963 أن 44% من جميع الطلاب الذكور (المسلمين والمسيحيين) في الجامعة الأمريكية في بيروت اعترفوا بممارسة الجنس مع رجال آخرين.

ويجدر وضع ذلك في الاعتبار عندما ننظر عن كثب إلى المواقف الدينية المتغيّرة تجاه المثلية الجنسية. فعند تمحيص هذا النوع من التصنيفات، يصعب العثور على تصنيفات ذات مغزى لأنفسنا أو في السياقات الدينية والثقافية المختلفة.

المثلية الجنسية المقدسة

إن الرؤى البوذية لميتسو ساداتومو حول المثلية الجنسية المقدسة ليست فريدة من نوعها في المشهد الديني، على الرغم من أنه لا يمكن القول أنها تمثل وجهة النظر السائدة. ولا تتبنى أي من الديانات الكبرى نظرة إيجابية واضحة عن المثلية الجنسية، ولكننا نجد في كل منها آراء أكثر إيجابية من وقت إلى آخر. وإذا نظرنا إلى المشهد الديني المعاصر، فسنجد أصحاب العقائد في كل دين يجادلون بأنه يجب أن ينظر دينهم نظرة إيجابية للمثلية الجنسية.

يعدُّ ميتسو، في الواقع، ممثلًا للسياق البوذي الياباني. حيث كانت الأديرة البوذية في اليابان معروفة على نطاق واسع كأماكن تقام فيها علاقات الحب بين المثليّين الجنسيين، عادة بين الرجال من مختلف الأعمار وذوي المكانة الاجتماعية المختلفة. وقد دخل بعض الرجال الأديرة على وجه التحديد بسبب حبّهم للرجال الآخرين.

وارتبطت البوذية والمثلية الجنسية للذكور معًا بشكل وثيق في اليابان. ويرجع الفضل لبوديساتفا كوبو دايشي، الذي وجّه ميتسو في مجال الجنس بين الرجال، إذ إنه الرجل الذي أدخل كلًّا من البوذية السرية والمثلية الجنسية بين الذكور إلى اليابان أثناء القرن التاسع. ازدهرت الرواية السردية، شيجو مونوجاتاري chigo monogatari، التي تروي وتسرد العلاقات بين الرهبان والرهبان الشباب (من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر. وعادة ما تنتهي هذه القصص بفقد الراهب لمحبوبه، ولكن الراهب يحقّق انطلاقًا من الفقد والخسارة مستوى أعلى من الوعي. وكثيرًا ما يظهر أنّ الراهب الشاب هو في الواقع مظهر من مظاهر بوديساتفا العظيمة، وهو قدّيس بوذي يمنح الراهب نظرة ثاقبة أعمق عن طريق وسائل متعددة – من بينها الأفعال الجنسية المثلية.

قام كيتامورا كيجين، الباحث والمستشار بشوجان توكوجاوا، بنشر كتابه صخرة الأزالية Rock Azaleas في 1667. وهي مجموعة من القصائد المتجانسة التي تضمُّ تعاليم البوذية في صميمها. وكانت معظم القصائد تصريحًا بالحبّ وذكريات كتبها رهبان إلى رهبان شباب مختلفين، وأقدم بيت شعري فيها يعود إلى القرن العاشر حيث خطّه تلميذ من كوبو دايشي، وكان كيجين أكثر وضوحًا في ربطه بين المثلية الجنسية والبوذية. حيث كتب في المقدمة:

لمّا كان بوذا حرم العلاقات بين الجنسين، فإنّ كهنة القانون - الذين هم من لحم ودم وليسوا من حجر ولا من خشب - لم يلجؤوا إلا لممارسة حبّ الغلمان كتنفيس عن رغباتهم ومشاعرهم. وثبت أنّ هذا الشكل من الحبّ أعمق من الحبّ بين الرجال والنساء. إنه يعصف بقلب الأرستقراطي والمحارب على حد سواء. وحتّى سكّان الجبال الذين يقطعون الحطب غمرهم السرور والسعادة.

نلتقي القديس العجوز مثلي الجنس كوبو دايشي مرة أخرى في مرآة الحبّ الرجوليّ، الذي كتبه إيهارا سايكاكو في 1684. ووفقًا لهذا الكتاب، لم يعظ كوبو دايشي بالملذات العميقة لهذا الحبّ [بين الرجال] خارج الأديرة لأنه كان يخشى انقراض البشرية. وفي مقدمة كتابه، لا يقرن سايكاكو ممارسة الجنس بين الرجال بالبوذية فحسب، بل وأيضًا بالديانة الشينتوية Shintoism، وهي الديانة الوطنية لليابان. ويخبرنا سايكاكو أن المثلية الجنسية الذكورية قد نشأت وفقًا لأساطير شينتو، في بدء الزمان: «في البداية عندما أضاءت الآلهة السماء، تعلّم كوني توكو تاكي حبّ الغلمان انطلاقًا من طائر أبو فصادة الذي يعيش على مجرى النهر الجافّ أسفل جسر السماء العائم ... حتّى إن مجموعة من الحشرات فضلت حبّ الغلمان. ونتيجة لذلك، كانت اليابان تسمّى «أرض اليعسوب» Land of Dragonflies. ودخلت المغايرة الجنسية و«صرخات الأطفال النائحين» أول مرة إلى العالم لأنّ «الإله سوزا نو-وو، (إله العواصف في الشينتوية) لم يعد قادرًا على الاستمتاع بحب الغلمان في شيخوخته، ثم اتجه إلى الأميرة إنادا من أجل الراحة». وبعبارة أخرى، كما يشير سايكاكو، كان هناك أساس ديني للمعابد البوذية وأضرحة الشينتو التي كانت أشبه بأماكن مفضلة يلتقي فيها الرجال الذين يرغبون في ممارسة الحبّ مع الرجال الآخرين. قد يكتب الكهنة الأسطوريون الآلاف من رسائل الحبّ إلى عشاقهم الذكور دون التسبّب في إحداث ضجّة، ولكنّ خطابًا واحدًا لامرأة يمكن أن يدمّر سمعة الرجل إلى الأبد..

لا تحظى المثلية الجنسية بمستوى القبول نفسه في اليابان الحديثة كما كان الحال في الماضي؛ وهذا يرجع إلى حدّ كبير بسبب التأثيرات الخارجية ورغبة السلطات اليابانية في مواكبة بلدهم للنمط الغربي بمجرد انفتاحهم على العالم الخارجي في منتصف القرن التاسع عشر. وفي عام 1873، فرض اليابانيون حظرًا قانونيًا على ممارسة الجنس بين الرجال بناءً على النموذج الألماني. وعلى الرغم من رفع الحظر بعد عشر سنوات بناءً على مشورة فقهاء القانون الفرنسيين، فإنّ السياسات من هذا النوع كانت تعني أنّ المثلية الجنسية لم تعد تتمتع بالقبول الاجتماعي نفسه ومن ثَمّ فقدت دورها المركزي في الدين.

عند نغادر اليابان ونعبر البحر الأصفر، يمكننا أن نرى أنّ المجتمع الصيني كان يقبل ممارسة الجنس بين الرجال بطريقة مشابهة مدة طويلة. حيث لعبت البوذية أيضًا دورًا رئيسًا في الصين منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وكما كانت البوذية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالشينتوية في اليابان، فمن الصعب فصل البوذية والطاوية والكونفوشيوسية وغيرها من المعتقدات الدينية الصينية القديمة بعضها عن بعض. ومع ذلك، تمّ قبول المثلية الجنسية بين الذكور على أعلى المستويات في المجتمع، ممّا يدلّ على مستوى القبول في نظر العالم الديني في الصين. ويرجع تاريخ هذه الآراء بعد مجيء البوذية. وفي رواية كتبها الفيلسوف هان فاي زي في القرن الثالث قبل الميلاد حكى فيها حكاية حاكم ولاية واي وعشيقه الذكر الذي يُسمّى مِيزي شِيا في نهاية القرن السادس قبل الميلاد. حيث قطف مِيزي شِيا ثمرة خوخ، وعندما اكتشف كم هي رائعة المذاق، قضم منها قضمة وأعطى بقيتها للحاكم بدلاً من أن يأكلها بنفسه. وأصبح «الخوخ نصف المأكول» تعبيرًا مرتبطًا بالحب المطلق بين الرجال. ومن ثَمّ، هناك خط واضح للاستمرارية منذ العصور الصينية القديمة وصولاً إلى المدة التي بدأ فيها تأثير البوذية في الظهور. كرّس سيما كِيان فصلاً كاملاً للعشاق الذكور المختلفين لأباطرة أسرة هان المبكرة، وذلك في كتابه العظيم عن التاريخ الصيني الذي كتب في عام 100 قبل الميلاد. على سبيل المثال، أصبح الإمبراطور وِين عاشقًا لنوتيّ في القصر الإمبراطوري بعد أن حلم أن النوتيّ ساعده في الوصول إلى مسكن الخالدين. ودُفن الإمبراطور اللاحق وو هان مع عاشقه على الرغم من أنّ الرجلين كانا متزوّجين. إنّ الدفن معًا وإيجاد طريق إلى أرض الآلهة يوضّح كيف كان يُنظر إلى الحبّ بين الأشخاص من الجنس نفسه بشكل إيجابي في سياق ديني، وهذا الموقف الإيجابي استمرّ حتّى بعد عصر الأباطرة الأوئل لإمبراطورية هان. فقد اتخذ الإمبراطور آي دي، الذي حكم في السنوات التي سبقت مولد السيد المسيح، عشيقًا، كان قد عينه قائدًا عامًا للجيش، حتى إنّه اختار قص أكمام سترته الثمينة بدلاً من يوقظ عشيقه الذي نام عليها. أصبحت هذه قصة متكررة في الأدب الصيني وبسبب هذه الواقعة، كان الحبّ بين الرجال يشار إليه في كثير من الأحيان باسم «شغف الأكمام المقطوعة». وفي ظلّ الأسر الحاكمة غير الصينية مثل المغول Mongols والمناشو Manchus، كان هناك في العادة حماسة أقل للعلاقات الجنسية بين الرجال. وكما هو الحال في اليابان، ازدادت المعارضة الصينية للمثلية الجنسية تحت النفوذ الغربي، ولكن لم يحدث حتى وصول الشيوعيين إلى السلطة أن سيطر رهاب المثلية حقًّا على الصين، رغم أنّه لم يكن هناك أيّ حظر رسميّ على الإطلاق. وكانت هناك فترات من الاضطهاد الغاشم تحت حكم ماو Mao، وتمّ تعريف المثلية الجنسية بأنها «غير موجودة».

يجب أن تُرى العلاقة الإيجابية بين الدين والمثلية الجنسية الذكورية في تقاليد اليابان والصين أيضًا في سياق بوذي أوسع. كما أشار كيتامورا كيجين، فإن المثلية الجنسية التي انتشرت في العالم الرهباني يمكن رؤيتها في ضوء معارضة البوذية الشاملة للمغايرة الجنسية. ووفقًا للبوذية، فإن أسوأ جانب من جوانب الجنس هو الإنجاب، وغالبًا ما كان ينظر إلى المثلية الجنسية على أنها أفضل من

المغايرة الجنسية. لذلك لا ينبغي لنا أن نتعجّب من وجود درجة أكبر من قبول النشاط الجنسي بين الأشخاص من نفس الجنس في أجزاء أخرى من البوذية أيضًا.

يعتبر فرط الرغبة مشكلة بغض النظر من هو الشريك الجنسي. على سبيل المثال، هناك عدد من النصوص البوذية الأولى التي ترسم صورة أقل إيجابية لما أسموه بانداكا pandaka؛ وهو مصطلح يشير إلى الرجل المخنث الذي أشارت له أصابع الاتهام بأنه شره في اشتهائه للرجال الذين لا ينتمون إلى البانداكا. ليست المشلكة هنا هي ممارسة الجنس بين أشخاص من نفس الجنس، ولكن المشكلة تتمثل في الرغبة غير المحدودة. وبالتالي تم تشبيه البانداكا بالبغايا والعاهرات أو الفتيات الصغيرات الشهوانيات. وقيل أن بوذا رفض أن يعين البانداكا رهبانًا.

ومع ذلك، تعتبر ممارسة الجنس مع رجل مخنث ينتمي إلى البانداكا جُنحة أقل خطورة بالنسبة للراهب مقارنة بممارسة الجنس مع امرأة. وكانت ممارسة الجنس مع رجل غير بانداكي، أي لا يعاني من رغبة غير محدودة منسوبة إلى النساء والبانداكا، أقل خطورة مرة أخرى. ما لدينا هنا هو تصنيف مثير وواضح لأنواع الجنس وإشارة إلى النوع الأقل ضررًا بالنسبة للراهب. وإذا كان على الراهب ممارسة الجنس، فتعتبر ممارسة الجنس مع رجل «عادي» أفضل بكثير تليها ممارسة الجنس مع رجل مخنث ينتمي إلى البانداكا، في حين يعتبر الجنس المغاير إلى حد بعيد أسوأ الأنواع.

كان الوضع في التبت Tibet مختلفًا، حيث كانت العلاقات المتحفظة والسرية بين الرهبان أكثر شيوعًا. ومع ذلك، كانت هناك أيضًا طائفة معينة من الرهبان المعروفين برغبتهم وشهوتهم تجاه الرجال الآخرين. حيث كان رهبان إيداب إيدوب ldab ldob شديدو الذكورة والفحولة، يبحثون عن الشجار ويضعون ظلال العيون الداكنة حتى يبدون أكثر شراسة. ولم يكن لدى رهبان إيداب إيدوب الذين استخدموا بشكل متكرر كحراس شخصيين بسبب مهاراتهم القتالية، علاقات غرامية مع رهبان أصغر سنًا فحسب، بل اشتهروا باختطاف الرجال الذين ينجذبون إليهم.

لا تظهر بوذية ثيرافادا Theravada المنتشرة في سريلانكا وجنوب شرق آسيا نفس التسامح المطلق مع المثلية الجنسية بين الرهبان التي كانت تقليدًا في اليابان والتبت، ولكن العقاب على أنشطة المغايرة الجنسية أشد من العقاب على أنشطة المثلية الجنسية. فبينما كانت جنحة الجنس المغاير تؤدي إلى الإقصاء من الدير، فإن ممارسة الجنس بين الرجال عادة ما تؤدي فقط إلى أداء كفارة بسيطة. والعلاقات الجنسية السرية بين الرهبان شائعة إلى حد ما ولا يُعاقبون عليها عادة. وعلى عكس المغايرة الجنسية، لا يعتبر السلوك المثلي تحديًا للحياة الرهبانية لأنه لا ينطوي على واجبات أسرية أو ولاء لأي شخص خارج الدير.

ومع ذلك، قد يكون من الخطأ رؤية البوذية وهي تتبنى نظرة إيجابية للمثلية الجنسية في حد ذاتها. وتنطوي جميع الأمثلة التي ذكرناها على ممارسة الجنس بين الرجال فحسب. حيث كان يُعتقد أن الجنس بين النساء مختلف تمامًا ويُنظر إليه عمومًا بشكل أكثر سلبية. فبينما كان الجنس بين الرجال

ليس مقبولًا فحسب، بل كان يُنظر إليه أحيانًا على أنه الجنس المقدس، كانت ممارسة الجنس بين النساء غير مقبولة. حيث تتمثل المشكلة الكبرى في ممارسة الجنس من منظور البوذية في وجود الرغبة. وهذا هو ما يجعل النشاط الجنسي للإناث أكثر إثارة للقلق لأن النساء من وجهة نظر البوذية مخلوقات تتحكم فيهن رغباتهن الجنسية. لذلك من المستحيل مساواة الجنس بين النساء بنظيره بين الرجال وهناك قواعد أكثر صرامة تنظم العلاقات بين الراهبات مقارنة بين الرهبان. حيث تُمنع راهبتان من النوم على سرير واحد ما لم تكن إحداهن مريضة، ولا يُسمح لهن بخلع ملابسهن أمام بعضهن بعضًا أو الحديث عن الأمور الجنسية أو تدليك بعضهن البعض أو استخدام نفس الماء عند الاستحمام. ولا يجوز أن تجلس الراهبات البالغات على سرير فتاة شابة، أو يفتشن في ملابسها.

كان هذا الجنس المنتشر بين الرجال على نطاق واسع ومقبول في اليونان القديمة حقيقة معروفة. أما ما لم يكن معروفًا فهو أنه كان مرتبطًا بالمعتقدات الدينية ارتباطًا وثيقًا. لم يستنكر الدين المثلية الجنسية بين الذكور وكان هناك في الواقع كثير من السوابق الدينية لذلك. حيث كان لمعظم الآلهة الذكور علاقات مع رجال فانين شبان. فقد وقع زيوس في حب الشاب جانيميد لدرجة أنه حمله إلى أوليمبوس. ووقع أبولو في حب عميق مع الهياسنت، وبيلوبس المجدد الذي اختطفه بوسيدون المسحور بالحب. وتظهر مجموعة من الأعمال الفنية أوجه تشابه واضحة بين الطريقة التي يحاول بها الرجال إغواء بعضهم البعض والطريقة التي تحاول بها الآلهة إغواء الرجال الفانين. وحسبما ذكر الشاعر بندار في القرن الخامس قبل الميلاد، كان حب الرجال الأكبر سنًا للرجال الأصغر سنًا مستوحى مباشرة من الآلهة.

قد يكون الجنس ممنوعًا في المعابد، إلا أن المعابد اُستخدمت كأماكن للقاءات الغرامية. وهناك كثير من النقوش القديمة على جدران المعابد التي تخبرنا بأشياء مثل «جايسون ينام مع هيكتور هنا».في بعض الأحيان، ليس المكان نفسه هو الذي يضع الجنس في سياق ديني. في معبد أبولو في سانتوريني Santorini، يخبرنا الاعتراف التالي من القرن السابع قبل الميلاد: «بمساعدة أبولو دلفينيوس، هنا أولج كريمون ابن باسكيليز.» إلى جانب ذلك يوجد نقش آخر: هنا أولج كريمون أموشن.

في المدن اليونانية، تم إضفاء الطابع المؤسسي على العلاقات الجنسية بين الرجال بطرق مختلفة. وكقاعدة عامة، كان يوجد شريك كبير السن إيجابي ورجل أصغر سنًا كان من المتوقع أن يكون هو الشريك السلبي - وهو نمط يعكس العلاقة بين الآلهة الرجال والرجال الفانين. وكما هو الحال في سياق الجنس المغاير، حيث كانت المرأة دائمًا هي الشريك الأدنى، يجب ألا تحدث المثلية الجنسية عادة بين شريكين متكافئين. ولم يُنظر إلى الجنس بين الشركاء المتكافئين اجتماعيًا على أنه غير يوناني فقط: بل في بعض الأحيان كان يُنظر إليه على أنه غير إنساني.

في طيبة Thebes، غالبًا ما كان الرجال الأصغر سنًا والأكبر سنًا يعيشوا معًا كأزواج، بالتوازي مع كونهم متزوجين من نساء. وكان لهذه الممارسة جوانب دينية واضحة، وفي عام 378 قبل الميلاد، أنشأت المدينة «الفرقة المقدسة»، وهي وحدة عسكرية تتألف من 150 زوجًا من الذكور. ساهمت هذه الفرقة المثليّة المقدّسة في طيبة في تحقيق الهيمنة لفترة قصيرة على بقية اليونان. وفي سبارتا Sparta الكلاسيكية والهيلينية، كانت هناك قواعد صارمة حول كيفية تصرف الأزواج الذكور تجاه بعضهم لبعض، بما في ذلك أن يكون الشريك الأكبر سنًا مسؤولاً عن سلوك الحبيب الأصغر سنًا. وفي جزيرة كريت Crete، كان الاختطاف الشعائري من قبل الرجال الشباب للرجال الأصغر سنًا الذين كانوا ينجذبون إليهم جزءًا من الطقوس الرسمية للعبور من مرحلة الفتوة والصبا إلى مرحلة الرجولة. وكان الشاب يصبح موصومًا بالعار إذا لم يجده أحد جذابًا بدرجة كافية بغية الاختطاف. ومرة أخرى، تعكس هذه الطقوس المعتقدات الدينية حول اختطاف الشباب من قبل الآلهة، وكانت التضحية لزيوس تعتبر مناسبة إذا عاد الشاب إلى المنزل.

وعلى الرغم من أن الرومان امتنعوا عن مشاطرة وجهة نظر الإغريق حول الجنس المقدس بين الرجال، إلا أن أنطونيوس الشاب الجميل قد أُعلن إلهًا (لأنه في الأساس عاشق هادريان، الإمبراطور الروماني) بعد أن غرق في النيل عام 130 ميلادية. وعلى الرغم من أن غالبية الأفراد المؤلَّهين في العائلة الإمبراطورية لم يتمتعوا عادة بأكثر من مكانتهم الرسمية للعبادة، فقد أصبح هذا الإله المثلي الجنس الوسيم شخصية بارزة في جميع أنحاء شرق البحر الأبيض المتوسط، ونجحت عقيدته بعد عدة عقود من وفاة الإمبراطور هادريان. وقورنت عبادة أنطونيوس بعبادة يسوع المسيح وكان الكثير من المسيحيين يشعرون بقلق عميق إزاء استمرار عقيدة الإمبراطور الحبيب الشاب المقدس.

بدلاً من ذلك، كما هو الحال في التقاليد البوذية والشينتوية، لم يحظ الجنس بين النساء مطلقًا بنفس المكانة في الدين اليوناني القديم مثل الجنس بين الرجال. نجد بدلاً من ذلك أنه كان يُنظر إلى الجنس بين النساء عادة على أنه غير طبيعي وشاذ، لأن الجنس الطبيعي كان يُفهم على أنه يشتمل على شريك يقم بالإيلاج في شريك آخر. وهذا يعني أن الجنس بين الرجال يمكن اعتباره طبيعيًا بينما الجنس بين النساء لا يمكن اعتباره طبيعيًا.

اشتهرت الشاعرة سافو، التي عاشت في ليسبوس وصقلية خلال القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، بقصائد حبها لتلميذاتها الأصغر سنًا، ولكن في الواقع كانت قصائدها فريدة من نوعها على مدار آلاف السنين وأكثر تفردًا من الدين اليوناني. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنها تناشد أفروديت للحصول على المساعدة الإلهية في حبها للنساء، تمامًا مثلما كانت ستفعل لو كانت في علاقة جنسية مغايرة.

كان الإغريق يدركون جيدًا أن النساء يمكن أن يقعن في حب نساء أخريات ولكن الإشباع الجنسي لهذا النوع من الحب يعتبر تحديًا جسديًا، لأنه لا يتطابق مع تصورهم للجنس على أنه نشاط ينطوي بالضرورة على شريك إيجابي وشريك سالب. وتحكي لنا قصة إيفيس اليونانية، وهي امرأة إقريطشية شابة تربت كصبي، شيئًا ما عن أفكارهم. حيث يئست إيفيس التي وقعت في حب الفتاة المخطوبة لها (ويعتقد الجميع أن إيفيس رجلًا) من حبها لأنها ترى ذلك ضد الطبيعة: «الأبقار لا تحترق بالحب من أجل الأبقار، ولا تحترق الأفراس أيضًا». (من الواضح أن إيفيس تجهل نتائج البحوث الحديثة التي تشير إلى وجود قدر كبير من السحاق في عالم الحيوان). ومع ذلك، فإن الآلهة، على ما يبدو، تتفق مع استنتاج إيفيس بأن السحاق جنس غير طبيعي، ولكن بدلاً من إدانتها فهم يشفقون على المرأة تعسة الحظ. وعندما تتدخل الآلهة، فإنها تتدخل ضمن الإطار الطبيعي لما يعتبرونه جنسًا طبيعيًا: تحول الإلهة إيزيس إيفيس إلى رجل حتى تشبع حبها للفتاة بالطريقة التي يعتبرها الإغريق طريقة طبيعية.

ومع ذلك، فإن أنماط قبول النشاط الجنسي بين أشخاص من نفس الجنس الذي نراه اليوم لا تعكس الأنماط الواضحة في البوذية والشينتوية وديانة الإغريق القدماء. فعلى الرغم من قبول الجنس بين الرجال، إلا أنه كان متوقعًا ألا يحدث ذلك بين الرجال الذين كانوا متقاربين في العمر أو متشابهين في الحالة الاجتماعية. وإذا واصلنا تمحيص الطرق التي فسرت بها هذه الأديان الثلاثة ممارسة الجنس بين النساء، يمكننا ملاحظة أن مقاربتها للمثلية الجنسية بين الذكور لم تر أو تتعامل مع النشاط الجنسي بين الأشخاص من نفس الجنس كتصنيف عام. فما كان موضع اهتمام بالفعل هو القبول الديني لنوع معين من النشاط الجنسي بين الذكور.

تم اقتباس هذه الأمثلة للحالات التي تم فيها دمج المثلية الجنسية بين الذكور بشكل جيد في الإطار الديني من التاريخ. ولذلك فالظروف التاريخية تعني أن هذه التقاليد الدينية الخاصة لم تستمر كما هي دون أن يدركها التغيير حتى يومنا هذا؛ وقد تكون المعتقدات الدينية التي نناقشها هنا معتقدات دينية عتيقة، ولكن هذا لا ينتقص على الأقل من إظهارها لحقيقة أن الدين كظاهرة يمكن أن يرحب بالمثلية الجنسية. على العكس من ذلك، بالنسبة لغالبية الأديان فإن حقيقة وجود شيء ما عتيق يعطيه السلطة ورغم كل شيء، تُستخدم معارضة المثلية الجنسية في كثير من الديانات الأخرى كحجة لاستمرار العداء للمثلية الجنسية اليوم. حتى في تلك العصور الأسطورية القديمة التي تميل الأديان إلى اعتبارها مهمة للغاية، يتضح أن الأديان قد ترحب بالشذوذ الجنسي، وهذا هو السبب في أنه من المهم بالنسبة لنا أن ندرك هذه الأمثلة التاريخية.

الحدود الجنسية الفاصلة الأخرى

غالبًا ما ترتبط أنواع مختلفة من التحول الجنسي بالقبول الديني للنشاط الجنسي بين أشخاص من نفس الجنس. وفي كثير من الأديان، يستطيع الفرد - أو يمكنه - على الأقل أن يترك جزئيًا الدور

التقليدي للذكر أو الأنثى ويتولى أدوارًا جنسانية مختلفة. غالبًا ما يُتوقع من هؤلاء الأشخاص إقامة علاقات جنسية مع أشخاص من نفس الجنس البيولوجي. وهذا النمط من السلوك يعني أن أولئك الذين يظلون ضمن دورهم التقليدي كذكور أو إناث قد يمارسون الجنس مع أشخاص من نفس الجنس يتخذون الأدوار الجنسانية هذه دون الاضطرار فعليًا إلى الخروج عن دورهم الجنسي.

هذا النمط من النشاط الجنسي واسع الانتشار بشكل خاص في عدد من المجتمعات المختلفة التي ظلت بمنأى عن الأديان الكبرى. وتختلف التوصيفات المستخدمة لهذه الظاهرة على نطاق واسع، ولكن علماء الأنثروبولوجيا غالبًا ما كانوا يشيرون إليها على أنها الجنس الثالث أو ثنائي الروح berdache (في الأصل كلمة فارسية). يشير الأميركيون الأصليون المعاصرون إلى هؤلاء الأفراد كأفراد ثنائية الأرواح. أما المتحولون جنسيًا أو المتحولون جنسانيًا فهي مصطلحات جامعة أخرى تستخدم لوصف الأشخاص الذين يقفون إلى جانب واحد من الأدوار الجنسية التقليدية للذكر أو الأنثى.

في كثير من الديانات المحلية في أمريكا الشمالية، كان يتحول الأفراد إلى حالة ثنائي الروح نتيجة لأحلام ورؤى من وحي السماء. ومن بين الأوساجي، ولاكوتا وأوماها، على سبيل المثال، ظهرت إلهة للشباب في رؤى مرتبطة بطقوس العبور ومنحتهم الاختيار بين الأشياء المرتبطة بالرجال والنساء. وأولئك الذين كان من المقرر أن يختاروا بتأن في بعض الأحيان اختاروا عمدًا الأشياء المرتبطة بالجنس المقابل، وفي هذه الحالة كان عليهم أن يعيشوا وفقًا لذلك. وفي أوقات أخرى، كانت الإلهة تخدعهم في اختيار الأشياء. وهكذا فإن الدعوة الموجهة لهم كي يعيشوا كأشخاص مزدوجي الروح في بعض الأحيان كانت فرضًا إلهيًا أكثر من كونها شيئًا اختاروه لأنفسهم. ولعب الأشخاص مزدوجو الروح دورًا محوريًا في كثير من ديانات أمريكا الشمالية التقليدية، حيث كان يُعتقد أنهم أفراد مقدسون وعلى اتصال وثيق مع الآلهة. كان هذا، على سبيل المثال، هو الحال مع كثير من الشعوب - جميع شعوب شايان وهيداتسا وكيوا ولاكوتا وميسكواكي وموهيف ونافاجو وسوك وتوهونو أودهام ويوكوت ويوروك وزوني الذين دخلوا في هذا التصنيف.

سمحت بعض الديانات في أمريكا الشمالية بالزواج بين شخصين من نفس الجنس البيولوجي إذا كان أحد الشركاء شخصًا ثنائي الروح. وكان رئيس لاكوتا السياسي المتدين الشهير كريزي هورس، على سبيل المثال، متزوجًا من زوجتين ثنائيتين الروح winkte. والمرأة ثنائية الروح كوسكالاكا koskalaka يمكنها أن تتزوج بالمثل زوجة بمباركة المرأة المزدوجة الإلهة لاكوتا. وفي عدد قليل من الشعوب الأخرى، من ناحية أخرى، كان الزواج غير شائع بين شخصين ثنائيين الروح أو غير مسموح به مطلقًا. ومع ذلك، فهذا لا يعني أن ممارسة الجنس بين شخصين من نفس الجنس كانت محظورة عليهم، وكان من المتوقع غالبًا أن تكون الأشخاص ثنائية الروح منحلة جنسيًا. لم يكن هذا نمطًا من السلوك الجنسي دون أهمية دينية، وكان على الشباب من قبائل السوك

Sauks وميسكواكي Meskwaki ممارسة الجنس مع رجل ثنائي الروح قبل قبوله بأجواء روحانية في المجتمع الذكوري.

توجد علاقة مماثلة بين الدين والنشاط الجنسي بين شخصين من نفس الجنس والتعبير الجنسي في كثير من المجتمعات الأفريقية. في ديانة يوروبا Yoruba في جنوب غرب نيجيريا يرتدي جميع الكهنة المشاركين في استحضار الأرواح ملابس نسائية بغض النظر عن جنسهم البيولوجي. ويرتبط الجنس بين الرجال بالسحر - وبطريقة أو بأخرى، يُرى أنه يساعد على تقليل المسافة بين الإنسان والبعد الإلهي في الكون. وبطريقة مماثلة يُنظر إلى الرجال الذين يمارسون الجنس مع الرجال كحراس البوابات بين هذا العالم وعالم الروح، وذلك بين شعب داجارا Dagara على الحدود بين غانا وبوركينا فاسو. ويلعب الرجال المتحولون جنسيًا الذين يمارسون الجنس مع الرجال أيضًا دورًا محوريًا في ثقافة بوري Bori في ما قبل الإسلام بين شعوب الهوسا في الساحل.

في أقصى الجنوب في إفريقيا، بين شعوب الأوفامبو Ovambo على الحدود بين أنجولا وناميبيا، كان معظم الرجال الذين يرتدون الملابس النسائية بشكل تقليدي يقومون بوظيفة المعالجين والشامان shaman. وكان هؤلاء الرجال أيضًا يتزوجون من رجال آخرين. وغالبًا ما يعمل الرجال المثليون جنسيًا بين شعب الإيلا Ila في زامبيا كأنبياء. وكان لدى شعب ميرو Meru في المرتفعات الكينية رجال موجاو (لوطيين) الرجال الذين يرتدون ملابس نسائية ويتزوجون في بعض الأحيان من رجال آخرين. ويقوم الرجال الموجاو (اللوطيين) مثل نظرائهم في الثقافات الأخرى بدور ديني خاص. في ديانة الفودو Voodoo في هايتي، والتي لها جذورها في الثقافة الأفريقية، ترتبط الإلهة إزيلي فريدا ارتباطًا وثيقًا بشكل خاص مع الرجال المخنثين الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين، وغالبًا ما تعتبر الإلهة الراعية لهم. على الرغم من أن المجتمع في هايتي لا يرحب بشكل عام بالمثليين جنسيًا، إلا أن الرجال الذين يعيشون حياة المثلية الجنسية بشكل علني يتم قبولهم عادة من قِبل الجماعات الدينية والكهنة في ديانة الفودو.

هناك كثير من الأمثلة الأخرى لأنواع مختلفة من الهياكل المؤسسية لممارسة النشاط الجنسي بين شخصين من نفس الجنس في المجتمعات الأفريقية، ولكن ليس من السهل دائمًا تحديد مدى إقحام الدين فيها. فمن الممكن في بعض الأحيان أن نرى كيف يتدخل الدين عندما ينشط الناس في المناطق الحدودية لما يعتبر عمومًا مقبولًا فيما يتعلق بالجنس والنشاط الجنسي. ويقدم عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطاني برايان ماكديرموت رواية، على سبيل المثال، عن كيفية تفاعل نبي محلي بين شعوب النوير Nuer في إثيوبيا مع رجل بدأ في ارتداء ملابس نسائية. حيث استحضر النبي الأرواح التي أعلنت أن الرجل يعتبر الآن امرأة ويجب أن يشار إليها بـ «هي». ويجب عليها الآن أن ترتدي ملابس امرأة ويجب السماح لها بالزواج.

كانت هناك بعض الأفكار الدينية المرتبطة بالجنس بين الرجال في ديانة أهل الشمال من الشعوب الجرمانية قبل المسيحية أيضًا. كان الرجل الساحر من أهل الشمال الذي يمتلك القدرة على التواصل مع البعد الخارق للوجود مرتبطًا بـ «إرجي» ergi (فاقد الرجولة) - المثلية الجنسية السالبة - على الرغم من أن هذا لا يتناسب مع أي قبول ديني عام للجنس بين الرجال. كان خرقَ الأخلاق الجنسية العادية هو ما ساهم في قدرات «الرجل الساحر ذي القدرات الخارقة. وكان اتهام الرجال الآخرين بكونهم «إرجي» (فاقدي الرجولة) يمثل إشكالية كبيرة عادةً لأن ذلك كان يعد إهانة خطيرة، مما يعني أن رجال الشمال كان لهم دور متناقض في مجتمع أهل الشمال الإسكندنافي. واشتهر راجنفالد ريتلباين، نجل الملك النرويجي هارالد الأول فينهاير، بكونه الرجل الساحر في هادلاند Hadeland في جنوب شرق النرويج. وعندما قام إريك بلوداكس بإحراق شقيقه راجنفالد وثمانين آخرين من السحرة أحياء في منزله بتحريض من والدهم، كان هذا العمل - وفقًا للمؤرخ الأيسلندي في القرن الثالث عشر سنوري سترلسون، «عملًا أُشيد به كثيرًا».وتخبرنا هذه الواقعة بشيء عن الموقف الذي تعرض له الرجل الخارق الساحر في المجتمع الشمالي الإسكندنافي، على الرغم من أننا قد نشك في أن سنوري قد سمح لتعاطفه المسيحي بإضفاء الطابع على روايته.

إن القبول الديني للنشاط الجنسي بين شخصين من نفس الجنس في المواقف التي يتولى فيها أحد الشركاء دورًا بديلاً لنوعه لا يختلف عن قبول النشاط الجنسي بين شخصين من النوع نفسه عمومًا. وفي حين أن القبول العام للمثلية الجنسية يشمل عادة قبول العلاقات بين أشخاص من النوع نفسه، تلك التي يعيش فيها شريك واحد خارج الأدوار التقليدية لنوعه، فإن العكس هو الصحيح في كثير من الأحيان. والديانات التي تقبل كثير من الهويات البديلة للنوع، غالبًا ما تظهر قبولًا ضئيلًا للجنس المثلي عندما يظل الشركاء ضمن الأدوار التقليدية لنوعهم، ونادرًا ما يتمّ إضفاء الطابع المؤسّسي على العلاقات الجنسية من هذا النوع. وبتعبير آخر، فإن النظرة الأساسية للجنس مختلفة تمامًا عندما يعترف الرأي العالمي الديني بوجود أكثر من نوعين. ولا توجد أفكار عن ممارسة الجنس مع أشخاص ليسوا رجالًا أو نساءً في جميع الأديان. وإذا نظرنا إلى هذه الظاهرة بعيون غربية معاصرة وعدناها مثالاً على الدين الذي يعاقب على المثلية الجنسية في حد ذاته، فلن يجانبنا الصواب. ومع ذلك، وفي الوقت نفسه، يجب أن نكون واضحين، حيث إن كثيرًا من الأشخاص داخل هذه الديانات يشيرون إلى هذه التقاليد على وجه التحديد لإظهار قبول تقليدي لشيء آخر غير المثلية الجنسية- وهم محقّون تمامًا في القيام بذلك.

التمثيل بالجسد، والخنق، والحرق، والشنق

لم يكن يوم 24 سبتمبر عام 1731 يومًا عاديًا في قرية فان Faan الهولندية. كان المجتمع الصغير في مقاطعة جرونينجن Groningen ملئ بالجنود الذين أرسلوا لحفظ الأمن والسلام بين السكان المحليين لتأمين ما كان مقررًا ليكون عرضًا عامًا للعدالة المسيحية. في بداية الأمر، تم تعليق جثة رجل قروي لقى حتفه في السجن المحلي - وربما كان ذلك نتيجة للتعذيب- في المشنقة. وبعد ذلك،

تظاهر عشرة رجال وتسعة أولاد مراهقين – كان أصغرهم في الرابعة عشرة من العمر - ثم رُبطوا في الأوتاد، حيث خُنقوا واحدًا تلو الآخر، خُنقوا بإحكام شديد بحبل سميك لُفّ حول أعناقهم. وبعد ذلك، وبينما كان الجنود منشغلين في الحيلولة دون تدخل الحشود الهائجة من أبنائهم وآبائهم وإخوتهم وجيرانهم وأصدقائهم، أُحرقت الجثث التي بلغ عددها اثنين وعشرين حتى يُحرم أي من الرجال المدانين بطقوس الدفن المسيحي.

كانت الأحداث في قرية فان تتويجًا لما يمكن وصفه على أفضل وجه بأنه مطاردة وتصفية مسيحية تتسم بالطابع الديني للرجال الذين مارسوا الجنس مع رجال آخرين. بدأ العمل بالكامل بتوجيه مجموعة من الاتهامات والاعتقالات في أوتريخت Utrecht في هولندا قبل عام. وأُعدم ما لا يقل عن 74 رجلاً على الملأ في هذه الموجة الأولى من الاضطهاد الديني للمثليين جنسيًا، وحُكم على مئات آخرين بالإعدام غيابيًا بعد أن فروا من البلاد. بينما أحرقت جثث الرجال في قرية فان، ورُبط كثير من الذين أُعدموا في أوتريخت بأوزان ثقيلة وألقى بهم في البحر، وكان الغرض من ذلك هو القضاء على كل آثار الرجال المدانين إلى الأبد.

لم تكن عمليات الإعدام الجماعية هذه في هولندا في 1730 و1731 استثنائية بأي حال من الأحوال؛ في الواقع، تمثّل نموذجًا مماثلًا للاضطهاد الديني للأشخاص الذين يمارسون الجنس مع آخرين من نفس الجنس. وعلى الرغم من أن إدانة المثلية الجنسية كانت ولا تزال موجودة في جوانب معينة في معظم الأديان، إلا أن الأديان الغربية - اليهودية والمسيحية والإسلام - التي كانت تقليديًا الأكثر سلبية ورهابًا وخوفًا من المثليين جنسيًا. تظهر المسيحية على أنها الأكثر عدوانية للمثلية الجنسية بين الأديان الثلاثة، على الرغم من أنّ بدايات هذا التاريخ الدموي موجودة في الكتاب المقدّس العبري.

ينصّ التناخ Pentateuch على أنه «إذا ضاجع الرجل أيضًا جنسًا بشريًا، كما يضاجع امرأة، فقد ارتكب كلاهما رجسًا: وبالتأكيد سيتم إعدامهما». ومع ذلك، فهناك كثير من الأشياء التي تشير إلى أن عقوبة الإعدام لم تكن مطلوبة لجميع الأعمال الجنسية بين الرجال. يبدو أن السمة المميزة تتمثّل في أنّ الرجل قادر على ممارسة الجنس «كمن يضاجع امرأة»، ممّا يعني أنّ الفعل يجب أن ينطويَ على الإيلاج قبل أن يكون لأيّ شخص الحقُّ في إعدامه بمباركة من الله. وحقيقة أنّ التناخ لا يحوي أيَّ حظر لممارسة الجنس بين النساء يشير إلى الاتجاه نفسه. ومن الناحية القانونية، إذًا، كان الجنس مرادفًا للإيلاج. ومن المهمّ أن نلاحظ أنّ هذا يعني أنه لا يوجد إدانة للمثلية الجنسية في حدّ ذاتها في الكتاب المقدّس العبريّ: إن الجنس فقط بين الرجال، وربّما الجنس الشرجيّ الوحيد بين الرجال هو الذي يتمّ إدانته.

كما سبق أن رأينا، لا يوجد شيء فريد من نوعه في المطالبة بعقوبة الإعدام على ممارسة أنواع معينة من السلوك الجنسي - كما أنّ الله يأمرنا بقتل الرجال والنساء الذين يمارسون الجنس أثناء

الحيض ومع النساء الزانيات والرجال الزناة الذين يمارسون الجنس مع نساء متزوّجات أو مخطوبات لرجال آخرين. وتمّ تبرير حظر ممارسة الجنس بين الرجال أيضًا انطلاقًا من الادّعاء بأنّه كان إحدى العادات الجنسية للشعوب المجاورة ومن ثمّ يجب على الإسرائيليين تجنّبه. ويجب أن يُنظر إلى الجنس الشرجيّ بين الرجال أيضًا في سياق المراسيم التوراتية المتعلّقة بنقاء الطقوس، التي ينصبّ تركيزها على التمسّك بتصنيفات وفئات واضحة المعالم: حيث يمكن بسهولة اعتبار الرجال الذين يقومون بالإيلاج بعضهم مع بعض كفئات مثيرة للجدل بين النوعَين. وينظر الله إلى الرجال والنساء الذين يرتدون ملابس النوع الآخر إذ إنّه «رجس». والفئات الجنسية ليست وحدها هي التي يجب أن تبقى نقية وطاهرة: فمن بين المحظورات الجنسية المختلفة، يحظر التناخ أيضًا استخدام الملابس المنسوجة من الكتّان والصوف، والحرث بالثور والحمار معًا، وبذر نوعين من البذور في الحقل نفسه.

إذا مارس رجلان الجنس بعضهما مع بعض كما يفعلان مع امرأة فهذا يعني أيضًا أنّ «دمهما مهدور»، ربّما على وجه التحديد لأنّهما يقلبان تصنيفات وفئات الجندرية اليهودية. وهذا النوع من عكس أو قلب الهياكل الاجتماعية آثم في كثير من السياقات. فللآباء الحق في لعن أطفالهم ولكن الأطفال الذين يلعنون والديهم يعانون من الشعور بالذنب ومن ثم يجب أن يقتلوا مثل الرجال الذين يمارسون الجنس بطريقة الإيلاج مع رجال آخرين. وينطبق الشيء نفسه بالنسبة للأشخاص المذنبين بالقتل، وأنواع معيّنة من الزنا، وأشكال مختلفة من سفاح القربى وممارسة الجنس مع الحيوانات إلى نهاية هذه القائمة، ويمكننا إضافة أي شخص تهيمن عليه «روح مألوفة أو ساحرة».

ومع ذلك، فمن المثير للشك مدى أهمّية هذا الحظر على ممارسة الجنس الشرجيّ بين الرجال في دين بني إسرائيل. فقد تتكرّر المحظورات الجنسية الأخرى في التناخ على نطاق واسع وظهرت في موضع آخر من الكتاب المقدس العبري، ولكن لم يُذكر شيء عن حظر ممارسة الجنس الشرجي بين الرجال. وعندما تُروى لنا قصة الحب بين جوناثان نجل الملك ساؤول والصبي الصغير ديفيد، الذي أصبح لاحقًا ملكًا، لا توجد مشكلة على الرغم من العلاقة الحميمة بين الرجلين. في المرة الأولى التي رأى فيها جوناثان ديفيد «كانت روح جوناثان ممزوجة مع روح ديفيد، وكان جوناثان يحبه كأنه روحه»وكان جوناثان يعطي ديفيد أسلحة وملابس كدليل على حبه وينقذه في عدد من المناسبات التي كاد أن يُقتل فيها على يد والده الملك ساؤول. من جانبه، رغب ديفيد في أن يقطع مع جوناثان «عهدًا في منزل ديفيد». وكانا الرجلان يحبّان التقبيل. لذا فقد تمّت مقارنة العلاقة بين الرجلين أيضًا بشكل مباشر مع علاقة المغايرة الجنسية، وعندما قُتل جوناثان، استبدّ بديفيد اليأس وعبّر عن مشاعره قائلًا: «حبّك لي كان رائعًا، كان حبّك يفوق حبّي للنساء».

إن إدانة القديس بولس للمثليين الجنسيين من الذكور والإناث أمر محدّد بالنسبة للمسيحية، ولكن لمّا كان يهوديًّا، فلا يمكن النظر إلى ذلك دون الإشارة إلى حظر الجماع الشرجيّ للذكور في التناخ. وربّما كان رفضه القاطع للرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال نتيجة لنشأته اليهودية، ولكن

على عكس الكتاب المقدّس العبريّ، اعتقد بولس أنّ النشاط الجنسي بين أشخاص من النوع نفسه هو نتيجة منطقية لابتعاد الإنسان عن الربّ. إذ تعدّ المثلية الجنسية عقابًا من الربّ أنزله على الإنسان. فالربّ يعاقب المشركين والوثنيين، على سبيل المثال، بجعلهم يشعرون بأنهم منجذبون إلى أشخاص من نفس الجنس. ووفقًا للقديس بولس، «أولئك الذين غيروا حقيقة الله إلى كذبة، وعبدوا وخدموا المخلوق أكثر من الخالق. لقد سخرهم الله للقيام بأعمال دنيئة. والرجال الذين تركوا الممارسة الطبيعية مع المرأة، احترقوا بشهوتهم تجاه بعضهم البعض و«نساءهم غيرن الاستخدام الطبيعي إلى ما هو ضد الطبيعة».كان موضوع ممارسة النساء للجنس مع نساء بالتوازي مع الرجال الذين يمارسون الجنس مع الرجال موضوع جديد إلى حد ما في خطاب بولس الديني. فلم يكن لليهود في العادة قيود قانونية على ممارسة السحاق، في حين رأى الإغريق ممارسة الجنس بين الرجال على أنها شيء تباركه الآلهة أما ممارسة الجنس بين النساء فهي شيء غير طبيعي في الأساس. ونادرًا ما كانت إزدواجية أتباع بولس حول المثلية الجنسية بين الذكور والمثلية الجنسية بين الإناث متبعة في المسيحية أيضًا، حيث عادة ما يتم إدانة الجنس بين الرجال بشدة أكثر من الجنس بين النساء.

بالرجوع إلى تأكيد بولس بأن المثلية الجنسية كانت نتيجة تلقائية للشرور، على الرغم من أنّ الله هو الذي يجعل الناس مثليّين جنسيًّا كعقاب لعدم الاعتقاد فيه والإيمان به، فإنّ من يغيرهم الله هم من يجب عليهم أن ينالوا «جزاءهم عن الخطيئة». يمضي بولس لمقارنة المثلية الجنسية بكلّ من «الإثم، والزنا، والشرور، والطمع، والخبث؛ و[الناس] التي يملأ قلوبهم الحسد والقتل والجدال والخداع والخباثة. ويخلص إلى: «الذين يعرفون حكم الله، ويرتكبون مثل هذه الأفعال يستحقّون الموت». لكن غالبية الإجراءات التي اختارها بولس لا تؤدّي، وفقًا لشريعة موسى، لعقوبة الإعدام. فبولس لا يتبع، إلى حد بعيد، الكتاب المقدّس العبريّ ولا يبدو أنه يشير إلى القرارات القضائية الصارمة حول ممارسة الجنس الشرجي الذكوري في التناخ. وعندما يذكر أنّ اللصوص والأشخاص الأشرار وأولئك الذين يرتكبون الزنا أو المثليين الجنسيين يستحقّون الموت، فمن المؤكّد أنه يشير إلى العدالة الإلهية بشكل عام وليس القانون الإنساني. ومع ذلك، فقد تم تجاهل هذه النقطة كثيرًا واستُخدمت كلمات بولس مرارًا وتكرارًا لتبرير إعدام المثليين جنسيًا، وخاصة المثليين الجنسيين من الذكور.

لم يقل يسوع المسيح، على عكس بولس، شيئًا عن المثلية الجنسية. ومع ذلك، تعتبر إدانته الواضحة للنشاط الجنسي المغاير بين جنسين مختلفين خارج إطار الزواج أساسًا جيدًا لافتراض أنه لا يوافق أيضًا على المثلية الجنسية بين الذكور لأنه، فيما يتعلق باليهودية، كان هذا إلى حد ما مطابقًا للجنس خارج نطاق الزواج. ولكن لمّا كان يسوع المسيح عارض العقوبة الإنسانية للمرأة الزانية، قائلًا «اذهبي، وكفى خطيئة»، قد نفترض أنه رأى أيضًا أنّ المثلية الجنسية يجب ألا تخضع للعدالة الإنسانية، وهى نفس وجهة نظر بولس بشكل فعال.

القصة في إنجيل متّى للقائد الروماني الذي يأتي إلى يسوع المسيح لأن خادمه - بايس - مصاب بمرض مزمن وخطير لدرجة تعقيد الصورة، ومع ذلك، بايس هي الكلمة اليونانية التي غالبًا ما

تستخدم للإشارة إلى الحبيب الشابّ في علاقة جنسية بين رجلَين. ويشير الحنان الهائل الذي يظهره القائد الروماني تجاه بايس إلى أن هذا هو الحال - إنها بالتأكيد ليست مجرد مسألة خادم أو عبد عشوائي. وعندما يحكي لوقا نفس القصة، يستخدم كلتا الكلمتين بايس و«العبد»، التي لا تستبعد إمكانية وجود علاقة وثيقة وجنسية بين الرجلين. وتعني قصة القائد الروماني وحبيبه بايس أن يسوع المسيح ربما يكون قد ضمد جراح الرجل الموجود في علاقة جنسية مثليّة دون أن ينبذ أيًا منهما أو يزجره- في الواقع، هو يجعل القائد الروماني مثالًا يحتذى به من قبل الآخرين؛ كل من اليهود والوثنيين. يمكن للمرء، إذا كان منحرفًا إلى هذا الحدّ، أن يذهب إلى أبعد من ذلك ليتساءل عمّا إذا كان يسوع المسيح قد وافق على زواج الأشخاص من الجنس نفسه.

لا يزال هذا بالطبع أمرًا افتراضيًا لأنّ يسوع لم يدلِ بأيّ تصريحات واضحة حول هذه القضية. بصرف النظر عمّا قد يعنيه يسوع المسيح، فقد مرّ ما يقرب من ألفي عام قبل أن يكون لهذا النوع من القراءة المناصرة والمرحبة بالمثليّين لكلمات يسوع المسيح أي تأثير حقيقي على المسيحية. وفي المدة الفاصلة، عدّ الغالبية العظمى من الناس أن يسوع المسيح أدان المثلية الجنسية، على الرغم من عدم وجود ما يثبت قيامه بذلك.

إنّ الإدانة الشديدة للنشاط الجنسي بين أشخاص من الجنس نفسه من قبل اليهود والمسيحيين والمسلمين على حد سواء تبدأ بعقوبة الإعدام لممارسة الجنس عن طريق الإيلاج بين الرجال كما هو منصوص عليها في الكتاب المقدس العبري على أساس القواعد الدينية المتعلقة بالطهر والنقاء وغيرها من اللوائح الجنسية العامة. هناك أيضًا واقعة أخرى في التناخ، التي رغم أنه لم تكن لها علاقة في الأصل بالمثلية الجنسية، إلا أنّها احتلّت مركز الصدارة في تشكيل المواقف تجاه المثلية الجنسية داخل هذه الديانات الثلاث. وهذه هي قصة سدوم.

بعد إقامة لوط (ابن شقيق إبراهيم) في سدوم، التقى لوط ملكين عند بوابة المدينة ذات مساء ودعاهما إلى منزله. وسرعان ما تجمهر كلّ السكان من الذكور من سكّان المدينة وطالبوا لوط «بإخراج الملكين إليهم، حتّى يتمكّنوا من معرفتهم «أو» حتى يتمكّنوا من ممارسة الجنس معهم». حيث تختلف ترجمة المقطع ولكن يتّضح من الأصل العبري أنّ نية الرجال هي اغتصاب زوّار السماء. وتنتهي الواقعة بإلزام الملائكة لوط وعائلته بمغادرة المدينة، وبعد ذلك يدمّر الله سدوم ومدينة عمورة المجاورة، ويمحو أثر جميع السكان بالكبريت الحارق الذي أمطرته السماء.

على الرغم من النيات الجنسية الواضحة لسكّان المدينة، لم يكن الجنس بين الرجال هو في الأصل خطيئة سدوم الكبرى؛ فكما يتّضح في مقاطع الكتاب المقدّس الأخرى، فإنّ السبب الأصلي لمعاقبة أهل سودوم هو عدم احترامهم لقواعد الضيافة. وفي موضع آخر، يُشار إلى أنّ سبب العقاب رغبة أهل سودوم في ممارسة الجنس مع الملائكة، والمعصية، أو الخطيئة العامّة.

في كتاب القضاة، نعرض موقف يوازي قضية سدوم عن قرب: يطالب السكّان الذكور في مدينة جبعة الإسرائيلية بممارسة الجنس مع رجل نزل ضيفًا على رجل طاعن في السنّ في المدينة. ومرة أخرى، يمكننا أن نرى أنّ المشكلة ليست في المثلية الجنسية، بل في خرق قواعد الضيافة. إنّ رجال مدينة جبعة الأقل كرمًا وضيافة لا يشعرون بالضيق الشديد بشأن نوع ضحيتهم، ويرضون تمامًا عندما يُسمح لهم باغتصاب محظية الضيف بدلاً من الزائر نفسه.

يسوع المسيح نفسه، أيضًا، لم يربط جرائم سدوم بالمثلية الجنسية؛ بل ربطها بخرق قواعد الضيافة والافتقار الكلي للإيمان الحقيقي. وكان الفيلسوف اليهودي فيلو، الذي كتب في وقت مولد المسيح، أول من أشار إلى رغبة أهل سودوم في ممارسة الجنس مع رجال آخرين كواحدة من الخطايا التي أدت إلى تدمير مدينتهم: «لم يرتكبوا الخطيئة ضد زواج جارتهم بشهواتهم الجامحة المتوحّشة للنساء فحسب ولكنهم أيضًا كانوا يضاجعون الرجال. وتجدر الإشارة هنا إلى أن فيلو يرى أنّ الميول الجنسية المثلية لأهل سودوم كانت نتيجة لعدم وجود حدود على الإطلاق لشهواتهم الجنسية العامّة – فقد كانوا أيضًا يضاجعون زوجات الرجال الآخرين. ومع ذلك، بعد فيلو، تكرّرت فكرة أنّ المثلية الجنسية بين الذكور كانت خطيئة أهل سودوم وأكّدها اليهود مثل يوسيفوس والمسيحيون الأوائل مثل إكليمندس الإسكندرية وأوغسطين. ومنذ ذلك الحين أصبحت العلاقة بين سدوم والجنس الشرجي الذكوري هو التفسير القياسي لسبب تدمير المدينة. وعلى الرغم من ذلك، استخدم مصطلح «اللواط» بشكل تدريجيّ تعبيرًا عن ممارسة الجنس الشرجيّ عامّة، بين جنسين مغايرين وبين المثليين جنسيًّا.

إن التصور غير الصحيح في الأصل بأنّ المثلية الجنسية بين الذكور هي سبب تدمير الله لسدوم كان له عواقب خطيرة وغالبًا ما كانت مميتة في التاريخ الجنسي للأديان. أمّا فكرة أنّ ممارسة الجنس بين الرجال قد تستفزّ عقاب الله فقد ساعدت بشكل مباشر على الحفاظ على المواقف السلبية للرجال تجاه السلوك المثلي . فبينما همّشت المسيحية أو تناست الحظر الصارم على ممارسة الجنس في مدة الحيض في التناخ، إلى جانب مجموعة من الأفعال الشريرة الأخرى التي تستحقّ عقوبة الإعدام، فقد أعادت صياغة الحظر المفروض على ممارسة الجنس بين الرجال ليكون حظرًا دائمًا وذلك لتلبية ظروف جديدة.

لم يحتفظ اليهود بمطلب التناخ بعقوبة الإعدام لممارسة الجنس بين الرجال. وعلى الرغم من أن موسى بن ميمون اعتقد أنها كانت العقوبة السليمة، وأيدها عدد قليل فحسب، وعلى أي حال، لم يكن اليهود في وضع يسمح لهم بتنفيذ عقوبة الإعدام. وفي الغالب لم تولِ اليهودية الحاخامية اهتمامًا كبيرًا للمثلية الجنسية - تمامًا كما كان الحال في العهد القديم. على سبيل المثال، لم يشر الحاخام الفلسطيني جوزيف بن إفرايم كارو في القرن السادس عشر إلى المثلية الجنسية عامّة، على الرغم من أنه قال إن اليهود لم تكن ضدهم شبهة ممارسة الجنس بين الرجال. وبما أنه من المفترض أن الرجال اليهود لا يميلون إلى المثلية الجنسية، فقد كان من المسموح به أن يجتمع رجلان بمفردهما. ومع ذلك، لم يكن من المستحسن أن تعقد مثل هذه الاجتماعات السرية، ويجب على الرجال بالتأكيد

ألا يتشاركوا أغطية الفراش. اعتقد المعلقون اللاحقون المقيمون في البلدان المسيحية أن قواعد السلوك الحذر هذه تنطبق فقط على اليهود الذين يعيشون في بلدان إسلامية (مثل كارو)، حيث قيل إن الجنس بين الرجال أكثر انتشارًا بين المسلمين منه بين المسيحيين. ومع ذلك، فإن الرجال اليهود في إسبانيا المسلمة كانوا مقلدين دؤوبين لأشعار وقصائد الحب للرجال المسلمين تجاه الغلمان، وكان جيرانهم المسلمون بعيدًا عن كونهم مصدر إلهامهم الوحيد. غالبًا ما صاغ الرجال الواقعين في الحب أجزاء من سفر نشيد الأنشاد عندما كتبوا مدحًا للشباب الذين كانوا يحبونهم. وعلى الرغم من أن قصائد الحب اليهودية نادرًا ما تكون مثيرة جنسيًّا بشكل صريح مثل القصائد الإسلامية، فمن الواضح تمامًا أنّ الرجال اليهود كانوا أيضًا يأملون في الحصول على أكثر من القبلات والعناق الذي قصروا أنفسهم على الكتابة بشأنه». لم يكن جميع اليهود ذوي المهارات الكتابية خائفين من أن يكونوا صريحين: نظرًا لأن التناخ يحظر ممارسة الجنس الشرجي فقط بين الرجال، فمن المفهوم أن السلطات الحاخامية ناقشت درجة الإيلاج الدقيقة التي تم وصفها على أنها ممارسة للجنس الشرجي. في حين أن النص الإسباني في القرن الثالث عشر «كتاب التربية Sefer ha Chinuch» ذكر أنه يجب أن تكون حشفة القضيب في الداخل، بينما اعتقد آخرون أن «قليلا فحسب» يكفي. حوالي عام 1100 صرح راشي، أحد المعلقين على التوراة، بأنه كان على المرء أن يدفع القضيب بشكل أعمق كما يدفع المرء «أنبوب ظلال العيون».

على الرغم من أن اليهودية الحاخامية قد أولت اهتمامًا بالمثلية الجنسية بين الذكور بصورة أقل من التناخ، إلا أن الجنس بين النساء مدان في عدة مناسبات، وليس الحال هكذا في الكتاب المقدس العبري. على سبيل المثال، يربط موسى بن ميمون السحاق بالممارسات الجنسية بين المصريين وبالتالي بحظر التناخ لكل ما يفعله الناس في مصر. إن ما ينطوي عليه هذا الاستنتاج هو أن السحاق يستوجب عقوبة الإعدام، ولكن موسى بن ميمون يعتقد أن الجلد كان كافيًا للنساء اللائي يمارسن مثل هذا الجنس. وقد أكدت السلطات اليهودية الأخرى، كما رأينا، أن الجنس بين النساء لم يكن ممارسة للجنس بالمعنى الحقيقي. ومع ذلك، كان من المتوقع أن تتزوج النساء اللائي مارسن السحاق من الرجال، ومنح عدد من الشروح في العصور الوسطى الرجال الحق في معاقبة زوجاتهم إذا ضبطن يمارسن السحاق؛ إن حقيقة أن الزوج، وليس المجتمع، هو الذي كان له الحق في فرض العقاب على المرأة، يدل على أن السحاق كان ينظر إليه عادة أنّه مسألة خاصّة وليس خطيئة خطيرة. لذلك، على سبيل المثال، إذا ظنّ الزوج أنه من المناسب تمامًا أن تستمتع زوجته بنفسها مع صديقاتها، فهذا هو لب الموضوع.

غالبًا ما كانت ردود الفعل المسيحية تجاه المثلية الجنسية معقدة بسبب حقيقة وجود فصل بين السلطات والكنيسة والدولة. عادةً ما كانت الدولة هي وحدها التي لديها ولاية النطق بالعقوبات الأشد قسوة، وهذا ما كان يعوق الكنيسة كثيرًا عن تحقيق رغبتها في إعدام الناس. ومرة أخرى، يتكرر

ذكر سدوم من أجل دعم الحظر المفروض على ممارسة الجنس بين الرجال، وغالبًا ما يشار إلى مصير سدوم من أجل تبرير شدة العقوبات.

على الرغم من أنه من الصعب القول أنه كانت هناك فترة تقبلت فيها المسيحية المثلية الجنسية بشكل عام، إلا أنه كانت هناك أوقات أصبحت فيها مناهضة المثلية الجنسية دون الأولويات. فلم يول مجلس إلفيرا Elvira في إسبانيا في بداية القرن الرابع سوى القليل من الاهتمام تجاه النشاط الجنسيّ بين شخصين من الجنس نفسه. ولم يُذكر الجنس بين النساء على الإطلاق، كما لم يُذكر الجنس بين الرجال بشكل عام، على الرغم من أنه يجب معاقبة الرجال الذين يفسدون «الصبيان» بالإقصاء الأبدي من الكنيسة. وبعبارة أخرى، ما يتعرض للهجوم هو النموذج الكلاسيكي للرجال البالغين الذين لديهم علاقات مع صبية صغار وربما يكون الدافع وراء الهجوم هو الدور الرئيسي الذي تلعبه العلاقات من هذا النوع في أجزاء كبيرة من المجتمعات الوثنية.

في عام 390 بعد الميلاد، قدم الإمبراطور المسيحي ثيودوسيوس الأكبر قانونًا ينص على الموت على الأوتاد لأي شخص «حوّل» جسده الذكوري إلى جسد أنثوي من خلال ممارسة أعمال جنسية مخصصة للنوع الآخر. وبعبارة أخرى، كان فقط الطرف السلبي الذي يمارس الجنس الشرجي هو من يُحكم عليه بالإعدام. في عام 538، أمر جستنيان باعتقال جميع الرجال الذين مارسوا الجنس مع رجال وإعدامهم، بغض النظر عما إذا كانوا شركاء إيجابيين أو سلبيين، ولكن هذا كان يحدث فقط إذا استمروا في ممارسة المثلية الجنسية بعد تحذيرهم أولاً. «ومن ثَمّ، فإن فحوى القانون تهتمّ بالمبدأ أكثر من الممارسة.

في البداية، على أيّ حال، كانت لهذه القرارات المتعلّقة بعقوبة الإعدام عواقب قليلة في العالم المسيحي، وظلّت الممارسة الفعلية في العالم الغربي أكثر اعتدالًا أثناء القرون التي أعقبت تلك المدة. وأشارت اجتماعات الكنيسة في العصور الوسطى الأولى وكتب التكفير عن الذنوب إلى أنواع مختلفة من الصوم والتكفير عن الذنب. حيث كان الفعل نفسه، وليس النية، هو القضية الخطيرة وعدم حدوث الفعل بالرضا لم يكن دائمًا سببًا كافيًا للهروب من العقوبة. كانت هناك أيضًا أوامر ضد ممارسة الجنس بين النساء على الرغم من أنها كانت أقل شيوعًا بكثير من تلك الأوامر التي تحظر ممارسة الجنس بين الرجال. ربما كان عدم وجود العقوبات القاسية ضد المثلية الجنسية مرتبطًا أيضًا بحقيقة أن هذه العقوبات كانت أوامر الكنيسة وليس قانونًا عامًا وبالتالي كانت للكنيسة صلاحيات محدودة لفرض العقوبات.

لا يوجد أي ذكر للمثلية الجنسية في المدوّنات القانونية الأولى لمعظم الشعوب الجرمانية التي تحولت إلى المسيحية، مثل الأنجلوسكسونية والبافارية والبرغندية والسكسونية واللومباردية. وكان يجب تغيير ذلك. وفي مملكة القوط الغربية في إسبانيا، حيث شارك الأساقفة عن كثب في إدارة الدولة بعد أن اعتنق الملك الكاثوليكية، أصبحت المثلية الجنسية بين الذكور الإيجابيين والسلبيين

تُعاقب بالإخصاء في القرن السابع. ودعا مجلس باريس عام 829 مرة أخرى إلى توقيع عقوبة الإعدام على اللواط، ولكن لأنه كان قانون كنسي فقط لم يكن هناك أساس قانوني للعقوبة التي يتم تطبيقها. ومن أجل ضمان إعدام الأشخاص بالفعل، شرع بنديكت ليفيتا (كما دعا نفسه) إلى تزوير مواد من قوانين شارلمان لعام 779 ميلاديًا من خلال دمج قرار مجلس باريس اللاحق بشأن عقوبة الإعدام في اللواط في قانون الكارولنجيان، ونتيجة لذلك أصبح المرسوم الكنسي قانونًا عامًا على الفور. وأصبحت نسخة بنديكت ليفيتا المزيفة لقوانين شارلمان واسعة الانتشار وكان لها تأثير كبير على التشريعات العلمانية في البلدان المسيحية. وتم قبولها على أنها حقيقية حتى عام 1836، عندما اكتشف باحث ألماني هذا الاحتيال والتزوير مؤخرًا.

ثبت أن دمج الإدانة المسيحية بالقانون العلماني عنصرًا فتَّاكا للمثليين جنسيًا. وفي النرويج، حيث لم تتطور سلطة الدولة بشكل كبير، قضى قانون جولاتينج Gulathing لعام 1170 بحظر الرجال الذين مارسوا الجنس مع رجال باعتبارهم خارجين على القانون. وكان هذا يعني أن أيّ شخص لديه الحقّ في قتلهم. وفي أجزاء أخرى من أوربّا، تمّ الجمع بين البَترِ والتعذيب مع عقوبة الإعدام. وفي القرن الثالث عشر، ذهب الملك ألفونسو حكيم قشتالة، على سبيل المثال، خطوة أبعد من القانون القوطي القديم عندما قرر أنه لا يجب إخصاء اللوطيين علنًا فحسب، ولكن بمجرد أن يتم ذلك، ينبغي شنقهم مقلوبين رأسًا على عقب حتى يلقوا حتفهم. وقد نصت القوانين الإنجليزية حوالي عام 1290 على أن يدفن اللوطيون أحياء. في أورليانز Orléans خلال العصور الوسطى العليا، كانت تقطع خصيتي الرجل المدان عن جريمته الأولى، ويقطع قضيبه عن جريمته الثانية ويُحرق على الأوتاد عن جريمته الثالثة. وفي عصر النهضة في مدينة البندقية كان يتعرض اللوطيون إلى مجموعة من العقوبات: قد يتم نفيهم أو بيعهم كالعبيد أو يظلوا مكبلين بالأصفاد في السجن مدى الحياة أو يوضعوا في قفص حتى وفاتهم؛ ثم يجلد الآخرون أو تبتر أطرافهم أو تقطع رؤوسهم أو يُشنقوا أو يُحرقوا أو يُطبق عليهم أي مزيج من هذه العقوبات. وأي شخص يقم بتوجيه اتهامات كاذبة يمكن، من ناحية أخرى، بتر أطرافه. وفي المدن الإسبانية مثل مدريد وألميريا، يمكن رؤية الرجال الذين أُعدموا بسبب المثلية الجنسية معلّقين مقلوبين رأسًا على عقب في المشانق مع أعضائهم الجنسية المبتورة حول رقابهم. كانت هناك فترات بدأت فيها بعض الدول الاضطهاد النشط، وشنّ حملات منهجية للتعرف على الرجال الذين مارسوا الجنس مع رجال ومعاقبتهم. حدث هذا في بيروجيا بإيطاليا في القرن الثالث عشر، وفي إسبانيا أثناء فترة كولومبوس وفي هولندا في القرن الثامن عشر. فبعد إنشاء محاكم التفتيش من قبل البابا جريجوري التاسع في عام 1233، كانت هناك فترات كان للكنيسة فيها الحق في معاقبة «الجناة» بنفسها، فاستغلت هذا الحق الاستغلال الأمثل. وفي بعض الأحيان كان هناك عدد اللوطيين على الأوتاد أكبر من عدد الزنادقة. وفصلت محاكم التفتيش في أراجون في ما يقرب من ألف حالة من اللواط بين عامي 1570 و1630 وتم إعدام 170 رجلاً.

كان اضطهاد المثليين الذكور موازيًا من وقت لآخر لاضطهاد النساء اللائي مارسن الجنس مع نساء. حيث ينص القانون في أورلينز على أن النساء، مثل الرجال، يجب أن يتم استئصال جزء من أعضائهن التناسلية عن ارتكاب الجريمة الأولى، وبتر أكبر عن ارتكاب الجريمة الثانية، وأن يتم حرقهن على الأوتاد عن ارتكاب الجريمة الثالثة. كان الرجال والنساء الذين أدينوا بالمثلية الجنسية في مدينة تريفيزو بشمال إيطاليا، يُعاقبون بمسمرة أعضائهم الجنسية على الأوتاد، حيث يتعيّن عليهم الوقوف يومًا كاملًا قبل إحراقهم.

عامّة، على أي حال، تم تجاهل ممارسة السحاق بشكل أكثر تكرارًا من اللواط عندما اتُهم عدد من النساء بارتكاب جرائم المثلية الجنسية في مدينة في أراجون في عام 1560، وقضت السلطات القضائية بأنه ينبغي رفع التهم الرسمية فقط عندما تستخدم النساء الأعضاء الاصطناعية: فالجنس الأنثوي دون إيلاج لا يمكن أن يعدَّ حقًّا نوعًا من الجنس. وفي شرحه لعام 1770 حول القانون الكنسي، جادل اللاهوتي الفرنسيسكاني لودوفيكو ماريا سينستراري بأن النساء يصبحن فقط مذنبات باللواط إذا كانت لدى إحداهن بظرًا كبيرًا بما يكفي لإيلاجه في امرأة أخرى. وفي حالة الاشتباه في ذلك، يجب فحص النساء وإذا ثبتت صحة هذا الأمر، فمن الضروري اللجوء إلى التعذيب، وقد يكتشف القاضي ما إذا كانت الجريمة التي لم يتم ذكرها قد ارتكبت أم لا.

يظهر الجانب الديني من الاضطهاد المسيحي جليًا في الطريقة التي يتكرر فيها ارتباط النشاط الجنسي بين أشخاص من نفس النوع بالهرطقة الدينية. وقد تم اتهام كل من أعضاء حركات بوجوميل Bogomiles والكاثار وفرسان المعبد باللواط. وكان هناك ميل إلى اتهام الرجال الذين أدينوا بالمثلية الجنسية بالزندقة والهرطقة، حتى لو لم يكن هناك شيء بصرف النظر عن سلوكهم الجنسي يشير إلى أي انتهاك للتعاليم المسيحية. وفي نافار Navarre إبان القرن الرابع عشر، يمكن أن يشار إلى المثلية الجنسية بين الذكور باسم «ارتكاب الزندقة بالجسد».ويرتبط هذا ارتباطًا واضحًا باعتقاد القديس بولس بأن الله عاقب أولئك الذين ابتعدوا عنه وضلوا الطريق بانجذابهم إلى أشخاص من نفس النوع: يبدو أن الأشخاص الذين شعروا بانجذاب جنسي شاذ قد ترسخت لديهم معتقدات خاطئة بالضرورة. وجادل الشرّاح الآخرون بأن القوى الشيطانية كانت شريكًا أصيلًا: قوانين الإمبراطور جستنيان على سبيل المثال، تبين أن بعض الناس يعتقدون أن الشيطان هو الذي جعل الرجال يمارسون الجنس مع رجال آخرين (رغم أنّ بولس، بالطبع، كان يعتقد أن الله هو الذي جعل الناس يفعلون ذلك).

كان الكثير من المسيحيين قلقين بشكل خاصّ من السيطرة على المثلية الجنسية لأنهم اعتقدوا أنه قد ينجذب الجميع إلى أشخاص من نفس النوع. فقد أدرك الأب باسل القيصر المؤثر في القرن الرابع أن الشبان قد يكونون جذابين بشكل خاص للرجال الآخرين وأن المشورة التي قدمها للرهبان كانت شاملة إلى حد ما. إذ يجب عليهم الحذر، على سبيل المثال، بالجلوس بعيدًا عن الأخ الأصغر؛ وعند الذهاب إلى السرير والخلود للنوم، ينبغي عليهم الحرص على ألا تتلامس ملابسهم - «دعوا الأخ

الأكبر ينام بينكم». اعتقد باسل أن رغبة الرجال في الشباب كانت شائعة جدًا لدرجة أن الخطر كان موجود دائمًا، عندما يتحدث إليك أخًا صغيرًا أو يكون وجهًا لوجه معك في قراءة القدّاس، أجب بإمالة رأسك منحنيًا حتى لا تنظر إليه بطريق الخطأ بشكل مستقيم في وجهه، مما يسمح للزارع الشرير بزرع بذور الرغبة فيك والتي منها سوف تجني حصاد اللعنة والهلاك. يعتقد الكثير من المتشدّدين في إنجلترا الاستعمارية الجديدة أنّ جميع المخلوقات البشرية امتلأت برغبة المثلية الجنسية وكذلك المغايرة الجنسية وأنه ينبغي على المسيحي الصالح توجيه تلك الرغبة إلى ممارسة الجنس الإنجابي في إطار الزواج. وتكمن الفكرة نفسها في كثير من الجهود التي يبذلها المسيحيون المحافظون في الوقت الحالي للحدّ من المساواة في المكانة والإشارة الإيجابية إلى المثلية الجنسية: وتتمثّل الفكرة في أنّه كلّما زاد مستوى قبول المثلية الجنسية وكلما زاد عدد البيانات الأكثر إيجابية التي صدرت عنها، زاد استسلام الناس لشهواتهم الكامنة تجاه المثلية الجنسية.

لم يضعف تحريم المثلية الجنسية أمام الإصلاح فحسب، ولكن كما رأينا في هولندا، كان يفرض في بعض الأحيان بصورة أكثر شدة من قبل. كان هناك القليل من الاضطهاد في إنجلترا حتّى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث تمّ إعدام عشرات الرجال، خاصّة أثناء حروب نابليون. وتمّ تنفيذ الإعدام الأخير في عام 1836.

كانت عقوبة الإعدام على اللواط موجودة في جميع المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية باستثناء ولاية بنسلفانيا. ولم يتمّ إعدام غالبية الذين ثبتت إدانتهم في أمريكا الشمالية، حيث عوقبوا بالجلد والطرد بدلاً من ذلك. وعارض عدد من رجال الدين بشدة هذا الاعتدال في العقاب، مشيرين إلى أنّ الأفعال الشريرة من هذا النوع تستحقّ الموت. وكانت هناك بلدان مسيحية أخرى أبقت على عقوبة الإعدام مدة أطول: جنوب إفريقيا، على سبيل المثال، أبقت على عقوبة الإعدام لممارسة الجنس بين الرجال حتى عام 1907 ، على الرغم من أن آخر عملية إعدام تمت في عام 1831.

على الرغم من رفض النازيين لليهود والأشخاص ذوي الإعاقة منذ البداية، إلا أنهم لم يكونوا في البداية قلقين بشأن المثلية الجنسية. وعندما واجه هتلر في عام 1930 شكاوى حول العلاقات الأقل تحفظًا لإرنست روم، قائد كتيبة العواصف، وهو يمارس الجنس مع الرجال، صرح هتلر قائلا: «يجب أن يكون الهدف الوحيد لأيّ تحقيق هو تأكيد ما إذا كان قائد كتيبة العواصف يؤدّي واجباته الرسمية أم لا. فلا يمكن أن تكون حياته الخاصّة موضوع تحقيق ما لم يتعارض مع المبادئ الأساسية للإيديولوجية القومية الاشتراكية. لكن هذا النوع من التسامح مع المثلية الجنسية كان من الصعب للغاية أن يصمد في مواجهة المحافظين المسيحيين التقليديين والنخب البرجوازية والأرستقراطية في ألمانيا. وعندما أجرى النازيون تغييرًا كليًّا وبدؤوا اضطهادهم المنهجيّ للرجال المثليين، كان لا بدَّ لهذا التغيير من أن يُفسَّر في سياق التكيف الإستراتيجي من جانبهم مع الموقف المسيحي التقليدي تجاه المثلية الجنسية. في خطابه إلى الرايخستاغ Reichstag (البرلمان النازي) في 23 مارس 1933، ركّز هتلر بشدة على حقيقة أنّ «حكومة الرايخ ... تعتبر المسيحية بمثابة

الأساس الذي لا يتزعزع للأخلاق والقانون الأخلاقي للأمة. وكانت قدرة النازيين على إقناع اليمين المسيحي بأنّ هدفَهم هو حماية المُثل المسيحية التقليدية للنقاء الجنسي حاسمة في تأسيس وتثبيت قاعدة الشرعية والسلطة للنظام النازي أثناء ربيع وصيف عام 1933. وفي سنواته القلائل الأولى في السلطة، كانت ردود الفعل البروتستانتية والكاثوليكية على النظام النازي إيجابية. حتّى إنّ الفاتيكان أشادت علانية بالطريقة التي شدّد بها النازيون الرقابة على المحتوى الجنسي في وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية. وكانت هذه الرقابة واحدة من الأشياء التي وفّرت الأساس القانوني لتدمير معهد ماجنوس هيرشفيلد Magnus Hirschfeld للمعرفة الجنسية الرائد في مجال حقوق المثليين في السادس من مايو عام 1933. وقد أدخلت قوانين جديدة أكثر صرامة ضد جميع أشكال ممارسة الجنس بين الرجال في عام 1935 التي كانت بمثابة بداية الاضطهاد الممنهج. حيث عبر الناطقون بلسان المسيحية عن نظرة إيجابية عامّة لهذه التغييرات القانونية، وعدّوها مبادرة جيدة لتمكين العقاب على الجرائم ضد الزواج و«الهجوم على الزواج». ربّما بدأ الاضطهاد النازي للمثليّين جنسيًّا كوسيلة للتكيف مع القواعد الأخلاقية المسيحية، لكن هذا لم يجدِ نفعًا لتثبيط حماستهم عندما كان يجري الاضطهاد على قدم وساق. وواصل النظام النازي اعتقال الرجال لممارسة الجنس مع الرجال حتّى آخر أيام الحرب العالمية الثانية، عندما كانت برلين محاطة بالقوّات السوفيتية.

بينما يبدو أن الأفكار المسيحية قد زوّدت النازيين بنقطة انطلاقهم لاضطهاد المثليّين جنسيًّا، إلا أنّ بعض ضحايا النازيين كانوا يكتشفون بطريقتهم أنّ أولئك الذين هزموا النازيين كانوا مسيحيّين أيضًا. فلم يُطلق سراح أيّ عدد من الرجال المثليّين في معسكرات الاعتقال بعد هزيمة النازيين؛ بل أرسلهم الحلفاء مباشرة إلى السجن لقضاء ما تبقى من الأحكام الصادرة بحقّهم في ظل النظام النازي. وربّما لم يشكّل المثليّون جنسيًّا أكبر مجموعة من الأشخاص الذين يتعرّضون للاضطهاد من قبل النازيين، لكنّهم كانوا المجموعة الوحيدة التي اعترف الحلفاء بأن اضطهادهم كان قانونيًا.

كانت النظرة المسيحية التقليدية هي إدانة المثليّين واضطهادهم بالطرق الممكنة الأكثر فتكًا. وعلى أساس بضع آيات غامضة إلى حدّ ما في الكتاب المقدّس، رسّخت المسيحية تقليد قمع الجنس بين أشخاص من النوع نفسه، وخاصة بين الرجال. في حين أنّ اليهودية - بدءًا من الأسس التوراتية نفسها - تبنّت وجهة نظر أكثر تسامحًا للجنس بين أشخاص من النوع نفسه، كان للمسيحية تاريخ في اضطهاد المثليين جنسيًّا - وهو تاريخ كان في فترات معينة متعطّشا للدماء. ويعدُّ قمع المثلية الجنسية أمرًا محوريًّا في الدين. وعندما قام المسيحيون بإخصاء وحرق وإغراق المذنبين بهذا الجرم ودفنهم أحياء، فعلوا ذلك اعتقادًا منهم بأنهم كانوا ينفّذون مشيئة الله. وكما سنرى، كانت هناك أصوات أخرى أيضًا.

القَبول في ظِلّ الإدانة الساحقة

إذا عدنا إلى الاضطهاد الجماعي للرجال المثليّين جنسيًّا في هولندا في ثلاثينيات القرن الماضي، يمكننا أن نرى كيف تنوّعت المواقف تجاه المثلية الجنسية في المجتمع البروتستانتي. حيث يدلّ الاضطهاد نفسه على العَلاقة الوثيقة بين الكنيسة والدولة لأنّ المعتقدات المسيحية كانت في صميم عملية الاضطهاد. إنّ إعدام جميع أولئك الذين أدينوا باللّواط في مختلف المدن الكبيرة خير شاهد على مدى قلة التعاطف معهم في أوساط الحشود في الحضر.. ومثل معظم عمليات الإعدام في ذلك الوقت، كانت أحداثًا ذات إمكانات ترفيهية رائعة وجذبت حشودًا كبيرة.

إلا أنّ الاعتقالات التي نُفّذت في أوتريخت وغيرها من المدن كشفت أيضًا عن ثقافة فرعية للمثليين جنسيًا التي - قبل إلقاء القبض عليهم - بدا أنّ أعضاءها لديهم فهم جيد ومريح إلى حدّ ما سواء لما كانوا يفعلونه أو لتعاليم المذاهب المسيحية. ويظهر نوع مختلف من المشهد الديني والجنسي في قرية فان، حيث لا تكشف الوثائق القانونية عن أيّ نوع من الثقافة الفرعية للمثليّين جنسيًّا أو، في الواقع، أي فهم على الإطلاق للجنس بين الرجال كتصنيف جنسيّ معيّن. وما سجّلته الوثائق عبارة عن اجتماعات جنسية تقريبًا في المباني الريفية أو في الحقول الزراعية. ويبدو أنّ البعد الكبير للأفعال قد دخل في الصورة عندما بدأ الاضطهاد الرسمي. تُظهر الاحتجاجات الصاخبة التي أُعرب عنها الغالبية من السكّان ضد اضطهاد القرويين الآخرين أنّهم لا يتشاركون الرأي الديني الرسمي لممارسة الجنس بين الرجال كشيء يجب القضاء عليه بأيّ ثمن. تشبّث القرويون المسيحيون برأيهم على أنّه ينبغي إطلاق سراح رجالهم حتّى بعد أن أعطتهم المحاكمات لمحة واضحة على ما يعتقده رؤساؤهم المسيحيون حول المثلية الجنسية.

المزارعون الهولنديون والسلطات وسكّان المدن في القرن الثامن عشر كانوا جميعهم مسيحيين كالفينيين. ولكن يمكننا أن نرى بوضوح في هذه الحالة الطريقة التي تفهم بها فئات مختلفة من المجتمع الاعتقاد نفسه وتدين به. فنتيجة للمستويات القصوى من الاضطهاد والإدانة المطلقة في الكلام والكتابة والممارسة، قد تهيمن كتب التاريخ انطلاقًا من النظرة الرسمية الدينية الصارمة للمثلية الجنسية، لكن الوجود المتزامن لوجهات النظر المسيحية البديلة حول المثلية الجنسية يدلّ على وجود ثقافة فرعية للمثليين جنسيًا في المناطق الحضرية، وقبول للمثليّين جنسيًّا بين المزارعين الذكور ومعارضة القرويين لأهل قرية فان حدّ الاضطهاد. في حين تشير الثقافة الفرعية للمثليّين جنسيًّا إلى حدّ ما إلى درجة واعية من معارضة الآراء الدينية المعاصرة، فإنّ المثلية الجنسية الريفية ومقاومة القرويين تمثّل شيئًا مختلفًا. فهي لا تشبه أيّ شيء يقترب من المبادئ الحديثة التي تنادي بالمساواة الاجتماعية أو حقوق الإنسان المثلي ولكنّها تشهد على الاعتراف بأنّ الجنس بين الرجال لم يكن حقًّا بهذه الخطورة وبالتأكيد لم ينظر إليه على أنه يمثّل أيّ تهديد كبير داخل هذه المناطق الريفية الكالفينيّة.

على امتداد التاريخ المسيحي كله، شارك الأشخاص من كلا النوعين في أنشطة جنسية مثلية دون الشعور بتعارضها مع إيمانهم المسيحي. وبينما حاولت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية منع المثلية

الجنسية في الأديرة، إلا أنها كانت أكثر تسامحًا مع المثلية الجنسية عمومًا في الكنائس الأخرى في المجتمع. وذكر كثير من المسافرين والدبلوماسيين الذين زاروا روسيا منذ القرن الخامس عشر أن المثلية الجنسية المقبولة كانت هناك أكثر انتشارًا وأكثر تسامحًا منه في أوربّا الغربية. وفي زيارته لموسكو في عام 1568، شعر الشاعر الإنجليزي جورج توربيرفيل بالصدمة بسبب المثلية الجنسية التي رآها بين الفلاحين الروس أكثر من صدمته من عمليات الإعدام الكثيرة التي أمر بها إيفان أمير موسكو.

لم يمنع الروس ممارسة الجنس بين الرجال حتّى عام 1832 وحتّى ذلك الحين كانوا نادرًا ما يحتجّون بالقانون. ولم تُحظر ممارسة الجنس بين النساء. حيث كانت روسيا فريدة من نوعها على الإطلاق. وكان الجنس بين الأولاد واسع الانتشار ومقبولًا إلى حدّ كبير في المدارس الداخلية الإنجليزية في القرن التاسع عشر لدرجة وجود أنواع مختلفة من المؤسّسات غير الرسمية. وكان المتحوّلون جنسيًّا من الذكور الذين مارسوا الجنس مع رجال آخرين مقبولين تقليديًّا في مناطق مسيحية قليلة - وكانوا شائعين بين أصحاب العقائد من الأمهريين الأرثوذكس في إثيوبيا، على سبيل المثال، حيث كانوا يعرفون بـ «واندار-واراد»(المخنثين). وتظهر أنماط مختلفة في البلدان التي كان فيها التسامح أقل مع المثلية الجنسية. كان الوضع الأكثر شيوعًا، كما هو الحال في قرية فان الهولندية، حيث كان الناس يمارسون المثلية الجنسية دون التفكير في أنهم يمثلون مشكلة خاصة من منظور لاهوتي. في مكان آخر، يمكننا أن نجد دفاعًا صريحًا عن المثلية الجنسية يتضمن مرجعًا دينيًا مباشرًا: حيث ذكر راهب فرنسيسكاني في صقلية في حوالي عام 1600 أن الجنس بين الرجال كان «شيئًا مقدَّسا وعادلًا»، وهو البيان الذي أدّى إلى تعرّض الراهب الصادق للجلد على الملأ والسجن مدة عام. وحُكم على أحد النبلاء في كاتانيا بالسجن مدة خمس سنوات لأنه ذكر أنّ أيّ شخص يقول «لا» لفرصة يمارس فيها اللّواط كأنّما «يرتكب خطيئة مميتة». وأخبر سفير البندقية في الولايات البابوية في عام 1578 عن قس كاثوليكي أقام مراسم زواج عدّة أزواج من الذكور من الإسبان والبرتغاليين في كنيسة بالقرب من كاتدرائية لاتيران في روما. حيث اعتقلت السلطات أكبر عدد ممكن من الرجال المتورطين حيث تمكّنوا من القبض عليهم وحرقهم جميعًا.

لم ير هؤلاء الأفراد أيّ صراع بين المسيحية والمثلية الجنسية بشتّى الطرق. وإن لم يكونوا من الشخصيات البارزة والأكثر نفوذًا، لكان أولى لهم أن يلوذوا بالفرار على جناح السرعة. كان لدى كثير من الحكام المسيحيين رغبة في ممارسة الجنس مع آخرين من نفس النوع وعاشوا وفقًا لتلك الرغبة دون الحاجة إلى الخوف من العقاب. على سبيل المثال، نذكر الإمبراطور البيزنطي نيسفوروس، مايكل الثالث، باسيل الأول، قسطنطين الثامن وقسطنطين التاسع، الملك ماجنوس إريكسون من النرويج والسويد وسكانيا؛ الملوك الإنجليز ويليام الثاني، ريتشارد قلب الأسد، إدوارد الثاني، وريتشارد الثاني، جيمس الأول وليام أورانج؛ الملوك الفرنسيون هنري الثالث ولويس الثالث عشر، والأباطرة الرومان المقدسين فريدريك الثاني ورودولف الثاني، الملكة السويدية كريستينا،

والقيصر الروسي بيتر العظيم والملك البروسي فريدريك الثالث. وفي عام 1617 دافع الملك جيمس السادس ملك اسكتلندا وملك إنجلترا الأول دفاعًا مستميتًا عن علاقته بجورج فيليرز، دوق باكينجهام، بالكلمات التالية: لقد فعل يسوع المسيح نفس الشيء، وبالتالي لا يمكن إلقاء اللوم عليّ. المسيح كان له جون، وأنا لي جورج. ولم يترك الملك جيمس هذا الأمر، ومن الناحية العملية، تم تشجيع المثلية الجنسية بين الذكور في بلاط قصره. في رسائلها الكثيرة، لم تذكر إليزابيث شارلوت زوجة شقيق الملك لويس الحادي عشر العلاقات الكثيرة التي تربط زوجها فيليب أورلينز مع رجال آخرين فحسب، ولكنها لاحظت أن كثير من الرجال في المحكمة الفرنسية أكدوا أن ممارسة الجنس بين الرجال كانت فقط خطيئة في الأيام التي كان فيها عدد قليل جدًا من الناس وكانت الأرض تحتاج إلى أن تكون مأهولة بالسكان. كما أشاروا، فإن الله لم يعاقب أي شخص بسبب المثلية الجنسية منذ سدوم وعمورة.

على الرغم من قناعات المسيحيين التي كانت وراء اضطهاد المثليّين في البلدان المسيحية، فإن الكنيسة الكاثوليكية نفسها، وكذلك كثير من الكنائس الأرثوذكسية، كانت في الغالب ملاذًا للرجال الذين ينجذبون جنسيًا إلى رجال آخرين. وغالبًا ما تم التسامح مع ممارسة الجنس السرّيّ بين رجال الدين. وفي العصور الوسطى، حتّى إشعار المسلمين علقت على ذلك: «إن الحب بين الرجال كان شائعًا في الأديرة الأرثوذكسية.» لا يمكن أن يعاقب القساوسة الكاثوليك الذين يشتبه في ارتكابهم المثلية الجنسية بموجب القانون العلماني ما لم تقم الكنيسة بفضح أمرهم، وهو الأمر الذي رفضته كثيرًا. فقد فضلت الكنيسة عادة إرسال القساوسة المتهمين إلى الأديرة، والتي لم تكن خالية من المثلية الجنسية؛وعندما اشتكى الفيلسوف جان جاك روسو من ضيف ذكر يقوم بمحاولات إغراء جنسية، قام رئيس دار الإقامة الكاثوليكي الذي كان يقيم فيه بتوبيخ الفيلسوف وأخبره أنه لا يمكنه الشكوى من أن شخص ما يجده جذابًا؛ وبالنسبة للفعل الجنسي نفسه، فإن خوف روسو كان مجرد غرور من جانبه. وبلغ التسامح الضمني تجاه المثلية الجنسية السرية قمة التسلسل الهرمي. وفي القرن الحادي عشر، رفض البابا ليو التاسع صراحة فكرة أنه يجب إعفاء رجال الدين من مناصبهم بسبب أفعال عارضة مثل ممارسة العادة السرية أو الجماع حيثما تُشبع الرغبات المكبوتة عن طريق وضع القضيب بين فخذي رجل آخر. وفي القرن السادس عشر، كان البابا يوليوس الثالث معروفًا بعلاقاته الجنسية مع الأولاد الصغار وذهب إلى أبعد من ذلك ليجعل حبيبه البالغ من العمر سبعة عشر عامًا، وهو صبي الشارع إينوتشينزو، كاردينالًا. وبصفته البابا، كان ليوليوس كامل الحرية في التصرف؛ الحرية الشاملة لكل المقاصد والأغراض، لكنه عندما جعل عشيقه كاردينالًا، تسبب ذلك في فضيحة بين الكاثوليك وشماتة بين البروتستانت.

وهكذا، على الرغم من أن الاتجاه السائد في المسيحية كان واضحًا في الإدانة والاضطهاد، إلا أن التاريخ يظهر أنه كان هناك دائمًا كثير من المسيحيين الذين لم يعتبروا المثلية الجنسية مشكلة حقيقية أو كانوا يدافعون عنها من وجهة نظر مسيحية. وفي حالة ممارسة الجنس بين النساء، فإن مدى

تجاهله أو عدم اعتباره جنسًا حقيقيًا يدل على أنه لم يتم اعتباره مشكلة. إذًا فالمسيحية تقدّم مثالاً جيدًا على الطريقة التي كان بها الدين المعروف بعدائه التاريخي اللامتناهي للمثلية الجنسية يقدّم دائمًا أصواتًا تنادي بشيء مختلف تمامًا.

القَبولُ أو العقوبة

في نهاية القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين، انجذب كثير من الرجال المسيحيين من أوربّا الغربية إلى الرجال الآخرين اللاجئين إلى العالم الإسلامي. في عام 1894، فقد المؤلّف الفرنسي أندريه جيد André Gide عذريّته في الرمال الصحراوية عندما كان في الرابعة والعشرين من عمره. فقد كان مع عليّ، وهو شابٌّ مسلم، وكما يخبرنا جيد بنفسه، «كان جسده حارًّا جدًّا ولكن بالنسبة إلى يداي كان ملمس جسده منعشًا ورطبًا». ومن المثير للدهشة، أن جيد عاد إلى شمال إفريقيا بشكل متكرّر بعد ذلك. كما أحبّ أوسكار وايلد زيارة المناطق نفسها بسبب حدوث كثير من الاحتمالات الجنسية مع رجال آخرين. وقع الكاتب البريطاني إي إم فورستر في الحبّ مع محمد العدل، وهو سائق ترام مصري مسلم في الإسكندرية. وكانت مدينة طنجة في المغرب معروفة تمامًا حتّى خمسينيات القرن العشرين كملاذ للفنّانين الذكور المثليين من الغرب، وكانت لقاءاتهم الحميمة مع الرجال المسلمين مصدر إلهام كثير من الأعمال الفنّية. من المؤكّد أنّ الانجذاب الذي مارسته الدول الإسلامية على رجال أوربّيين مثقّفين تأثّر بأفكار المستشرقين وأوهامهم الغريبة والمثيرة جنسيًّا عن العرب، لكن لا مفرّ من حقيقة أن هذه الدول الإسلامية عرضت عليهم فرصًا أفضل بكثير لتجارب جنسية حقيقية مع رجال آخرين دون إدانة تتعلّق بمثل هذا السلوك في أقصى الشمال.

إنّ السبب وراء ظهور الدول الإسلامية كواحات متجانسة بهذه الطريقة ليس له علاقة بأن الإسلام يتبنّى وجهة نظر أكثر تسامحًا تجاه المثلية الجنسية بين الذكور مقارنة بالمسيحية. وفي الواقع، هذا ليس صحيحًا. ما اكتشفه جيد، ووايلد، وفورستر وجميع بقية هؤلاء المسيحيين هو أنّ غالبية المسلمين كانوا أكثر تسامحًا مع الجنس بين الرجال وأنّ النشاط الجنسيّ المثليّ لم يُنظر إليه على أنه مشكلة كبيرة إزاء الدين. وفي الوقت نفسه، اكتشف معظمهم أن محاولات إقامة علاقات حصرية مع عشّاقهم المسلمين لم تكن بهذه السهولة؛ لأنه إذا لم يكن الرجال المسلمون قد أبرموا عقود الزواج بالفعل بين جنسين مغايرين، فإنهم كانوا يخطّطون للقيام بذلك.

ولكنّ الإسلام ليس معاديًا للمثلية الجنسية بأيّ حال من الأحوال. فالقرآنُ لا يحظر ممارسة الجنس بين النساء؛ وفي الواقع، فإنه لا يشير إلى ذلك. ومن ناحية أخرى، تبدو المعلومات القليلة عن الجنس بين الرجال أكثر من سلبية إلى حدّ ما. وعلى عكس الكتاب المقدّس، ووَفقًا لكثير من المؤلّفين اليهود والمسيحيين اللاحقين، ينتقد القرآن سكّان سدوم في الأساس لممارسة الجنس بين الرجال. حيث يتعرّض الرجال السودوميون، الذين يطلق عليهم فعل قوم لوط، للانتقاد في قوله "أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُون». (سورة الشعراء: آية 166). أمّا حقيقة أنّ الرجال يمارسون الجنس بعضهم مع بعض فقد مُنحت أهمّية لاهوتية لأنّ هذا يعني أنّهم يمنعون الحقيقة ليكذبوا ومن ثَمّ فهم أشرار. وهذا بسبب المثلية الجنسية التي عاقبهم الله عليها بأن أمطر عليها مطر السوء».

على الرغم من النظر إلى تدمير سدوم كعقاب لممارسة الجنس بين الرجال، إلا أن القرآن يقترح عقابًا على المثلية الجنسية أخفّ وطأة من مئة جلدة المذكورة في القرآن الكريم على تهمة الزنا بين جنسين مغايرين والقرآن ينصّ، ولكنّه لا يحدّد. «واللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا»، لا يوجد أيّ أساس للإيحاء بأنّ العقوبة يجب أن تكون الجلد أو الإعدام لأنّ هذه الآية تتبع مباشرة الآية التي تنصّ فقط على الإقامة الجبرية للنساء غير المتزوّجات اللائي يأتين «الفاحشة». وهناك أيضًا بيانٌ آخرُ يعفي المثليين جنسيًّا من العقاب: «واللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا». (سورة النساء، آية 16)

هناك بعض المسلمين الذين يعتقدون أنّ المثلية الجنسية موجودة في الجنّة على الرغم من الحظر العام المعبّر عنه في القرآن. غالباً ما يُنظر إلى الرواية القرآنية عن الشباب الأبديّ «الجميل مثل اللؤلؤ» الذي سيخدم الرجال في الجنّة كدليل على ذلك. غالبًا ما تُؤخذ حقيقة أنّ هؤلاء النساء في السياق نفسه مثل العذارى الإناث الناشطات جنسيًّا بشكل واضح كدليل على أنّ هؤلاء الشباب الجميل سيمارس أيضًا الجنس مع الرجال في الجنّة.

إنّ إمكانية ممارسة الجنس بين الرجال في الجنّة لا تجعل هذا النوع من الجنس مسموحًا به في هذه الحياة. في الأحاديث الشريفة نجد أنّ النبيَّ محمّد (صلى الله عليه وسلم) يطالب بعقوبات أشدَّ على ممارسة الجنس غير القانوني في القرآن: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»، والرسالة الواضحة هي أنه يجب رجم الرجل الذي مارس الجنس الشرجيّ مع رجل آخر، على الرغم من أنّه في بعض الأحيان يبدو أنّ هذه العقوبة مخصّصة للرجال غير المتزوّجين.

ومع ذلك، عندما ندرس الأحاديث الشريفة، نجد أنّ النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم) يولي اهتمامًا أقلّ للمثلية الجنسية للذكور بدلاً من الزنا بين الجنسين المغايرين، على الرغم من أنّ خلفاء النبي محمّد (صلى الله عليه وسلم) توصّلوا إلى طرق جديدة لإعدام المثليّين جنسيًّا. حيث أمر أبو بكر، الخليفة الأول، بهدم حائط على رأس رجل مُدان بالمثلية الجنسية، وحرق رجل آخر حيًّا. وروي أنّ عليًّا، صِهر النبي محمّد، أمر بإلقاء رجل مدان من أعلى مِئذنة.

في البداية، عندئذٍ، يقترح القرآن الكريم عقوبةً أخفّ على ممارسة الجنس بين الرجال مقارنة بالزنا بين جنسين مغايرين، حيث كان النبي محمّد أكثر قلقًا إزاء هذا النوع الأخير. ولكن على الرغم من مطالبة النبي محمّد بعقوبة الإعدام، إلا أنّ هناك غيابًا للوحدة القضائية في التقاليد: على سبيل المثال، لا تؤمن مدرسة الحنفية السنّية، التي تهيمن على جنوب آسيا، والبلقان وتركيا وسورية ومصر، بأن الجنس بين الرجال يُعاقب بالموت.

كما هو الحال مع السلوك الجنسي المغاير غير القانونيّ، فشرط الإثبات الصارم يعني أنّ الجنس بين الرجال نادرًا ما كان يؤدّي إلى مستويات كبيرة من الاضطهاد داخل الإسلام. على العكس من ذلك؛ غالبًا ما يتمّ التسامح مع ممارسة الجنس بين أشخاص من الجنس نفسه، وفي بعض الأحيان

كان يقبل ويُشاد به، في المجتمعات الإسلامية، مثلما اكتشف الكثير من المثليين الغربيين في بداية القرن الماضي. فأبو نواس، الذي عاش في حوالي عام 800، وهو أحد أعلام الشعر العربيّ الكلاسيكيّ، أمضى عمره في كتابة قصائد في حبّ الشباب في شعره. واتبع كثير من الشعراء المسلمين الذكور خطاه وكتبوا باستفاضة عن رغبتهم المثيرة للشباب. وكان هناك مجموعة كبيرة من الحكّام المسلمين، كما كان الحال مع كثير من الملوك المسيحيين، معروفين بميلهم إلى الرجال الآخرين – مثل الخليفة الأمين في بغداد، والخليفة عبد الرحمن الثالث والحكم المستنصر بالله حاكم قرطبة، وكلّهم من القرنَين التاسع والعاشر، وهؤلاء ليسوا سوى بعض النماذج. ولإبعاده عن انجذابه للغلمان، ألبست والدة الأمين مجموعة من الفتيات الصغيرات ملابس ذكورية حتّى يبدين له في صورة الذكور. لكن ذلك لم ينجح تمامًا كما كانت تأمل والدته، ولكنها أيضًا ابتكرت موضة بين النساء التي دامت لأكثر من قرن.

لم يقتصر الشاعر التونسي الشهير أحمد الطفاشي، الذي قدّم هذه النصيحة الممتازة حول كيفية الاستمتاع بالجنس المحظور أثناء القرن الثالث عشر، على الجنس المغاير. فقد كان يعطي تعليمات حول كيفية العثور على الغلمان الراغبين وإغوائهم. كما قدّم الطفاشي نصائح عملية حول كيفية الحصول على المتعة الجنسية أكثر مع الخنثوات. وعلى الرغم من أنّ السحاق لم يكن ممنوعًا، فقد خصّص كذلك فصلًا للطرق التي يمكن أن تستمتع بها المرأة في ممارسة الجنس مع نساء أخريات.

يحتوي كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر من تأليف الشيخ محمّد النفزاوي في القرن السادس عشر أيضًا على فصل مخصّص لمتع الجنس بين الرجال**وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن النفزاوي كان بعيدًا عن كونه شخصية تافهة من الناحية الدينية، حيث أصبح «الشيخ» (لقب ديني إسلامي أشار الذكور .من أتباع الصوفية، تقليد التصوّف الإسلامي، في كثير من الأحيان إلى جمال الشابّ الأمرد في أشعارهم الكلاسيكية، وكان معروفًا عن عدد من رجال الصوفية المهمين في القرن الثاني عشر أنّهم كانوا متورّطين في علاقات عاطفية .بعضهم مع بعض**

إنّ ممارسة الجنس بين الرجال تقليديًّا منتشرة ومقبولة في كثير من المجتمعات الإسلامية. ويكشف عدد من الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية عن المثلية الجنسية للذكور تقريبًا بين الرجال من مختلف الفئات العمرية في كثير من الدول الإسلامية من المغرب في الغرب إلى إندونيسيا في

الشرق، ومن ألبانيا في الشمال إلى زنجبار في الجنوب. والغالبية العظمى من الرجال المسلمين الذين يمارسون الجنس مع الرجال يفعلون ذلك دون مخالفة للنمط التقليديّ للزواج من جنسين مغايرين عندما يبلغون سنّ معيّنة. ونظرًا لأنّ غالبية الدول الإسلامية لديها قواعد صارمة فيما يتعلّق بالتواصل بين الجنسين، فإن المثلية الجنسية منتشرة بشكل خاصّ بين الرجال غير المتزوّجين. وبالنظر إلى أنه لا يمكن الوصول إلى المرأة، فإنّه من العجيب أن يتمَّ التركيز على جمال الذكور إلى هذا الحدّ. وقد علق الفقيه الحنبلي في القرن الثاني عشر ابن الجوزي على الرجال الذين ينظرون إلى الأولاد الصغار: «أيّ شخص يدعي أنّه لا يشعر ببعض الرغبة هو كاذب، وإذا صدقناه، فيجب عليه أن يكون حيوانًا وليس إنسانًا».

الرجال الذين أعلنوا عن حبّهم للرجال الآخرين كانوا في الغالب محترمين ومُعجبين وتقريبًا كلّ معلّقة من المعلّقات الإسلامية الإسبانية من الشعر كانت تحوي قصائد حبّ وغزل كتبها رجال إلى رجال. وفي أوائل القرن الثامن عشر في قصيدة «أبرو»، كتب الشاعر الهندي نجم الدين شاه مبارك عن شبان يلجأ إليهم رجال آخرون في مدينة دلهي المسلمة. وتصور المنمنمات الفارسية والتركية من القرون الأخيرة الرجال في مواقف جنسية صريحة مع رجال آخرين. وكانت العلاقات بين الرجال والفتيان الصغار مقبولة - ولا تزال - مقبولة اجتماعيًّا في تقاليد البشتون في غرب باكستان وجنوب أفغانستان. وغالبًا ما يُنظر إلى الشريك السلبي جنسيًّا على أنّه يتصرّف بطريقة تتعارض مع دور الذكور المقبول. وفي شمال إفريقيا، عُرف عن الشركاء الإيجابيين التفاخر بممارسة الجنس مع الشركاء السلبيين الذين يتعرّضون للإهانة.

لدى كثير من المجتمعات المسلمة أيضًا تقاليد طويلة بخصوص الرجال ذوي الهوية الجنسية المتباينة الذين يمارسون الجنس مع رجال آخرين. وفي جاوة Java، على سبيل المثال، من المقبول تقليديًّا لكلّ من الذكور المتحوّلين جنسيًّا والصبية الصغار الذين يلعبون أدوارًا الإناث في المسرح أن يمارسوا الجنس مع رجال آخرين. وكذلك نجد أن عبادة الاستشفاء بالزار في شمال السودان مفتوحة فقط أمام النساء والرجال ذوي الهوية الجنسية المتباينة، والكثير منهم يمارسون الجنس مع رجال آخرين. ويشيع وجود المخنّثين الذكور مثلي الجنس الذين يُطلق عليهم مصطلح ماشوجا mashoga أو ماباشا mabasha في القرى الساحلية الإسلامية في كينيا وتنزانيا. وهناك أوجه تشابه واضحة بين هذا النمط وما يسمّى خنيث khanith في عُمان، الرجال الذين يعيشون خارج الدور الجندري المعتاد للذكور ويمارسون الجنس مع رجال آخرين. وفي جنوب آسيا المسلمة، يوجد الكثير من الهيجرا Hijra - الرجال الذين يرتدون ملابس النساء ويمارسون الجنس مع رجال آخرين - على الرغم من أن هذه العادات والتقاليد قد تطوّرت من الناحية التاريخية داخل الهندوسية. ويوجد تقليد بين شعب الهوسا المسلم في الساحل يُسمى كوازو k'wazo (الأكبر)، وهو أن يقيم الرجال الذين هم أكبر سنًّا، الإيجابيين، علاقات مع باجا Baja، الرجال الذين هم أصغر سنًّا والأكثر أنوثة، وهؤلاء

الأزواج يعيشون في بعض الأحيان في علاقات شبه زوجية. وفي واحة سيوة في مصر، تم إضفاء الطابع المؤسّسي على العلاقات بين الرجال والصبية الصغار إلى حدّ وجود حفلات زفاف ومهور.

على الرغم من أنّ القرآن الكريم لا يحظر ممارسة الجنس بين النساء، إلا أنّ ممارسة السحاق أقلّ ظهورًا، ربّما كنتيجة للوضع التقليدي للمرأة المسلمة الذي يكون أقلّ ظهورًا من جميع النواحي. ومع ذلك، فإنّ عدم ظهور السحاق لا يعني أنّ العلاقات الجنسية بين النساء غير موجودة. فغالبًا ما يتمّ قبول الجنس المتحفّظ بين النساء الباكستانيات طالما أنّه لا ينتهك دور المرأة كزوجة وأم، ويبدو أنّ هذا هو الوضع في كثير من المجتمعات الإسلامية الأخرى. فقد اعترفت 24% من النساء الإيرانيات بممارسة الجنس مع نساء أخريات رغم أنّ أيًّا منهنّ تقريبًا لا يعشن حياة السحاق على وجه التحديد. وتوجد أنماط أخرى من ممارسة الجنس بين النساء في العالم الإسلامي. النساء اللائي يعشن حياة السحاق على وجه التحديد شائعات ومقبولات تقليديًّا في القرى الإسلامية على ساحل شرق إفريقيا. هناك أيضًا إشارات في القرن الثامن عشر إلى وجود زيجات بين النساء المسلمات في الهند - وكانت الشريكات يحسبن ويعددن بذور الهال لتقرير أيّ منهنّ يجب أن «تصبح الذكر» في الزواج.

يتميّز اتجاه المسلمين التقليديين بممارسة النشاط الجنسي المثلي قبل كلّ شيء بالتنوّع. وحقيقة أنّ ممارسة الجنس بين النساء غير محظورة لم تؤدِّ إلى أيّ اعتراف كبير بالظاهرة، بينما في حالة ممارسة الجنس بين الرجال، فإنّ ردود الفعل المعتدلة المذكورة في القرآن والعقوبات القاسية التي أشارت إليها الأحاديث نادرًا ما أدّت إلى الاضطهاد الفعلي. فالقاعدة التي تنصّ على ضرورة وجود اعتراف أو أربعة شهود ذكور تعني أنّ التهم القانونية مستحيلة تقريبًا ما دام الجناة متحفّظين.

ولكنّ المثلية الجنسية الموجودة في المجتمعات الإسلامية ليست بالضرورة سرّية، ويعتقد الكثير من المسلمين أنه لا توجد مشكلات في النشاط الجنسي بين أشخاص من الجنس نفسه من منظور إسلامي. ويبدو أنّ الادّعاء التقليدي للإسلام بأنه دين التسامح والرحمة كان له عواقب واضحة وعملية في هذا المجال. ويعدّ الثناء على جمال الشباب نمطًا متكرِّرا في الثقافة الإسلامية - نمطًا يجب رؤيته في سياق الغياب الفعليّ للشابّات عن الأماكن العامّة. ومع ذلك، فإنّ وجود متغيّرات جنسانية مؤسّسية وعلاقات بين أشخاص من الجنس نفسه في بعض المجتمعات الإسلامية يعمل على إظهار مدى اعتبار الممارسات الجنسية المثلية غير إشكالية فيما يتعلّق بالإسلام.

الازدواجية الأصلية والقمع المستورد

فقط في القرنين الأخيرين أصبح من الممكن النظر إلى الهندوسية على أنها شيء يقترب من دين موحّد، لذلك ليس من العجب أن تكون هناك مواقف متباينة تجاه النشاط الجنسي المثليّ داخل التقاليد الهندوسية. ومع ذلك، فإنّ المثلية الجنسية موجودة في كثير من السياقات المختلفة وكان الآلهة أنفسهم سعداء بممارستها. ففي إحدى المناسبات، حوّل «شيفا» نفسه إلى امرأة ليتمكّن من الاستمتاع

بزوجته «بارفاتي» كما لو كانت سحاقية. وتقمّص الإله «كريشنا» شكل امرأة شابّة بارعة الجمال لإغواء وتدمير شيطان «أراكا» - وبعد ثلاثة أيام من الزفاف قتل «كريشنا» زوجه الشيطانيّ. مثلما يتمّ وصف الزوجين المحبّين المغايرَين جنسيًّا شيفا وبارفاتي في كثير من الأحيان بوصفهم كيانًا واحدًا ينصهران بعضهما ببعض، فإن الإله هاريهارا يعدُّ مزيجًا من آلهة الذكور شيفا وفيشنو. وغالبًا ما يُنظر إلى النشاط الجنسي الذي لا حدود له تقريبًا من قِبل آلهة الهندوس على أنه مقدّس بشكل خاصّ، وفي بعض الأحيان يُنظر له بوصفه مثالًا يجب اتباعُه. وفيما يتعلّق بالأخلاقية الجنسية الهندوسية، ليس من المهمّ أنّ فيشنو، على سبيل المثال، يحوّل نفسه إلى امرأة فاتنة تُسمّى موهيني وينجب شيفا. فقد تكون المثلية الجنسية في حدّ ذاتها مقدّسة، كما نرى في عدد من المعابد مثل خاجوراهو في ولاية ماديا براديش وكونارك في أوريسا، حيث توجد صور للمثلية الجنسية بين كثير من أنواع الفنّ الجنسيّ. ويكون الجنس بين النساء هو الموضوع المفضَّل في فنون هذا المعبد.

تدلّ الروايات الأسطورية المختلفة على أنّ النشاط الجنسيّ بين أشخاص من الجنس نفسه يمكن أن يحظى بمباركة الآلهة مباشرة. حيث يظهر تمثال من القرن الحادي عشر في أوريسا كاما، إله الحبّ، وهو يطلق سهامه من الحبّ على امرأتين. ويخبرنا عدد من نسخ نصّ بادتنا بورانا في العصور الوسطى كيف نصح الكاهن أو الإله كريشنا أرامل الملك ديليبا الذي لا ينجب أطفالًا بممارسة الجنس بعضهن مع بعض من أجل أن يحملن في طفل. لقد فعلن ذلك بمباركة الآلهة، وأطلقن على طفلهن اسم بهاجيراثا لأنه «وُلِد من رحمين».

لم يكن الهندوس في حاجة إلى أيّ تشجيع من الآلهة لممارسة المثلية الجنسية. وتصف الكاماسوترا بالتفصيل كيف يمارس الرجال الذين يخفون رغباتهم الجنسية المثلية على وجه التحديد الجنس الفمويّ مع رجال آخرين. ويتضمّن النص نفسه إشارات تؤيّد الطريقة التي تستخدم انطلاقًا منها المحظيات الأنواع المختلفة من الفاكهة والخضروات كوسائل مساعدة جنسية عندما يضاجعن بعضهن بعضًا أو يضاجعن.صديقاتهنّ أو خادماتهنّ

يلعب الهيجرا، الرجال الذين يرتدون ملابس نسائية وغالبًا ما يكونون مخصيين، دورًا بارزًا بشكل خاصّ في الهندوسية ويضيفون تنوّعا في المشهد الديني الجنسي. وتعدُّ الإلهة باهوشارا التي مزقت ثدييها لتجنّب التعرّض للاغتصاب ملهمة ومهمة للغاية بالنسبة للهيجرا، الذين يرون انعكاسًا لحالتهم الخاصّة في أحد الأتباع الذكور الأسطوريين للإلهه باهوشارا، الذي أمرته الإلهة بإخصاء نفسه وارتداء ملابس نسائية. وتروي الكاماسوترا كيف يمكن للهيجرا أن يعيشوا بوصفهم محظيّات ويستمتعن بالجنس مع الرجال.

كما يلعب تناسخ الأرواح دوره في النظرة الهندوسية للنشاط الجنسي بين أشخاص من الجنس نفسه، من حيث إنّه يعني أنّ الشخص نفسه قد يولد من جديد بوصفه رجلًا أو بوصفه امرأةً في حياة مختلفة. وعلى سبيل المثال، عُدَّ كثير من الصوفيين الذكور في العصور الوسطى بمثابة أرواح

متناسخة لمحبّي كريشنا من الإناث. وبالنسبة للهندوس الطبيعيين، فإنّ الجنس على الرغم من ذلك هو الحدود التي لا يتمّ عبورها عادة عندما يحدث تناسخ الأرواح للفرد،على الرغم من أنه من الممكن من الناحية النظرية تغيير الجنس بطرق أخرى ومن ثَمّ تذوق تجربة ممارسة الجنس مع أشخاص من جنس الشخص الأصلي. إذ طلب الرجل الهندوسي الأسطوري الحكيم نارادا ذات يوم من الإله كريشنا أن يشرح له الحبّ. فقاد الإله الرجل الحكيم إلى بحيرة مقدّسة ممتلئة بالرحيق الإلهي وهناك تحمّم نارادا وتحوّل إلى امرأة شابّة جميلة تُدعى نارادي مدة عام. نارادا - في شكل نارادي - ثم أمضى سنة كاملة يمارس الحبّ مع كريشنا.

هناك عدد من الأوامر الزجرية في قوانين مانو التي تبدو للوهلة الأولى كأنها تشير إلى نظرة أكثر سلبية للجنس بين النساء. ويجب على المرأة غير المتزوّجة التي تدنّس امرأة أخرى غير متزوّجة أن تدفع ضعف مهر العروس وأن تُوسع ضربًا بالعصى يُقدر بعشر ضربات. ويجب معاقبة المرأة المتزوّجة التي تغوي امرأة غير متزوّجة بقسوة أكبر؛ يجب أن تُحلق رأسها، وأن يُقطع اثنين من أصابعها وأن تُجبر على ركوب حمار يجول بها في المدينة. ومع ذلك، لا ينصبّ جلُّ تركيز قوانين مانو بقدر كبير على الجنس بين النساء بقدر ما يركز على أهمّية حماية النساء غير المتزوّجات بحيث يبقين عذارى قلبًا وقالبًا حتّى يحين زواجهنّ. وهذه ليست بالتأكيد إدانة لممارسة الجنس بين النساء المتزوّجات مثل المحظيات اللائي يحقّقن السعادة بممارسة الجنس بالخضروات كما هو مذكور في الكاماسوترا.

تحظر قوانين مانو أيضًا على الرجال من أعلى ثلاث طبقات ممارسة الجماع الشرجيّ مع رجال آخرين، ولكنّها لا تذكر شيئًا عن أنواع الجنس الأخرى بين الرجال. ويبدو أنّ الرجال من الطبقة الدنيا والرجال الذين لا ينتمون إلى طبقة ما يتمتعون بحرية ممارسة الجنس مع رجال آخرين. إنّ عقاب الرجال من الطبقة العليا الذين يمارسون الجنس الشرجيّ بعضهم مع بعض أخفّ بكثير من عقاب ممارسة الجنس الشرجي بين جنسين مغايرين؛ وفي حين يتعيّن على الرجل الذي ينتمي إلى الطبقة العليا أن يتطهّر بعد ممارسة الجنس الشرجيّ مع رجل آخر، فعليه بعد ممارسة الجنس الشرجيّ مع امرأة أن يبتلع عددًا من منتجات الأبقار - البول والروث والحليب واللبن الرائب والزبدة - ثم يصوم مدة أربع وعشرين ساعة.

تم حظرُ ممارسة الجنس بين الرجال بموجب القانون في الهند حتّى عام 2009. يمكن اللوطيون، من حيث المبدأ، أن يخاطروا بالسجن مدى الحياة، رغم أنّ القانون كان في الواقع قانونًا معطّلًا. في الأصل، لم يكن لهذا القانون أيّ علاقة بالهندوسية، كونه تشريعًا قدّمه البريطانيون في عام1860، على غرار التقاليد القانونية المسيحية في بريطانيا العظمى. وعلى الرغم من أنّ القانون لا علاقة له على الإطلاق بالتقاليد الهندوسية، إلا أنّه أسهم في وصم المثلية الجنسية بالعار بين الهندوس. ومثل اليابانيين والصينيين، اعتاد كثير من الهنود الأوربّيين على رهاب المثلية الجنسية وأوجدوه بأنفسهم. وكان المهاتما غاندي يرى أنّ المثلية الجنسية وأيّ جنس آخر لا يمكن أن يؤدّي إلى الإنجاب

والتكاثر «إثم غير طبيعي» وفي 1920 و1930 قاد حملات لإزالة جميع الإشارات الإيجابية إلى المثلية الجنسية والتحوّل الجنسي في الهندوسية. حتّى إنه أرسل مجموعات من أنصاره يتجوّلون لتدمير الصور الجنسية المتعلقة باشتهاء المماثل التي تمّ تصويرها في الفنّ الهندوسيّ في العصور الوسطى - وبخاصة في المعابد.

من الصعب التوصُّل إلى استنتاجات قوية حول المواقف تجاه المثلية الجنسية في تاريخ الهندوسية. قد لا يُنظر إلى النشاط الجنسي بين الأشخاص من الجنس نفسه على أنه معياريّ، ولكن من المؤكّد أنّ المجال قد أفسح لهذه الظاهرة وحظيت بمكانة في إطار الدين. وأحد أبرز ملامح الهندوسية هو المدى الذي أسهمت فيه العوامل التي لا علاقة لها بالدين في الأصل في تطوير نظرة جديدة تمامًا إلى المثلية الجنسية «أثناء مدة تكوينية من تاريخها. فلم يتمّ اتّباع الإجراءات المناهضة للمثليين جنسيًّا المستمدة من التقاليد البريطانية والتقاليد المسيحية فحسب، بل تبنّاها الهندوس من جميع الطبقات إلى حدّ عدَّها عناصرَ من دينهم. ورغم أنّ هذه المواقف كانت دخيلة إلا أنّها أصبحت جزءًا من الهندوسية. لقد نجح المستعمرون الأوربّيون المتخوفون من المثليين في تجاوز كلّ التوقعات، ليس فقط بأن استخدموا القانون لوصم السلوك الجنسي وقمعه الذي يتعارض مع معتقداتهم الدينية، ولكن ملايين الهندوس استمرّوا في قبول هذه الأمور كما لو كانت ضمن المعتقدات الدينية الخاصّة بدينهم.

الدينُ والمِثليُّة الجنسيُّة اليوم

يُعدّ زواج المثليين جنسيًّا والزواج المدنيّ من بين أكثر المواضيع وضوحًا في العلاقة الحالية بين المثلية الجنسية والأديان. كما أنّهما من أهمّ مؤشّرات التغيير الكبير في المواقف الذي يحدث، لا سيما في اليهودية والمسيحية، إذ إنّ هناك عددًا متزايدًا من الدول المسيحية واليهودية بشكل رئيس تطبق مثل هذه الإجراءات القانونية. بحلول عام 2010، تمّ إدخال زواج المثليين جنسيًّا (حسب الترتيب الزمني) في هولندا وبلجيكا وإسبانيا وكندا وجنوب إفريقيا والنرويج والسويد والبرتغال وأيسلندا والأرجنتين والمكسيك، وكذلك في عدد من الولايات والمناطق الإدارية في الولايات المتحدة الأمريكية. وأدخلت معظم الدول الغربية الأخرى أنواعًا مختلفة من قوانين الزواج المدني. وتعترف إسرائيل، حيث يُسمح بالزواج الديني فقط، بزواج المثليين الذي يتمّ عقده في بلدان أخرى، ومنحته فعليًّا مكانة متساوية مع الزواج المغاير بين جنسين مختلفين.

لم تحدث هذه التغييرات دون معارضة المسيحيين المحافظين وغيرهم من أصحاب العقائد. وفي المدة التي سبقت التصويت على قانون الزواج لعام 2009 الذي منح المثليين جنسيًّا والأزواج المغايرين الحقوق نفسها، تلقّى أعضاء البرلمان النرويجيّ تهديداتٍ متكررةً بالقتل من المسيحيين الأتقياء عبر الهاتف والرسائل النصّية والبريد الإلكتروني؛ ونظّمت الكنيسة الكاثوليكية في إسبانيا

مظاهراتٍ حاشدةً شارك فيها مئات الآلاف من المشاركين في عام 2005؛ ونظّم المسيحيون الإنجيليون في كاليفورنيا إضرابًا عن الطعام مدة أربعين يومًا (مثل يسوع في الصحراء) لدعم محاولة إلغاء زواج المثليين في عام 2008؛ واتخذ اليهود الأرثوذكس في كثير من الأحيان موقفا حازمًا وانتقدوا اليهود الآخرين الذين يدعمون زواج المثليين في الولايات المتحدة الأمريكية.

ما يثير الاهتمام بشكل خاصّ حول المعارضة المسيحية لزواج الأشخاص من الجنس نفسه والزواج المدني هو شدّة هذه المعارضة. إنّ الدافع وراء ذلك، من بين أشياء أخرى، هو الاقتناع الديني بأنّ الزواج مؤسسة أبدية وثابتة سيتمُّ تدميرها إذا ما تم فتح الباب أمام جماعات جديدة. وعند النظر عن كثب، من الممكن الاعتراف بالقناعات المعادية نفسها للمثلية الجنسية، والحجج الدينية نفسها التي استخدمت وما زالت تُستخدم لتبرير التمييز أو الحظر التامّ أو عقوبة الإعدام. وفي الواقع، لم تضف المناظرات أيّ شيء جديد إلى المشهد.

كان أحد الأشياء التي أصبحت واضحة في المناظرات الدائرة حول قانون المساواة في الزواج لعام 2009 في النرويج هو وجود حركة دينية كبيرة لصالح إضفاء الشرعية على زواج المثليين جنسيًّا، إلا أنّها لم تسلم من المعارضة الدينية. وكان التغيير الراديكالي في المواقف الذي حدث منذ مناقشة عام 1993 حول قانون الزواج المدني ملحوظًا بشكل كبير. وبينما أدانت كل الجماعات الدينية تقريبًا بشدة تطبيق قانون الزواج المدني في عام 1993، أيّدت كلّ الجماعات الدينية تقريبًا في المناقشات التي دارت حول قانون زواج جديد بعد مرور خمسة عشر عامًا قانون الزواج المدني، وحقوق عدد كبير من الأشخاص في علاقات زواج من الجنس نفسه. كان عدد من المنظّمات اليهودية والمسيحية يدعم فكرة الزواج قبل مدة طويلة انطلاقًا من إدراج التشريعات الخاصّة بذلك في أجندتها. حيث بدأت كنيسة المسيح المتّحدة في الولايات المتحدة في تنفيذ مراسم الزواج للأزواج من الجنس نفسه في أوائل عام 1972. ومارس الاتحاد من أجل إصلاح اليهودية الضغط من أجل إقرار حفلات الزفاف الدينية اليهودية للأزواج من الجنس نفسه ومن أجل تشريع الزواج المشترك في عام 1997. وأقرّت الكنيسة المتحدة في كندا، وهي أكبر طائفة بروتستانتية في البلاد، زواج المثليين في عام 2003. وفي عام 2009، وقبل مدة قصيرة من أن تصبح السياسة الرسمية للكنيسة، صرّح 68% من وزراء كنيسة السويد - التي كانت في وقت سابق الكنيسة الرسمية للدولة - أنّهم يرغبون في عقد زيجات للأزواج من الجنس نفسه.

في جنوب إفريقيا، تبنّت الكنيسة الإنجليكانية ومجلس كنائس جنوب أفريقيا - المجلس المشترك لجميع الكنائس في البلاد - نظرة إيجابية للاعتراف القانوني بزواج المثليّين في البلاد رغم أنّهم شدّدوا على أنّ دعمهم السياسي لا يشمل الاعتراف الديني بهذه الزيجات. إضافة إلى ذلك، كان العمل الديني - حفلات زفاف كيفن بوراسا مع جو فارنيل وإلين مع آن فاوتور في كنيسة المجتمع المحليّ في العاصمة تورنتو في 14 يناير 2001 – هو الذي بدأ في اتخاذ الإجراءات القضائية التي أدّت إلى تقنين زواج المثليين في كندا.

هناك أغلبية تؤيّد زواج المثليين في كثير من البلدان الكاثوليكية والبروتستانتية. وأظهرت دراسة استقصائية لبلدان الاتحاد الأوربّي في عام 2006 أنّ هذا هو الحال في هولندا والسويد والدنمارك وبلجيكا ولوكسمبورج وإسبانيا وألمانيا وجمهورية التشيك، حيث تراوحت أعداد المؤيّدين بين 82 و52%.

لا يقتصر الاعتقاد بأنّ المثليين جنسيًّا لهم الحقّ في الزواج على البلدان اليهودية والمسيحية. حيث قضت المحكمة العليا في هندو نيبال بأنّه يحقّ للأزواج من الجنس نفسه الزواج، ولكن السلطات لم تتّخذ إجراءات بعد بشأن القرار. وساند الملك البوذي سيهانوك في كمبوديا الزواج بين الأشخاص من الجنس نفسه، ولكن حتّى الآن لم تتخذ أيّ خطوات تشريعية.

يبدو أنّ مجموعة كاملة من العوامل قد دفعت التطوّرات إلى مسار إيجابي للمثليين. يمكننا الإشارة إلى الحجج التي تمّ طرحها على أساس تشريعات حقوق الإنسان التي تحظر التمييز ضدَّ اللوطيين والسحاقيات، أو إلى أوجه الشبه التي تمّ استخلاصها مع جماعات مضطهدة تقليدية أخرى، أو إلى التركيز على جوانب هذه المشكلة الحقيقية مثل الضرائب والميراث والرفاهية الاجتماعية التي يواجهها الأزواج من الجنس نفسه إذا لم يسمح لهم بالزواج. كما أنّ المقارنة غير الدقيقة التي أجراها المؤرّخ جون بوسويل بين زواج المثليّين والطريقة التي باركت بها كنائس العصور الوسطى زواج أصدقاء من الجنس نفسه، هي أيضًا أحد العوامل التي أثرت في النقاش حول زواج المثليين بين الليبراليين المسيحيين في التسعينيات، على الأقل في أمريكا الشمالية، حيث يدور النقاش منذ مدة طويلة.

اتخذ أتباع عدد من الديانات في البلدان التي لم تجر فيها مناقشات جادة حول موضوع المساواة الاجتماعية للزواج بين الجنسين المغايرين والمثليين جنسيًا خطواتٍ عمليةً لمعالجة هذه القضية، أو أشاروا إلى التقاليد القديمة. حيث كتبت صحيفة في مدينة كانو في شمال نيجيريا عن زواج المثليين والمثليات كظاهرة غربية تسبّبت في احتجاج مجتمع المثليّين في المدينة، وأشارت إلى أنّ الأزواج من الجنس نفسه كانوا شائعين في ثقافة الهوسا المسلمة. ومنذ الثمانينيات تزوّج عدد من الأزواج الذكور في باكستان وفقًا لشعائر المسلمين، على الرغم من أنّ هذه الزيجات غير معترف بها رسميًّا من قبل السلطات. وتزوّج الهيجرا (رجل فسيولوجي يتقمص الهوية الجنسية الأنثوية)، سواء مخصيّين وغير مخصيّين، في بعض الأحيان من رجال آخرين وفقًا لشعائر المسلمين. وتزوّج الكهنة الهندوس في الهند من عدد من الأزواج من الجنس نفسه وفقًا لطقوس الزفاف التقليدية في المعابد وخارجها على حدّ سواء أثناء عامي 1990 و2000. وتراوحت مواقف الأسرة والأصدقاء من السلبية تمامًا إلى الدعم الكامل، وفي هذه الحالة الأخيرة انضمّوا إلى جميع احتفالات الزفاف التقليدية وشاركوا فيها.

على الرغم من وجود مواقف إيجابية تجاه المثلية الجنسية في جميع الأديان الرئيسة في أوقات مختلفة في تاريخها، إلا أنّه لا يزال من الصعب تحديد ما أدّى بالضبط إلى مستويات التسامح مع النشاط الجنسي بين أشخاص من النوع نفسه التي تبديها اليوم أجزاء رئيسة من هذه الديانات. حتّى في الأديان المرحّبة بالمثليين مثل البوذية والهندوسية، فإنّ الموقف الإيجابي لم يكن قويًّا بما يكفي لمنع رهاب المثلية الدخيل – ولمنع الحظر القانوني الدخيل وفي حالة بعض البلدان – المستمد من الرؤية الأكثر ليبرالية التي طغت على المثلية الجنسية من الناحية التقليدية. وبالمثل، تمّ تقويض التسامح الإسلامي التقليديّ تجاه المثلية الجنسية المتحفّظة على يد المسيحيين ورهاب المثلية الجنسية المتأثّر بالمسيحيين ونمط حياة المثليين جنسيًّا والمثليات جنسيًّا على وجه الحصر الذي نشأ في الغرب المسيحي، والذي يصعب دمجه مع الحياة الأسرية المسلمة التقليدية. ومن ثَمّ فمن الضروري في حالة الديانات التي أصبحت أكثر رهابًا للمثليين بعد الاتصال بالأفكار المسيحية الغربية، وفي حالة الديانات التي كانت دائمًا تعاني من رهاب المثلية الجنسية، من دراسة العوامل غير الدينية لفهم لماذا أصبح الكثير من الناس في كل هذه الديانات متسامحين للغاية مع المثلية الجنسية اليوم.

ألغت فرنسا تجريم المثلية الجنسية وجميع أنواع الجنس الرضائي، ففي عام 1791؛ كان السبب هو أنّ الحظر من هذا النوع قد خلق جرائم مفبركة. لقد مرّ أكثر من 200 عام قبل أن ترتدي المثلية الجنسية رداء القانون في جميع أنحاء أوربّا، لكن إلغاء التجريم الفرنسي كان مهمًّا للغاية لأنه أظهر بوضوح أنّ هذا النوع من الحظر المفروض على ممارسة الجنس الرضائي، بعيدًا عن كونه ضرورة قانونية وتعود جذوره إلى الاعتقادات الدينية والتعصّب الدينيّ المزيّف الذي يكنّه معظم الناس. كان للتغيير القانوني عواقب فورية؛ حيث انتشر في حروب نابليون ثم تمّ تقليده في عدد من البلدان المسيحية الأخرى. والمنطق الأساسي للتغيير هو أيضًا ما استخدمته منظّمات حقوق الإنسان للمثليّين والمثليات طيلة القرنين العشرين والحادي والعشرين. لا ينبغي استخدام الدين، أو التحيّزات المستمدّة من الدين، لحظر أو معاقبة العلاقات التي تنتمي بوضوح تامّ إلى مجال الحياة الخاصّة. تم تطبيق المبدأ نفسه في كثير من المناسبات من قبل المحكمة الأوربّية لحقوق الإنسان ومجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة.

إنّ التغيير في المواقف الدينية تجاه المثلية الجنسية أثناء العقدين الماضيين يجب أن يُرى أيضًا في ضوء التحوّل العام نحو قدر أكبر من الحرية والمساواة في عدد من المجالات الأخرى في المجتمع. وتعدُّ معارضة المحافظين الدينيين لكل مشاريع التحرير هذه نمطًا متكررًا، بغض النظر عمّا إذا كانت القضية تتعلّق بالمساواة بين الجنسين، أو المساواة العرقية أو المساواة في المكانة بين المثليين جنسيًا والمغايرين جنسيًّا. ومع ذلك، فقد سارع الكثير من المتدينين الليبراليين من جميع الأنواع إلى التكيف مع التيارات الليبرالية ودمجها في وجهات نظرهم العالمية الدينية. ولمّا كان المزيد من المثليين والمثليات ظهروا علنًا، فقد أثروا هم أيضًا على الأديان من الداخل.

في حين أنّ الحجج الدينية لم تكن محورية بشكل خاصّ للنضال المبكّر لتعزيز قبول المثلية الجنسية، فإنّ العكس كان صحيحًا بين أولئك الذين قاتلوا من أجل دعم الاضطهاد والتمييز ضدَّ المثليين والمثليات. وشكّلت التفسيرات المحافظة لمختلف السلطات الدينية أساس حججهم. وأثناء العقود الأخيرة، أصبح من الشائع بالنسبة لهم استخدام حجج مختلفة للدفاع عن الاضطهاد والتمييز، لكن لا يزال هناك من يرى أنّ المعارضين الرئيسين للتسامح هم أفراد ومؤسسات محافظة دينيًا. وعندما يتم دراسة الحجج غير الدينية لهؤلاء الأشخاص عن كثب - بيانات حول الطبيعة البشرية، والأسرة إذ إنّها نواة المجتمع، وحقوق الطفل إزاء والديه وما إلى ذلك - نجد عادة أنهم دائمًا ما يستهدفون بشكل حصري الحدّ من حقوق المثليين والمثليات. وغالبًا ما تثبت الحجج غير الدينية أنّها مجرد حجج بديلة يتمّ استخدامها لأنّ السيطرة الدينية على حياة الآخرين لم تعد مقبولة في معظم المجتمعات المسيحية أو اليهودية. وستكون تقريبًا جميع الجهود الرامية إلى الإبقاء على أو تعزيز أو إعادة فرض حظر على النشاط الجنسي للأشخاص من النوع نفسه أو للتمييز ضدَّ المثليين جنسيًّا والمثليات على أساس معارضة دينية.

وينطبق الشيء نفسه على معارضة المثلية الجنسية التي ظهرت في العقدين الأخيرين في البلدان التي تسود فيها الأديان الأخرى. وإذا نظرنا إليها من منظور أصحاب العقائد المعادين للمثليين جنسيًا، فإن التسامح واسع النطاق تجاه المثليين والمثليات أو الترتيبات الأسرية للمثليين يعني أنه بات مستحيلًا بالنسبة لهم أن يروا مُثلهم الدينية منعكسة في المجتمع الذي يعيشون فيه. وهذا بالطبع ينطبق أيضًا على قبول أشكال السلوك الأخرى التي تتعارض مع المعتقدات الدينية المحافظة، ولكن نظرًا لأنّ كثيرًا من الجماعات الدينية المحافظة قد أولت مثل هذا الاهتمام الساحق للمثلية الجنسية. وبسبب ظهور المثليين والمثليات بصورة أكبر، أصبحت معارضة المثلية الجنسية تبرز باعتبارها محورية بشكل خاص.

بالنظر إلى أنّ جميع المحظورات القانونية ضدَّ المثلية الجنسية كان لها أساس ديني مباشر أو غير مباشر، فليس من المدهش أن تستند معارضة التشريع في كثير من الأحيان إلى نظام دينيّ قويّ، حيث يدافع أصحاب العقائد عن معتقداتهم الدينية بأيّ طريقة كانت قد تمّ تقنينها في التشريع. كان هناك عدد من الكنائس البارزة في معارضتها لعملية التجريم لأنها انتشرت في جميع أنحاء أوربّا. وأيدت الكنيسة الكالفينية في اسكتلندا استمرار الحظر، مما أسهم في تصويت أقلية كبيرة ضدّ إلغاء التجريم في عام 1980. وفي أيرلندا الشمالية، أرادت كلّ من الكنائس الكاثوليكية والكنائس المشيخية الإبقاء على الحظر، ولم يتمّ تجريم المثلية الجنسية إلا في عام 1981 بعد صدور حكم من المحكمة الأوربّية لحقوق الإنسان في ستراسبورج. حيث جادل إيان بيسلي، الوزير المشيخي والقائد النقابي في دولة تجرّعت ويلات حرب أهلية، قائلاً: «جريمة اللواط هي جريمة ضدّ الله والإنسان وممارستها تعدّ خطوة مفزعة نحو الانهيار الأخلاقي التامّ لأيّ بلد ويجب أن تؤدّي حتمًا إلى انهيار كلّ الأداب العامّة والفضيلة لهذا البلد». وعندما أيّدت المحكمة العليا في جزيرة إير Eire الحظر

المفروض على المثلية الجنسية في عام 1983، كان السبب هو أنّ المثلية الجنسية «مدانة دائمًا في التعليم المسيحي باعتبارها خطأً أخلاقيًا».وفي رومانيا، قادت الكنيسة الأرثوذكسية الرومانية الحملة للإبقاء على الحظر المفروض على المثلية الجنسية رغم أنّ الدولة تعهّدت بإلغاء الحظر المفروض على الانضمام لعضوية مجلس أوربّا في عام 1993. وكان هناك مستوى عالٍ من الاتفاق بين قيادة الكنيسة والسكّان عمومًا في هذه الحالة، وأظهرت دراسة استقصائية أجريت في عام 2000 أن 86% من الرومانيين لا يريدون أن يكون لديهم جيران لوطيون أو سحاقيات. وعلى الرغم من المعارضة الكاملة للكنيسة، ألغى البرلمان الروماني الحظر في عام 2000 بعد أن جعل الاتحاد الأوربّي مثل هذه الخطوة شرطًا مطلقًا للعضوية. ثم قامت جمعية الطلاب المسيحيين الأرثوذكس بحملة واسعة ضد أعضاء البرلمان تتّهمهم بالإلحاد واللاأخلاقية، بينما أعلن زعيم الكنيسة الأرثوذكسية، البطريرك تيكتيست أراباسو، الذي اشتهر بدعمه غير المشروط للديكتاتور الشيوعي تشاوشيسكو حتّى النهاية، أنّ «الشرَّ يهدّد بالاستيلاء على العالم».

على الرغم من أنّ كثيرًا من المسيحيين قد دأبوا على شنّ حملات من أجل اتخاذ تدابير ليبرالية اجتماعية فيما يتعلّق بالمثلية الجنسية، فقد حاول كثير من المسيحيين الآخرين فرض قيود قانونية جديدة أو الإبقاء عليها. وعندما أعادت نيكاراجوا فرض حظر على ممارسة الجنس المثلي في عام 1992، كانت هذه الخطوة مدفوعة من قبل المسيحيين المحافظين وكانت مدعومة بقوة، على سبيل المثال، من قبل الكاردينال ميجيل أوباندو ي برافو. وبعد إضفاء الشرعية على ممارسة الجنس بين الرجال في الهند في عام 2009، طالبت لجنة ميزورام كوهران هيراوتيت Mizoram Kohhran Hruaitute- وهي منظمة مظلية للكنائس – من فورها أن يعاد فرض الحظر في ولاية ميزورام الاتحادية. وفي بولندا، اقترحت رابطة العائلات البولندية - وهي حزب سياسي كاثوليكي - إقامة معسكرات لإعادة تعليم اللوطيين والسحاقيات على غرار النظام المستخدم أثناء الثورة الثقافية الصينية. وأظهر استطلاع للرأي عام 2003 أجري على المسيحيين في الولايات المتحدة الأمريكية أن 37% من السكّان يعتقدون أن المثلية الجنسية يجب أن تكون غير قانونية. واقترح كثير من الأساقفة الأنجليكانيين في نيجيريا عقوبة الإعدام للمثليين، وفي 2006 لم يؤيّد رئيس الأساقفة بيتر أكينولا القانون المقترح الذي لا يحظر ممارسة الجنس المثلي فحسب، بل ألغى أيضًا حقوق الإنسان التي يحق للوطيين والسحاقيات الحصول عليها، وحظر التعبير عن الهوية الجنسية للمثليين والمثليات ومنع حقّ التجمع؛ وهذا الأخير جعل من غير القانوني للمثليين والمثليات الذهاب إلى السينما أو إلى مطعم معًا. في عام 2010، أيّدت الكنيسة الأنجليكانية في أوغندا القانون المقترح الذي يفرض عقوبة الإعدام على المثلية الجنسية على الرغم من حقيقة أنّ كثيرًا من المسيحيين الآخرين داخل أوغندا وخارجها أدانوا الاقتراح. هناك بعض المسيحيين الذين يتبنون وجهة نظرة شخصية مباشرة لما سيفعلونه. أعلن أوتو أودونجو، وهو عضو مسيحي برلماني في أوغندا، في عام 2010 أنه سوف يقتل ابنه إذا كان مثلي الجنس. وكان المبشر التليفزيوني الأمريكي جيمي سواجارت، وهو

صديق روحي لأودونجو، قد أخبر جمهوره بهذا في عام 2004: لم أر رجلاً في حياتي أردت أن أتزوّجه. وسأكون صريحًا ومباشرًا؛ إذا نظر لي أحدهم هكذا، سأقتله وأخبر الله أنّه قد مات. وفي هذه اللحظة صفّق جمهوره.

كرّس بعض الأشخاص في الديانات الأخرى قدرًا مماثلاً من الوقت والجهد لدعم أو إعادة فرض حظر على المثلية الجنسية والتمييز ضد من يمارسونها. ودافع الهندوس والقوميون في الهند بنشاط عن الحظر الفيكتوري في القانون الجنائي الهندي، بحجّة الاستناد إلى الرأي العام. ووفقًا للرؤية العالمية للقوميين الهندوس، وهي ليست دقيقة تمامًا، لم تكن المثلية الجنسية موجودة في الهندوسية الأصلية ولكن تمّ تقديمها مع الإمبريالية الإسلامية والمسيحية أثناء العصور الوسطى والحديثة،

انتهز الأصوليون الإسلاميون كل الفرص المتاحة لهم لتقييد حقوق المثليين الجنسيين. في إيران، حيث سمح نظام الشاه غير الديمقراطي للغاية للوطيين والسحاقيات بالعيش في سلام، أدت الثورة الإسلامية في عام 1979 إلى إعادة تطبيق عقوبة الإعدام والاضطهاد الممنهج على نطاق ربما لم يسبق له مثيل في التاريخ. حيث تم شنق الرجال بسبب المثلية الجنسية في المدن في جميع أنحاء إيران وأطلقت النيران على آخرين يُشتبه في كونهم مثليين جنسيًّا في الشارع بعد استجواب قصير. وتقدر منظمة الفاتحة Al-Fatiha الإسلامية المعنية بالمثلية الجنسية أن حوالي 4000 شخصًا قد أُعدموا بسبب المثلية الجنسية منذ قيام الثورة، معظمهم في الأيام الأولى. ومن المستحيل التوصل إلى رقم دقيق. وبالمثل، فإن إعادة تطبيق الشريعة في أفغانستان في ظلّ حكم طالبان، وفي السودان وفي بعض المقاطعات الشمالية النيجيرية، أدّى إلى عقوبة الإعدام لممارسة الجنس بين الرجال. وكثيرًا ما كان الرجال المدانون في أفغانستان يُقتلون عبر هدم جدار فوق رؤسهم. ومنذ سقوط نظام طالبان، كانت المحاكم الأفغانية تعاقب مثليي الجنس بالسجن على الرغم من أنهم، من حيث المبدأ، لا يزال بإمكانهم تطبيق عقوبة الإعدام.

كان من التطوّرات الجديدة تمامًا التي بدأت في الظهور في نهاية القرن العشرين هو النشاط المتزايد باستمرار للوطيين والسحاقيات الذين يعملون داخل مجتمعاتهم الدينية الخاصة. وغالبًا ما يتخذ هذا النشاط شكل إنشاء حركاته الخاصة وكان له مستويات مختلفة من التأثير في المجتمعات الدينية عامّة. في الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، أنشأ اللوطيون المَعْمَدَانيّون والسحاقيات المَعْمَدَانيّات منظمتهم الخاصة في عام 1972، الأساقفة في عام 1974، السبتيين في عام 1976، والإنجيليين في عام 1975، والقائلون بتجديد العماد في عام 1976، والمورمون في عام 1977. والآن يوجد أيضًا جماعات نشطة بين اللوثريين، والأرثوذكس، والمعمدانيين الجنوبيين، والكاثوليك، والكويكرز، والوحدويين والعلماء المسيحيين. قاد نشاط مماثل داخل المجتمع اليهودي اللوطيين والسحاقيات إلى إقامة معابدهم وكنائسهم الخاصة في نيويورك وسان فرانسيسكو ولوس أنجلوس في السبعينيات. لكن الحركات الدينية - الجنسية المثلية من هذا النوع لا تضمن قبولًا متزايدًا داخل الجماعات الدينية المعنية. سمح لجماعة الكرامة، وجماعة المثليين الكاثوليك لعقد

لقاءات في كثير من الكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء ثمانينيات القرن الماضي، ولكنّ الأحكام الصارمة التي يفرضها المركز وضعت حدًّا لهذه اللقاءات.

تأسّست منظمة الفاتحة الإسلامية المعنية بالمثلية الجنسية في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1998 ومنذ ذلك الحين تأسست في بريطانيا العظمى وكندا وجنوب أفريقيا. بالإضافة إلى إنشاء مجتمع من أجل حقوق الإنسان والعمل من أجله عامّة، وتجادل الجماعة (مع غيرهم من المسلمين الليبراليين) بأن المثلية الجنسية تتوافق مع الإسلام، كما يجادل اليهود والمسيحيون الليبراليون في حالة دياناتهم. ويشهد وجود منظمات للمثليّين الجنسيّين في الدول المسلمة بشكل أساسي مثل ألبانيا وبنجلاديش والبوسنة وإندونيسيا وكازاخستان وكوسوفو ولبنان وماليزيا والمغرب وفلسطين والسنغال وتركيا، بالإضافة إلى مسيرات للمثليين في إسطنبول وسراييفو، على زيادة الوعي بين المثليين والمثليات. إنهم يبنون حججهم على تفسيرات القرآن والأحاديث الشريفة، ويشيرون إلى مئات السنين من التسامح الإسلامي تجاه المثلية الجنسية. ولو سلمنا جدلًا بالتقاليد الطويلة المتمثّلة في التسامح مع المثلية الجنسية في البلدان الإسلامية، يجادل الكثير منهم قائلين إن رهاب المثلية الذي ينتشر على نطاق واسع في العالم الإسلامي هذه الأيام هو نتيجة للتأثير الغربي بقدر ما هو نتيجة للتقاليد الإسلامية. لم يرد حظر ممارسة الجنس بين النساء في القرآن الكريم أو التقاليد، لكنّ كثيرًا من المسلمين يصنفونه الآن إلى جانب الجنس بين الرجال ويدينون كليهما. وحتى عندما يتعلق الأمر بقضية التمتع بالحياة لمثلي الجنس على وجه الحصر، فهناك سلسلة كاملة من أوجه الشبه التقليدية غير المعروفة التي يمكن أن يشير إليها المسلمون المعاصرون، كما ذكرنا آنفًا في هذا الفصل.

على الرغم من أنّ الهندوسية تبنت في الأصل نظرة تتّسم بالقبول إلى حدّ ما للنشاط الجنسي بين أشخاص من النوع نفسه، لكن لم يعد الأمر كذلك. فقد أدّى التأثير القانوني والعلماني الذي تمارسه القوى المسيحية الاستعمارية إلى أن يكون لدى معظم الهندوس موقف سلبي تجاه المثلية الجنسية. وهكذا أصبح رهاب المثلية الجنسية الآن جزءًا من الاعتقاد الهندوسي. ولكن ليس هناك إجماع على الإطلاق. فعندما سأل مراسل من الهندوسية اليوم عدد من الكهنة في 2004 في مهرجان كومباميلا kumbha mela حول المواقف الهندوسية تجاه المثلية الجنسية والزواج من الجنس نفسه، قال إنّه تلقّى مجموعة من الإجابات المختلفة. فقد اعتقد بعضهم أن الموضوع كله مرتبط بالتأثيرات الغربية، بينما رأى آخرون أن المثلية الجنسية «غير طبيعية وغير شائعة وغير عادية» دون تقديم أي دعم لاهوتي إضافي، بينما اعتقد آخرون أن الأمر كله متروك للفرد المؤمن، في حين جادل آخرون من أجل القبول.

يشير الناشطون الهندوس من اللوطيين والسحاقيات بشكل متزايد إلى التقاليد الهندوسية قبل الكولونيالية (الاستعمارية) الأكثر ترحيبًا بالمثليين ويستخدمون الحجج الدينية في انتقادهم للقوميين الهندوس الذين يعانون من رهاب المثلية الجنسية. إنهم يضغطون على الناشطين اليمينيين لقراءة

النصوص الهندوسية وللتعرف على التاريخ الهندي من أجل معرفة مدى كون رهاب المثلية الجنسية الهندوسي في الوقت الحاضر إلى حد كبير نتيجة للقيم البريطانية المستوردة الدخيلة والتشريعات وغيرها من التطورات التاريخية المؤخرة. تعتبر ردود الفعل التي لاقت فيلم ديب مِهتا Deep Mehta عام 1996، الذي يصور علاقة غرامية بين شقيقتين هندوسيتين، خير مثال على المواقف المختلفة. فقد هاجم أنصار حزب شيف سينا القومي الهندوسي دور السينما وقالوا أن الفيلم يتناقض مع الثقافة الهندية. دافع الهندوس الأخرون، من ناحية أخرى، عن الفيلم بالتحديد على أساس أنه دافع عن القبول الهندوسي التقليدي للمثلية الجنسية.

تعتبر المواقف الأكثر ليبرالية بين الهندوس المعاصرين أيضًا نتيجة للصراع الدولي من أجل حقوق الإنسان التي يحق للوطيين والسحاقيات الحصول عليها، فضلاً عن اعتراف عدد متزايد من الهندوس بأن رهاب المثلية الجنسية هو في المقام الأول نتيجة للتأثير البريطاني. في عام 2007، قررت المحكمة العليا في هندو نيبال، على سبيل المثال، إضفاء الشرعية على المثلية الجنسية ومنح اللوطيين والسحاقيات حقوقًا متساوية مع المغايرين جنسيًا، وبحكم قضائي في الهند في عام 2009 ألغى الحظر القانوني المفروض على ممارسة الجنس بين الرجال.

التغييرات في المواقف الهندوسية واضحة بشكل خاص بين الطبقات الوسطى، وهو ما يحدث أيضًا في المجتمعات الدينية الأخرى. أظهر استطلاع للرأي أجرته الهندوس في جنوب فلوريدا أن 20% قبلوا العلاقات الجنسية المثلية، و20% اعتبروا العلاقات الجنسية بين أشخاص من نفس الجنس «غير أخلاقية» و60% وجدوا أنها «غير مقبولة شخصيًا ولكن يجب السماح للناس بالقيام بما يحلو لهم» .

تأثرت البوذية أيضًا بمجموعة متنوعة من الاتجاهات الحديثة. وفي اليابان التي تمتزج فيها البوذية والشينتوية، نما القبول الأصلي للمثلية الجنسية مرة أخرى بعد أن اختفى خلال الفترة التي كانت تتجه فيها البلاد نحو مواكبة العصر. ونتج هذا في الأساس عن النضال الدولي العام من أجل حقوق الإنسان الخاصة بالمثليين والمثليات الذي بدأ في العالم الغربي، بالإضافة إلى الوعي المتزايد بمواقفهم التي ترحب بالمثليين. وأصبحت مسيرات المثليّين والمثليات المثيرة والمليئة بالحيوية أكثر شعبية في تايلاند وكمبوديا، وأصبحت تايلاند بمثابة الفردوس السياحي للمثليين بسبب مواقفها التقليدية المريحة وبسبب الطريقة التي دمجت بها النمط الأكثر حداثة للناس الذين يعيشون نمط حياة المثليين جنسيًا. كما أدّت الظروف الاقتصادية الجيدة إلى جانب الوعي بنمط الحياة المعاصرة للمثليين والمثليات رغبة المزيد من الناس في العيش بشكل أكثر استقلالية بعيدًا عن الهياكل الأسرية التقليدية. وأنشأت تايلاند واليابان وتايوان، بالإضافة إلى عدد من الدول الأخرى، منظمات خاصة للمثليين والمثليات. وعادةً ما تكون البوذية الغربية متسامحة للغاية ومنذ وقت قريب أسس بعضها ملاجئ لمرضى الإيدز على يد زِن البوذي في سان فرانسيسكو.

بالطريقة نفسها أدّت حداثة اليابان إلى ظهور رهاب المثلية الجنسية، وبدأت معارضة المثلية الجنسية في الظهور في أماكن آخرى في السنوات الأخيرة. على سبيل المثال، يبدو أن الدالاي لاما، إله التبت المنفي، نسي كيف أن السلوك المثلي شائع بين الرهبان التبتيين عندما ادّعى في عدد من المناسبات أن المثلية الجنسية تتعارض مع التعاليم البوذية لأن المهبل هو الفتحة الوحيدة التي يجب أن تستخدم لأغراض جنسية. على الرغم من هذا، فإن الدالاي لاما يميز بوضوح بين ما يعتقد أنه السلوك الجنسي الصحيح للبوذيين وحقوق الإنسان التي تحمي اللوطيين والسحاقيات وحياتهم الخاصة. في حين يعتقد الإله الملك أن التعاليم البوذية تحظر السلوك المثلي، فإنه لا يرغب في رؤية هذا الحظر مدمجًا في تشريعات أي بلد.

كما تم تكوين عدد من الجماعات الجنسية المثلية البوذية على وجه التحديد في الغرب. ويكشف البحث القصير على الإنترنت أنه في الدول الغربية الكبرى وحدها، توجد جماعات محددة للوطيين والسحاقيات ترتبط بكثير من الفروع المختلفة للبوذية.

في هذه الأيام أصبح غالبية اليهود الليبراليين متسامحين مع المثلية الجنسية. وتم قبول المثليين المنفتحين جنسيًا بين اليهود الإصلاحيين أثناء ثمانينيات القرن الماضي، كأتباع وحاخامات. ووافق اليهود المحافظون في عام 2006 على قبول موقفين مختلفين. الموقف الأول، الذي كان الموقف المعياري لليهودية الحاخامية عدة قرون، وهو الرفض الشامل لجميع أشكال المثلية الجنسية. أما الموقف الثاني فيعطي مكانة متساوية للوطيين والسحاقيات فيما يتعلق بالزواج والحق في أن يصبح المثليين والمثليات حاخامات. ومع ذلك يعتمد هذا الموقف على قراءة حرفية مطلقة للتوراة ويقبل المثلية الجنسية مع استبعاد الجنس الشرجي بين الرجال، وهذا هو النشاط الوحيد الذي يحظره الكتاب المقدس العبري على وجه التحديد. وحتى اليهود الأرثوذكس يظهرون علامات على أنهم ماضون صوب التسامح المتزايد وقد عُرض فيلم عام 2001 عنوانه «الارتجاف أمام الله»، الذي كان يتناول المثليين والمثليات اليهود الأرثوذكس، في عدد من المجتمعات الأرثوذكسية. وكذلك أدلت كل من المنظمات اليهودية الليبرالية والمحافظة في الولايات المتحدة الأمريكية بتصريحات رسمية تدعم حقوق الإنسان الخاصة بالمثليين والمثليات وتدين أي عنف موجه إليهم. وأثناء السنوات الأخيرة، أصبحت إسرائيل أكثر البلدان ترحيبًا بالمثليين في الشرق الأوسط من حيث التشريعات والمواقف العامة؛ إنها أيضًا البلد الذي يوجد فيه مجتمع المثليين الأكثر ازدهارًا في المنطقة.

ومع ذلك، لا تزال اليهودية موطنًا لبعض الأصوات القوية التي تدين المثلية الجنسية. على سبيل المثال، اقترح نسيم زئيف، حاخام متشدد وعضو في البرلمان الإسرائيلي، في عام 2007 إرسال جميع اللوطيين والسحاقيات قسرًا إلى مراكز إعادة التأهيل التي بنيت خصيصًا لهذا الغرض. وقام متطرف يهودي بطعن ثلاثة مشاركين في مسيرة للمثليين والمثليات في القدس عام 2005، وقام كثير من المشاركين الآخرين بالتبول وإلقاء البراز عليهم من قِبل المظاهرات المضادة لليهودية الراديكالية. وفي عام 2006، قام متطرفون يهود بالوعد بتقديم مكافآت تقدر بمبلغ حوالي 3000

جنيه إسترليني لأي شخص يقتل لوطي أو سحاقية. وكان المنشور يحتوي أيضًا على إرشادات عملية حول كيفية صنع قنابل مولوتوف لرميها في المسيرات.

كما هو الحال مع الأديان الأخرى، فإن عددًا متزايدًا من المسلمين الذين يعيشون في الغرب أو يعيشون في بيئة من الطبقة المتوسطة في البلدان الإسلامية يختارون العيش حصريًا كمثليين. وفي الدول الغربية على وجه الخصوص، وفي المدن الكبرى في الدول الإسلامية، هناك مسلمون يحملون هوية مثلي الجنس أو مثلية الجنس وفي الفيلم الوثائقي «الجهاد من أجل الحب» يناقش كثير من هؤلاء الأشخاص موقفهم ويتحدثون عن المستوى المتزايد من التسامح تجاه المثلية الجنسية وعن المعارضة المتزايدة لمناهضتها. وحتى في المجتمعات الإسلامية مثل القرى الساحلية في شرق إفريقيا، حيث يوجد هناك تقليديًا قدر أكبر من التسامح مع الأشخاص الذين يعيشون حصريًا حياة المثلية الجنسية، هناك ميل إلى اقتلاع الفئات التقليدية من نفس النوع أو استبدالها بمفهوم أكثر غربية للمثلية الجنسية. إن عدم الكشف عن الهوية في المدن الكبيرة، حيث تكون الضوابط الاجتماعية أقل، يعني أن الرجال الأقل ثراء يمكنهم العيش معًا كأزواج؛ وهكذا هو الحال في المدن الباكستانية الكبيرة على الرغم من أن الرجال في كثير من الحالات لا يعدُّون أنفسهم مثليين.

لا يزال المسلمون المثليون جنسيًّا بشكل حصري أقلية بين هؤلاء المسلمين الذين يمارسون الجنس المثلي، كما هو الحال مع الجماعات الأخرى. أمّا الصورة العامّة في البلدان ذات الأغلبية المسلمة فكانت أقلَّ تأثرًا بالتفكير الحديث ولا يزال النمط التقليدي ساريًا؛ وهذا يعني، أنه طالما لم ينحرف الرجل عن القاعدة الذكورية العامّة لكونه الرجل الإيجابي، وطالما أنه يحتفظ بخصوصية حياته الجنسية بشكل صارم، فلا توجد مشكلة في ممارسة النشاط الجنسي. وبسبب القواعد الصارمة المتعلقة بالاتصال بين الجنسين في باكستان المسلمة، يكون من السهل على الرجال غير المتزوّجين جلب عشاقهم الذكور الذين هم أصغر سنًّا إلى شققهم بدلاً من الضيوف الإناث. وحتّى في بلدان مثل إيران حيث يُعاقب على ممارسة الجنس بين الرجال بالإعدام، فإنه ليس غريبًا، حيث يقول 16% من الرجال الإيرانيين إنهم خاضوا تجارب جنسية مثليّة. أما جيري زاريت، عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي المثلي، الذي لا يخفى نشاطه الجنسي غير الشرعي، فلديه ما يقوله عن السنوات الأربع التي قضاها في طهران في الأعوام حوالي عام 1990: كانت إيران بالنسبة لي ولآخرين جنة جنسية. من حيث الكم والنوع، كانت تلك المدة هي الأكثر إثارة في حياتي. في جنوب أفغانستان، يشير الرجال غير المتزوّجين الذين مارسوا الجنس مع رجال آخرين إلى أنّ النساء لا يمكن الوصول إليهنّ تمامًا فحسب، بل يتمّ تغطيتهنّ تمامًا أيضًا: «لا يمكننا أن نرى ما إذا كانت المرأة جميلة أم لا. لكن يمكننا أن نرى الأولاد ونرى أي منهم جميل. ومعظم الرجال الذين مارسوا الجنس مع رجال متزوّجون، أو سيتزوجون لاحقًا، كما رأينا في حالة سائقي الشاحنات الباكستانيين. وحتّى الرجال الذين يبيعون الجنس لرجال آخرين فليسوا قليلين في بعض البلدان الإسلامية. وعلى الرغم

من عدم إدانته في القرآن الكريم أو في الأحاديث الشريفة، إلا أن موقف السحاق، على الجانب الآخر، كان دائمًا - متحفِّظا وأكثر اختفاءً.

عادة ما يتمّ توجيه معارضة المسلمين لممارسة المثلية الجنسية بشكل أكبر نحو أسلوب الحياة الغربي الأحدث للأشخاص المثليين جنسيًا بشكل حصري أكثر من توجيهها إلى الممارسة الجنسية نفسها - طالما أن الأخيرة تتوازى مع النمط التقليدي للحياة الأسرية. لكن حتى هنا تحدث تغييرات. حيث تقبل كثير من العائلات المسلمة أطفالها المثليين والمثليات، وبشكل متزايد، يتم التسامح مع أماكن تجمع المثليين والمثليات السرية. وفي النرويج، تنتقد السياسية المسلمة والحزبية المحافظة أفشان رفيق زملائها من أصحاب العقائد المؤمنين لعدم إدانة التمييز والتنمر وفرض العقاب على المثليين والمثليات: «إذا كنت من أصحاب الميول الجنسية، فهذا بينك وبين الله ... الله وحده ... يمكنه الحكم علينا». وفي تركيا، تم تشكيل تحالف سياسي بين مثليي الجنس من الرجال المتحوّلين جنسيًّا وبين النساء المسلمات المتدينات اللاتي يرغبن في ارتداء الحجاب في الأماكن العامّة.

عندما يخبر الشباب المسلم عائلاتهم أنهم لا يرغبون في أن يكونوا جزءًا من هيكل عائلي مغاير الجنس، فإنّ الإدانة الخاصّة يمكن أن تكون في بعض الأحيان أقوى إذا كانوا يعيشون في بلدان تكون فيها المثلية الجنسية أكثر قبولًا عامّة. على سبيل المثال، قد يتعرّض المثليون والمثليات من المسلمين البريطان للتهديدات والإكراه وحتّى العنف الخطير من قبل أفراد عائلاتهم. ويمكن أن تكون هناك اختلافات كبيرة في مواقف المسلمين من المثلية الجنسية بين بلد غربي وآخر. وأظهرت دراسة استقصائية أجريت في عام 2008 أن 4% فقط من المسلمين في لندن يعتقدون أن المثلية الجنسية «مقبولة أخلاقيًا»، رغم أن النسبة بلغت في باريس 18% وفي برلين 26%.

لقد أوجد النظام الديني في إيران الشيعية وضعًا فريدًا لبعض المثليين. على الرغم من وجود عقوبة الإعدام لممارسة الجنس بين الرجال، أصدر آية الله الخميني فتوى موثوقة في عام 1979 تعترف بحق المتحوّلين جنسيًّا الذين تمّ تشخيصهم في إجراء جراحة تصحيحية جنسانية. وبمجرد القيام بذلك، يتمّ الاعتراف الكامل بالأفراد بموجب القانون والدين على أنهم من النوع الجديد ولهم الحقّ في الزواج من أشخاص كانوا في السابق من النوع البيولوجي نفسه والقانوني مثلهم. كما يكشف الفيلم الوثائقي 2008 «كن مثل الآخرين» أنّ كثيرًا من المثليين خضعوا للجراحة لمجرّد التمكّن من إقامة علاقات قانونية مع أشخاص من النوع الذي ينجذبون إليه.

تسبّبت قضية المثلية الجنسية في حدوث انشقاقات كبرى في العالم المسيحي. وتقدم الكنيسة الأنجليكانية مثالاً جيدًا على عمق الشقاق الحالي في المسيحية. فمن ناحية، هناك أساقفة نيجيريون وأوغنديون ينادون بعقوبة الإعدام وحظر اللوطيين والسحاقيات من المطاعم؛ ومن ناحية أخرى، يوجد جين روبنسون، وهو أسقف مُرسَم في نيو هامبشير متزوج من رجل آخر. وينعكس هذا الانقسام بين معظم أعضاء الكنيسة في البلدان التي ينتشر فيها الأنجليكانيون.

تأتي المعارضة المسيحية الشرسة من دول كانت حتى وقت قريب حقولًا تبشيرية، لا سيما تلك الموجودة في قارة إفريقيا. ومع ذلك، فإن المعارضة الشديدة للمثلية الجنسية نادرة إلى حد ما في معظم البلدان وحتى بين الجماعات الدينية التي تعمل باستمرار ضد الوضع المتساوي للمثليين والمثليات اعتراضًا على بعض الهجمات الأكثر عنفًا. عندما ذكر روبرت موجابي، رئيس زيمبابوي، في عام 1995 أن المثليين جنسيًّا أقلّ شأنًا من الحيوانات، احتجّت اللجنة الكاثوليكية للعدل والسلام في زيمبابوي وقالت إنّ الحقَّ في احترام الحياة الخاصّة للفرد ينطبق - أيضًا - على المثليين والمثليات.

هناك أوقاتٌ تكونُ فيها الحجج المسيحية موازية للحجج التي كان يستخدمها مؤيدو التمييز العنصري في الولايات المتحدة؛ على سبيل المثال، لم يكن الادّعاء بأنّ مطالب السود بالمساواة في الحقوق ذات صلة بالموضوع لأنّ لديهم بالفعل حقوقًا متساوية بفضل التمييز. وتؤكّد جماعة حشد التأييد الأصولية التي تصبُّ كلّ تركيزها على العائلة، بالإضافة إلى المسيحيين الأمريكيين المحافظين الآخرين، أنّهم لا يعارضون أن يكون للمثليين جنسيًا الحقوق نفسها التي يتمتّع بها المغايرون جنسيًّا، ولكنّهم يعترضون فقط على منحهم «حقوق خاصّة». وتعني عبارة «حقوق خاصّة» أشياء مثل الحق نفسه في الزواج، ودفع الضرائب بالطريقة نفسها، والحق في الحماية بموجب تشريعات مناهضة للتمييز، ووضع حدّ للتمييز المباشر في القوّات المسلّحة وإلغاء الدول الفردية لقوانينها التي تحظر ممارسة الجنس بين الرجال.

على الرغم من أنّ المسيحية دافعت عن الاضطهاد الشرس والعنيف للمثليين جنسيًّا حفاظًا على الجزء الأفضل من تاريخها، إلا أنّها نادرًا ما تستخدم الحجج الداعية إلى التمييز المستمرّ هذه الأيام. والواقع أنّ المصابين برهاب المثلية الجنسية من المسيحيين أغمضوا أعينهم على هذا التاريخ الدموي. ونظرًا لأنّ الناس في الدول ذات الأغلبية المسيحية لم يعودوا يقبلون عقوبات مثل الحرق والخنق والغرق كعقوبات مناسبة لممارسة الجنس الرضائي، فقد أصبح من المهمّ للغاية بالنسبة لهم الفصل بين الاضطهادات السابقة والاضطهاد الحالي - على الرغم من أن المقاطع القليلة نفسها في الكتاب المقدّس هي التي تشكّل الأساس لكليهما.

يوجد خلاف كبير بين المسيحيين حول الآيات القلائل في الكتاب المقدّس التي تتناول المثلية الجنسية. وتُعد إدانة القديس بولس للمثلية الجنسية بأنّها ضدَّ «الاستخدام الطبيعي» مجالُ خلافٍ معيّن؛ لأنّ الكثير من الناس لا يؤمنون بأنّه يدين العلاقات الجنسية المثلية الأحادية ويُعتقد أنّه يجب قراءتها في ضوء رسالة بولس العامّة عن الحبّ. ومن النادر نسبيًّا في هذه الأيام أن يشير الأشخاص صراحةً إلى حظر ممارسة الجنس بين الرجال في التناخ، ويرجع ذلك جزئيًّا إلى أن المسيحية رفضت جزءًا من قانون العهد القديم، ويعزى ذلك جزئيًّا إلى كونه واحدًا من سلسلة كاملة من المحظورات المتشابهة التي تجدها الأغلبية الكاسحة من المسيحيين غير ذات صلة. وعلى الرغم من أنّ قصة الخلق تحتاج إلى قدر كبير من إعادة التفسير حتّى تدعم رهاب المثلية الجنسية في

المسيحية، إلا أنّها تُستخدم بشكل متكرر لتبرير إدانة المثلية الجنسية؛ تمامًا كما كانت تستخدم في كثير من الأحيان لإدانة العلاقات الجنسية بين أشخاص لهم لون البشرة نفسه.

في حالة الكنيسة الكاثوليكية، يوجد في كثير من الأحيان عدم توافق بين الموقف الذي اتخذته القيادة ومواقف غالبية الكاثوليك، يشبه إلى حدّ ما عدم التطابق في وجهات النظر الكاثوليكية حول وسائل منع الحمل. وفي كثير من الدول الأوربّية وفي أمريكا، يعد الكاثوليك من بين أكثر شرائح السكان تحررًا من حيث موقفهم تجاه المثلية الجنسية. وحتى في إطار التسلسل الهرمي الكاثوليكي نفسه، فإن التوافق بين الحياة والعقيدة لا يصل إلى الكمال حيث إن عددًا كبيرًا من الكهنة مثليون جنسيًا؛ وتشير دراسات مختلفة إلى أنّ نسبة رجال الدين المثليين تتراوح بين 25 و50%.وهناك عدد من الشخصيات البارزة داخل الكنيسة الكاثوليكية يلقون معارضة شديدة من قِبل السياسة الرسمية. ولم يعرب خوسيه بوليكاربو، الكاردينال ورئيس الأساقفة البرتغاليين، عن تأييده لبعض الحقوق القانونية للأزواج المثليين فحسب، بل اُتهم أيضًا بتوقيع «ميثاق الصمت» مع الحكومة البرتغالية عندما شرعت زواج المثليين في عام 2010.

في كثير من البلدان ذات الأغلبية المسيحية الكاسحة إلى حدّ كبير، وصلت التغيّرات في المواقف تجاه المثلية الجنسية إلى نقطة يبدو فيها القبول والتسامح أمرًا طبيعيًّا بالنسبة للغالبية العظمى من الناس. في حين أعرب عدد قليل من المحافظين المسيحيين البارزين مثل إسبن أوتوسن من البعثة اللوثرية النرويجية عن قلقهم - ربّما لسبب وجيه - من أنّ أولئك الذين يدينون المثلية الجنسية يتعرّضون لخطر التعرّض للمضايقات بسبب موقفهم. وهنا توجد أوجه تشابه مع موقف العنصريين المتديّنين، الذين من الواضح أنهم لم يعودوا قادرين على تعزيز معتقداتهم دون إثارة الردود السلبية.

في الآونة الأخيرة حوالي عام 1980، لم يكن للمثليين والمثليات جنسيًا أيُّ تواجدٍ فعّال في الأماكن العامّة والخاصّة في البلدان المسيحية. ومع ذلك، فقد بدأت منذ ذلك الحين دورة متجدّدة وتعزيز للذات، حيث يزداد عدد المثليين والمثليات، وينمو التسامح والقبول الطبيعي بين أصدقائهم ومعارفهم، ممّا يؤدّي بدوره إلى المزيد من المثليين والمثليات جنسيًّا. وينبغي لنا ألّا نغفلَ الطريقة التي أثر فيها ذلك على مواقف المسيحيين، فلم يعد هؤلاء يدينون شخصيات مجردة، بل أصبحوا يدينون جيرانهم وأصدقاءهم وأبناءهم وإخوتهم، ولم يعد من السهل قبول الإدانة المسيحية التقليدية.

تتأثّر المواقف تجاه المثلية الجنسية بسلسلة كاملة من القواعد الدينية الجنسية. وفي كثير من الأحيان لا تكون هناك علاقة بين السبب الرئيس لإدانة المثلية الجنسية وحقيقة أنّ الجنس هو ما يحدث بين شخصين من النوع نفسه، ولكنّه يتعلّق بكون الجنس غير إنجابي أو بكونه، بحكم تعريفه، غالبًا ما يحدث خارج نطاق الزواج. وفي الديانات الأكثر عدوانية للإنجاب، عادة ما تكون الرؤية الإيجابية للمثلية الجنسية ظاهرة للعيان. وفي حالات أخرى، تتمّ إدانة أنواع معيّنة من السلوك المثلي الجنسي فحسب لأنّ هذه الأنواع، على سبيل المثال، تقع في نطاق القواعد العامّة التي تحدّد الفتحات

الجسدية والجنسية التي يمكن استخدامها لأغراض جنسية. وهناك كثير من المناسبات التي يصعب فيها تحديد القواعد الدينية الجنسية التي تنطبق بشكل خاصّ على المثلية الجنسية - وهي المناسبات التي يكون فيها من الأصح القول بأنّ هذه القواعد تنطبق على النشاط الجنسي للذكور والإناث بمفهومه الشامل. قد يبدو أيضًا أنّ استخدام قصة الخلق والأساطير الدينية الأخرى إمّا لتبرير أو إدانة أنواع معيّنة من النشاط الجنسي يمكن أن يأتي بنتائج إيجابية وسلبية على حدّ سواء فيما يتعلّق بأيّ موقف معيّن للأديان تجاه المثلية الجنسية.

بالنظر إلى القبول الديني للزواج من النوع نفسه وتحرير المجتمع، ومن ناحية أخرى المطالب المستمرة لتنفيذ عقوبة الإعدام والتركيز المستمرّ على الإبقاء على التمييز ضدّ المثليين جنسيًّا، فإنّ الصورة العامة للمواقف الدينية الحالية تجاه المثلية الجنسية تبدو أكثر تعقيدًا. فمعظم المواقف الأساسية تجاه المثلية الجنسية التي كانت موجودة في مختلف الديانات ما زالت قائمة في تلك الديانات. لكن حتّى أولئك الذين يعيشون في الأوساط الدينية المحافظة بدرجة كبيرة يجب عليهم أن يتعاملوا مع المواقف الأكثر حداثة والأكثر ليبرالية، وإن لم يكن هناك أي سبب آخر غير أنّ معتقداتهم تشمل أصحاب العقائد الآخرين الذين يحملون نظرة أكثر ليبرالية للمثلية الجنسية. ومع ذلك، وفي الوقت نفسه، فقد شهدنا نمو تفسير المثلية الجنسية إذ إنّها أكبر تهديد للعالم الديني. فالتركيز المكثّف، شبه المهووس على المثلية الجنسية في كثير من الأوساط الدينية، يمثّل شيئًا جديدًا. ومن الناحية التقليدية، كانت المثلية الجنسية قضية لا وجود لها في معظم الأوساط الدينية المحافظة. ولم يكن ذلك يعني القبول الضمني – بل كان معناه بإيجاز أنه شيء لا ينبغي الحديث عنه. ولكن في الوقت الحاضر، تحتوي وسائل الإعلام الدينية المحافظة على موادّ حول المثلية الجنسية أكثر بكثير من تلك الموجودة في أيّ مكان آخر خارج وسائل الإعلام المناصرة للمثلية صراحة.

أصبح نطاق المواقف الدينية تجاه المثلية الجنسية اليوم أوسع ممّا كان عليه في أيّ وقت مضى. وبينما يرى الكثير من الناس أنّ دينَهم يقبل تمامًا هذا النوع من الجنس، فإن آخرين يفسّرون مصادرهم بطريقة مختلفة ويخلقون فكرة سلبية للغاية عن المثلية الجنسية بحيث يستحيل مقارنتها عمليًّا في تاريخ الأديان. والظاهرة الجديدة تتمثّل في حقيقة أنّ المثلية الجنسية تحتلّ الآن موقعًا فريدًا في النظرة العالمية لكثير من الأديان - على الرغم من المزاعم الدينية كثيرة التي تشير إلى عكس ذلك. فالكثير من الناس يعدّون أحد الأركان المهمّة لعقيدتهم هو أن دياناتهم الخاصّة قد عدّت المثلية الجنسية وتعاملت معها على أنّها شكل من أشكال السلوك الجنسي الذي يتعيّن مناهضته في المقام الأول. وكما رأينا، لا يوجد في الدين ظاهرة تنصّ على أنه يجب أن يكون المرء معاديًا للمثلية الجنسية – بل هناك من يراها إيجابية في اتجاهها ومواقفها، أو يعتبر المثلية الجنسية أعلى وأسمى من المغايرة الجنسية. وفي النهاية، يكون الاستنتاج الوحيد الذي يجب استخلاصه هو أنه لا توجد رؤية معينة للمثلية الجنسية لا يمكن الدفاع عنها من وجهة نظر دينية.

الفصل السادس

العنصريةُ الدينيُّة الجنسيّة والتمييزُ الديني

سأل صحفي عام 1963 الرئيس هاري إس ترومان Harry S. Truman الذي ألغى الفصل العنصري في الجيش الأمريكي عمّا إذا كان يعتقد أن الزواج بين أشخاص من مختلف الأعراق سوف يصبح واسع الانتشار في الولايات المتحدة الأمريكية أم لا. أجاب الرئيس السابق قائلًا: ‹لا أتمنّى ذلك. أنا لا أؤمن بذلك. وأردف قائلًا: هل تريد أن تتزوج ابنتُك من رجل زنجيّ؟ كان لقناعة ترومان أساس أعمق؛ فقد اعتقد أن الزواج بين أشخاص من أعراق مختلفة يتعارض مع تعاليم الإنجيل. كان الفصل الجنسي بين الأشخاص من أعراق مختلفة حقيقة مسيحية أصولية بقدر ما ساوره القلق، كما أوضح أن الرب خلقه هكذا. عندما تقرأ كتابك المقدّس، فستكتشف ذلك».

يدرك معظم الناس حقيقة أنّ العنصرية ظاهرة منتشرة على نطاق واسع؛ إلا أنّ عددًا أقلّ من الناس يدركون الدور المركزي الذي لعبته الأديان، وخاصّة المسيحية والهندوسية، في تاريخ العنصرية. بالطريقة نفسها التي تميل بها الأديان إلى تصنيف الناس إلى فئات حسب جنسهم، يعدُّ تصنيف الأشخاص حسب اللون والعرق عنصرًا مهمًّا في النظرة العالمية لكثير من الأديان. يعد التصنيف الديني من هذا النوع عاملاً رئيسًا يسهم في الاعتقاد الشائع بأنه من الطبيعي أن يكون أحد العرقين أسمى وأرقى من الآخر، تمامًا كما يعتقد كثير من الناس عن قناعة دينية بأن المثلية الجنسية ليست «طبيعية».

ثبت أنّ العنصرية الجنسية، وهي الاعتقاد القائل بأنّ الناس من مختلف الألوان أو الأعراق لا ينبغي أن يمارسوا الجنس بعضهم مع بعض، في كثير من الأحيان أنها واحدة من أكثر العوامل التي تسهم في بقاء العنصرية الدينية واستمرارها. ونظرًا لأن الجنس هو الطريقة الأكثر حميمية التي من خلالها يمكن أن يتفاعل الناس بعضهم مع بعض، فليس من الصعب فهم سبب ذلك. إذا لم تكن هناك قواعد تحكم ما إذا كان يجب على الجماعات العرقية أو الدينية الامتناع عن ممارسة الجنس مع تلك الجماعات التي تنتمي إلى أعراق مختلفة أو تعتنق أديان مختلفة، فالإنجاب قد يؤدّي حتمًا إلى مزيج من الهويات التي قد تكون كارثية في نظر المتمسكين برؤية العالم العنصري. ولو سلمنا جدلًا أن تنظيم السلوك الجنسي هو أحد الأساليب الأكثر فعالية للسيطرة على المجتمع البشري، فليس من العجيب أن يكون الجنس عنصرًا أساسيًا للغاية في العنصرية الدينية.

في بعض الأحيان تكون الحدود بين العنصرية الدينية الجنسية والقيود المفروضة على ممارسة الجنس مع أتباع الديانات الأخرى حدودًا مائعة. هناك أوقات، كما كان الحال في الإسلام، تشير

القيود في الأصل إلى الانتماء الديني فحسب- أي إذا غيرت انتمائك الديني، فتتحول تلقائيًا من فئة إلى أخرى فيما يخص الشخص الذي يمكنك ممارسة الجنس معه.

تراجعت المعارضة الدينية للمثلية الجنسية بسبب التسامح الشديد مع المثلية الجنسية في المجتمع بشكل عام؛ وبالمثل، وإلى حدّ أكبر، تقلّصت العنصرية الدينية الجنسية لأنّ العنصرية غير مقبولة عمومًا في العالم الحديث كما كانت عليه في الماضي. ربّما أصبحنا أقلَّ وعيًا بالعنصرية الجنسية لأنّ الكثير من النقاش الدينيّ الجنسيّ الحاليّ يركز على المثلية الجنسية، ولكن ينبغي لنا ألّا نغفلها، والأهمية التي اكتسبتها والأهمية التي حظيت بها في حياة الملايين من الناس.

ما فرّقه الله، لا يجمع شمله الإنسان

على الرغم من أنّ معظم المسيحيين في الوقت الحاضر قد يختلفون مع القناعة الدينية للرئيس ترومان بأنه لا ينبغي اختلاط الأجناس والأعراق، فإنّ الغالبية العظمى من المسيحيين الأمريكيين في ذلك الوقت قد يتشاركون هذا الرأي. في عام 1968 تبنّى 73% من الأميركيين الرأي نفسه، وفي عام 1958، تبنى هذا الرأي حوالي 94%. لقد لعبت العنصرية الدينية دورًا محوريًّا في تنظيم الحياة الجنسية منذ آلاف السنين، ولا تزال حتى اليوم عاملاً مهمًّا. لم يعكس ادّعاء ترومان بأن الكتاب المقدس حظر ممارسة الجنس بين الأعراق المختلفة الفهم المسيحي للحقبة التي عاش فيها فحسب؛ فهناك أساس قوي لذلك في الكتاب المقدس ذاته. يحظر الله باستمرار على بني إسرائيل أن يتزوجوا أو يكون لهم شركاء في الزواج من الشعوب المجاورة. لا يجوز لأبناء الزيجات المختلطة الدخول في جماعة المؤمنين بالربّ «حتّى الجيل العاشر». ومن الواضح أنّ هذا مرتبط بالخوف من أن يعبد اليهود آلهة جيرانهم من الشعوب، ولكن هناك أيضًا مكونًا من مكوّنات العنصرية بشكل مباشر ينطوي على أن أحفاد الزيجات المختلطة لا يُسمح لهم حتى بعبادة يهوه (اسم الله كما هو مذكور في التوراة). إنّ حظر هذا النوع يعكس مطلبًا بضرورة حفظ «البذور المقدّسة» في نقائها من الدماء الخارجية.

على عكس كثير من المحظورات الأخرى في التناخ، يتم اتباع القواعد التي تحكم الجنس والعرق في أجزاء أخرى كثيرة من الكتاب المقدّس. عندما رأى النبي «نِحميا» أن بعض اليهود تزوجوا زوجات أشدود وعمون وموآب، وبّخهم وصبّ لعناته عليهم، وفي الواقع «ضرب وعاقب بعضًا منهم، ونتف شعرهم». طرد نحميا أيضًا كاهنًا تزوّج من امرأة غير يهودية لأنه «دنس الكهنوت، وعهد الكهنوت، واللاويين». عندما سمع النبي عزرا أنّ الرجال اليهود في بابل كانوا يتزوّجون من نساء غير يهوديات «حتى إنّ البذرة المقدّسة اختلطت مع شعوب تلك الأراضي»، أصابه اليأس، وقال: «فَلَمَّا سَمِعْتُ بِهذَا الأَمْرِ مَزَّقْتُ ثِيَابِي وَرِدَائِي وَنَتَّفْتُ شَعْرَ رَأْسِي وَذَقْنِي وَجَلَسْتُ مُتَحَيِّرًا». كان لدى عزرا سبب وجيه للانزعاج لأنّ «الآثام ضدَّ الله» المتمثّلة في هذه الزيجات قد تتّسبب في «سخط الله علينا [حتى تفنينا]». ومع ذلك، فإنّ الحلَّ لهذه المأساة المحتملة في أيدي الرجال الذين

يقرّرون: «فَلْنَقْطَعِ الآنَ عَهْدًا مَعَ إِلهِنَا أَنْ نُخْرِجَ كُلّ النِّسَاءِ وَالّذِينَ وُلِدُوا مِنْهُنَّ». ثم أمر عذرا جميع الرجال اليهود الآخرين الذين تورّطوا في الزيجات المختلطة أن: «يعْتَرِفُوا الآنَ لِلرَّبِّ وَينْفَصِلُوا عَنْ النِّسَاءِ الْغَرِيبَةِ. في بعض الأوقات، عندما لا يكون الطلاق ممكنًا ، يكون ضرورة دينية.

يتمثّل أحد الجوانب المثيرة للاهتمام في هذا الحظر المفروض على الزواج المختلط في أنه يبدو أنه لا يُعمل إلا في حالة الزيجات التي تتمّ بالطريقة السلمية المعتادة. ولكن تُطبق قواعد أخرى «إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبْيًا، وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امرأة جَمِيلَةَ الصُّورَةِ، وَالْتَصَقْتَ بِهَا وَاتَّخَذْتَهَا لَكَ زَوْجَةً، فَحِينَ تُدْخِلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتُقَلِّمُ أَظْفَارَهَا وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ. ومع ذلك، يُسمح لك بمضاجعتها خلال ذلك الوقت: «ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَتَزَوَّجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً وَإِنْ لَمْ تُسَرَّ بِهَا فَأَطْلِقْهَا لِنَفْسِهَا. لاَ تَبِعْهَا بَيْعًا بِفِضَّةٍ، وَلاَ تَسْتَرِقَّهَا مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ أَذْلَلْتَهَا».

ومن وقت إلى آخر، يتجاهل مؤلفو الكتاب المقدّس الكثيرون هذه المحظورات الجنسية ويكتبون وكأنها غير موجودة. في سِفر راعوث، لا يتزوّج الرجال اليهود فقط من نساء مؤابيات دون أيّ إشارة إلى أنّ هذا الزواج مشكلة، ولكن راعوث، بطل الرواية المؤابية، أصبح أحد أسلاف الملك داود الشهير. وفي الحقيقة ذُكر عدد من الزيجات المختلطة الأخرى بشكل عابر. ممّا لا شكّ فيه أنّ الرجال الأشدّاء الأقوياء فعلوا ما أرادوا. حيث تزوّج موسى من زِبورة وهي امرأة كوشية من أرض مدين.

وعندما وبّخ كل من هارون ومريم، أشقاء موسى، موسى بسبب زواجه مختلط الأعراق، فإن الله ذاته وقف في صفه وسانده، وأنزل بالأخ والأخت عقابًا شديدًا، أصاب الله مريم بالبرص. الملك داوود أيضًا كان لديه زوجة غير يهودية، وابنه سليمان كان له زوجات من مصر، وموآب، وعمون، وأدوم، وصيدا وأرض الحيثيين.

على مر التاريخ تزوج اليهود إلى حدّ كبير بعضهم من بعض. وفي الواقع، لم تقدّم لهم المجتمعات المسيحية والإسلامية التي عاشوا فيها أيّ خيار آخر. في الهند أيضًا، كان من المستحيل على اليهود أن يتزوّجوا من خارج صفوفهم، ولكنّهم اعملوا وطبقوا أيضًا القيود العرقية الخاصّة بهم منذ القرن السادس عشر على الأقل؛ رفض اليهود الهنود أصحاب البشرة الفاتحة الاعتراف باليهود ذوي البشرة الداكنة على أنهم يهود بمعنى الكلمة وحظروا الزواج منهم.

وفي الوقت الحالي، يعدُّ اليهود خارج إسرائيل هم الجماعة الدينية الأكثر احتمالًا للتزواج من أتباع العقائد الأخرى - يفعل ذلك حوالي 50% من اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية. ومع ذلك، في الوقت نفسه، فإنّ كثيرًا من اليهود يرفضون بشدة القبول العام للزواج مختلط الأعراق، لأسباب ليس أقلها أنّ القاعدة هي أنّ الأطفال فقط من أم يهودية يمكن اعتبارهم يهودًا بالميلاد. يعرِّف كثير من اليهود الأرثوذكسيين والصهاينة في إسرائيل واليهود في الولايات المتحدة الأمريكية الحدوث

المتكرر للزيجات المختلطة بأنها إبادة جماعية ذاتية حلّت عليهم والإشارة إلي هذه الزيجات باسم «المحرقة الصامتة».

هناك القليل في العهد الجديد الذي يمكن تفسيره على أنّه دعم للعنصرية الجنسية المستوحاة من الدين في العهد القديم، وقد أصرّ كلّ من يسوع المسيح وتلاميذه على الارتباط بأشخاص من أعراق مختلفة. لكن هذا لم يمنع الكثير من المسيحيين من الاستمرار في الاعتقاد بأنّ الله يطلب منهم أن يقصروا أنفسهم جنسيًّا على أشخاص من لونهم نفسه أو عرقهم أو دينهم على الأقلّ. ولا يوجد في العهد الجديد ما يلغي المحظورات العنصرية الجنسية للعهد القديم. إنّ الحضَّ على الارتباط بأشخاص من أعراق أخرى لا يتجاوز الارتباط إلا في إطار المجاملة العامة والمساعدة والضيافة. وحتّى بيان القديس بولس الصارم الذي مفاده أنه «لا يوجد يهودي ولا يوناني ... لأنكم جميعًا في أعين المسيح يمكن رؤيتكم مخالفين لمحظورات العهد القديم؛ وإذا حدث ذلك، فعلينا أن نرى بيانه الموازي» لا يوجد ذكر ولا أنثى إلا وناشدهم مباشرة بالابتعاد عن المثلية الجنسية، وليس هناك مسيحيون يفهمون بولس بهذه الطريقة.

غالبًا ما أسفرت العلاقات الجنسية بين المسيحيين وغير المسيحيين في العصور الوسطى عن عقوبات صارمة. حُكم بالإعدام على عدة نساء مسيحيات ورجال مسلمين أو يهود مارسوا الجنس بعضهم مع بعض. كان من المعتاد معاقبة الرجال المسيحيين على ممارسة الجنس مع نساء غير مسيحيات. ومع ذلك كان المبدأ يمثّل النقطة المهمّة كما يتّضح من القانون الإنجليزي في نهاية القرن الثالث عشر والذي ينصّ على أنّ «أولئك الذين تورّطوا في علاقات جنسية مع اليهود واليهوديات، يجب دفنهم أحياء». كان هذا تحريمًا غالبًا ما كان يتجاوز الخوف من خلط الأديان. في 1268 وبّخ البابا كليمنت الرابع الملك ألفونسو الثالث ملك البرتغال للسماح للرجال المسيحيين الزواج من النساء المسيحيات الساراسين (العربيات) أو اللاتي من أصل يهودي. كان يُعاقب بالإعدام على الجنس بين المسيحيين واليهود - حتى اليهود الذين تحولوا إلى المسيحية في أراجون Aragon في القرن الثاني عشر. يمكن لقارئ الرومانسيات في العصور الوسطى قراءة قصة معجزة رائعة مليئة بالعنصرية في هذا السياق. في إحدى القصص الرومانسية الإنجليزية «ملك تارس» King of Tars، يتحوّل سلطان مسلم إلى المسيحية بعد الزواج من أميرة مسيحية. عندما يتمّ تعميده، يرتب الله لتغيير بشرته ليتحوّل من اللون الأسود إلى الأبيض حتى لا يساور القراء القلق بشأن المضاعفات اللاهوتية للزواج بين أفراد من مختلف الألوان.

نشأت قواعد جديدة في وقت الإصلاح. أصبحت قاعدة عامة أن الأميرة التي يتم تزويجها لولي العهد من طائفة دينية مختلفة قد تغير معتقدها وإيمانها. لم تكن مثل هذه الزيجات واضحة ومباشرة بين السكان بشكل عام. في عام 1631، قرّر المجلس اللوثري في المدينة في ستراسبورج تغريم أي رجل يتزوج من امرأة كالفينية. المرأة اللوثرية قد تفقد جنسيّتها إذا تزوّجت من رجل كالفيني.

ومثلما لم يُسمح للمسيحيين في إسبانيا بالزواج من يهود أو مسلمين، فقد انتقل الحظر الأساسي على الزواج بين المسيحيين وغير المسيحيين إلى أمريكا اللاتينية. مرة أخرى، لم يكن الدين هو المشكلة الوحيدة، حيث أدّى التوسع الأوربّي إلى الانتشار واسع النطاق للاتصال الجنسي بين الرجال البيض والنساء غير البيض. وقد أدان كثير من المبشرين المسيحيين هذا الأمر، وبذلوا قصارى جهدهم لإقناع السلطات الاستعمارية بمنع هذه العلاقات.

كانت السلطات المسيحية، على أيّ حال، أكثر ترحيبًا لإدخال قوانين من هذا النوع دون أيّ تشجيع من المبشرين. حظرت السلطات الهولندية البروتستانتية في جنوب إفريقيا الزواج بين ذوي البشرة المختلفة منذ أوائل عام 1685، وفرضت السلطات الكاثوليكية في البرازيل حظرًا مماثلا في عام 1726.

في مستعمرة دانو النرويجية في مدينة ترانكيوبار Tranquebar في الهند، حاولت الكنيسة اللوثرية إحباط ممارسة الجنس بين الرجال البيض والنساء الهنديات انطلاقًا من رفض تعميد أطفالهم. كان التأثير العملي لذلك هو أنّ الأمهات قمن بتعميد أطفالهنّ في كنيسة كاثوليكية ليست عنصرية إلى حدٍّ كبير في نهاية الشارع.

انقسمت واختلفت الإرساليات التبشيرية الألمانية في مجتمعات جنوب غرب إفريقيا الألمانية حوالي عام 1900 من حيث رؤيتهم حول العنصرية الجنسية، جادلت بعض الإرساليات التبشيرية بأن الزواج بين السود والبيض كان «خطيئة ضد الوعي العنصري»، في حين أن الإرساليات التبشيرية الأخرى كانت أكثر براجماتية واعتقدت أن الزواج كان مفضلًا على ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج بين الرجال البيض والنساء السود. كانت تميل الإرساليات التبشيرية في أستراليا إلى إدانة جميع أنواع الجنس بين البيض والسكان الأصليين.

تمثّل الولايات المتحدة واحدًا من أكثر الأمثلة الكاملة طويلة الأمد للعنصرية الجنسية. تمّ سنّ أول قوانين أمريكية لمناهضة الجنس بين الأفراد أصحاب البشرة المختلفة في ولاية فرجينيا عام 1662، وأيدت غالبية الكنائس في أمريكا الحظر المفروض على الزيجات بين الأفراد أصحاب البشرة المختلفة. ولكن من الناحية العملية، كان لمالك العبيد الحق في استغلال عبيده السود جنسيًا دون معارضة السلطات المدنية أو السلطات الدينية على حدٍ سواء. إن اغتصاب العبيد السود من الإناث من قبل ملاكهن البيض لم يكن مشمولاً بأي قانون، ومن ثمّ فهو لم يكن قانونيًا. كان العدد الكبير من العبيد ذوي الدم الأبيض في عروقهم في حد ذاته دليلًا على هذه الممارسة. حقّق العبيد أصحاب البشرة الفاتحة أيضًا سعرًا أفضل في سوق النخاسة، وقد أيدت القوانين في فرجينيا، على سبيل المثال، الممارسة المربحة اقتصاديًا لمالكي العبيد البيض من الإناث اللاتي ينجبن أطفالهن من العبيد. قد يكون أولاد امرأة سوداء ورجل أبيض «عبيدًا أو أحرارًا بناءً على مكانة الأم».

قبل إلغاء الرق والعبودية، يتعين رؤية المعارضة الواسعة لممارسة الجنس بين الناس أصحاب البشرة المختلفة في سياق الدفاع المسيحي عن العبودية كمؤسسة يدعمها كل من العهدين القديم والجديد. بالإضافة إلى ذلك، جادل كثير من المسيحيين البيض بقوة أن السود كانوا أحفاد قابيل، الذي لعنه الله، أو هام، الذي لعنه والده نوح وأدانه وجعله خادمًا «لإخوته» إلى الأبد.

لقد تغيّر التركيز إلى حدّ ما بعد إلغاء العبودية. وإبّان مدة العبودية، لم يحقّ للعبيد الزواج، ولكن مع إلغاء العبودية، كانت هناك ضرورة قضائية أكبر لمنع البيض والسود من التزاوج من بعضهم بعضًا. في السنوات التي تلت الحرب الأهلية، انخفض عدد الولايات التي تمّ فيها حظر الزيجات مختلطة الأعراق، ولكن ارتفع عدد هذه الولايات مرة أخرى بين عامي 1897 و1913، حيث غدت الزيجات مختلطة الأعراق غير قانونية في ثلاثين ولاية من ولايات الاتحاد. ظلت الحجج التي استخدمتها السلطات لتبرير حظر الزواج مختلط الأعراق ذات طبيعة لاهوتية. صرحت المحكمة العليا في جورجيا في عام 1869 أنّ الزواج مختلط الأعراق كان مستحيلاً في نظر الله وأنه «لا يوجد قانون بشري» يمكن أن يغير هذه الحقيقة. في تأييدها لحظر الزواج بين أشخاص من مختلف الألوان ، أشارت المحكمة العليا في ولاية تينيسي في عام 1871 إلى حظر العهد القديم للزواج مختلط الأعراق. احتجت المحكمة العليا في تكساس في عام 1877 أنّه لمّا كان الزواج هو «مؤسّسة عامّة أنشأها الله»، فلا يمكن السماح بالزواج بين أشخاص من مختلف الألوان. صدر قرار بالإجماع من المحكمة العليا لولاية إنديانا الشمالية في عام 1871، وكان نص القرار: «إن القانون الطبيعي، الذي يحظر الزواج المختلط وهذا الاندماج الذي يؤدّي إلى فساد الأجناس والأعراق، هو قانونٌ إلهيٌّ بشكل واضح مثل القانون الذي منحهم طبيعة مختلفة».

كان الفصل العنصري، وبخاصة في المدارس، مهمًّا من وجهة نظر دينية جنسية من أجل منع الأطفال من التفكير في أنّ التمييز العنصري ينطوي على تفكير غريبٍ شاذٍ وخاطئ. من الناحية العملية، كان الحظر يهدف في المقام الأول إلى منع ممارسة الجنس بين الرجال السود والنساء البيض ويهدف ضدَّ أيّ اعتراف قانوني بالعلاقات بين الأفراد من مختلف الألوان. ومثلما كان لملّاك العبيد البيض حرية الوصول إلى نساء العبيد السود، استمرّ الرجال البيض في التمتع بإمكانية ممارسة الجنس مع خادمات البيوت السود اللاتي يعملن لديهم. وهكذا كانت القناعات الدينية المسيحية العنصرية تفتقد إلى الاتساق ويشوبها الخلل.

رغم أنه قيل مرارًا وتكرارًا أن العلاقات الجنسية التي تعبر حدود لون البشرة لم تكن جيدة لأي من الأجناس والأعراق المعنية في هذه العلاقات، فمن الواضح أنّ التنظيم المسيحي للجنس مختلط الأعراق يركّز على ضمان نقاء العِرق الأبيض. الحقيقة المجردة بأن الفرد كان لديه خليط صغير من الدم الأسود في عروقه كانت كافية لتعريف هذا الفرد بأنه أسود من وجهة نظر مسيحية ومن وجهة نظر قانونية تأثرت بالمسيحية. بعد كلّ شيء، كانت البشرة السوداء علامة على لعنة الله على قابيل وهام.

ظلت القناعة بأن الله يرغب في الحفاظ على الأجناس والأعراق منفصلة قناعة راسخة بقوة غير منقوصة حتّى أواخر عام 1958 لا يزال يعارض حوالي 94% من سكّان الولايات المتّحدة الزواج بين الأفراد ذوي اللون المختلف. عندما ولد باراك أوباما في هاواي في عام 1961، كان لا يزال زواج والديه يعدُّ جريمة في اثنتين وعشرين من ولايات الاتحاد.

عندمت تزوّجت ميلدريد السوداء من ريتشارد لوفينج الأبيض في عام 1959، حُكم عليهما بالسجن مدة عام أو النفي من فرجينيا مدة 25 عامًا. عرض القاضي التفسير اللاهوتي الآتي للحكم: «خلق الله سبحانه وتعالى الأجناس والأعراق؛ منها الأبيض والأسود والأصفر والملايو والأحمر، ووضعهم في قارات منفصلة. تبيّن حقيقة فصل الأجناس أنّ الله لم ينتوِ اختلاط الأعراق». كانت هذه الحجّة المسيحية بالتحديد هي التي أعلنت المحكمة العليا للولايات المتحدة أنّها غير ذي صلة عندما أصدرت حكمها في عام 1967 بأنّ الحظر المفروض على الزيجات بين الأعراق المختلطة الذي لا يزال قائمًا في ست عشرة ولاية غير دستوري. لم يكن هذا قرارًا شعبيًّا على الإطلاق. في عام 1968، أي بعد مرور عام على حكم المحكمة العليا، كان لا يزال 73% من جميع الأميركيين يعارضون تقنين الزيجات مختلطة الأعراق. ليس قبل مرور ستة عشر عامًا على الحكم، انخفضت معارضة الزيجات مختلطة الأعراق إلى أقلّ من 50%، وبلغت النسبة المئوية نفسها على الصعيد الوطني لأولئك الذين عارضوا الزواج بين أشخاص من الجنس نفسه عندما أصبح ذلك قانونيًا في ولاية أمريكية أول مرة في عام 2004. لا تزال هناك معارضة كبيرة للزواج بناءً على اختلاف لون البشرة، ففي عام 1994، عارض 7% من الأمريكيين الزواج بين السود والبيض، و20% ما زالوا يعارضونه حتّى عام 2009.

رأى كثير من المسيحيين ولا يزال يعدُّون العنصرية الجنسية قضية أساسية لدينهم. وقد تأسّست الجمعية المعمدانية الجنوبية التي تضم أكبر طائفة في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1845 بعد خلاف مع المعمدانيين الشماليين حول مسألة الأهمية المركزية للعنصرية في عقيدتهم المسيحية. حتى عام 2000، استمرّ قادة المعمدانيين الجنوبيين في استخدام الحجج اللاهوتية بشكل أساسي في نضالهم للحفاظ على الفصل العنصري في مختلف نواحي المجتمع. حتى المعمدانيون الذين كانوا ليبراليين بخلاف ذلك، إلى جانب كثير من المسيحيين الآخرين الذين كانوا يؤيدون المساواة العرقية، كانوا لا يزالون يرون أن الله لم يرغب في ممارسة الجنس بين السود والبيض. في رسالة إلى جميع الكنائس المشيخية في الولايات المتحدة الأميكية في عام 1965، صرح عالم اللاهوت المشيخي جون إدوارد ريتشارد قائلًا: دع أولئك الذين يرغبون في محو التنوّع العرقي لخلق الله أن يحذروا من أن تصيب أولادهم عواقب شرّهم. وعندما ظهر كتاب الأطفال تحت عنوان «حفل زفاف الأرانب» الذي يروي قصة زفاف الأرنب الأسود والأرنب الأبيض في عام 1958، اندلعت احتجاجات مسيحية ضد مثل هذا التحريف لعمل الخالق.

ولأنّ الحظر المفروض على الزواج مختلط الأعراق كان مهمًّا جدًّا لكثير من المؤمنين، فقد اختارت بعض الولايات الإبقاء على الحظر في قوانينها الخاصّة حتى بعد صدور قرار المحكمة العليا عام 1967، على الرغم من أنه لم يعد هناك أي إمكانية لتطبيقه والعمل به. لم تتم إزالة الحظر حتى عامي 1998 و2000 عندما أزالت آخر ولايتين- ولايتي ساوث كارولينا وألاباما - الحظر بعد إجراء استفتاء. حتى ذلك الحين كانت هناك معارضة كبيرة؛ صوّت 38% في ولاية ساوث كارولينا على الإبقاء على الحظر في عام 1998 و41% في ألاباما ما زالوا يريدون الحظر وتطبيقه في عام 2000. مع الأخذ في الاعتبار أنّ هاتين الولايتين يقطن فيهما عدد كبير من السكان الأفارقة الأميركيين (30% و26% على التوالي)، وأنّ الأفارقة الأمريكيين يعارضون العنصرية الجنسية المقننة بقوة أكبر بكثير من البيض، كانت معارضة رفع الحظر قوية للغاية بوضوح بين الناخبين البيض في هاتين الولايتين الجنوبيتين.

لا تزال القناعات الدينية تشكل أساسًا للعنصرية الجنسية الأمريكية، ويعترف بعض المؤمنين بذلك بوضوح أكثر من غيرهم. أدلى لاني ليتل جون، ممثل المجلس التشريعي لولاية ساوث كارولينا وواحد ممن صوتوا بالإبقاء على الحظر في عام 1998، بدلوه حول المقترح لإلغائه قائلًا: هذا ليس ما قصده الله عندما فصل الشعوب في عيد البابلية. كان تبريره للفصل العنصري في الزواج هو قصّة وردت في سفر التكوين تحكي كيف فصل الله بين الشعوب في برج بابل. كشف ليتل جون أيضًا عن جذور قناعاته الراسخة: «لقد تربيت بصفتي المعمدان طوال حياتي، ودعني أحزر أن هذا بالضبط هو مصدر قناعاتي. علّمتني عائلتي ذلك على مرّ السنين. يقول كينيث واين هاجين، وهو أحد الرموز البارزة والمحورية في حركة العنصرة الأمريكية وابن مؤسّس مراكز ريما Rhema للكتاب المقدّس في خمسة عشر دولة، عن الجنس بين أشخاص من مختلف الألوان: «نحن أصدقاء. نحن نلعب. نلتقي معًا كمجموعة، ولكننا لا نواعد بعضنا بعضًا. لا أعتقد أننا يجب أن نخلط أيًّا من الأعراق ونمزجها معًا». في عام 1998، قدمت جامعة بوب جونز، وهي مؤسّسة أصولية مسيحية وأكبر جامعة خاصّة في ساوث كارولينا، الإجابة الرسمية الآتية على شابّ أبيض متزوّج من امرأة سوداء تقدّم بطلب للدراسة في الجامعة: «تطبق جامعة بوب جونز قاعدة تحظر المواعدة بين الأعراق المختلفة بين طلابها. لقد فصل الله الناس لغرض في نفسه..... على الرغم من عدم وجود آية في الكتاب المقدّس تقول بطريقة تعسفية أنّ الأعراق يجب ألا تتزاوج، فإنّ خطّة الله برمتها التي تتعامل مع الأجناس على مرّ العصور تشير إلى أن الزواج بين الأعراق ليس الأفضل للإنسان. كانت الجامعة تعني بعبارة «على مرّ العصور والأجيال» أيضًا تاريخ الكتاب المقدّس وكانت كذلك تشير إلى قصة برج بابل كمثال رئيس لخطة الله للإبقاء على فصل الأعراق والأجناس.

تعكس كنيسة يسوع المسيح لقدّيسي الأيام الأخيرة التي ظهرت إلى حيّز الوجود في منتصف القرن التاسع عشر أيضًا العنصرية المسيحية في ذلك الوقت والعنصرية الجنسية كانت حجر الزاوية في تعاليمها. في عام 1863 شرح النبي بريجهام يونج من المورمون «شريعة الله فيما يتعلق بالعرق

الأفريقي: «إذا خلط الرجل الأبيض الذي ينتمي إلى البذور المختارة دمه بنسل قابيل، فإن العقوبة، بموجب قانون الله، هي الموت من فوره». أثناء هجرته غربًا من إلينوي في عام 1847، سمع يونج ونبى إلى علمه أن عضوًا أسودًا من الكنيسة قد تزوج من امرأة بيضاء في ماساتشوستس؛ وذكر أنه كاد أن يقتل الزوجان لو كان بمقدوره أن يفعل ذلك. ونظرًا لأن المورمون يعدُّون أنفسهم الشعب الجديد «المختار»، فإنّهم يتتبعون حظرهم على الاختلاط العرقي مباشرة بأمر الله الذي يدعو الإسرائيليين ويأمرهم بممارسة العنصرية الجنسية. في عام 1954، ادعى أحد كبار أعضاء الكنيسة أن ممارسة البيض الجنس مع السود تعادل «الموت الروحي». ومن الضروري أن يأخذ البيض حذرهم لأن ‹الزنوج يسعون إلى الانقضاض على العرق الأبيض والقضاء عليه. لن يرضى السود حتى يحققوا ذلك عن طريق التزاوج. لم تلغ كنيسة يسوع المسيح لقدّيسي الأيام الأخيرة العنصرية الأصولية إلا بعد أن تلقّى سبنسر كيمبل، رئيسها آنذاك، الوحي الإلهي عام 1978.

على الرغم من أن معاداة أدولف هتلر للسامية التي استندت إلى قرون من التحيز المسيحي ضد اليهود، وأفكاره عن النقاء العرقي كانت مستوحاة جزئيًا على الأقل بشكل مباشر من التشريع الأمريكي الذي كان في حد ذاته نتيجة للعنصرية المسيحية الأمريكية. بالإضافة إلى حظر ممارسة الجنس بين الأشخاص من مختلف الأعراق ومنع الأشخاص ذوي الإعاقة من التكاثر، اعتقد الكثير من النازيين أن مفهومهم عن النقاء العرقي يتماشى تمامًا مع المسيحية، حتى عندما يستلزم ذلك استخدامًا منهجيًا للقتل والإبادة الجماعية. احتجّ المسيحيون النازيون بأن شريعة الله تعني أنهم يجب أن يحاربوا جميع أشكال تمازج الأجناس والأعراق والزنا. يُعدّ منع الأشخاص الذين اعتبروا كائنات أقل شأنًا من التكاثر تعبيرًا عن أعلى درجات الاحترام للقوانين الطبيعية التي وهبها الله.

استخدمت الكنيسة الإصلاحية الهولندية في جنوب إفريقيا الحجج الكتابية للدفاع عن كل من الفصل الجنسي بين الأجناس والفصل العنصري عامة. وتمّت مقارنة الفصل الإلهي بين الأجناس بالطريقة التي فصل بها الله الضوء عن الظلام أو المياه عن الأرض. بالنسبة للناس من مختلف الألوان كان الاختلاط بمثابة تمرّد ضدَّ قضية الخلق نفسه - ألم يفصل الله الأجناس عندما حاولت البشرية بناء برج بابل؟ لم يتلقَّ العنصريون المسيحيون من جنوب إفريقيا الدعم من الولايات المتحدة فحسب؛ بل دافعت عدة منظّمات كنسية حرّة في السويد عن التفرقة العنصرية أثناء الستينيات بالتحديد لأنّ العلاقات الجنسية بين السود والبيض كانت تعدُّ رِجسًا.

تعدُّ الإدانة واسعة الانتشار للعنصرية من قبل المجتمع اليوم هي الشيء الوحيد الذي يجعل العنصرية الجنسية على أسس دينية ظاهرة دينية جنسية غريبة إلى حدّ ما. في الواقع، يجب أن يُنظر إليها كمثال نموذجي لكيفية استناد القواعد الدينية للعيش على الطريقة التي يصنّف بها الدين البشر ويرتب الكائنات البشرية في فئات محدّدة. تعتبر القاعدة الدينية التي تحدّد من الذي قد تمارس الجنس معه واحدة من أقوى الوسائل لتعزيز ومحاباة هويات معيّنة.

ومع ذلك، تعدُّ العنصرية الجنسية المسيحية ظاهرة فريدة إلى حدّ ما، بمعنى آخر، فبعد أن كانت ذات يوم مركزية وبديهية على حدّ سواء، فقد تمّ تهميشها تمامًا وسرعان ما ذهبت أدراج الرياح وتم نسيانها. لقد كان التغيير جذريًّا للغاية على مدى عقود قليلة حتى إنّ الكثير من الناس لم يعودوا يدركون مدى أهمية هذه التصوّرات العنصرية عدّة قرون - وفي أجزاء كثيرة من المسيحية - حتّى أقلّ من جيل مضى.

يعدُّ المسيحيون الذين يتمسّكون بالعنصرية الجنسية جزءًا لا يتجزّأ من الديانة المسيحية مثلهم مثل أولئك الذين لا يتمسّكون بالعنصرية الجنسية؛ كلا الطرفين يبني معتقداته الدينية على الكتب المقدسة نفسها وعلى التقاليد الدينية نفسها. الوضع هو نفسه تمامًا عندما يتعلّق الأمر بالرأي المسيحي عن المثلية الجنسية؛ إن غالبية مقاطع الكتاب المقدّس التي تناقش الجنس بين الأعراق تدينه، ولكن هناك أيضًا روايات تسير في اتجاه مختلف تمامًا. إذا نظرنا إلى تاريخ الكنيسة، يمكننا أن نرى التأرجح المستمر نفسه بين رهاب المثلية الجنسية أكثر فأقلّ والعنصرية الجنسية أقلّ فأكثر - مع تحوّل سلبي ملحوظ إلى حدّ ما من العصور الوسطى. وعندما نمحص الطريقة التي فقدت من خلالها كل من العنصرية الجنسية ورهاب المثلية الجنسية الأسس بشكل تدريجي في المسيحية، يمكننا أن نرى أن رهاب المثلية المسيحية قد تلاشى بسرعة أكبر من العنصرية عندما أصبح رهاب المثلية يمثل مشكلة خطيرة. كلتا وجهات النظر هذه كانت - وما زالت - تحظى بدعم قوي، وربما كانت السرعة التي عندها توقف رهاب المثلية الجنسية حتى يُنظر إليها على أنّها طبيعية تمامًا وبدهية، والتي وفرت أسس دفاعية لبلورة أهميتها الكبيرة. ولكن الدفاع عن العنصرية الجنسية كان دفاعًا مستميتًا وقويًا وثابتًا أيضًا، كما أنه اعتمد أيضًا على مبادئ الكتاب المقدس.

التمسك بالطبقة التي تنتمي إليها

في نيودلهي عام 2010، كانت هناك فتاة تبلغ من العمر تسعة عشر عامًا تُدعى عائشة ساييني وقعت في غرام جارها الذي يُدعى يوجيش كومار البالغ من العمر 20 عامًا. عندما اكتشفت عائلتها أنهما وقعا في الحبّ، فعلوا كلّ ما في وسعهم لوقف ذلك ووضع نهاية لهذه العلاقة. كان يوجيش غير مقبول تمامًا كشريك في الزواج لأن عائلته كانت من طبقة أدنى من الطبقة التي تنتمي إليها عائلة عائشة. وقد أعطت من فورها عائلة عائشة وعدًا بتزويجها من رجل آخر من الطائفة المناسبة في قرية مجاورة، ولكن منذ أن رفضت عائشة الرحيل، أُرسلت لتبقى مع عمها. ولما كانت عائشة لا تزال على اتصال مع يوجيش، دعت أسرتها يوجيش للحضور إلى منزل العم لمناقشة الوضع. وبمجرد وصول يوجيش إلى هناك، تم تقييد كل من عائشة ويوجيش وتعرضا للضرب عدة ساعات بقضبان حديدية قبل تعرضهما للصعق الكهربائيّ في النهاية.

لتفعل عائلة من العائلات ما فعلته عائلة ساييني وتقتل ابنتها وعشيقها لأنّ الحبيب ينتمي إلى طبقة مختلفة، فهذا ليس أمرًا غريبًا على المجتمع الهندوسي. في شهر مايو 2008 وحده، تمّ الإبلاغ عن

خمس جرائم قتل مزدوجة في هذه الأرض في ولايات هاريانا والبنجاب وأوتار براديش. كلّ يوم يلجأ العشرات من الأزواج الشباب إلى المحكمة العليا في ولايتي البنجاب وهاريانا لطلب الحماية من أسرهم. ويعدّ منع الشباب الذين ينتمون إلى مختلف الطبقات من التزواج بعضهم من بعض مسألة ذات أهمية كبيرة في أجزاء كبيرة من جنوب آسيا. لكن ما يجعل قضية عائشة ويوجيش قضية خاصّة وفريدة من نوعها، هي الطريقة التي تدافع بها العائلة علانية عن الجريمة وتبرر ارتكابها. أعلن عم عائشة، الذي ظهر بصفته مسؤولًا عن الجرم المرتكب قائلًا: «لست نادمًا على أيّ شيء ... سأعاقبهم مجددًا إذا ما سنحت فرصة جديدة. ولم يشعر والد عائشة بأي ندم على تورطه في قتل ابنته. وعلّق ابن العم قائلًا: «ماذا سيفعل أي من الوالدين إذا رأوا ابنتهما في وضع مخلّ مع رجل غريب؟ ماذا ستفعل لو كنت في نفس الموقف؟ لهذا السبب قتلهم عمّي. ودافع عن الجريمة عمّ آخر من الأعمام الذي لم يتورّط بشكل مباشر في جريمة القتل العمد قائلًا: «كيف يمكننا أن نتزوج من خارج الطبقة التي ننتمي إليها؟ لا يمكن التهاون مع هذا الأمر.... فجريمة القتل لها مبرّراتها. تلقى جرائم القتل العمد تبريرًا، على وجه الخصوص، كوسيلة لمنع الانتهاكات الأخرى لقواعد الطبقات داخل العائلة؛ إذا لم تقتل العائلة عائشة ويوجيش، فقد تكون هذه الزيجة بمثابة سابقة سيّئة للأطفال الآخرين في العائلة نفسها. قد يفعل الأطفال الشيء نفسه فيما بعد. هذا أفضل. حتّى عائلة يوجيش تفهمت وأدركت رغبة عائلة عائشة في معاقبة ابنتهم لأنّها جلبت العار إلى عائلتها؛ إذا أرادت عائلة عائشة قتل ابنتهم، فلا بأس بذلك. ولكن لا ينبغي لهم قتل ابننا

غالبًا ما يُنظر إلى الحقّ في فعل كلّ ما هو ضروري لدعم قواعد الطبقات فيما يتعلّق بالجنس على أنه مسألة ذات أهمية دينية رئيسة. عندما قضت المحكمة العليا في الهند في عام 2007 بأنّ الآباء لا يحقّ لهم ضرب أو تهديد أو حبس الفتيات اللاتي تزيد أعمارهنّ عن 18 عامًا إذا كنّ يرغبن في الزواج دون موافقة الوالدين، أدّى ذلك إلى اندلاع احتجاجات غاضبة ومطالبات كانت بمثابة صفعة خطيرة للثقافة الهندية. تتمثّل القضية المطروحة في أنّ كثير من الفتيات اللاتي يتزوجن ضدّ رغبات آبائهنّ يخترن الزواج من رجال ينتمون إلى طبقات اجتماعية تختلف عن الطبقات اللاتي ينتمين إليها. لا يُعد الزواج عبر الحدود الطبقية المختلفة من التابوهات فحسب؛ بل الزواج أيضًا داخل الطبقة الفرعية نفسها أو الجوترا Gotra الذي تسبّب في قتل كثير من الأزواج الهندوس. تُنفذ كثير من جرائم القتل من هذا النوع بناءً على أوامر تقليدية لقبيلة الخات khat أو محاكم العشائر في شمال الهند. في عام 2010، صدر حكم بالإعدام بحقّ خمسة أفراد في محكمة من هذا النوع فيما يتعلّق بقتل مانوج وبابلي بانوال. كان ردّ فعل محكمة العشيرة أبعد ما يكون عن الندم. وعلى النقيض، بدؤوا ممارسة الضغط السياسي لتغيير قانون الزواج الهندوسي - قوانين الزواج الهندية للهندوس - ولاقى عملهم دعمًا سريعًا من قبل كثير من السياسيين المحافظين والأحزاب الإقليمية.

يُظهر النظام الطبقي الهندوسيّ الأصليّ أوجه تشابه واضحة مع أنواع أخرى من العنصرية الدينية من حيث إنّ السكّان ينقسمون دائمًا إلى جماعات مختلفة لا يمكن ولا ينبغي أن تمتزج هذه الجماعات

أو تختلط بعضها مع بعض. لا تسنح أيّ فرصة لأيّ فرد للهروب والإفلات من الطبقة التي ولد فيها وينتمي إليها. هناك أيضًا تصوّرات راسخة الجذور مفاداها أنّ الأشخاص من مختلف الطبقات يختلفون من الناحية البدنية بعضهم عن بعض، بما في ذلك من حيث لون البشرة. ومن الناحية التقليدية، يعتبر حظر الزواج عبر الحدود الطبقية في الهندوسية حظرًا مطلقًا. لا يُسمح للرجال بممارسة الجنس مع نساء من الطبقة العليا التي تفوق طبقتهم، ولكن يُسمح للرجال من الطبقة العليا بممارسة الجنس مع نساء من الطبقة الدنيا التي دون طبقتهم طالما أنّهم لا يتزوّجون هؤلاء النسوة. في دواوين كاثاساريتساجارا (الأساطير الهندية والحكايات الخيالية والشعبية) Kathasaritsagara الأدبية في القرن الحادي عشر، يمكننا مطالعة القصة المأساوية لرجل من الطبقة الدنيا يقع في حبّ أميرة من الأميرات. يئس الرجل لأن حبّه كان بعيد المنال ويتعارض مع الطبيعة – كانت قصّة حبّه أشبه بقصة غراب يرغب في التزاوج من بجعة. وفي لحظة يأس تملكته، يقرّر الرجل أن يحرق نفسه حيًّا، ولكن قبل أن يتسلّق إلى محرقة الجثث، يتضرّع ويصلي إلى الآلهة التي تساعده على تناسخ روحه مع روح الأميرة في الطبقة نفسها حتى يكونا زوجًا وزوجة في الحياة القادمة.

لا تشير قوانين مانو القديمة عامّة إلى أوامر تتعلق بالزواج داخل طبقة الفرد ذاتها فحسب، بل تُظهر أيضًا عواقب عدم القيام بذلك. يجرّ رجل ينتمي إلى واحدة من الطبقات الثلاث العليا تزوّج بامرأة سودرا sudra- أي امرأة تنتمي إلى واحدة من الطبقات الدنيا الأربع الرئيسة - كل من عائلته وأطفاله إلى هذا المستوى المتدنّي. والبراهمة الذين يتزوّجون من النساء السودرا ينتهي بهم المطاف إلى قاع الجحيم. وتوصي قوانين مانو - لتكون في بر الأمان – بأنه لا ينبغي أن يتزوّج رجل ينتمي إلى الطبقات العليا من امرأة تنتمي إلى الطبقة الدنيا. وبالمثل، ينبغي على الرجل ألا يتزوج من مرأة والدها غير معروف. وبصفة عامّة، يجازف كلّ من الرجال والنساء على حدٍّ سواء بفقدان مكانتهم الاجتماعية إذا تزوّجوا من أفراد ينتمون إلى طبقة أدنى. ومع ذلك، في بعض أجزاء من الهند، يمكن للمرأة التي تنتمي إلى الطبقة العليا التي أنجبت طفلًا من رجل ينتمي إلى الطبقة الدنيا أن تستعيد مكانتها الاجتماعية الأصلية إذا تخلّت عن الطفل. كان مسموحًا بالزواج أيضًا في جنوب الهند بين مختلف الطبقات الفرعية طالما كانوا في المستوى نفسه.

وعلى الرغم من أنّ النظام الطبقي نفسه هو في المقام الأول تعبير عن قناعة هندوسية بأنّ الناس يولدون متمتّعين بمكانة في الحياة يكتسبوها من أعمالهم في الحيوات السابقة، إلا أن هناك كثير من الأمثلة على نظام الطبقات لا يزال الإبقاء عليه حتى بعد أن تحول الناس إلى ديانات أخرى. يعتبر النص البوذي كالاتشاكرا تانترا Kalacakratantra، ربما من وقت المسيح، الحب بين الرجال من الطبقة العليا وبين النساء من الطبقة الدنيا في مستوى جرائم القتل العمد نفسه والكذب والسرقة والزنا. لقد دعم كثير من المسلمين في جنوب آسيا، وكذلك أحفادهم في أوربّا وأمريكا الشمالية ومناطق أخرى، نظام الطبقات وجعلوا الحظر على العلاقات الجنسية عبر الحدود الطبقية كمثل أعلى يُحتذى به. ومع ذلك، يوجد لدى المسلمين في جنوب آسيا والجماعات الأخرى ميل متزايد إلى

أن يكون هناك تركيز أقل على الطبقة الاجتماعية في اختيار شريك الزوجية وتركيز أكثر على الثروة والتعليم والمكانة الاجتماعية.

أبقى المتحوّلون الكاثوليك في الهند البرتغالية على النظام الطبقي، بما في ذلك الحظر المفروض على الزواج عبر الحدود الطبقية، بينما لم يتزاوج الأعضاء التقليديون في الكنائس السريانية في جنوب الهند مع المتحولين من الطبقات الدنيا. بقدر ما يتزايد الزواج عبر الحدود الطبقية بين المسيحيين اليوم، فإنه يحدث بشكل أساسي بين الأشخاص الذين يتقاربون في المكانة الاجتماعية بعضهم من بعض داخل النظام الطبقي المسيحي. يشتكي المنبوذون الهندوس الذين اعتنقوا المسيحية من أن الهنود المسيحيين الآخرين يميزون ضدهم بالطريقة نفسها التي يتعرّضون لها للتمييز من قبل الهندوس. يطبق كثير من الكاثوليك في سريلانكا أيضًا النظام الطبقي، ولكنهم يقبلون ممارسة الجنس عبر الحدود الطبقية وأي أطفال يُنجبون عن طريق هذه العلاقات سيكونون من الطبقة نفسها التي ينتمي إليها الأب.

لا يزال الحظر العام المفروض على الزواج عبر الحدود الطبقية قويًا في الهندوسية الحالية. وبالنظر إلى زيادة مستويات الهجرة عبر الحدود الجغرافية، أصبح من الواضح أيضًا أن الهندوس يفضلون عدم الزواج خارج جماعاتهم العرقية، وهو شيء مرتبط أيضًا بالطبقية، بمعنى أن كثيرًا من الطبقات محدودة عرقيًا. تعتبر الرغبة أيضًا في تجنّب الزواج داخل الطبقة ظاهرة جلية بطرق جديدة - على سبيل المثال، الإعلانات الشخصية في الصحف وعلى الإنترنت، والتي تستخدم من قبل العزاب الهندوس وآبائهم للعثور على الشركاء المناسبين ضمن طبقتهم الخاصة التي ينتمون إليها. حقيقة أن عددًا من الأفراد في جنوب آسيا الأكثر ليبرالية، وبالأخص أولئك الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ومجتمعات المهاجرين، يتبنون الآن نظرة أقلّ صرامة لهذا الأمر الذي لا ينطوي على أيّ معارضة محددة للحظر الجنسي بقدر ما هو موقف أكثر تسامحًا تجاه النظام الطبقي عامّة. لدى الكثير من أصحاب الآراء الليبرالية استعداد للتوافق مع مطالب الأسرة الأكثر صرامة؛ حيث كشفت دراسة استقصائية على الشباب من أصل جنوب آسيا في لندن، على سبيل المثال، أن عدد الذين تبنوا نظرة إيجابية عن الزواج مختلط الأعراق كان أكبر بكثير من عدد الذين قد يرفضون الدخول في علاقات دون مباركة عائلتهم. وأصبح من الشائع أيضًا الزواج عبر الحدود الطبقية عندما تكون الطبقات المحددة متقاربة من بعضها بعضًا من حيث المكانة والدخل والثروة والتعليم باعتبارها عوامل أصبحت ذات أهمية في اختيار الشريك. غالبًا ما يتم تجاهل الطبقية في كثير من الأحيان في بعض مجتمعات المهاجرين الجديدة الأكثر فقرًا حيث يوجد عدد قليل جدًا من الشركاء من جنوب آسيا للاختيار من بينهم، - وأهم شيء في هذه الحالة هو عدم الزواج من شخص من خلفية عرقية مختلفة. وهناك أوقات يعلو فيها صوت النقود على قواعد الطبقية؛ نظرًا لأن الحراك الاقتصادي أصبح أقل اعتمادًا على العضوية الطبقية، فغالبًا ما يكون من المغري تزويج الأبناء إلى

أشخاص ميسورين الحال ينتمون إلى طبقة أخرى بدلاً من تزويجهم إلى أشخاص فقراء ينتمون إلى الطبقة نفسها.

من الناحية العملية، يوجد هنا محازاة مع العنصرية المسيحية لسيادة البيض، حيث إنه ليس من المقبول أن تمارس النساء من الطبقة العليا الجنس مع الرجال من الطبقة الدنيا والعكس صحيح. في حين أن العلاقات السرية للغاية بين النساء من الطبقة العليا وخدمهنّ الذكور من الطبقة الدنيا يمكن قبولها ضمنيًا، وغالبًا ما يذهب الرجال من الطبقة العليا علانية إلى المومسات من الطبقة الدنيا. كما أنه ليس من العجيب بالنسبة للرجال من الطبقات العليا أن يغتصبن النساء من الطبقة الدنيا من أجل إذلال الناس من الطبقة الدنيا عامّة.

يعطينا تنظيم ممارسة الجنس عن طريق النظام الطبقي مثالاً جيدًا حول كيفية تلاشي تعاليم بدأت بوصفها حظرًا واضحًا عندما أصبح من الممكن تجنبها أو عندما لعبت العوامل الأكثر أهمية دورًا بارزًا. تمت إعادة تفسير هذا الحظر بحيث ينطبق بشكل أساسي على الجنس العلني والجنس المشمول بعقوبات دينية؛ وفوق كل ذلك في حالة الزواج الذي فيه يجب الالتزام بقواعد الطبقية القديمة؛ القواعد التي يتم النظر إليها بدرجة من التراخي عندما تكون ممارسة الجنس في السر أو خارج إطار الزواج. عندما تتعلق القضية بالبغاء أو الاغتصاب الممنهج، فإن الدفع مقابل الجنس أو اغتصاب النساء من الطبقات الدنيا يؤدي إلى إذلال الطبقة الدنيا عن طريق الاتصال الجنسي، وتساعد مثل هذا الإهانة الجنسية للأفراد الأقل شأنًا من الناحيتين الاجتماعية والدينية على التأكيد على الفروق الطبقية، مما يجعل الممارسة أكثر قبولا لأولئك الذين هم في قمة الهرم الاجتماعي.

الطريقة التي انتقل بها النظام الطبقي وقواعده الجنسية إلى أجزاء معينة من البوذية والمسيحية والإسلام تعطي بعض الدلائل على مدى الأهمية والجاذبية التي لا يزال يجدها كثير من الناس في مثل هذه المواقف والاتجاهات. فهي تمثل هياكل راسخة يصعب الفكاك منها. لا ينبغي لنا أن نستهين بالأمن والثقة بالنفس اللذين ينبعان من إمكانية كونهما عوامل قادرة على تعريف البشر الآخرين على أنهم أقل شأنًا لمجرد حقيقتهم كأشخاص أو حقيقة الأشخاص الذين يمارسون معهم الجنس.

ممارسة الجنس مع المؤمنين الحقيقيين ومع الزائفين

وكما رأينا، يدين الإنجيل باستمرار ممارسة الجنس مع الأعراق الأخرى، وأثناء العصور الوسطى المسيحية، كان على الأرجح يتمّ حرق الرجال اليهود والنساء المسيحيات إذا مارسوا الجنس بعضهم مع بعض. في حين أنه من الصعب في كثير من الأحيان التمييز بين المحظورات الجنسية القائمة على الدين أو العرق أو اللون، في حالة الديانة اليهودية أو المسيحية، إلا أنّ الإسلام يلتزم بالقواعد التي تنظم السلوك الجنسي على أساس الانتماء الديني فحسب.

يُقدم القرآن الكريم إرشادات واضحة في هذا الصدد. يحظر أن يتزوج الرجل المسلم من امرأة مشركة ويحظر أن تتزوج المرأة المسلمة من رجل مشرك، ولكن إذا اعتنق هؤلاء المشركون الإسلام، فسيتم تصنيفهم تلقائيًا على أنهم مسلمون ويصبحون شركاء زواج مقبولين من فورهم. بالإضافة إلى ذلك، قد يتزوج الرجال المسلمون من النساء العفيفات من أهل الكتاب، أيّ اليهوديات والمسيحيات. لم يكن لدى النساء في الأصل حقّ معادل، وهو أمر يجب رؤيته في سياق تعريف الرجال على أنهم حماة للمرأة ومعيلين لها، أيّ قوّامون. إذا سُمح للمرأة المسلمة أن تتزوج من رجل غير مسلم فإن هذا قد يؤدي إلى وضع إشكالي لفرد مسلم كونه تابعًا لغير مسلم. ومع ذلك، يعتقد الكثير من المسلمين أنه يحق للنساء الزواج من الرجال المسيحيين أو الرجال اليهود.

اتخذت المناظرات حول كيفية ارتباط المسلمين جنسيًا بالمشركين أحيانًا أشكالًا أكثر غرابة. رأى الشاعر المسلم أبو نواس وعدد من الفقهاء الأوائل الذين ينتمون للمذهب المالكي أن إيلاج ومضاجعة الرجال المسيحيين واليهود من قِبل المسلمين كان وسيلة لإظهار تفوق الإسلام – وعليه، يمكن اعتبار هذا الفعل واجبًا أكثر من كونه خطيئة. ومن الناحية العملية، ذهبت العلاقات المثيرة جنسيًا للرجال المسلمين في أكثر من اتجاه؛ وكثيرًا ما كتب الرجال المسلمون قصائد حب للفتيان اليهود والمسيحيين، ولكن الرجال اليهود كتبوا أيضًا كتابات غزل مليئة بالحب والحنان إلى الصبيان المسلمين.

زاد عدد الزيجات بين المسلمين وغير المسلمين بالإضافة إلى المستويات النامية من الاندماج. وكانت الزيجات مختلطة الأعراق شائعة على الإطلاق في يوغوسلافيا السابقة، ويتزايد عدد المسلمين الذين يتزوجون من غير المسلمين في الولايات المتحدة مع كل جيل جديد ينمو في ذلك البلد. وبلغت نسبة المسلمين الأمريكيين المتزوجين من غير المسلمين 21% في عام 2001، وهي نسبة مماثلة لنسبة الكاثوليك الأميركيين المتزوجين من غير الكاثوليك.

لا تزال كثير من الدول تحظر على النساء المسلمات الزواج من رجال غير مسلمين، بينما لا يُسمح بالزواج في إسرائيل عبر الحدود الدينية، على الرغم من الاعتراف بهذه الزيجات بشرط إبرام عقود هذه الزيجات في الخارج. ويجب على أيّ شخص غير مسلم في ماليزيا، ذكرًا كان أم أنثى، يرغب في الزواج من مسلمة أن يعتنق الإسلام. حقيقة أنّ الأشخاص من جميع الانتماءات الدينية تميل إلى الزواج من الأشخاص الذين يدينون بعقيدتهم نفسها ليست بسبب القيود الدينية الصريحة والتقليدية فقط. يتمُّ تعريف الشبكات الاجتماعية، وبالأخصّ بين الأشخاص الذين يصفون أنفسهم بأنّ لديهم قناعات دينية قوية، في كثير من الأحيان على وجه التحديد انطلاقًا من حقيقة مفاداها أن أعضاء هذه الشبكات الاجتماعية يتشاركون في انتماء ديني، ولذلك ليس من العجب أن يجد الناس شركاء الزواج من العقيدة نفسها. وهناك بالطبع أشخاص الدين مهمّ بالنسبة لهم حتّى إنّ فكرة التمتع بالحياة مع شخص لا يشاركهم عقيدتهم هي ببساطة بديلاً من البدائل غير القابلة للتطبيق.

المحظورات الدينية ضد ممارسة الجنس مع أشخاص من ديانات أخرى تعيدنا إلى نقطة البداية لمناقشتنا حول القواعد الجنسية. إذا خضعت حياتك الجنسية للتنظيم، تخضع علاقتك بالشخص الذي ترتبط به على جميع المستويات للتنظيم أيضًا - بما في ذلك هؤلاء الأشخاص الذين سيكونون أطفالك وأحفادك. إذا كنت تمارس الجنس مع أشخاص ينتمون إلى الديانات الأخرى، وعلى وجه التحديد إذا تزوجت من أشخاص يدينون بأديان مختلفة، فلن تكون في حياتك اليومية قريبًا من أناس يتبعون ديانة مختلفة فحسب، ولكن على الأرجح أيضًا أن تواجه في حياتك الجنسية قواعد مختلفة تمامًا عن تلك القواعد الموجودة في دينك. وتتمثل إحدى المعضلات الأساسية في اتخاذ القرار حول الدين الذي يجب أن ينشأ عليه الأطفال. هناك أيضًا مشكلة تتعلق بما يحدث بعد الموت، حيث تعتقد الكثير من الأديان أن الزواج والعلاقات الأسرية تستمر بعد الموت؛ وماذا سيحدث إذا لم تكن زوجتك وأطفالك ينتمون إلى نفس الدين الحقيقي الذي تعتنقه؟

على الرغم من أن القواعد الدينية حول معتقدات الشركاء الجنسيين للمرء تشترك في النشأة التاريخية بوصفها عنصرية دينية جنسية - ليس أقلها لأن كثير من الديانات لها أساس عرقي - فهي تمثل في وقت واحد شيئًا مختلفًا تمامًا. في حين أن التنظيم الديني الجنسي وفقًا للانتماء الديني يعتمد على اختلافات واضحة بين أساليب حياة الناس، فإن العنصرية الدينية الجنسية تعتمد فقط على فهم دين معين للهويات الإنسانية.

تشترك جميع القواعد الدينية التي تحدد الأشخاص الذين يمكنك ممارسة الجنس معهم، سواء كان ذلك على أساس الجنس (النوع) أو اللون أو العرق أو الإثنية أو الطبقة الاجتماعية أو الدين، فجميعها تشترك في شيء واحد؛ فجميعها يعزز القاعدة الأساسية المهمة لكثير من الأديان، حيث توجد اختلافات بين الناس، وأن تُعطى القيمة المختلفة إلى الناس المختلفين استنادًا على هوية هؤلاء الأشخاص (أو كما يتم تعريفهم على أنهم كذلك). الجنس واللون والعرق والإثنية والطبقة والدين كلها عوامل تحدد استحقاق الأشخاص في إطار الرؤية الدينية العالمية. تساهم قواعد الجنس في دعم هذه التعريفات. لا ينتهك أولئك الذين يتخذون القواعد هذه الفروق المقدّسة بين الناس فحسب، بل يعرّفون أنفسهم أيضًا على أنهم خارج النظام بأكمله انطلاقًا من كسر حدود الهوية المنوطة بهم.

الفصل السابع

الجنس ما بعد العالم الفاني

في العصور اليونانية القديمة كان أمير طروادة جانيميد معروفًا ومشهورًا بجماله. وكان هناك إقرار عالمي على أنه «أجمل الرجال الفانين». وذات يوم اختفى. كان الجميع يبحث عنه وكان أبوه في حالة لا يُرثى لها إلى أن ظهر الإله هيرميس وأوضح أنه لا يوجد سببًا لليأس جرّاء اختفاء جانيميد- فقد مُنح جانيميد الخلود والشباب الأبدي. هذا نصف القصة فحسب. اختطف زيوس، الإله الأعلى، جانيميد «بسبب جماله». تختلف الأقاويل حول ما إذا كان زيوس قد اتخذ شكل نسر من أجل خطف جانيميد أم أنه ظهر في صورة رجل في منتصف العمر. وأيًا كان الأمر، فإن الإله الأعلى المتيّم لم يُحضر جانيميد إلى أوليمبوس Olympus فحسب ليحمل الكؤوس للآلهة في أعيادهم الإلهية - ولكن سوفوكليس يقولها صراحةً عندما يتحدث عن طروادة الشابة التي تثير مملكة زيوس بتنهداتها».

لا ينبغي إغفال الآلهة والملائكة والشياطين الذين يعيشون جميعًا على مسافات مختلفة من الجنس البشري في أيّ مناقشة تتعلّق بالأديان. ينشط كثير من هذه المخلوقات الخارقة جنسيًا بطرق مختلفة، سواء بعضها مع بعض أو مع البشر العاديين، كما كان زيوس في حالة جانيميد. إنّ الأجواء الخارقة للطبيعة التي توجد فيها الآلهة وما شابهها عادةً، وحيثما قد ينتهي بنا المطاف عندما نموت، كلها مناطق لا يُستبعد فيها ممارسة الجنس. ومع ذلك، فإن حقيقة وجود الجنس في هذه السياقات الخارقة التي تفوق طاقة البشر ليست السبب الوحيد وراء النظر إليها عن كثب فيما يتعلق بالجنس والدين. في كثير من الأحيان قد يُنظر إلى الطريقة التي تتصرف بها الآلهة من الناحية الجنسية والقواعد السارية في مثل هذه السياقات على أنها الصيغة النهائية والأساسية للقواعد الدينية الجنسية التي تطبق في الحياة على وجه الأرض. بالإضافة إلى ذلك، هناك غالبًا قواعد خاصة تتعلق بكيفية تصرف الإنسان عند مواجهته أول مرة جنسيًا من قبل هذه الكائنات الخارقة مثل الآلهة والملائكة والشياطين، عندما يُقال ويُفعل كل شيء بطريقة تختلف عن الطريقة التي يستخدمها الناس العاديون.

الجنس بين الآلهة

كان خلق الكون نفسه في كثير من الديانات غير التوحيدية نتيجة لنشاط جنسي. في الروايات المصرية، وبلاد الرافدين، واليونان وغيرها من الروايات المتعلقة بقصة الخلق، خُلق الكون من خلال مختلف الأزواج الإلهيين الذين انغمسوا في الجنس وأنجبوا الأطفال، الذين أصبحوا يشكّلون

مختلف العناصر. حتى عندما كان هناك إله واحد فقط في البداية، فغالبًا ما يُنظر إلى الجنس كجزء من عملية الخلق، وكما في الرواية الهليوبوليتية المصرية عن ري-آتوم Re-Atum، كان هذا الإله يخلق نسله من خلال الاستمناء: «قبل أن أكون قد لفظت شو Shu (إله مصري)، قبل أن أكون قد أخرجت تيفنوت Tephnut. أنا من يستمنى بقبضته، ويستثار بيديه. ولكن لم يقصر كثير من الآلهة أنفسهم على ممارسة الجنس الإنجابي؛ وبمعنى أعم وأشمل كانوا نشطين جنسيًا بدرجة كبيرة.

على الرغم من أن أعمال الآلهة الإغريقية التي ربما تكون مألوفة أكثر للعالم الغربي، إلا أن الحياة الجنسية للآلهة الهندوسية تقدم لنا مما لا شك فيه أهم الأمثلة عن الآلهة النشطة جنسيًا بين الأديان الموجودة اليوم. تعيش معظم الآلهة في علاقات جنسية مغايرة مع بعضهم بعضًا، على الرغم من أنه قد يكون من الصعب تقديم نظرة عامة شاملة عن الفاعل والمفعول به لأن هذا يمكن أن يختلف من مصدر إلى مصدر آخر ولأن بعض الآلهة لها، من بين عوامل أخرى، هويات متقلبة إلى حد ما. مثلما تفوقت الآلهة على البشر في معظم الأنشطة، فإنها تفوقت أيضًا في عالم الجنس. يمكن أن يكون الجنس بين الآلهة مثيرًا للإعجاب؛ وخير مثال على ذلك هو الجماع الجنسي بين شيفا وبارفاتي - فهو يدوم إلى الأبد وهو شديد لدرجة أن الكون كله كان يرتعش والآلهة الأخرى كانت ترتجف. غالبًا ما يتم تصوير الزوجين المغايرين جنسيًا الذين يمارسون الحب على أنهم كائن واحد مدمج.

إن حقيقة أن الآلهة في ديانة معينة يمارسون الجنس تعني بشكل عام أن هذا الدين يتبنى نظرة إيجابية تجاه الجنس. لكن الأفعال الجنسية كثيرة والمتنوعة للآلهة لا تقدم نماذج للبشر تلقائيًا. عندما كانت الآلهة مثل أفروديت وبارفاتي غير مخلصات جنسيًا لأزواجهن، فإن هذا لم يُعدّ سلوكًا مثاليًا؛ فقد نُظر إليهما كأمثلة للاعتداء الجنسي المقدّس. بينما خيانة هذا العدد الكبير من الآلهة الذكور لزوجاتهم، وإن لم تكن مثالية، كان ينظر إليها عادة على أنها مشكلة أقل. إنها تعادل الطريقة التي يُسمح بها في كثير من الأحيان بالنشاط الجنسي للذكور في العالم البشري أكثر من الحرية الجنسية للإناث. في حين أن علاقة سفاح المحارم بين إيزيس وأوزوريس التي انعكست من خلال الزيجات من الفراعنة، وفي العصور الهيلينية على الأقل، كانت نموذجًا للعائلات المصرية الأكثر ثراءً. لم تُعدّ زيجات المحارم التي تورطت فيها الآلهة البدائية كثيرة في كثير من الديانات الأخرى على قدم المساواة عادةً أمثلة يجب اتباعها. لم يكن زواج المحارم بين الأخوة من الآلهة الإغريقية الهامة زيوس وهيرا شيئًا كان من المفترض أن يقلّده الناس عمومًا، بل إنه تعرّض في بعض الأحيان للانتقاد على وجه التحديد لأنه كان بعيدًا كل البُعد عن المثالية.

على الرغم من وجود كثير من الآلهة الذكور والإناث الذين ما زالوا عذارى، إلا أن الإله في اليهودية والمسيحية والإسلام يعتبر إلهًا استثنائيًا بسبب اللاتزاوج واللاجنسية. ولأن هذه العقائد توحيدية، فالإله يظل الإله الوحيد في الكون وامتناعه الجنسي يعني أنه لا يوجد آلهه نشطة جنسيًا في هذا الكون. ومع ذلك، هناك بعض الوقائع التي يجد فيها الله نفسه في مواقف يمكن أن تكون جنسية

بسهولة، ولكن عند إمعان النظر فيها عن كثب، فإن هذه الوقائع تؤكد الامتناع الجنسي المطلق لله. فالحيوانات المنوية على سبيل المثال تعتبر من بين المكوّنات التي يستخدمها الله لخلق كائنات بشرية في القرآن الكريم، ولكن هذا الفعل لا يُعرض على أنه فعل جنسي على الإطلاق. تبدو الحيوانات المنوية مادة ضرورية لخلق البشر، ولكن الحيوانات المنوية لا تخص الله؛ إنها شيء يستخرجه الله من الصلصال. في المسيحية، عندما يتعلق الأمر بالجنس، فلم يحدث الجنس مع كائن إلهي آخر بل حدث مع امرأة فانية؛ السيدة مريم. وكما تم إخبار السيدة مريم في إنجيل لوقا: "الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ". ومع ذلك، فإن الفيصل هنا أن هذا ليس فعلًا جنسيًا على الإطلاق؛ الله يجعل السيدة مريم حُبلى دون ممارسة الجنس معها.

تعد اللاجنسية للإله التوحيدي مثالًا على الأفكار الأصولية ذاتها التي يمكن أن تؤدي إلى عواقب مختلفة تمامًا. في السياقات اليهودية والإسلامية، تعتبر عذرية الله الأبدية شيئًا يميز الله عن الجنس البشري لأن الجنس البشري ينبغي أن يكون نشطًا جنسيًا؛ وفي المسيحية، يُرى امتناع الإله عن ممارسة الجنس عملًا مثاليًا يجب أن يُتبع. يتم تعزيز اللاجنسية للإله في المسيحية في صورة ابنه المتجسد يسوع المسيح، الممتنع عن ممارسة الجنس أيضًا. وفي ضوء ذلك، هناك تشابه بين الرموز الإلهية الممتنعة عن الجنس في المسيحية والآلهة النشطة جنسيًا للهندوس والإغريق القدماء والأديان الأخرى التقليدية؛ في كل هذه الحالات، يعتبر السلوك الجنسي للألهه نموذجًا يقتدي به أتباع هذه الديانات.

الجنس بين البشر والكائنات الخارقة

على الرغم من أن الإله في المسيحية امتنع عن ممارسة الجنس حتى أثناء تسببه في جعل مريم العذراء حُبلى، إلا أن الآلهة الأخرى التي لا حصر لها كانت على علاقات جنسية مع البشر. تنشط كثير من الآلهة في بذل الجهود الرامية لإغواء الرجال والنساء على حدٍ سواء. لم يكن هذا أبدًا سمة يومية لأي دين، ولكنه يكشف بعدًا مختلفًا تمامًا عن النشاط الجنسي؛ يمكن أن تكون ممارسة الجنس مع الآلهة جزءًا من الواقع الديني الإنساني.

قصة العلاقة بين الإله زيوس والفارس الوسيم جانيميد قصة فريدة من نوعها على الإطلاق. يقدم الدين الإغريقي مجموعة من قصص الآلهة والبشر الذين يمارسون الجنس بعضهم مع بعض. عُرف عن كثير من الآلهة الإناث وجميع الآلهة الذكور تقريبًا قيامهم بمحاولات مستميتة ومستمرة لإغواء الرجال والنساء العاديين. والدليل القاطع والبرهان الساطع على وجود هذه العلاقات هو العدد الهائل من الأبطال والبطلات الذين كانوا نتاج هذه العلاقات بين المخلوقات الإلهية وبين البشر الفانين من الرجال والنساء. وارتبطت حقيقة أن مثل هذا العدد الكبير من البشر في العصور الأسطورية كان أحد والديهم إما إله أو إلهة بفكرة توافر القدرة الجنسية للآلهة التي كانت تظهر في كل مرة يمارس فيها الإله الجماع المغاير مع إنسان ويسفر ذلك عن الحمل. اتخذ زيوس أحيانًا شكل حيوان عندما

أراد ممارسة الجنس مع إنسان، وهو شيء في حد ذاته يعطينا مثالًا جيدًا على العدوان المقدس، حيث لا ينبغي للبشر عادة إقامة علاقات جنسية مع الحيوانات. عندما أراد زيوس إغواء أميرة أوربّا، حوّل نفسه إلى ثور، واتخذ هيئة بجعة من أجل ممارسة الجنس مع الأميرة ليدا. تظهر بعض الصور القديمة في المشهد أن الطائر المثار يغتصب ليدا تقريبًا.

من المهم أن نفهم أن الإغريق اعتقدوا أن هذه الشخصيات البطولية الأسطورية هي شخصيات تاريخية حقيقية. رغم أنه كان هناك اتفاق طفيف حول ما قام به هرقل وأوديسيوس وهيلين من طروادة بالضبط، إلا أن قلة من الناس شككت في وجودهم التاريخي. إحدى الأفكار التي تم قبولها عامّة باعتبارها موثوقة هي أن كثيرًا من هذه الشخصيات التي نعتبرها الآن أسطورية تورطت في ممارسة الجنس مع الآلهة. لعب يوليوس قيصر، على سبيل المثال، دورًا كبيرًا في حقيقة أن عائلته كانت، وفقًا لمصادر يونانية، نتيجة علاقة غرامية بين أنشيس محارب طروادة والإلهة أفروديت - فينوس عند الرومان. وبما أن الآلهة كانت نشطة جنسيًا مع البشر في المدة التاريخية، فليس هناك سببٌ للتشكيك في نشاطهم الجنسي أيضًا في الماضي البعيد. على سبيل المثال، أصرت والدة الإسكندر الأكبر على أنها حملت من زيوس في شكل ثعبان. وربما لأن الإمبراطور أغسطس لم يرغب في أن يبدو أقل أهمية من قدوته المكدوني، فقد انتشرت شائعات مفادها أن والدته حملت من أبولو في شكل ثعبان. اعتقد كثير من الناس أن الآلهة في شكل الثعابين كانوا أيضًا آباء الطاغية أريستومينيس حاكم ميسينيا وأراطوس حاكم سيكيون، بينما كان إيثيموس حاكم لوكري، الذي كان بطل الملاكمة الأولمبية في عام 427 قبل الميلاد، كان معروفًا أنه ابن إله النهر كاسينس. على الرغم من وجود الكثير ممّن أثاروا الشكوك حولها، إلا أن هناك الكثير من الأشخاص الذين صدقوا امرأة بونتانية في القرن الرابع قبل الميلاد عندما ادعت أنها أصبحت حاملاً بعد مضاجعة الإله أبولو.

تحتوي الهندوسية أيضًا على كثير من حالات ممارسة الجنس بين الآلهة والبشر، وربما أشهرها، العلاقة بين كريشنا والكثير من الجوبيات (راعيات الأغنام)، الجميلات. تم تصوير هذه العلاقة في الفن الهندوسي حيث يعزف الإله الأزرق الناي بينما تستمع الفتيات وهن في غاية الطرب والبهجة. ومع ذلك، فإن الأمور تتجاوز ذلك بكثير، حيث يمارس كريشنا الحب مع كل واحدة منهن: «إنه يُسعد الشابات بالعناق والأحضان، ويضربهن بيده وينظر إليهن نظرات مفعمة بالحب والابتسامات الساحرة». إنه يتكاثر ويضاعف نفسه في كثير من الأشكال بقدر ما هناك من نساء جوبيات (راعيات الأغنام الجميلات) بحيث يمكن أن يحقق الرضا لكل واحدة منهن إلى الأبد). هذا ليس مشهدًا باعثًا على الخجل. تختلف المصادر حول عدد الفتيات راعيات الأغنام اللاتي ضاجعهن كريشنا في ذلك اليوم، لكن هناك ميل إلى ارتفاع العدد مع كل مرة يتم فيها سرد القصة. في نهاية المطاف، أشيع أن كريشنا مارس الجنس مع 900000 من راعيات الأغنام.

ومع ذلك، فشلت كل هذه الجوبيات (راعيات الأغنام الجميلات) في إخماد رغبات الإله الأزرق وفي مناسبة أخرى يتزوج 16000 من العذارى أنقذهن من السجن من قبل شيطان بِهوما. في مناسبة أخرى، يحوِّل كريشنا نفسه إلى امرأة حتى يتسنى له الزواج من ابن أرجونا الذي يُسمى أرافان، الذي قطع على نفسه عهدًا أن يضحي بنفسه للإلهة كالي في اليوم التالي؛ اعتبرت الهيجرا في منطقة التاميل هذه القصة نموذجًا مقدسًا لحياتهم.

في هذه الروايات عن ممارسة الحب الكامل بين الآلهة والبشر، يمكننا أن نرى أن الهندوسية لا تفرق دائمًا بوضوح بين ما هو إنساني وما هو إلهي. في العصور الأسطورية، يوجد اتصال وثيق دائم بين الآلهة والرجال وحتّى اليوم يُعدُّ بعض الأفراد العاديين تجسيدًا للآلهة. وأحيانًا يتم فهم الاختلافات الكبيرة بين الناس في بعض الأحيان لمقارنة الاختلافات بين الآلهة والرجال. في الكاماسوترا، على سبيل المثال، يتم حض النساء على معاملة أزواجهن مثل الآلهة.

حتى لو امتنع إله إبراهيم عن ممارسة الجنس، فإنّ هذا لا يعني أن اليهود والمسيحيين والمسلمين يفوتون فرصة ممارسة الجنس مع كائنات خارقة للطبيعة. يخبر سفر التكوين: « أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. عادة ما يتم تعريف «أبناء الله» على أنهم ملائكة أقل أخلاقًا، وكان الاتصال الجنسي بين البشر والمخلوقات الإلهية بالتأكيد شيئًا سيِّئًا. اعتبرت كل من المصادر اليهودية والمسيحية أنّ الجنس غير الطبيعي من هذا النوع كان سببًا في حدوث طوفان نوح، وتمّ الربط بين علاقات مماثلة أخرى وكوارث أخرى. في عدد من النصوص اليهودية والمسيحية تكمن الخطيئة الأساسية لأهل سودوم في رغبتهم في ممارسة الجنس مع الملائكة الزائرين، وبصفتهم الملائكة - لا يجب أن يمارس البشر الجنس مع الكائنات الخارقة.

يعتقد بعض المسلمين أنّ الجنّ يهتمّون بممارسة الجنس مع البشر. الجنّ مخلوقات خارقة للطبيعة؛ لا هم بشر ولا هم آلهة، وربّما أشهر هذه المخلوقات هو جنّي المصباح في قصة علاء الدين. يشير القرآن الكريم، على سبيل المثال، إلى العذارى الذين لم يطمسهن إنس ولا جان. كان هناك خلاف بين المسلمين حول ما إذا كان يُسمح للنساء بالزواج من الجن، وكان الاستنتاج الأكثر شيوعًا هو أنه مسموح به لأنه لم يكن هناك حظر محدد عليه. لم يعد الجن يلعب دورًا محوريًا في الإسلام المعاصر، ولكن الأفكار عن الجن النشط جنسيًا، على سبيل المثال، لا تزال قائمة بين النساء في مصر. يمكن للشياطين في الإسلام ممارسة الجنس مع البشر في حين أن الملائكة تمتنع جنسيًا.

وفقًا للتقاليد المسيحية، تركت الملائكة الناس في سلام بعد زمن العهد القديم. ولكن كانت هناك إغراءات أخرى خارقة للطبيعة كانت خطيرة للغاية بما فيه الكفاية. وبعد أن بدأ أنطونيوس الكبير حياته المهنية المليئة بالزهد مباشرة في القرن الثالث الميلادي ولكن قبل أن يخرج إلى الصحراء، حاول الشيطان إغراء الرجل الصامد. في إحدى الليالي، ظهر الشيطان في صورة امرأة جميلة ومارست كل حيلها الغرامية لإغواء أنطونيوس. يبدو أنّ الشيطان قد ظنّ أنّ النساء قد لا يكونن

أنطونيوس ولذلك تبنى مظهر صبي أسود وسيم بدلاً من ذلك. ولكنّه أخفق أيضًا في إغراء الرجل الزاهد. وعندما خرج أنطونيوس إلى الصحراء، أصبحت الشياطين أكثر نشاطًا، ووفقًا للتقاليد اللاحقة، انطوى الكثير من النشاط الشيطاني على إغراءات جنسية. ومع ذلك لم يقع أنطونيوس ضحية أي من هذه المحاولات الشيطانية لإبعاده عن حياة الزهد.

ولو سلمنا جدلًا بأن الرقابة على الجنس لعبت دورًا رئيسيًا في المسيحية، فليس من العجب أن يعتقد الكثير من المسيحيين أن أعداء الله الخارقين كانوا يستخدمون الجنس لقيادة الرجال إلى الهلاك. يُظهر التاريخ أنه ليس لدى كل مسيحي ورع قوة أنطونيوس عندما يتعلق الأمر بمقاومة الإغراء الشيطاني. ولم تكن المخاطر موضع سخط. ويربط أغسطين في عمله العظيم بعنوان «مدينة الله» بين القصص التوراتية عن الملائكة الذين يمارسون الجنس مع نساء فانيات والمعتقدات اليونانية والرومانية التقليدية حول الأشخاص الذين يمارسون الجنس مع مخلوقات مثل الفاون والساتير والسيلفان، حيث إن هذه المخلوقات نصف حيوان ونصف إنسان وكانت تسكن في البراري. فهو يُسمِّي هذه المخلوقات غير المسيحية إنكوبوس (شياطين في هيئة بشر)، وبالتالي فإن منح أسماء معينة للشياطين النشطين جنسيًا التي قد تستمر في ممارسة الجنس مع المسيحيين حتى العصر الحديث. اجتمعت الشياطين النشطون مع الإسوكوبوس (الشياطين الإناث) اللائي- كن سلبيات جنسيًا ولكن أقل خطورة. في القرن الثالث عشر، استطاع الراهب السيسترسي قيصر الهسترباش أن يخبرنا بأن الراهبات الإسوكوبوس (الشياطين الإناث) قمن بالاعتداء الجنسي على الرهبان لدرجة أن بعض الرهبان لقوا حتفهم نتيجة هذا الاعتداء. في نفس الوقت تقريبًا، أوضح توماس أكويناس كيف استغلت الشياطين شركائها الجنسيين من البشر من أجل إنجاب أطفال شياطين. أول الأمر، يظهر الشيطان في شكل امرأة ويسرق مني الرجل عن طريق المضاجعة. ثم يتحوّل الشيطان إلى جسم رجل ويضاجع امرأة ويجعلها حُبلى. اعتقد اللاهوتي والأسقف القشتالي في القرن الخامس عشر ألونسو توستادو أن الشياطين استخدموا أيضًا أساليب تتسم بالبساطة؛ لقد جمعوا ببساطة مني الرجال الذين استمنوا وتسببوا في جعل النساء حوامل بالمني الذي جمعوه. هذه الأنواع من التكهنات العلمية لم تكن مناسبة للجميع؛ في عام 1520، استجوب جيوفاني فرانشيسكو بيكو ديلا ميراندولا امرأة تحدثت بحماس عن الشياطين التي منحتها رضاءًا جنسيًا أكبر بكثير مما يفعله زوجها.

سرد المحقق والراهب الدومينيكي هينريتش كرامر في كتابه المكتوب في عام 1487 بعنوان ماليوس ميلفيكاروم Malleus Maleficarum (مطرقة الساحرات)، باعتباره العمل المسيحي الأكثر تأثيرًا في السحر، الأفكار حول النساء اللائي مارسن الجنس مع الشياطين. درس كرامر الكتاب المقدس حرفيًا وربط بين الجنس الشيطاني في عصره وبين أبناء الله الذين مارسوا الجنس مع بنات الرجال قبل الطوفان. من وجهة نظر كرامر، كان هلاك الله لسدوم أيضًا نتيجة ممارسة السكان الجنس مع الشياطين. اعتقد كرامر أن السبب وراء إصرار القديس بولس على أن المرأة «يجب أن تغطي رأسها لأن الملائكة تراها» كان لضمان عدم إغراء الشياطين الشريرة لها كما كان

في زمن العهد القديم. واتفق كرامر أيضًا مع نظريات توماس أكويناس حول كيفية تلقيح الشياطين للنساء، ولكنه أشار في الوقت نفسه إلى أن هؤلاء الأطفال هم في الواقع أطفال الرجال الذين تم استخدام حيواناتهم المنوية. ومع ذلك، فإن إجراء التلقيح الشيطاني يعني أن الشياطين أتيحت لهم فرصة إصابة أجساد النساء وأرواح الأطفال. وبناءً على ما ورد في كتاب ماليوس ميلفيكاروم (مطرقة الساحرات)، كانت الساحرات فقط من يمارسن الجنس مع الشياطين. كانت النظرة التقليدية هي أن الشياطين الإنكوبوس، في شهوتهم، يولجون الرجال شرجيًا أيضًا. لكن كرامر لم يزعم فقط أن الشياطين اقتصرت على النساء فحسب؛ فقد أصر أيضًا على أنها امتنعت عن كل شيء باستثناء الجنس المهبلي.

حولت الشياطين نفسها إلى عشاق مفعمين بالحيوية والأناقة باستخدام «قوى الهواء». ولكن إذا كنت تريد ممارسة الجنس الشيطاني، فعليك الالتزام بقواعد معينة. يحكي كرامر عن فتاة عذراء كانت تتطلع لممارسة الجنس مع مجموعة من الشياطين الذين ظهروا بمظهر الشباب اليافع الجميل، لكن أجسادهم حلت واختفت في اللحظة التي رسمت فيها علامة الصليب. لم يؤسس كرامر أفكاره حول الجنس بين النساء والشياطين فقط على تكهنات الكتّاب السابقين فحسب، ولكنه اعتمد أيضًا على من اعتبرهم شهود عيان وعلى تقارير وبيانات شهود موثوقين» من عدد من القضايا القانونية التي حققها المحقق في كومو Como في عام 1485 (مما أدى إلى حرق واحدة وأربعين من الساحرات). لاقت وجهات نظر كرامر دعمًا من قِبل كبار قادة الكنيسة الكاثوليكية وفي أوائل عام 1484 أصدر البابا إنوسنت الثامن مرسومًا أفاد بأنه قد تم إخباره بأن كثيرًا من الناس من كلا الجنسين لم يعودوا يفكرون في الخلاص، وأنهم ضلوا الطريق وابتعدوا عن العقيدة الكاثوليكية، وأسلموا أنفسهم إلى الشياطين؛ الإنكوبوس والإسكوبوس في بعض أجزاء شمال ألمانيا، وكذلك في المقاطعات والبلدان والأقاليم والمناطق والأبرشيات في ماينز وكولونيا وتريير وسالزبورج وبريمن.

وورد أن آخرين مارسوا الجنس مع الشيطان نفسه. بدأت العلاقة بين الشيطان وفالديربورج هاوسمِنين (القابلة الألمانية التي أُعدمت بسبب السحر والشعوذة)، وهي عاملة من ديلينغن خارج آوغسبورج، عندما رتبت لقاءً جنسيًا مع رجل كانت تعمل لديه. التقيا في تلك الليلة في المكان الذي تم الترتيب له مسبقًا وأدركت فالديربورج أنها كانت تمارس الجنس مع الشيطان بمجرد أن رأت إحدى قدميه كانت عبارة عن حافر وبدا أن إحدى يديه كانت مصنوعتان من الخشب. عندما نطقت فالديربورج باسم يسوع المسيح، اختفى الشيطان على الفور. ومع ذلك، لا بد أن فالديربورج قد أغراها سحر الشيطان لأنها استمرت في ممارسة الجنس معه في مناسبات لاحقة، كما أنها وهبته نفسها روحيًا. كان الوعي بمثل هذه الأشياء سببًا في أن تلقى فالديربورج مصيرها بالحرق في 20 سبتمبر 1587.

بينما يبدو أن فالديربورج سمحت لنفسها بإغراء نفسها طوعًا، كان هناك آخرون انتهى بهم المطاف إلى مواقف أكثر تعقيدًا. في عام 1628، اعترف يوهانس جونيوس بممارسة الجنس مع

شيطان ظهر له في البداية في صورة امرأة عادية. وبعد مرور لحظات قلائل من اللذة والإثارة، غيرت المرأة الجميلة شكلها فجأة وأصبحت عنزة ناطقة، وهددت أن تقصم ظهر يوهانس ما لم ينكر وجود الله. على الرغم من أن يوهانس تعرض للخداع والتهديد من قبل الشيطان، إلا أنه عوقب بالإعدام في بامبرج في بافاريا.

لقد حاول عدد من عبدة الشيطان المعاصرين إعادة تجديد الاعتقاد بأنه من الممكن ممارسة الجنس مع الشياطين وكانت نقطة البداية أكثر من إيجابية إلى حدّ ما؛ لن يقتصر الأمر على ممارسة الجنس الجيد بشكل غير معقول ولكنّ الشياطين رائعون عندما يتعلق الأمر بالاستماع إلى كل مخاوفكم ومتاعبكم ومشكلاتكم ويمكن أن تساعد في كثير من الأحيان عن طريق إنزال العقاب على أعدائكم وتصحيح الأمور الخاصّة بكم. الشياطين عشاق مثاليون. من الواضح أن هذه نقطة انطلاق رائعة ولكن يتعيّن علينا أن نسأل ما إذا كانت هناك نصوص مثل هذه تعكس القناعة الحقيقية أم مجرد أضغاث أحلام.

يتضح التشابه المعاصر الأقرب للاعتقاد المنتشر على نطاق واسع في وقت سابق في الجنس الشيطاني والإلهي من قبل كثير من الناس الذين اقتنعوا أنهم مارسوا الجنس مع الكائنات الإلهية، وعادة ما كانوا في هيئة الجسم الطائر المجهول. على سبيل المثال، عندما زار الجسم الطائر المجهول الفرنسي للنبي رائيل الكوكب البعيد إلوهيم، وكان مستمتعًا بالراقصات العرايا اللاتي كن متاحات جنسيًا أيضًا. وأسوأ من ذلك هو البلاغات المتكررة عن أشخاص تعرّضوا للاختطاف على يد الكائنات الإلهية وتعرّضوا للاغتصاب أو التجارب الجنسية.

يمثّل التواصل مع الكائنات الإلهية اهتمامًا محوريًّا في كثير من الأديان، ويسعى أصحاب العقائد عن كثب لتحقيق ذلك عن طريق الصلوات والتضحيات والتعويذات. الآلهة تستجيب بطرق مختلفة. إنهم يتحدثون إلينا مباشرة، ويكشفون أنفسهم لنا شخصيًا أو يجلبون لنا الحظ أو ينزلون بنا الشدائد عن طريق التلاعب بمصائرنا أو قوى الطبيعة. في أسوأ الحالات، إذا تعرضوا للاستفزاز بشكل خاص، فإنهم يضربوننا ويقتلوننا. ولو سلمنا جدلًا بكل هذا، فإن ممارسة الجنس مع هذه الكائنات الخارقة أمر منطقي.

في الحقيقة، لم تعد فكرة أن البشر يمارسون الجنس مع الآلهة والشياطين منتشرة بقدر ما كان لها علاقة بتغير وجهات النظر المتعلقة بالنشاط الجنسي. إنها في المقام الأول نتاج أن الدين أصبح أكثر روحانية وأن عددًا أقل من الناس يعتقدون أن الآلهة والشياطين والكائنات المماثلة تتدخّل بشكل مباشر وبشكل ماديّ في حياتنا. وتكون تدخّلاتهم عامة غير مباشرة وأكثر حساسية. ومن ثَمّ، فإن فكرة أن البشر يمكنهم ممارسة الجنس مع هذه الكائنات لم تعد مقبولة.

يتّضح الاتصال والارتباط المؤكّد بين الجنس الخارق والفهم العام للدين فقط انطلاقًا من صورة الدين حيثما لا يزال كثير من أتباعه يعتقدون في ممارسة الجنس بين المخلوقات الخارقة للطبيعة

والبشر؛ في الأديان التي تنطوي على الجسم الطائر المجهول أصبحت الآلهة جزءًا من صورة العالم العلمي، ومن ثُمّ لا يوجد ما يمنعهم من ممارسة الجنس معنا.

الجنس من أجل الخلود

غالبًا ما كانت شهادات الأشخاص الذين مارسوا الجنس عن غير قصد أو دون رغبة مع الشياطين أو الآلهة أو غيرهم من الكائنات الخارقة للطبيعة تتسم بالإثارة والغرابة. ومع ذلك، سيكون وسيظلّ الأمر دائمًا استثنائيًا. الجنس من هذا النوع لن يكون أبدًا شيئًا قد يؤثّر في معظم الناس بشكل مباشر على الرغم من أنّ الأفكار المتعلقة به لعبت أحيانًا دورًا رئيسًا في النقاش العام. ما يحدث لنا بعد الموت هو شيء يؤثّر فينا بطريقة مختلفة تمامًا. يمكن لجميع أصحاب العقائد أن يتعلّقوا بفكرة ممارسة الجنس بعد الموت، بصرف النظر عمّا إذا كان ذلك ينطوي على الامتناع الأبدي أو ممارسة الجنس غير المحدود من أجل الخلود الأبدي.

ومن منظور إسلامي لا يوجد سبب لإيقاف ممارسة الجنس ببساطة بسبب الموت. حيث يعد القرآن الكريم الرجال المسلمين بأنّ العذارى الجميلات من الحور العين سوف يكن في صحبة الرجال في الجنة. هولاء النساء هم الحور العين؛ وهنّ النساء اللائي خلقهنّ الله فحسب من أجل الجنّة واللائي لم يعشن على الأرض مطلقًا، ومن المؤكد أنه لم يطمسهنّ إنس ولا جان قبل ذلك. ووفقًا للتقاليد الإسلامية، الحور العين ينتظرن بفارغ الصبر الأزواج الذين وعدن بهنّ، ويأخذهم رضوان، الملاك الرئيس خازن الجنة، أحيانًا إلى قمّة الجنّة حتّى يتمكن من النظر إلى أزواجهنّ على الأرض في ترقب وكلهنّ أمل.

في الأحاديث الشريفة، يشرح النبي محمّد (صلّى الله عليه وسلم) بمزيد من التفصيل أنه لن يكون هناك أيّ رجل بلا زوجة ؛ في الواقع، سيكون لكل رجل زوجتان. ستكون هذه النساء عذارى حوريات، وسيبلغ طول كلّ من الرجال والنساء سبعة وعشرين مترًا. لمّا كان الأزواج الأتقياء سيتمّ لم شملهم في الجنة، بعض هؤلاء النساء كنّ في الأصل نساء مسلمات عاديات استعدن شبابهنّ عند دخول الجنة. ذكر العالم والباحث القرآني السوري ابن كثير في القرن الرابع عشر أن جميع النساء في الجنة سيصبحن عذارى تلقائيًا مرة أخرى بعد كل اتصال جنسي. وعلى أيّ حال، اعتقد ابن كثير أنّ كلّ رجل سيمارس الجنس مع مئة عذراء كلّ يوم. سيكون هذا ممكنًا من الناحية المادية لأنّ كلّ رجل سيكون لديه قوة مئة رجلٍ. وفي حديث من الأحاديث الشريفة تشكّك العلماء المسلمون في صحّته، حيث زُعم أن النبي محمّد وعد بـاثنتين وسبعين زوجة لكلّ رجل في الجنّة.

الرواية القرآنية للشباب الجميل إلى الأبد مثل «اللآلئ» الذين يقدّمون المشروبات الرائعة في الكؤوس الجميلة، يُنظر إليها أحيانًا في التقاليد الإسلامية كدليلٍ على أنّ الجنس بين الرجال سيوجد أيضًا في الجنّة، لا سيما وأنهم كثيرًا ما يتمّ تقديمهم جنبًا إلى جنب مع كثير من العذارى النشطات جنسيًا فضلًا عن التركيز على جمال هؤلاء الشباب واستعدادهم للخدمة. لا يزال هذا هو السؤال

الحالي، وفي أوائل التسعينيات في مصر، ثار نقاش واسع النطاق، شمل بعضًا من أبرز العلماء في البلاد، فيما إذا كانت المثلية الجنسية والانتصاب الأبدي موجودين في الجنة أم لا.

النظرة المسيحية لنعم الجنة أكثر اعتدالا بكثير من النظرة الإسلامية. كما يفسر يسوع المسيح: «وَلكِنَّ الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلاً لِلْحُصُولِ عَلَى ذلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ..... لأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلاَئِكَةِ. ولو سلمنا جدلًا بأن الامتناع عن ممارسة الجنس يمثل المُثل المسيحية الأصلية، فلن نُفاجأ بأنّ القاعدة العامّة تنصّ على أنّه لن يكون هناك أيّ ممارسة للجنس في الجنّة أيضًا. ومع ذلك، لا يتفق جميع المسيحيين على هذا؛ المورمون، على سبيل المثال، الذين أولوا أهمية شديدة للخلاص من خلال ما يسمونه بالزواج السماوي، راسخين في اعتقادهم بأن الجنس في إطار الزواج سيستمر إلى الأبد.

ونظرًا لأن الموقف المسيحي العام بشأن الجنس هو موقف سلبي، فليس من العجيب أن تكون الأعداد المصنفة على حسب نوع الجنس في كثير من الأحيان في الجحيم، وهذا لا يعني أن الخطاة في الجحيم سوف يتمتعون بالطريقة نفسها التي كانوا يتمتعون بها على الأرض. بل على العكس تمامًا. النشاط الجنسي في الجحيم يستخدم بوصفه عقابًا فحسب. كثيرًا ما تُظهر صور البعث من الجحيم ويوم القيامة المفصّلة في العصور الوسطى بشكل متكرّر الشياطين الذين يمارسون التعذيب الجنسي على ضحاياهم. يبدو أنّ الإيلاج في الشرج، سواء باستخدام أشياء أو أجزاء من الجسم الشيطاني، شائعًا على وجه الخصوص. ونظرًا لأن التعذيب هو النوع الوحيد من النشاط الجنسي الذي يتمّ تصويره في المفهوم المسيحي للخلود، فقد تمّ تعزيز الرسالة السلبية عمومًا حول الجنس. في الحالة المثالية، يظلّ الجنس أمرًا يجب أن تمتنع عنه البشرية تمامًا؛ أي شخص يعتقد أنّ أيّ شيء مختلف قد ينتهي به الأمر إلى معاناة الخلود فيما يتعلّق بماهية الرعب الذي ينطوي عليه الجنس.

ربّما يعكس الافتقار إلى الأهمية الممنوحة للجنس فيما بعد هذه الحياة في الخطاب الديني اليوم حقيقة أنّ المعتقدات الدينية أصبحت أقلّ أهمية. هذا لا يختلف عن تراجع الإيمان لدى البشر الذين يمارسون الجنس مع الآلهة والشياطين. الجنس في المقام الأول هو نشاط بدني وإذا كان الخلود أمرًا روحيًا، يصبح من الصعب فهم كيفية وجود الجنس في مثل هذا النطاق.

ومع ذلك، لا يمكن تفسير الغياب المتزايد للجنس في الحياة الآخرة فحسب انطلاقًا من الإشارة إلى أنّ الدين أصبح أكثر روحانية – فالأفكار الدينية حول الجنس بعد كل ذلك ليست محدودة بما يمكن أن نفعله بأجسادنا المادية. حقيقة أنّ كثيرًا من أصحاب العقائد بالكاد يربطون الجنس مع وجودنا بعد الموت ليست أمرًا مفروغًا منه. عندما يكون الجنس شيئًا لا وجود له في الحالة المثالية الأبدية لأولئك المحظوظين بما يكفي للاختيار، وهذا يعني أنه يتمّ الحفاظ على قناعة دينية معينة؛ على سبيل المثال، حقيقة أن الخلود المسيحي يتمّ تقديمه باستمرار كما تشير حالة اللاجنس إلى وجهة نظر لا

لبس فيها مفاداها أن الجنس لا أهمية له في أيّ نوع من أنواع الحالات الإنسانية المثالية. الجنس لا يزال مسألة لا تستحق مكانًا في هذه الصورة الدينية. ينتمي الجنس إلى حالتنا الناقصة بوصفنا كائنات بشرية عابرة، وعندما نصبح مثاليين، لن نمارس الجنس أو نفوِّته. وفي ضوء ذلك، فإنّ التصوّرات الدينية للعلاقة بين الجنس والآلهة والحياة بعد الموت تخبرنا أكثر قليلًا عن العلاقة بين الجنس والدين عامّة.

الفصل الثامن

لأنّك تستحقُّه

غضب الله على السويد وسلّط على السويديين غضبه بعدة طرق وفقًا لكنيسة ويستبورو المعمدانية الأمريكية. والسبب الرئيس لغضب الله على السويد هو أن «السويد تحتضن [المثلية الجنسية] حتّى إنّها تعدُّ إحدى أكثر الدول «الصديقة للمثليين» في أوربّا وربّما حتى في العالم». وقيل إنّ تقنين المثلية الجنسية في عام 1944، وإقرار لوائح مناهضة التمييز لعام 1987، وإقرار قانون الزواج المدني لعام 1995، وإقرار حق اللوطيين والسحاقيات في اعتبارهم آباء بالتبني في عام 2002 وعقد مهرجان المثليين السنوي في ستوكهولم، كلها عوامل أثارت غضب الله. وأسهمت الحقيقة القائلة بأن السويد يوجد فيها أعلى معدّلات الطلاق في أن يكون الله ضدّ السويديين، وبالتأكيد لم يكن الربُّ راضيًا عندما قرّروا السماح بزواج المثليين في عام 2009. تعتبر عواقب قبول الحكومة السويدية «حكومة الشرّ» وقبول الشعب السويدي بكلّ هذه «الخطايا» الجنسية أسبابًا واضحة وفقًا لكنيسة ويستبورو المعمدانية. وتمثّلت هذه العواقب في إعصار تسونامي في ديسمبر 2004 الذي أودى بحياة أكثر من 500 سويدي الذي يعتبر بمثابة عقاب الله على هذه الأمة الشريرة، وكذلك عاصفة أغسطس 2008 التي تسببت في انقطاع الكهرباء عن 11000 منزلًا سويديًّا، والعاصفة على الساحل الغربي في يناير 2007 التي أسفرت عن مقتل ستة أشخاص، وعاصفة يناير 2005 التي أودت بحياة سبعة أشخاص، وحريق الديسكو في عام 1998 في جوتنبرج الذي أودى بحياة ثلاثة وستين شخصًا وغرق العبارة إستونيا Estonia عام 1994، التي أسفرت عن غرق 501 من السويديين.

على الرغم من أن بلدان الشمال الأوربّي الأخرى التي تشمل النرويج والدنمارك وأيسلندا تتبنّى تقريبًا الرؤية المتعلقة بممارسة النشاط الجنسي نفسها بين أشخاص من الجنس نفسه مثل السويد، إلا أن هذه الجماعة الأمريكية المعنية لم تستهدف هذه الدول بالطريقة نفسها التي استهدفت بها السويد. وباستخدام المنطق نفسه، فإن الفيضانات المختلفة والهزات الأرضية والانفجارات البركانية والحرائق وغيرها من الكوارث التي حلّت بهذه البلدان تعدُّ عقابًا من الله على مواقفهم الليبرالية تجاه المثلية الجنسية. تعتقد كنيسة ويستبورو المعمدانيه أنّه حتى الولايات المتحدة التي تظهر قبولها بصورة ملحوظة للوطيين والسحاقيات ولكنّه قبول أقل بكثير من القبول الرسمي، أثارت غضب الله للأسباب نفسها. وكانت إحدى النتائج أن «أرسل الله الطائرات» التي تحطّمت في مركز التجارة العالمي في الحادي عشر من سبتمبر 2001. كما يعدُّ إعصار كاترينا والحرب الكارثية في العراق أشكالًا من العقاب الذي أنزله الله. ومن أجل جعل الأميركيين يدركون حجم الأشياء السيّئة، سافر

أعضاء الكنيسة حول الولايات المتحدة وتظاهروا في جنازات الجنود الذين قتلوا في العراق بلافتات تقول «الله يكره الشواذ»، «الله يكره أمريكا» و«الحمد لله على هجمات 11 سبتمبر!»

تعدُّ كنيسة ويستبورو المعمدانية كنيسة صغيرة، على الرغم من أن لديها إستراتيجية إعلامية ناجحة للغاية. بيد أنّ الطريقة التي يُنظر بها إلى الروابط المنطقية بين الجنس غير المقبول والكوارث المختلفة والكوارث الطبيعية وغيرها من الأحداث الخطيرة ليست فريدة من نوعها. بالنظر إلى المدى الذي تركز فيه الأديان المختلفة على الجنس، ليس من العجيب أن يكون للجنس، في جميع الديانات التي تطبق قواعد خاصة بشأن الجنس، عواقب، على الأقلّ بمعنى أنه يحدّد ما إذا كنت أنت الشخص الذي يلتزم بالمبادئ الأساسية في دينه أم لا. ولأنه لا يوجد دين واحد إلا ويحوي بعض اللوائح والقواعد بشأن السلوك الجنسي، فإن للجنس عواقب وتبعات في كل دين تقريبًا. لا تمثّل قناعة كنيسة ويستبورو المعمدانية بأن الفيضانات الغزيرة والعواصف والحروب الناتجة عن ممارسة الجنس غير السليم فرقًا نوعيًا راديكاليًا عن الأديان الأخرى، بل مجرد اختلاف في الدرجة. في حين يعتقد بعض الناس أن سلوكك الجنسي يعرّف بك ما إذا كنت يهوديًا أو مسيحيًّا أو هندوسيًّا ملتزمًا، فإنّ الكنيسة المعمدانية الصغيرة المتدينة تخطو خطوة إلى الأمام وتعتقد أيضًا أن سلوكك الجنسي له عواقب في العالم المادي، وأحيانًا تكون هذه العواقب في شكل الكوارث الطبيعية أو الأحداث العالمية. الفرق الرئيس بين هذه الكنيسة المعمدانية وكثير من الطوائف الأخرى ليس هو الاعتقاد بأنّ الجنس له عواقب وتبعات لا تُحمد عقباها ولكنّ القناعة والاعتقاد بأنّ الظواهر الطبيعية ومسار التاريخ يمكن إدراجهما ضمن الظواهر التي تحكمها القوى الإلهية مباشرة.

عواقبُ ممارسة الجنس بعد الموت

ليس من الشائع جدًّا أن تدرج العواقب الدينية لسلوكنا الجنسي لتقديمها في تقرير الطقس أو نشرة أخبار السادسة. تهتمّ معظم المعتقدات بشأن عواقب الجنس بما هو وراء هذه الحياة؛ يرتبط سلوكنا الجنسي ارتباطًا وثيقًا بما إذا كنا سنحقق الخلاص أو التوبة، أو، بالنسبة لأولئك الذين يؤمنون بتناسخ الأرواح، الوجود الأفضل في المرة القادمة التي نولد فيها من جديد. حيث إن فكرة الوجود بعد الموت فكرة لم تدحضها أي أديان (أو، في هذا الصدد، ثبت وجودها)، ولذلك ليس من العجيب أنها تعكس أيضًا بعض الأفكار الدينية الجنسية نفسها التي تصر عليها مختلف العقائد والأديان. وإذا لم يكن للجنس عواقب في مرحلة يُفهم فيها عمومًا أن القوى الإلهية تتمتع بالسيطرة الكاملة، فما هى الغاية والمغزى من كل الأحكام الدينية المخصصة لتنظيم حياتنا الجنسية؟

يُعدُّ الاعتقاد بأنّ الجنس سيكون له بعض العواقب والتبعات التي ستستمر إلى الأبد اعتقاد مهم بشكل خاص في المسيحية. أشار يسوع المسيح نفسه إلى أن المطلقات وجميع الأفراد الذين مارسوا الجنس قبل الزواج أو خارج نطاق الزواج سوف ينتهي بهم المطاف إلى الجحيم: «فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي

جَهَنَّمَ». إذًا، سوف تُسنح الفرصة، وفقًا ليسوع المسيح، لنسبة ضئيلة من سكان العالم وفي انكماش باستمرار - ليس أقلّها في العالم الغربي – لدخول الملكوت. يقول القديس بولس بشكل قاطع (وبطريقة يمكن التنبؤ بها) أنّ «الزناة» هم من بين أولئك الذين لن يرثوا ملكوت الله. يعدّ سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتي أكثر وضوحًا قليلًا وصراحة ويشرح كيف أنّ «العاهرات» سيخضعن «للموت الثاني» بعد القيامة، بالإضافة إلى الخائفين والجبناء، والقتلة، والسحرة، وعبدة الأوثان والمشركين والأفاقين؛ سيتبوؤون مقعدهم جميعًا «في البحيرة المتقدة بالنيران والكبريت. سوف يعانون من هذا العذاب إلى الأبد.

كل هذا يعني أنّ الأشخاص الذين يعيشون في زيجات مغايرة جنسيًّا مع زوجة واحدة يمكن أن يتطلّعوا إلى الخلود وهم يراودهم الأمل (طالما أنهم ليسوا خائفين أو لا يروون الأكاذيب أو لا يرتكبون جرائم القتل العمد أو لا يعتنقون ديانات أخرى غير المسيحية). ولكن كما هو الحال في السياقات المسيحية، يُظهر سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتي أن عدم الانغماس في ممارسة الجنس على الإطلاق هو الخيار الأفضل إلى حدّ بعيد؛ أول من يتمّ طمأنتهم بالخلاص الأبدي سيكون مجموعهم 144000 رجلًا» لم يدنسوا أنفسهم مع النساء.

ومع مرور الوقت، نشأت عقوبات محددة للغاية بالنسبة للجنح الجنسية المختلفة. يقدم لنا النص المعروف بسفر الرؤيا لبطرس الرسول في القرن الثاني الميلاديالذي لم يكن من تأليف القديس بطرس مجموعة مختارة من عقاب الجحيم. وبالإضافة إلى أولئك الذين يُعاقبون بتهمة القتل العمد والبخل والشح والربا، نجد رجالًا ونساءً ارتكبوا الزنا معلقين من شعورهم أو من أقدامهم على التوالي فوق بحيرة من الطين المغلي. يُطارد الرجال الذين جرّبوا ومارسوا اللواط السلبي والنساء اللائي مارسن السحاق النشط مرارًا وتكرارًا وصولا إلى حافة الهاوية ورميهم فيها. ومع ذلك، لم يتم ذكر الرجال الذين لعبوا دورًا نشطًا في المثلية الجنسية والنساء اللائي مارسن السحاق السلبي، لذلك من الممكن ألا يكونوا في الجحيم على الإطلاق.

على مدار تاريخ المسيحية كلّه، استندت الفنون الكنسية والقصص الشعبية على فكرة وجود عقوبات خاصة على الخطايا الجنسية المحددة. تعتبر الكوميديا الإلهية لدانتي واحدة من الأعمال الأكثر تأثيرًا من هذا النوع التي فيها يعدُّ السلوك الجنسي عاملًا حاسمًا في تحديد ما إذا كان سينتهي المطاف بالناس إلى الجنّة، أو الجحيم، أو المطهّر (الحاجز بين الجنّة والنار). يمكن العثور على الأشخاص الذين سمحوا لأنفسهم التغلّب علي الشهوة الجنسية المغايرة قبل الزواج أو في خارج إطار الزواج في الطبقة الثانية من الجحيم، حيث تهبّ أرواحهم عن طريق رياح عنيفة دون أن يتمكّن العشاق من الاتصال بعضهم ببعض. في الطبقة السابعة، تحت الزنادقة والقتلة والمغررين، نجد أن اللواطيين يعاقبون بالمطر الأبدي الناري. يمكن العثور على المغررين، الأشخاص الذين استخدموا الجنس أو الحب لخداع الآخرين في الطبقة الثامنة من الجحيم. ومع ذلك، يوجد أولئك

الذين ارتكبوا خطايا جنسية خفيفة أسفل السماء مباشرة، في الشرفة العلوية للطبقة السابعة من المطهر (الحاجز بين الجنة والنار).

وما ينطوي عليه كلّ هذا هو فكرة أنّ الناس سوف تُكافأ في الحياة الآخرة الأبدية لعدم الانغماس في ممارسة الجنس غير السليم. في الواقع، يمكن أن تكون مشاهدة عقاب الآخرين جزءًا من المكافأة. عندما رأى القديس الورع برناردينو في مدينة سيينا Siena حماسة المتفرجين في حرق اللوطيين في فينيسيا في بداية القرن الخامس عشر، قارنهم بالأرواح المباركة في الجنّة [الذين] مجّدوا بمنتهى السعادة وهم يشهدون عدالة السماء عندما رأوا الخطاة يعاقبون في الجحيم إلى الأبد. وبعبارة أخرى، فإنّ المتقين الذين يخشون الله ويخافونه ويتذوّقون هراء الأفلام السيئة والتعذيب العلني لديهم الكثير ليتطلعوا إليه.

لا تزال فكرة أن الناس سوف ينتهي بهم المطاف إلى الجحيم بسبب النشاط الجنسي غير المقبول موجودة في المسيحية. عندما توفّي ماثيو شيبارد، البالغ من العمر 21 عامًا، في عام 1998 بعد أن تعرّض للتعذيب الوحشي على يد رجلين لمجرد أنه كان لوطيًّا، ثم تركاه يواجه الموت مربوطًا بسياج في جزء منعزل في منطقة وايومنج، عرف الكثير من المسيحيين أنّ خطأه كان سبب مصيره حقًّا. لم يعبر جميعهم عن ذلك بوضوح مثل أعضاء كنيسة ويستبورو المعمدانية الذين، يرغبون في إنقاذ الآخرين من الخطيئة، ظهروا في جنازة شيبارد يحملون لافتات مفاداها «أن جسد ماثيو شيبارد سيتفحم في الجحيم!» قد يكون من غير الشائع قول مثل هذه العبارات على الملأ وفي الأماكن العامة الآن ولكن كنيسة ويستبورو المعمدانية ليست بالتأكيد وحدها. يخبر إيمانويل تشوكوما، الأسقف الإنجليكي في مدينة إينوجو في نيجيريا، علنًا الكهنة اللوطيين أنه سينتهي بهم المطاف إلى الجحيم وسيكشف البحث السريع عن الإنترنت عن كثير من الأشخاص المعروفين الذين يقولون أشياء مماثلة. يرى جون هاجي، المبشر التليفزيوني الأمريكي اللامع، الذي يتبنّى نهجًا أكثر لاهوتية أنّ عدوَّ المسيح سيكون «مثلي الجنس» و»يهوديًّا جزئيًّا».

تمثل العروض التقديمية لمنازل الجحيم، وكما هو معروف، التي تنظمها الكنائس الإنجيلية في جميع أنحاء الولايات المتحدة وفي عدد من البلدان الأخرى محاولة عصرية أخرى في الوقت الحالي لاستلهام النشاط الجنسي المسيحي الصحيح. وانطلاقًا من العمل على مبدأ المنازل المسكونة نفسه بالأشباح في أرض المعارض، توجّه منازل الجحيم الدعوة إلى الأطفال والشباب للقدوم وللقيام بجولة لمشاهدة مجموعة من اللوحات والصور التي توضح مجموعة متنوّعة من حالات «الخطيئة»، إلى جانب الصور التي تصوّر الجحيم ولا تختلف هذه الصور عن تلك الصور المذكورة في سفر الرؤيا لبطرس الرسول أو الكوميديا الإلهية لدانتي. غالبًا ما يتمُّ تثبيت أفلام منازل الجحيم عن طريق شراء صفقة شاملة على الإنترنت مقابل 299 دولارًا، باستثناء الضرائب. في العرض التقديمي القياسي، على سبيل المثال، نقابل ستيف الشاذ جنسيًّا الذي يتلوّى تحت وطأة العذاب الأبدي في الجحيم بعد الموت بسبب فيروس الإيدز. والشخصيات الأكثر إثارة للدهشة، ربما

هي فتاة وقعت ضحية لسفاح المحارم ومراهقة تعرضت للاغتصاب بعد أن سكرت حتى الثمالة- فكلاهما سواء في الجحيم بعد ارتكاب الانتحار. إنّ درجة العنف والمعاناة في مشاهد الجحيم المصوّرة تصويرًا جرافيكيًا شديدة الوضوح حتّى إن عددًا من علماء النفس وصفوها بأنها مثيرة للقلق. ولكن كما يشير كاهن من تكساس، قام بإنشاء منزل من منازل الجحيم بالإضافة إلى أبرشيته، إن درجة الرعب والمعاناة تعدُّ ضرورة لتأكيد رسالة مفادها أن بعض الأعمال المحددة قد يكون لها عواقب معينة في «مكان حقيقي يسمّى الجحيم».

بالنسبة لغالبية المسيحيين، هناك دائمًا إمكانية أن يغفر الله لهم إذا تابوا وأنابوا. نادرًا ما يفوت الأوان لإنقاذ نفسك من معاناة الجحيم. حتى إذا رأيت نفسك في إحدى حالات «الخطيئة» المصوّرة في منازل الجحيم، فلا يزال هناك أمل إذا تبت وأنبت. وعندما تساءل كريستيان هالسبي، أستاذ اللاهوت الذي أثار جدلاً كبيرًا في النرويج حول الجحيم في عام 1953 كيف يمكن لأيّ شخص «لم يتب» أن يذهب إلى سريره ويخلد إلى النوم بهدوء في الليل» عندما «لا يعلم ما إذا كان سوف يستيقظ في الصباح في السرير أو في الجحيم - أصرّ على أن شخصًا ما «يجلس هناك وقد ارتكب خطيئة مميتة» لا يزال بإمكانه أن ينجو من الجحيم إذا تاب.

لم تعد المناقشات حول الجحيم تلعب نفس الدور المركزي الذي لعبته في النقاش المسيحي السائد، ولكن الجحيم يظهر بقدر قليل في سياقات عامة في كثير من الأوساط. غالبًا يواجه اللواطون والسحاقيات الذين تتزايد أعدادهم في المجتمعات المحافظة مخاطر الجحيم. عندما عُرف أرنفين نوردبو، الذي شغل منصبًا مهمًا في الأوساط المسيحية المحافظة في النرويج كمغني ترانيم، بوصفه مثلي الجنس، عرّفه الكثير من المسيحيين الأتقياء المكان الذي اعتقدوا أنه سيكون مصيره الأبدي. لا أحد [في الأوساط المسيحية المحافظة التي نشأت فيها] قدم لي أي دعم فيما عدا قيام شخص أو اثنين بعدم ذكر الجحيم، وقال نوردبو: «كانت الرسالة العامة في جميع ردود الفعل كثيرة هي: نحن مغرمون بك تمامًا كما كنا من قبل ولكنك تعيش في الخطيئة ويجب أن تتوب – وإلا، فسوف ينتهي بك المطاف إلى الجحيم».

لقد أدّى التركيز المتزايد على المساواة وحقوق الإنسان إلى أنّ كثيرًا من الأشخاص من الجنسين المغايرين يعرضون خلاصهم للخطر ببساطة انطلاقًا من دعم حقوق المثليين جنسيًّا. في النرويج، على سبيل المثال، أظهر النقاش الدائر حول قانون الزواج لعام 2009 الذي يشمل كلّ من المغايرين جنسيًّا والمثليين جنسيًّا أنّ مجردَ تأييد المساواة يمكن أن يكون له عواقب أبدية. تلقى أعضاء البرلمان الذين وافقوا على القانون رسائل تهديدٍ عبر البريد إلكتروني والمكالمات الهاتفية تحذّرهم ممّا يحمله لهم المستقبل. اشتمل المحتوى الأكثر شيوعًا للرسائل على تهديدات بالقتل والبيانات التي توحي بأنه سوف ينتهي بهم المطاف إلى الجحيم. حتى توثيق المثلية الجنسية قد يعرض روحك للخطر. حذر المسيحيون الأتقياء المسؤولين لعدم إقامة معرض في متحف أوسلو للتاريخ الطبيعي

في عام 2006 من أنّ لهيب الجحيم ينتظرهم؛ المعرض كان حول النشاط الجنسي للكائنات من الجنس نفسه بين الحيوانات.

غالبًا ما يكون الاعتقاد بأنّ الجحيم ينتظر أولئك الذين يمارسون الجنس مع أشخاص من الجنس نفسه اعتقادًا ذاتيًّا ويمكن أن يؤدّي إلى القلق الشديد والحصر النفسي واحتقار الذات، وأحيانًا إلى حدّ أنّ المسيحيين المثليين والمثليات يفضلون الانتحار بدلاً من العيش مع خطر اللعنة الأبدية. تظهر الأبحاث أنّ محاولة حلّ هذه المعضلات عن طريق الاتصال بالدوائر الدينية الرقابية يزيد من خطر الانتحار. هناك كثير من الأمثلة على المأساة الشخصية وفيلم من إخراج تروند وينتركيائير وجان دالتشو الذي عُرض في عام 2000 عنوانه «القذارة، والخطيئة والذات»، حيث تعطينا هذه الأمثلة نظرة ثاقبة ونادرة حول كيفية تحول الأمور وتغير دِفة الأشياء. في الفيلم، نلتقي الوالدين والإخوة وأصدقاء بيورن إريك، وهو شاب مسيحي اختفى دون أثر في عام 1992. تشير رسالة الوداع التي تركها إلى أسرته إلى أنه انتحر. أخبرنا بكلماته الخاصة، أننا يمكن أن نسمع روح بيورن إريك التي تتألم بسبب إدمانه للمثلية الجنسية ويأسه وفقدان الأمل. تعتبر «القذارة، والخطيئة والذات» بمثابة الكيفية والطريقة التي فكر بها بيورن إريك في نفسه، وتعدُّ الصورة الذاتية التي تعكس الكثير من التعاليم المسيحية المحافظة في ذلك الوقت.

كان للإسلام موقف إيجابي تجاه الجنس أكثر من المسيحية منذ البداية ولكن لا تزال هناك أوجه تشابه بين الآراء الإسلامية والآراء المسيحية للخلود. فكرة أنّ الجنة والجحيم مبنية على مجموعة من المستويات، على سبيل المثال، يمكن العثور عليها في الأوصاف الإسلامية التي سبقت دانتي وربّما تأثر بها الشاعر الإيطالي. وفقًا للقرآن الكريم، فإنّ الجحيم في الإسلام هو في المقام الأول مكان للكفر، مكان لأولئك الذين يضعون الحواجز في طريق الإسلام، ولكن هذا لا يعني أن المذنبين جنسيًّا سيعاقبون في هذه الحياة فحسب. يشير القرآن إلى أنّ «العقوبة تكون ضِعفين يوم القيامة» بالنسبة للأشخاص الذين يرتكبون الزنا، على الرغم من أنه يشدّد أيضًا على حقيقة أن الله سوف يغفر لمن يتوبون. نادرًا ما يفوت الأوان؛ حتى في لحظة الاحتضار، لا تزال هناك فرصة لتظهر الخشية لله، ثم تدخل الجنّة مباشرة. حقيقة أنّ رحمة الله تسبق غضبه موضوع متكرّر في الإسلام - وهو موضوع يُرمز له بأن الجنة لها ثمانية أبواب بينما للجحيم سبعة أبواب فقط.

نظرًا لأن السلطات الدينية الإسلامية تلتزم عمومًا بأمانة نصوصها، فإن الأفكار الواردة في هذه الكتابات فيما يتعلق بالعواقب والتبعات الأبدية لأنشطة جنسية معينة للفرد لا تزال وثيقة الصلة. وينعكس هذا أيضًا بين غالبية المسلمين بالطريقة نفسها التي لا تزال تجعل مفاهيم الجنة والجحيم أساسية ومحورية في كثير من الأوساط المسيحية. على سبيل المثال، يتحدّث الشباب البريطاني الباكستاني المسلم عن كيفية تربيتهم على الاعتقاد (وبالفعل يعتقدون) أنهم سينتهي به المطاف إلى الجحيم إذا انتهكوا القواعد الإسلامية المختلفة، بما في ذلك القواعد المتعلّقة بممارسة الجنس.

توضح قوانين مانو في الهندوسية القديمة أنّ الرجال البراهمة (أبناء الطبقة العليا) الممتنعين عن الجنس سوف يدخلون الجنّة حتّى لو لم يكن لديهم أيّ أبناء، وكذلك الأرامل اللاتي يمتنعن عن ممارسة الجنس بعد وفاة أزواجهنّ. تفقد النساء اللائي يمارسن الجنس بعد أن أصبحن أرامل مكانهنّ في الجنة تلقائيًّا. ولكن يجب أن يكون الرجال حذرين أيضًا؛ لأنّ الرجل الذي ينتمي إلى الطبقة العليا ويتزوج امرأة تنتمي إلى الطبقة الدنيا سوف يذهب مباشرة إلى الجحيم. تكشف الهندوسية أيضًا أن مواقف حياتنا الحالية يمكن تفسيرها في الغالب انطلاقًا من سلوكنا الجنسي في حياتنا السابقة. توضّح قوانين مانو أن النساء غير المخلصات سوف يُولدن من جديد في صورة بنات آوي يُعذبن بالمرض- وفقًا للنصّ نفسه، ومع ذلك، فإنّ الرجال غير المخلصين أقلّ قلقًا بشأن ذلك. سيولد الرجال من الطبقة العليا الذين يضاجعون نساءً من الطبقات الدنيا من جديد كأرواح معذبة؛ وسيولد الرجال الذين ينامون مع زوجات معلموهم من جديد مئات المرات مثل النباتات والوحوش البرية قبل أن يتمكّنوا من الولادة من جديد كبشر مرة أخرى. في ملحمة ماهابهاراتا Mahabharata يحكي الإله شيفا عن عواقب الكارما لمختلف الممارسات الجنسية. سيصاب الرجال المنحلون الذين يجامعون نساءً ينتمين إلى طبقة أعلى من الطبقة التي ينتمون إليها، أو الذين ينامون مع زوجات معلميهم، بالعُنّة في الحياة القادمة. يستحق الأشخاص المكفوفون أن يكونوا كذلك، فقد يولدوا من جديد بهذه الطريقة لأنهم اشتهوا زوجات الرجال الآخرين في حياتهم السابقة. الحقيقة المجردة في أن ينظر الرجل إلى النساء العاريات تتسبب في إصابته طوال حياته القادمة بأمراض مستمرة لا يُشفى منها. ويبدو أن رهاب المثلية الجنسية في الهندوسية الحديثة كان في المقام الأول نتيجة للسياسات الاستعمارية المسيحية، وتجدر الإشارة إلى أن الكتابات الهندوسية الكلاسيكية لا تشير بالتحديد إلى النشاط الجنسي بين الأشخاص من الجنس نفسه على أنّه يؤدّي إلى كارما سيّئة (عدم تتابع التطهر).

تتبنّى البوذية واليانسينية Jainism وجهة نظر مماثلة للهندوسية فيما يتعلّق بالطريقة التي تجعل لسلوكنا الجنسي في هذه الحياة عواقب وتبعات على كلّ من التناسخ وعلى وعينا عند الموت. الامتناع عن ممارسة الجنس هو العنصر الرئيس لتحسين الكارما في اليانسينية؛ يمكن أن يؤدّي إلى حياة أطول، والتنوير، والبقاء في السماء وتناسخ أفضل. أشار بوذا نفسه إلى أنّ النشاط الجنسي المغاير يمكن أن يؤدي إلى الجحيم. وبقدر ما يتعلق الأمر بالبوذية، ستكون أسوأ العواقب بعد هذه الحياة نتيجة أشكال مختلفة من السلوك الجنسي المغاير؛ فالرجال الذين يضاجعون زوجات الرجال الآخرين أو أولئك الذين يستخدمون أجزاء غير مسموح بها من الجسم سوف يعاقبون عن طريق ميلادهم من جديد في صورة نساء. عندما توفيت ابنة الملك التبتي تريسونج ديتسن في القرن الثامن عن عمر يناهز ثمانية أعوام، أوضح الراهب الأسطوري بادماسامبهافا Padmasambhava أنّ السبب في موتها هو أنّها كانت راهبة ذكورية في حياة سابقة وقد ثار جنسيًّا لرؤية كلبين يتزاوجان حتى مارس الجنس مع امرأة متزوجة. وهذا، إلى جانب حقيقة أنّها (كراهب) قتلت أحد الكلبين بنفسها، مما يعني أنه قد تتناسخ روحها في امرأة 500 مرة بالإضافة إلى معاناتها من محن أخرى

كثيرة. وبتعبير آخر، عندما توفيت الفتاة البالغة من العمر ثماني سنوات، كانت تتلقى ببساطة ما تستحقّه.

ومع ذلك، فإنّ تناسخ روحها كامرأة لا يعني أفول الأمل؛ لأنّه إذا كانت تتمتّع بأخلاق حميدة وقمعت شهواتها الجنسية، فقد تكون المرأة المحظوظة بما يكفي لتولد من جديد في صورة رجل. إن حقيقة كونك تولد من جديد كامرأة تُعدُّ عقابًا يخبرنا شيئًا ما عن مكانة المرأة في النظام البوذي، ولكن هناك أيضًا مصائر أخرى غير مرغوب فيها يمكن تفسيرها بالجنس في الوجود السابق؛ إذا كان أحدهما على سبيل المثال يمارس الجنس غير السليم في وجود علاقة أنثوية قد ينتهي الأمر بأحدهما كرجل مخنث.

يتعرّض الرجال البوذيون الذين ينامون مع زوجات الرجال الآخرين لخطر الجحيم، حيث يُجبرون على الصعود مرارًا وتكرارًا إلى شجرة مغطاة بالأشواك تجلس امرأة في أعلاها. سوف تُحفر الأشواك بعمق في جسد الرجل وهو يتسلق الشجرة حتى لا يبلغ المرأة. وهذا شهده الراهب التايلاندي الشهير فرا مالاي، الذي زار الملكوت والجحيم وعاد ليخبرنا عنهما. يمكن أيضًا رؤية شجرة الأشواك التهذيبية ومتسلقيها تعسي الحظ مصورة في فنون المعبد في أجزاء كبيرة من العالم البوذي.

وفقا للبوذية الصينية التقليدية، فإن الرجل الذي يرتكب زنا المحارم مع والدته سيعاقب في سبعة أنواع من الجحيم المختلف. أما إذا ضاجع أخته، فلن تكون العواقب وخيمة للغاية. من أجل إعادة التناسخ، سيتعين على كثير من البوذيين قضاء بعض الوقت في الجنة أو في الجحيم اعتمادًا على مدى اتباعهم للقواعد البوذية، والأوامر الجنسية التي لها أهمية خاصة.

عندما يؤدي السلوك الجنسي إلى عواقب بعد الموت، فهذا يعني أننا نتصرف بشكل كامل ضمن رؤية العالم الديني. ولكن حقيقة أن الجنس السليم أو غير السليم يمكن أن يؤدي إلى الخلاص أو اللعنة لا تعني أن الجنس يقع في فئة خاصة به – يمكن أن يكون لمجموعة كاملة من الأنشطة الأخرى عواقب مماثلة. وحقيقة أن الخطاب المسيحي الحالي حول الجحيم يبدو أنه يهتم بشكل خاص بأنواع معينة من الجنس ليس بسبب وجود علاقة خاصة بين الجنس والخلود، وبالأحرى يتعلق الأمر بمستوى الاهتمام المتزايد الذي يوليه هؤلاء المؤمنون للنشاط الجنسي. يكشف هذا أيضًا عن شيء ما حول الدافع وراء بعض التحريض الديني الأكثر تطرفًا ضد أنواع معينة من الجنس؛ كنتيجة لمعتقداتهم وقناعاتهم الخاصة، حيث يحاول المؤمنون ببساطة إنقاذ الآخرين من الجحيم - حتى لو اضطروا لقتل هؤلاء الآخرين.

إن الاعتقاد بأن بعض أنواع الجنس ستؤدّي حتمًا إلى اللعنة الأبدية، فهذا يمثل بالتالي شكلاً متطرفًا من الإدانة الدينية العامة لمثل هذه الأفعال. وبالتالي، تعكس التغييرات في تصور العواقب الأبدية للجنس التغيرات في المشهد الديني الجنسي العام؛ إذا أدان الكثير من المؤمنين الأنواع غير

السليمة من السلوك الجنسي المغاير في هذا العالم بدرجة طفيفة، فلن يكون لهذه الأنواع العواقب نفسها في الخلود. ينعكس التركيز الذي تصبّه كثير من الجماعات حاليًا على المثلية الجنسية باعتبارها الجنس غير المناسب الذي يفتقد إلى المثالية في رؤية تلك الجماعات نفسها عن العواقب الدينية الجنسية في الجحيم.

وعلى العموم، وبالنظر إلى المستويات الأعلى من قبول الجنس الرضائي بوجه عام، فالفكرة القائلة بأن الجنس عامل حاسم في الآخرة تفقد جوهرها بين المؤمنين من جميع الفئات والأنواع.

عواقبُ الجنس في هذا العالم

لا نحتاج دائمًا إلى الانتظار بعد الموت لنكتشف كيف تتفاعل القوى الإلهية مع أنواع مختلفة من الجنس. فالجنس الذي قد سبّب الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي يعتبر حقيقة لا جدال فيها لكنها لا تمنع الكثير من المتدينين من رؤية انتشار الأمراض التناسلية كدليل على وجود يد إلهية صارمة في كل ما يحدث. والإيدزهو، بالطبع، المثال الأسمي في العصر الحديث، ولكن حذرت الجمعية العامة لكنيسة اسكتلندا ،الوبائي الإيدز مرض في عام 1980، حتى قبل انتشار الحرة من أن «زيادة الإصابة ببعض الأمراض المنقولة جنسيًا تشهد على حقيقة حكم الله العادل». لذلك يمكن اعتبار الإصابة بمرض السيلان والكلاميديا عقابًا ينزله الله. أعلن جيري فالويل، المبشر الأمريكي صاحب النفوذ وزعيم منظمة حشد التأييد المسيحية المحافظة والأغلبية الأخلاقية، » صراحة أن الهربس هو «حكم الله على المجتمع الذي نسى الله

تعتبر هذه الأفكار الحالية حول الأمراض المؤلمة غير المميتة التي تنتقل بالاتصال الجنسي معتدلة إلى حد كبير عندما نقارنها بالمزاعم الكاسحة المتمثلة في العقاب الإلهي عن الخطيئة التي سمعت في الأيام الأولى من انتشار وباء الإيدز. وفقًا لتصريح رسمي صادر عن قيادة كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة عام 1988، فإن المِثلي المصاب بفيروس الإيدز كان يعتبر شيئًا مختلفًا تمامًا عما أسماه «الضحية البريئة، بما في ذلك شركاء الزواج غير المشتبه فيهم، والأطفال وأولئك الذين تلقوا دمًا ملوثًا بالفيروس». وبعبارة أخرى، يعتبر الرجال الذين مارسوا الجنس مع الرجال ضحايا مذنبين. أوضح جيري فالويل من جانبه في عام 1987 عندما وصف الإيدز بأنه «حكم الله على أمريكا، لتأييدها الفجور واللأخلاقية»؛ كان نتيجة للثورة الجنسية و«عقابًا ملائمًا» على المثلية الجنسية.

أظهرت دراسة استقصائية في عام 1991 أن 70% من البروتستانت الأمريكيين و54% من الكاثوليك الأمريكيين يعتقدون أن جميع الأفراد المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية يجب أن يرتدوا شارات مميزة، على غرار شارات النجوم الصفراء التي ارتداها اليهود أثناء المدة النازية.

كان يُنظر إلى الإيدز بين اليهود الأرثوذكس في كثير من الأحيان على أنه نتيجة مباشرة لأسلوب حياة غير مقبول من الناحية الأخلاقية. أعلن جون أوكونور، الكاردينال الكاثوليكي في نيويورك، أن الإيدز مرض يصاب به الناس لأنهم «خرقوا تعاليم الكنيسة». عارضت الأغلبية الأخلاقية استخدام الأموال العامة في البحث عن علاج لمرض الإيدز باعتباره المرض الذي أصاب الرجال المثليين في المقام الأول؛ لقد استحقّوا الموت، كما فعلوا فعلتهم بعشرات الآلاف. أسهمت المواقف من هذا النوع في حقيقة أن السلطات لم تفعل شيئًا يذكر أو لم تقم بأي شيء للسيطرة على الوباء بين الرجال المثليين في الولايات المتحدة قبل عام 1986. ومع ذلك، فهذا لا يعطي الصورة الكاملة. بدأت كثير من الجماعات المسيحية واليهودية في النهاية معارضة المزاعم من هذا النوع، مشيرة إلى أن الإيدز لا يمكن اعتباره بأي حال من الأحوال عقابًا من الله، وفتحت كثير من المنظمات الدينية دور الإيواء لضحايا الإيدز.

لا يتسبب النوع الخاطئ من الجنس في معاناة الأفراد الذين يصابون بمرض جنسي نزل من السماء عقابًا لهم فحسب. ففي العصور الوسطى، على سبيل المثال، كان يُنظر إلى الجذام غالبًا كنتيجة للخطيئة الجنسية الفردية. ونفس النمط موجود في الأديان الأخرى. وفقًا للديانة التقليدية في بلاد يوروبا في جنوب غرب نيجيريا، يجب معاقبة الأشخاص الذين يرتكبون الزنا. إذا لم يعاقب المجتمع الأفراد على ارتكاب الزنا، فسوف تتسبب الآلهة والأرواح في إصابة الجناة بالمرض والعقم والموت لأن الزنا هو إهانة للآلهة والأجداد الذين أقروا الزواج.

في بعض الحالات، يكون الشخص الأكثر قربًا لمرتكب الجريمة هو الأكثر تعرضًا للخطر. وفقًا للديانة السودانية التقليدية الأزاندية Azande، فإن خيانة المرأة قد تؤدي إلى وفاة زوجها في الحرب أو أثناء الخروج للصيد. في البوذية الصينية، فإن الرجل الخائن يجازف بفقد زوجاته وأبنائه وأحفاده. على الرغم من أن هذا من الواضح أنه سوء حظ ومصابًا للزوجات والأطفال، إلا أن الزوج هو الذي يعاقب من قبل القوى الإلهية، في هذه الحالة لأن عدم وجود زوجات وأحفاد يعني أنه لا يوجد أحد لأداء التضحيات اللازمة للأسلاف نيابة عنه عندما يموت.

ولكن إذا كان من الممكن أن يؤدي السلوك الجنسي الخاطئ إلى الموت ويجلب البؤس للفرد في هذه الحياة، فقد يكون للسلوك الجنسي الصحيح نتائج إيجابية. تأثرت الصين في العصور الوسطى برؤية الطاوية Taoist عن النشاط الجنسي بمفهوم زراعة اليِّين واليانغ وفقًا لمبادئ الكيمياء. وعن طريق التثقيف بفنون غرفة النوم، فأنت تتعلم إدارة نشاطك الجنسي بشكل أكثر فعالية من أجل تحقيق أعلى فائدة جسدية وروحية من النشوة الجنسية. ولأن الرجل يمكنه أن يزيد من قوة اليانغ لديه عن طريق جماع امرأة واحدة، فإنه سيزيد قوة اليانغ أكثر حتى إذا جامع النساء الكثيرات- ثلاثة وتسعة وأحد عشر من الأعداد الميمونة والمبشرة بالنجاح بشكل خاص. وبهذه الطريقة، سوف يلمع جلد الرجل ويتوهج، ويشعر أن جسمه مضئ، وستلمع عيناه وسيكون أكثر قوة وازدهارًا. يمكن أن يجعل الجنس الصحيح الرجال كبار السن كما لو كانوا في سن العشرين. إذا كان بإمكان الرجل أن

يتقن الطريقة التي يتحكم بها ويغذي بها اليين واليانغ من خلال الجماع، فيمكنه أن يصبح خالدًا، مثل الإمبراطور الأصفر الأسطوري بعد أن استمتع بالجماع مع 1200 امرأة.

ومع ذلك، هذا يرجع قبل كل شيء إلى مسألة امتلاك المعرفة الدينية الصحيحة – نوعية المعرفة وليس حجمها. إذا كنت لا تدري بالضبط كيفية ممارسة الجنس الصحيح؛ ممارسة الجنس حتى مع امرأة واحدة يمكن أن يكون سببًا في موتك، حتى كتيبات الجنس الطاوية تقدم المشورة العملية حول كيفية القيام بذلك. ينصح الرجل بجمع أكبر قدر ممكن من قوة اليين للمرأة دون التخلي عن أي من قوة اليانغ التي يمتلكها. قد يحتفظ، على سبيل المثال، بقضيبه داخل فرج المرأة أثناء وصولها إلى هِزة الجماع ثم يسحبه قبل أن يقذف منيه. وهو ليس الوحيد الذي سيستفيد من هذه التقنية؛ إذا كان قد جامع خمسة أو ستة محظيات بهذه الطريقة قبل أن يعاشر زوجته ليتسبب في حملها، يكون الطفل الذي تحمل فيه أفضل بكثير. وبالمثل، يمكن أن تصبح المرأة أقوى من خلال السماح للشباب بالقذف بداخلها دون إيصالها إلى هِزة الجماع.

وأُنتقدت هذه المفاهيم الطاوية الخاصة بالنتائج الإيجابية للجنس بشدة من قبل كل من البوذيين والكونفوشيوسيين. وبفضل قوتهم الإدارية في الصين، تمكن الكونفوشيوسيون من الحصول على كتيبات الجنس الطاوية ووصفها بأنها شريرة وفاسدة، وأتلفوا الكثير منها. أدان أيضًا معظم الطاويين الأرثوذكس هذه النظرة الإيجابية للجنس. ومع تراجع اليين واليانغ للطاوية في الجنس، لم يتمكن أحد منذ ذلك الحين من تحقيق الخلود من خلال ممارسة الجنس.

لا تزال فكرة أن حياتك الجنسية تسهم في خلاصك أو هلاكك الفردي فكرة دينية واسعة الانتشار؛ وأنك سوف تُعاقب بالفعل في هذا العالم؛ ومع ذلك، أصبحت معتقدًا هامشيًا، وبنفس الطريقة التي يقتنع بها الآن أقل عدد من الناس بأن الآلهة تتدخل بشكل مادي في حياتنا. تعتبر فكرة الآلهة الذين يعاقبون البشر أو يكافئونهم وفقًا لتقديرهم قناعة دينية عامة لا تقتصر، بالطبع، على نطاق السلوك الجنسي. ولكن، بالنظر إلى الموقع المركزي الذي يشغله الجنس في كثير من الأديان، إذا كنا نؤمن أولاً بقدرة الآلهة على التدخل مباشرة في وجودنا، فإن الأمر المنطقي تمامًا هو أن نشاطنا الجنسي يمكن أن يؤدي إلى حسن الحظ أو سوء الحظ في هذه الحياة.

عندما تُعاقب مجتمعات بأكملها

تصر كنيسة ويستبورو المعمدانية على أن عواقب النوع الخاطئ من الجنس يمكن أن تمس المجتمع بأسره وتعصف به، وليست وحدها من يؤيد هذا الرأي. حيث يعتقد الكثير من الناس، المسيحيين واليهود على حدٍ سواء، أن طوفان نوح - عندما أغرق الله الجميع باستثناء نوح وعائلته - كان نتيجة مباشرة للعلاقات الجنسية الخاطئة بين الملائكة والبشر. ولما كانت النصوص الحاخامية تعزي سبب الطوفان إلى الزنا الأكثر انتشارًا؛ حظر مجلس باريس في 829 ميلادية ممارسة الجنس

بين الرجال. وصرحت حركة الينسينية الكاثوليكية بشكل صارم في نهاية القرن السابع عشر أن الطوفان نتج عن الشهوة في فراش الزوجية- يجب على المسيحيين الصالحين ألا يسمحوا للرغبة الجنسية أن تتحكم في حياتهم الجنسية الزوجية بشكل مطلق وعليهم فقط أن يفعلوا ما هو ضروري للغاية لمستقبل النوع البشري.

على الرغم من أنه يبدو في الأصل أنه كان خرقًا لقوانين الضيافة التي تسببت في أن الله أمطر النيران والكبريت على سدوم وعمورة وقتل جميع سكان المدن، تطور اعتقاد راسخ على مر الزمن أن الله كان يعاقب السكان على تفضيلاتهم الجنسية. تم تحديد الجريمة الجنسية في البداية على أنها رغبة اللواطين في ممارسة الجنس مع الملائكة بصفتهم الملائكة، ولكن بعد قرون لاحقة، تم تحديد الجريمة على أنها كانت رغبة المواطنين الذكور في ممارسة الجنس مع زوارهم الذكور بصفتهم ذكورًا وليس بصفتهم ملائكة.

يخبرنا الكتاب المقدس أن النشاط الجنسي الصحيح كان شرطًا مطلقًا طلبه الله من بني إسرائيل في مقابل حمايته المستمرة. خلال هذه الفترة كان الله حريصًا بشكل خاص على منع ممارسة الجنس عبر الحدود العرقية. عندما كان موسى يقود قومه عبر الصحراء، على سبيل المثال، قتل الله 24000 منهم بالوبأ لأن الإسرائيليين مارسوا الجنس مع نساء موآبيات. وما خفف غضب الله أخيرًا هو أن ابن أحد الكهنة قتل إسرائيليًا أتي ومعه امرأة مِديانيّة (من أهل مدين) أحضرها إلى إحوته. ابن الكاهن «دَخَلَ وَرَاءَ الرَّجُلِ الإِسْرَائِيلِيِّ إِلَى الْقُبَّةِ وَطَعَنَ كِلَيْهِمَا، الرَّجُلَ الإِسْرَائِيلِيَّ وَالْمَرْأَةَ فِي بَطْنِهَا. فَامْتَنَعَ الْوَبَأُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: فِينْحَاسُ بْنُ أَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنُ قَدْ رَدَّ سَخَطِي عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَوْنِهِ غَارَ غَيْرَتِي فِي وَسَطِهِمْ حَتَّى لَمْ أُفْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِغَيْرَتِي.. لا يكفي إذاً كفرد أن تمتنع عن ممارسة الجنس المحظور، ولكن إذا قبلت ما يفعله الآخرون في صمت، فهذا يكفي أن يحل عليك غضب الله أيضًا وينزل بك عقابه. وكما يتضح من القتل العمد المزدوج المثالي الذي نفذه ابن الكاهن، لنيل رضا الله، فمن الضروري في بعض الأحيان اتخاذ إجراءات معينة ضد أولئك الذين يخالفون قواعده الجنسية.

يذكر النبي عزرا أن الزيجات المختلطة عرقيًا تغضب الله ويَسْخَطُ عَلَيْنَا حَتَّى يُفْنِيَنَا فَلاَ تَكُونُ بَقِيَّةٌ وَلاَ نَجَاةٌ، الطلاق الفوري فقط قد يرضيه.

ليس عدم ممارسة العنصرية الجنسية يمكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة فحسب. في التناخ نعرف أن البهيمية وسفاح القربى، وكذلك الجنس مع المرأة الحائض ومع أصهار الزوج، كلها تسهم في جعل أرض الميعاد نجسة. «بَلْ كُلُّ مَنْ عَمِلَ شَيْئًا مِنْ جَمِيعِ هذِهِ الرَّجَسَاتِ تُقْطَعُ الأَنْفُسُ الَّتِي تَعْمَلُهَا مِنْ شَعْبِهَا.» وإذا لم يقتل الإسرائيليون أنفسهم أي شخص يرتكب «واحدة من هذه الرجسات «، فيجب عليهم الأخذ في الاعتبار بأن « لاَ تَقْذِفُكُمُ الأَرْضُ بِتَنْجِيسِكُمْ إِيَّاهَا كَمَا قَذَفَتِ الشُّعُوبَ الَّتِي

قَبْلَكُمْ. لن تكون أرض الميعاد نفسها للذين يمارسون النوع الخاطئ من الجنس- أو الذين لا يقتلون أولئك الأشخاص الذين يفعلون ذلك النوع الخاطئ من الجنس - سيتم طردهم منها تلقائيًا.

إن الاعتقاد بأن النوع الخاطئ من الجنس يمكن أن يؤدي بسهولة إلى كوارث مروعة هو السبب الرئيسي وراء قيام أصحاب العقائد من مختلف الأديان بتكريس كل طاقاتهم لتنظيم الحياة الجنسية للأشخاص الآخرين. إذا لم يضمن المجتمع أن يكون السلوك الجنسي لأفراده كما ينبغي، فسيتم معاقبة المجتمع ككل بشكل مباشر أو غير مباشر. قد تتحطم البنية الاجتماعية بأكملها بسبب الغضب الإلهي.

تبنت المسيحية هذا الاعتقاد التوراتي الأساسي بأن الله قد يعاقب المجتمع بأسره بسبب الانغماس في الجنس من النوع الخطأ. في عام 538 ميلادية ربط الإمبراطور جستنيان بين مصير سدوم وعمورة وبين «المجاعات والزلازل والأوبئة» الخطيرة في عصره. لقد كان السلوك الآثم والسلوك الجنسي المؤسف عمومًا - «في صراع مع الطبيعة» - للرومان المسيحيين السبب الرئيسي لجميع الكوارث التي ضربت إمبراطورية جستنيان. كان لدى ألفونسو حكيم قشتالة أسباب وجيهة لطلب الإخصاء العام وإعدام الرجال الذين مارسوا الجنس مع الرجال «يرسل الله في الأرض التي يقومون فيها [بمثل هذه الأشياء]، الجوع، والأوبئة، والعواصف، وكثير من الأمراض الأخرى التي لا يمكن حصرها». كان لدى بينديكت ليفيتا، الذي زوّر قانون شارلمان في القرن التاسع لجعله يفرض عقوبة الإعدام على المثلية الجنسية، بطبيعة الحال أيضًا كانت أسباب وجيهة لفعل ما فعله: وإلا فإن «السراسين «، أي المسلمون، سيأتون ويستعبدوننا.

كان ينظر إلى الموت الأسود وغيره من حالات تفشي الوبأ من قِبل الكثيرين على أنها عقاب الله على اللواط والزنا والكهنة النشطين جنسيًا ومختلف الرجسات الجنسية. وإذا أردنا أن نصدق الناطقين الرسميين المسيحيين الأتقياء في هذه الحقبة الزمنية، فلم تؤد فقط صيحات الموضة المخلة بالآداب وعدم اللياقة - مثل ملابس النساء التي لم تتلائم مع أجسامهن والملابس النسائية للرجال والملابس التي غطت بالكاد الأعضاء الجنسية - إلى تفشي الوبأ في القرن الرابع عشر في إنجلترا ولكن أيضًا تسببت في عواصف عنيفة ودمرت المحاصيل. تعلم الكثير من الناس الدروس المستفادة من هذه الكوارث. في القرن الخامس عشر، على سبيل المثال، وضعت السلطات في فلورنسا سلسلة كاملة من اللوائح والقواعد الجديدة التي هدفت إلى درء الوبأ، ومن بينها إجراء تدابير مختلفة لمكافحة الفجور الجنسي مثل الدعارة وممارسة الجنس بين الرجال.

على الرغم من تراجع تفشي الوبأ، فإن الكوارث من نوع أو آخر استمرت في إلحاق الضرر بأجزاء من العالم المسيحي، لذلك كان هناك سبب وجيه لإبقاء الرقابة. عندما حُكم على توماس جرانجر بالإعدام في بلايموث، ماساتشوستس، عام 1643 لممارسته الجنس مع «مُهرة، وبقرة، وعنزتين، وخمسة خراف، وعجلان، وديك رومي»، كان من الواضح تمامًا أن هذه جريمة هددت

المجتمع كله بسبب نجاسته وتمرده على قوانين الله. وبطبيعة الحال، كان الجاني محكومًا عليه بالهلاك، ولكن ما لم ير المجتمع أيضًا أنه عوقب بشكل مناسب في هذا العالم، فإن المجتمع نفسه سيكون مذنبًا بالتهاون حيال الأفعال الآثمة وبالتالي قد يُعاقب من قِبل الله. حتى الحيوانات التي تعرضت للاعتداء الجنسي تمثل تهديدًا وقد يتطلب الأمر أيضًا القضاء عليها حتى يكون المجتمع في مأمن من غضب الله. ولسوء الحظ، واجهت السلطات بعض الصعوبات في تحديد الخراف الخمس الخطاة، ولذلك تم اختيار خمسة حيوانات من القطيع بشكل عشوائي. ثم اضطر توماس جرانجر إلى مشاهدة جميع الحيوانات التي مارس الجنس معها، بما في ذلك الخراف الخمسة التعسة الحظ، التي أُحرقت في حفرة، وبعدها تم إعدامه شنقًا.

كان الاضطهاد الجماعي للرجال الذين مارسوا الجنس مع الرجال في هولندا في عامي 1730 و1731 تبريرًا أيضًا في مواجهة خطر التعرض لغضب الله. أشار القضاة في قرية فان إلى التناخ وتحذيراته من أن أي قبول للنشاط الجنسي الخاطئ من شأنه أن يتسبب في إنزال عقاب الله على الإثم والخطيئة التي ترتكب على أرضنا مع أحكامه المروعة ويفجر الأرض ومن عليها من سكانها. كانت السلطات في مقاطعة هولندا مقتنعة بأن المثلية الجنسية تمثل «تعدي على قوانين الله الأكثر قداسة، حيث يسلط غضبه على وطننا العزيز الغالي مرارًا وتكرارًا». وكما شرحوا: «لقد تحول الكثير من رعايانا عن خشية الله إلى حد ارتكابهم لجرائم لا ينبغي أن يُسمع عنها أبدًا، وبسبب ذلك سكب الله سبحانه وتعالى غضبه في أوقات سابقة على سدوم وعمورة وبث فيهما الخراب والدمار.

لم يسلط الله غضبه الوشيك لعدم خشيته من فراغ. استند هذا إلى ما اعتبره الهولنديون دليلاً سليمًا وذو صلة بالموضوع لوجود أوجه تشابه وذلك بالرجوع إلى الطوفان والجنس غير اللائق الذي تسبب في ذلك. حدثت مجموعة من الفيضانات الكبرى في عام 1728، وانهيار في بورصة أمستردام وانتشار نوع خاص من الحشرات الآكلة للأخشاب التي تسببت في انهيار الكثير من السدود في شتاء عام 1731، بدا كل هذه الأحداث جميعها يشير إلى ويؤكد العلاقة بين المثلية الجنسية وعقاب الله. حملت صلوات القساوسة آلامًا خاصّة لتأكيد على العلاقة بين الأخلاقية الجنسية والديدان والحشرات التي أنزلها الله فدمرت السدود.

لم يكن كل الجنس غير المشروع خطيرًا بنفس القدر. عندما اتُهمت امرأة هولندية تدعى مايكين يوستين عام 1606 «بالزواج من امرأة أخرى وممارسة الجنس معها، احتج المدعي العام بأن هذا النوع من الجنس على الأقل يمثل خطورة على المجتمع بنفس القدر من الخطورة التي تنشأ عن الجنس بين الرجال. واحتج المدعي العام بأن هذا النوع من الجريمة يتسبب في نزول «غضب الله على المدن والبلدان» وطالب بربط يوستين ووضعها في جوال ورميها في الماء. ومع ذلك، لم تكن المحكمة مقتنعة بأن ممارسة السحاق يمكن أن تسفر عن العواقب الوخيمة نفسها مثل المثلية الجنسية بين الذكور، لذلك عوقبت يوستين بالجلد بالسوط والطرد.

على الرغم من أن العلاقة المنطقية بين الجنس غير الصحيح والكوارث لم تعد جزءًا أساسيًا من النقاش العام، إلا أن هذا النموذج الديني الخاص يظل قيد الاستخدام المستمر كوسيلة لتفسير الأحداث. صنع المبشر ديفيد ويلكيرسون اسمًا لنفسه في عام 1973 بتنبؤه بأن الفجور الجنسي، والنساء عاريات الصدر على شاشات التلفزيون، وارتفاع معدلات الطلاق والتسامح المتزايد مع المثلية الجنسية قد يؤدي إلى كوارث مثل الأزمات المالية والزلازل والفيضانات والأعاصير والمجاعات والحروب النووية والأطفال المتمردين. اعتقد الكثير من المسيحيين المحافظين أن الأزمة المالية في عام 2008 كانت الدليل الأخير على أن ويلكيرسون كان على حق. الحرب النووية هي الشيء الوحيد الذي ما زلنا ننتظره ولا ضمان لعدم وقوعها عاجلاً وليس آجلاً. بالنسبة إلى كثير من المسيحيين المحافظين في المستقبل، تبدو كلمات المبشر التلفزيوني الأصولي بات روبرتسون بلا شك بمثابة نبوءة دقيقة؛ في حديثه في يونيو 1998، قال إنّ قبول المثلية الجنسية قد يؤدّي إلى تدمير وهلاك الولايات المتحدة انطلاقًا من القنابل الإرهابية والزلازل والأعاصير والنيازك. حسنًا، لم يكن هناك الكثير من الضرر الناجم عن النيازك في الولايات المتحدة ولكن كان هناك الكثير من الضرر جراء الأسباب الأخرى.

في حين تعتقد كنيسة ويستبورو المعمدانية أن «الله أرسل الطائرات التي أسقطت أبراج نيويورك وقتلت 3000 في الحادي عشر من سبتمبر»، وصرح زعيم الأغلبية الأخلاقية جيري فالويل في وقت سابق أن التسامح مع المثلية الجنسية، والنسوية والإجهاض قد تسبّب في «رفع الله لستار الحماية التي لم تسمح لأحد بمهاجمة أمريكا على الأرض منذ عام 1812». يشرح القس جون هاجي، الأصولي المسيحي والمؤيّد البارز للمرشّح الرئاسي الجمهوري جون ماكين، كيف أدّت مسيرة المثليين المخطط لها في نيو أورلينز إلى إنزال عقاب الله على المدينة بإعصار كاترينا في عام 2005: «كلّ الأعاصير أفعال جراء القضاء والقدر، لأن الله يحكم قبضته على السماء». شعر جراهام داو، الأسقف الأنجليكاني في مدينة كارلايل في مقاطعة كمبريا في إنجلترا، بأنه مختص بإبلاغنا في عام 2007 بأنّ الفيضانات الكثيرة التي ابتليت بها بريطانيا كانت بسبب غضب الله بسبب دعم البلاد لحقوق المثليين.

يشير إيفار كريستيانسلوند، زعيم حزب الوحدة المسيحية الأصولي، أنّ النرويج تواجه مخاطر مماثلة. وهو يعتبر أنّ «قانون الزواج الجديد [الذي يشمل الأزواج من الجنس المغاير ومن الجنس نفسه] بمثابة تمرّد ضدّ الإله الحيّ» ومن ثم يمثل «خطرًا أمنيًا بالنسبة للفرد وللشعب النرويجي». إن هذا «الإجرام البرلماني الجنسي ... سيؤدّي إلى غضب الربّ» ويعرض «أمن النرويج للخطر العظيم». منذ أن تمت الموافقة على قانون الزواج المشترك الجديد بأغلبية ثلثي البرلمان النرويجي في عام 2008، يمكننا أن نفترض أنّ أيّ كوارث عصفت بالنرويج منذ ذلك الحين ما هي إلا عقابٌ أنزله الله.

لقد أبقى الإسلام واليهودية أيضًا على المفهوم التوراتي القائل بأن النوع الخاطئ من الجنس يمكن أن يكون له عواقب وتبعات تتجاوز الفرد. أعلن رجل الدين السعودي البارز فوزان الفوزان أن تسونامي عيد الميلاد 2004 كان «عقاب الله» على الطريقة التي تجمع بها «أشخاص يفتقدون إلى الأخلاقيات من جميع أنحاء العالم لممارسة الفجور والانحراف الجنسي». يمكن تفسير الزلازل المتكررة في إيران من منظور إسلامي انطلاقًا من عدم الالتزام بقواعد اللباس الرسمي في البلاد، بما في ذلك النساء اللائي يظهرن شعرهنّ من تحت الحجاب أو يرتدين ملابس تغطّي أجسامهنّ بالكامل ولكنّها ضيقة للغاية. أفاد وزير الإعلام الإسلامي الإندونيسيّ في عام 2009 أنّ الزلازل في إندونيسيا حدثت بسبب برامج تلفزيونية غير أخلاقية. على نحو مماثل، أوضح كلٌّ من ديفيد بِشيفا، زعيم القبائل في قبيلة ماجن والحاخام دفيد بصري، أن تفشّي مرض أنفلونزا الطيور في إسرائيل في عام 2006 نتيجة اعتراف السلطات بزواج المثليين. وحدث زلزال قوي في شرق البحر الأبيض المتوسط في فبراير 2008 بسبب دفاع إسرائيل عن المثلية الجنسية وفقًا للبرلماني شلومو بينزري، عضو البرلمان الإسرائيلي. ينبغي ألّا يكون الزلزال بمثابة مفاجأة لأحد منذ أن حذر نسيم زئيف، عضو آخر في الكنيست، قبل بضعة أسابيع من أنّ «السحاق» من شأنه أن يؤدّي إلى «التدمير الذاتي» لدولة إسرائيل.

إنّ الاعتقاد الديني بأنّ الجنس من النوع الخاطئ يمكن أن يسبّب الأوبئة والزلازل والفيضانات يعطينا فكرة جيدة عن مدى أهمية المسائل الجنسية في نظر العالم الديني. يظهر الجنس «الصحيح» بوصفه واحدًا من أهمّ الطرق التي يمكن للبشر أن يربطَها بالحقيقة الإلهية. تظهر لنا مركزية هذه الأفكار في بعض الأماكن وفترات التاريخ الديني كيف أسهمت في الحماسة الدينية لتنظيم الحياة الجنسية للأشخاص الآخرين. إذا كان يُسمح للناس القيام بأيّ شيء يحلو لهم، فهذا قد يؤدّي إلى سقوط المجتمع بأسره.

ومع ذلك، على الرغم من أنّ الاعتقاد بأنّ القوى الطبيعية قد يحرّكها سلوكنا الجنسي اعتقاد حقيقي بما يكفي لدى أولئك الذين ما زالوا يؤمنون بمثل هذه الأشياء، إلا أنها في الحقيقة شيء يثير الفضول في المشهد الديني الحديث. لم يعد هناك اعتقاد واسع النطاق، ليس بسبب تلاشي التركيز على الجنس، بل بسبب الاعتراف المتزايد بوجود اختلاف جوهري أصولي بين العالم الإلهي والعالم المادي. يعتقد أقلّ عدد من الناس الآن أنّ الآلهة أو الكائنات الخارقة الأخرى تتدخل مباشرة وتهيمن على قوى الطبيعة من أجل إشباع ذاتها. وبصرف النظر عمّا قد يفكّر فيه كلّ واحد منّا حول الطلاق، أو تمازج الأجناس، أو المثلية الجنسية، أو ممارسة الجنس قبل الزواج، وجميع الأنواع الأخرى من النشاط الجنسي من وجهة نظر دينية، فسوف يتعيّن علينا الانتظار حتى تنتهي هذه الحياة قبل أن تتاح لنا الفرصة لرؤية هذه الأنواع من السلوك الذي يخذل قدراتهم الإلهية مهما كانت.

الفصل التاسع

الجنس المقدّس والجنس الشعائري

كانت هناك ظاهرة شائعة بين الجماعات اللايستادينية Læstadian في شمال السويد في منتصف ثلاثينيات القرن الماضي حيث يكشف أعضاء الجماعة أعضاءهم الجنسية بعضهم لبعض أثناء القدّاس. ثم يدور أحد أعضاء الجماعة، عادة ما يكون امرأة، ويمشط شعر العانة للمؤمنين من بقية الأعضاء. ثم يتمّ تخصيص جزء كبير من بقية القدّاس لممارسة الجنس خارج إطار الزواج، وعادة ما يتمّ ذلك بشكل علنيّ. كانت الممارسة طوعية ولم يشارك الجميع في ممارسة الجنس، ولكن كان للجميع مطلق الحرية في مشاهدتها.

يُعدُّ تمشيط شعر العانة وممارسة الجنس خارج إطار الزواج في سياق مسيحي في الكنيسة فكرة توصلت إليها هذه الجماعة اللايستادينية أثناء انتظارهم الله لإرسال سفينة جديدة لنقلهم إلى القدس السماوية. بدأ الأمر عندما أصبح سيغورد سيكافار، نبيهم الموحى إليه، مقتنعًا بأنه يمثّل يسوع المسيح ومن ثَم يملك القدرة على تطهير جميع المؤمنين من خطاياهم. كان السبب وراء ارتكاب الجماعة لما يرون أنه أسوأ الخطايا هو اعتقادهم بأنها قد تسرِّع وصول سفينة الله. وبغض النظر عما فعلوه، ظل المؤمنون همّ أقدس الناس على وجه الأرض لأنّ نبيهم الموحى إليه قد يغفر لهم كلّ خطاياهم. على الرغم من كلّ هذا الجنس الذي يرونه خطيئة، إلا أنّه كان وسيلة لضمان الخلاص للمسيحي الورع الذي ينتمي إلى هذه الجماعة اللايستادينية.

تستخدم معظم الديانات، وإن لم يكن جميعها، الجنس لأغراض دينية انطلاقًا من الحقيقة القائلة بأن هذه الأديان لديها قواعد عن الجنس. حيث يعني كلّ حظر ديني أو أمر زجري عن الجنس أن الجنس يستخدم بوضوح لأغراض دينية. وانطلاقًا من تنظيم ممارسة الجنس، تضمن الأديان لأتباعها تحقيق الاحترام أو الإزدراء أو الفناء في هذه الحياة، والخلاص أو اللعنة في الحياة التالية. وفي ضوء ذلك، لا يمثل العرض الجنسيّ والجماع الجنسيّ لأفراد الجماعة اللايستادينية في الكنيسة شيئًا مختلفًا بشكل فريد عن ما يحدث في الأديان الأخرى - إنه اختلاف في الدرجة وليس اختلاف في الجوهر. وفي خضم هذه الآراء العالمية الدينية يكمن الاعتقاد الأصولي نفسه وهو أنّ الجنس يمكن أن يدلّ على وجود ما يفوق المتعة؛ حدوث الإنجاب وانتشار الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسيّ.

ولكن فكرة الاستغلال المباشر للجنس في سياق دينيّ - الفكرة التي يمكن اعتبارها طقسًا دينيًّا -تبدو أكثر من كونها فكرة غريبة بالنسبة لكثير من المؤمنين. رغم أن تمشيط شعر العانة في سياق مسيحي يُعدّ إجراءً فريدًا من نوعه في تاريخ الدين، فإنّ الاستغلال المنهجي للجنس ليس كذلك. كان

هناك الكثير من المؤمنين عبر التاريخ الذين كانوا مقتنعين بأنّ هذا النوع من الارتباط المباشر بين الجنس والطقوس الدينية ما هو إلا وسيلة جيدة لكسب تأييد الآلهة.

استغلال الجنس المقدّس

مثلما استغلّت الجماعة اللايستادينية الجنس لإثبات أنهم يستطيعون تجاوز كلّ خطايا العالم بتحرّرهم من الخطيئة، حيث يُعتقد أنّ ممارسة الجنس الشعائري عادة ما يكون له كثير من العواقب المهمة.

نشأت التنترية Tantra في الهند في القرن الأول الميلادي، ولكنّها لم تشكّل حركة موحدة. في الخطاب الغربي، يتمّ تقديم التنترية في كثير من الأحيان على أنّها تقديس غير محدود لجميع أنواع الجنس، وهو أمرٌ يقتربُ من السياق الأساسي المتعلّق بكيفية الجمع بين النشوة الجنسية والدينية. سادت هذه النظرة على نطاق واسع بشكل أساسي بسبب الطريقة التي قدم بها جوزيف كامبل وشخصيات دينية بارزة من العصر الجديد فلسفة التنترية. كثيرًا ما يتمّ الخلط بين التنترية والكاماسوترا، التي تقدّم لمحة عامّة أكثر عن الاختلافات الجنسية.

ما يتمّ تجاهلُه غالبًا هو أن أحد أهم مبادئ التنترية يتمثّل في الفجور والاعتداء. ويعدّ الاعتداء الجنسي مجرّد نوع من الأنواع المختلفة من الاعتداءات التي يمكن القيام بها في إطار الطقوس السرية الخاضعة للرقابة الصارمة. لم يقصد بالتنترية في الأساس أن تكون وسيلة لإضفاء الإثارة على المعايير الحالية أو تقويضها. وبدلاً من ذلك، وضعت الأفعال المخالفة في نظام على وجه التحديد من أجل تأكيد وتعزيز أدوار الجنسين والحدود الاجتماعية الأخرى. يتمّ تعزيز الهياكل المقبولة عن طريق كسرها بشكل منهجيّ انطلاقًا من طقوس تخضع للرقابة الصارمة. لا يمكن فهم خطورة بعض الحدود التي تمّ خرقها، مثل حدود نظام الطبقات الاجتماعية، أو حدود ما يمكن تناوله، أو حدود ما يصعب فهمه بوضوح وبشكل حقيقيّ ما لم يتمّ استيعاب هذه القواعد وتطبيقها بشكل كامل. وتؤكّد حقيقة أنّ التنترية الهندوسية في المقام الأول تركز على البراهمة (أبناء الطبقة العليا) الذكور، وهو أعلى مستوى بشري في نظام الطبقات الاجتماعية، وتؤكّد مرة أخرى على المدى الذي في إطاره يمكن عبور الحدود بين الطبقات. كلّما تدنى مستوى الفرد في النظام الطبقي، قلّ عدد القواعد التي يتعيّن أنها تحدّ من سلوك ذلك الشخص فيما يتعلّق بالضرر الذي يلحق بالكارما الخاصّة به (تتابع التطهر). يجب أن يلتزم البراهمة، الذين ليسوا فقط في قمّة النظام الطبقي بل يلعبون أيضًا دورًا مركزيًّا في رؤية العالم الهندوسي عامّة، بالقواعد الأكثر صرامة. عندما يتمّ انتهاك قواعد البراهمة هذه، رسميًّا وفي سياق شعائري، يُنظر إلى القوى التي تمّ إطلاقها على أنّها قوي مؤثّرة بشكل خاصّ.

وفي إطار الدين، يمكن فهم الجنس التنتري بعدة طرق. يتمثّل الفهم الهندوسي الأساسي للتنترية في أن الجماع بين الجنسين المغايرين يعكس الاتحاد الأبدي لشيفا وشاكتي، الذكورية المهيمنة

والنسوية، والمبادئ الإيجابية والسلبية التي تكمن وراء كل الحقائق. بالنسبة للتنتريين البوذيين، فإنّ الاتصال الجنسي بين الجنسين المغايرين يرمز إلى اتحاد الحكمة المجهولة (براجنا) والكيفية الحقيقية (أوبايا)، اللتين يشتركان معًا في جوهر التحرير التامّ. ويمكن أيضًا مقارنة الجنس التنتري بطقوس التضحية. ومع ذلك، يوجد خلاف حول مجموعة كاملة من الجوانب: على سبيل المثال، هل يجب على الرجل أن يقذف ماؤه في المرأة أم يُسمح له بالتسامي وامتصاصه في جسمه؟ الأسئلة الأخرى التي تتعلّق بأشياء مثل ما إذا كانت النشوة الجنسية في هِزّة الجماع نشوة عرضية أم جوهرية للطقوس، وما إذا كان ينبغي للمرء أن يُفني السوائل الجسدية أم لا. ترتبط هذه الأسئلة أيضًا بتصوّر السوائل الجسدية كمصادر نهائية للقوة والسلطة. يعتبر النصّ البنغالي بريهات تانتراسورا Brihat tantrasura دليل الطقوس الأكثر نفوذًا في شمال شرق الهند الذي كتبه كريشنانداندا أغامافاجيشا في القرن السادس عشر أحد أهمّ المصادر التي تؤكّد على وجوب إفناء السوائل الجسدية أثناء طقوس التنترية؛ إذا كان أحد يفعل ذلك خارج إطار الطقوس، فسوف ينتهي به المطاف إلى الجحيم.

في عدد من إصدارات التنترية في العصر الجديد ، يتمّ استبدال التركيز الأساسي على الاعتداء كوسيلة لدعم الهياكل الاجتماعية بفكرة أنّ التنترية تقدم تحرُّرا شاملاً من الهياكل الاجتماعية. سلط الضوء كلّ من المُعلم باجوان شيري راجنيش وحركة أوشو التي أسسها على ممارسة الجنس الحر. وكما أوضح في عام 1968: «كلّما تقبّلت الجنس بكلّ إخلاص، أصبحت أكثر حرية. إنّ القبول الكامل للحياة، بكلّ ما هو طبيعي في الحياة، أسمّيه الورع والتقوى. وهذا الورع هو الذي يحرّر الإنسان. بعد أن توفّى الكثير من أتباعه بسبب مرض الإيدز، نفى المعلم باجوان أنه قد أباح في أيّ وقت مضى ممارسة الجنس الحرّ وادّعى أنّه قد أكّد فقط على قدسية الجنس. لا تزال تنادي الحركة بعدم الزواج أحادي الزوجة، ولهذا السبب يجب على أيّ شخص يرغب الآن في الدخول إلى معبد الأشرم Ashram في مدينة بونا Pune أن يخضع لفحص الإيدز.

دافع سوامي موكتاناندا، المُعلّم الذي تزعم حركة سيدها يوجا دهام Siddha Yoga Dham الأمريكية عن شكل معيّن من أشكال التنترية. كان يعتقد أنّه حوّل إحباطاته الجنسية ورغباته إلى قوة روحية. ومن بين الطرق التي برهن بها على التحكّم الذاتي المقدّس أنه وضع قضيبه غير المنتصب في مِهبل عذراء من أتباعه وأبقاه على هذا النحو عدة ساعات أثناء حديثه عن طفولته.

حقق المُعلم التبتي تشوجيم ترونجبا نجاحًا كبيرًا في الغرب انطلاقًا من مبادئه التنترية، التي تضمّنت أشياء مثل حمله شبه عاريًا على أيدي المصلين العراة. توفى ترونجبا، الذي اعتاد على ركوب سيارات المرسيدس الفارهة، وارتداء الملابس باهظة الثمن وتعاطي المنشطات المختلفة، بسبب مرض ذو صلة بتعاطي الكحول في عام 1987. وقد خلفه أوسيل تيندزين، في الأصل توماس ريتش الإبن، الذي أصاب كثير من أتباعه بعدوى فيروس نقص المناعة البشرية قبل أن يلقى حتفه بسبب مرض الإيدز في عام 1990.

غالبًا ما تحتوي معظم كتيبات التنترية الموجودة في المكتبات في هذه الأيام على تدريبات قليلة ولكنها تعدُّ تمارين تنترية تهدف إلى زيادة المتعة الجنسية وليس لها علاقة تُذكر بالتنترية الأصلية. ولكن هذا لا يمنع أن هذه الكتب لها بعد ديني حقيقي للعديد من الناس. وقد تطورت مجالات جديدة داخل التنترية في الغرب، بما في ذلك الجنس والسحر وتنترية اللواط، وكلاهما حركات تنمو بخطى متسارعة.

يستخدم عدد من الديانات الأخرى أيضًا ما يمكن اعتباره جنسًا غير عادي في ظروف غير عادية. في بعض الديانات التقليدية، تعدّ الطقوس الجنسية شائعة بشكل خاصّ كعناصر من طقوس العبور، كما رأينا بالفعل في حالة قبائل السوك Sauks ومسكواكي Meskwaki في أمريكا الشمالية، الذين يتعيّن على شبابهم ممارسة الجنس مع أحد الرجال ثنائي الأرواح قبل أن يُعترف بهم كرجال. هناك اعتقاد واسع النطاق في بعض الديانات في غينيا الجديدة والجزر المجاورة بأن الأولاد الصغار يجب أن يتلقوا ماء الرجال البالغين إمّا فمويًّا أو شرجيًّا ليصبحوا رجالًا بأنفسهم. عندما يبلغ عمر الصبي في شعب كالولي Kaluli حوالي عشرة أعوام أو أحد عشر عامًا، يبحث بنفسه أو بمساعدة والده عن رجل ناضج بالغ ليستقبل ماء الخصوبة منه. سوف يمارسون الجنس معًا عدّة أشهر أو بضع سنوات، وتتمّ ممارسة الطقوس عن طريق إقامة حفل خاصّ بهم. يعدّ نقل ماء الرجل ذا أهمية خاصة لأن الرجال الذين «لديهم فحولة جنسية لمضاجعة النساء» من المرجّح أن يخيفوا الفريسة البرية. يعتقد أشخاص آخرون في غينيا الجديدة، مجهولون وفقًا لعلم الإنثروبولوجيا ومعروفون باسم شعب سامبيا Sambia، أن الفتيات يصبحن نساء بمفردهنّ، في حين أنّ الأولاد لن يصبحوا رجالًا دون ممارسة المثلية الجنسية الشعائرية، لأنّهم جزئيًا يُكبحون في المجال العام للنساء حيثما نشؤوا. تتضمن البداية أن يلعق الصبي قضيب شاب أكبر سنًا بقليل من أجل ابتلاع ماء الرجولة. يحدث هذا على أساس يومي على مدار عدة سنوات.

إن الانتقال من الحياة إلى الموت يستغل الجنس استغلالًا دينيًا، كما يمكننا أن نرى، على سبيل المثال، في الديانة الإسكندنافية أو النوردية. وكتب ابن فضلان من بغداد في عام ٩٢٢ في وصف دفن زعيم القبيلة النوردية على ضفاف نهر الفولجا Volga، ويعدُّ عمومًا وصفًا موثقًا، نرى أنّ الجنس قد يكون عنصرًا أساسيًّا في الطقوس الجنائزية للأفراد الأقوياء في النوردية. بعد وفاة أحد زعماء القبيلة، أُرسلت إحدى العبيد من النساء اللائي كن يعملن لدى زعيم القبيلة حول المعسكر وتنقلت من خيمة إلى خيمة، وكان الرجل الأقوى في كلّ خيمة يضاجعها لإظهار مدى إخلاصه وولائه لزعيمه الميت. وبعد أن تلقي نظرة على إطار الباب الشعائري ثلاث مرات في أرض الموتى، يتمّ اصطحابها في سفينة تبحر حيثما يواري الثرى زعيم القبيلة الميت. وهناك تُعطي شرابًا مسكرًا لتغيب عن الوعي ويضاجعها ستة رجال أشداء أقوياء. ثم تُوضع بجانب الجثّة وتُخنق وتُطعن بسكين بين ضلوعيها. وأخيرًا، تُضرم النيران في السفينة ويُحرق كلّ من زعيم القبيلة الميت والمرأة العبدة.

لا يعدّ الجنس جزءًا من الاحتفال الجنائزي كظاهرة تاريخية فحسب. في تايوان حيثما يكون معظم الناس إمّا بوذيين أو طاويين أو كليهما، أصبحت الفنانات العاريات جزءًا من طقوس الدفن للرجال في العقود القلائل الماضية. انتقل هذا التقليد إلى البرّ الرئيس لجنوب الصين، على الرغم من أن السلطات هناك حاولت قدر الاستطاعة القضاء علي هذا التقليد واستئصاله. وعلى الرغم من هذا، فإن العلاقة بين هذا العرض الجنسيّ والطقوس الجنائزية نفسها أقلّ مباشرتية من طقوس زعيم القبيلة في النوردية. ونظرًا لأنّ عدد الأشخاص الذين يحضرون الجنازة يعدُّ مقياسًا لاحترام الرجل الميت، فإنّ وجود فنّانات عاريات يرقصن حول التابوت بضع دقائق يعدُّ وسيلة فعالة لزيادة عدد المشيعين.

اعتمدت كثير من الحركات الدينية الحديثة في بعض ممارساتها على استخدام الطقوس الجنسية في الديانات الأكثر قِدمًا. وفي معظم الأحيان، تستند ممارسات العصر الجديد هذه إلى تصورات لها أساس راسخ أقل ممّا مضى في الواقع التاريخي. وهناك عدة أسباب لذلك، من بينها القناعة السائدة بأن أي دين يُقمع من قبل المسيحية وتوجهاتها المناهضة للجنس يجب أن يتضمّن مجموعة من المعتقدات المختلفة تمامًا والمؤيّدة للجنس. ولأنّ المصادر التي نعتمد عليها لدراسة كثير من الديانات القديمة ليست دائمًا سليمة ودقيقة، فقد فتح هذا الأمر المجال أمام المؤرخين الراغبين في الاطلاع على القصص الجديدة وأتباع العصر الجديد الراغبين في معرفة الجنس الديني لافتراض وجود ممارسة الجنس الشعائري حيثما لم يكن موجودًا.

ابتكر المؤثر والمنجم البريطاني آليستر كراولي ما أسماه بالكتلة الغنوصية لحركته المعروفة باسم أوردو تِمبلي أورينتي Ordo Templi Orientis (أوامر فرسان المعبد من الشرق) (أوتو). ومن بين أمور أخرى، شملت الكاهن الذي يولج قضيبه في مِهبل الكاهنة بحربته المقدّسة؛ أي قضيبه المنتصب. كانت كتلة كراولي إلى حد كبير فسادًا للكتلة الكاثوليكية الرومانية إلى جانب كثير من الأفكار المتنوعة حول عكس الطقوس الكاثوليكية. ومع ذلك، فإن استخدام طقوس كراولي للمغايرة الجنسية لا تشير إلى حدود استخدامه للنشاط الجنسي - فقد أكّد على أنّ كلّ من المثلية الجنسية والاستمناء هما طريقتان ممتازتان لإطلاق العِنان لقوى السحر الخارقة. لقد كان مولعًا بالإشارة إلى التنترية والمعتقدات اليونانية والمصرية من أجل دعم أفكاره عن الجنس المقدّس، على الرغم من أن مراجعه تميل عامّة إلى إثبات أنّ بصيرته ومعرفته الدقيقة بهذه التقاليد كانت محدودة إلى حدّ ما.

إذا كان كراولي مُلهمًا بفكرة الكتلة العكسيّة أو الكتلة الكاثوليكية السوداء، فقد تبنّاها أنطون لافي وكنيسة الشيطان التي يرأسها قلبًا وقالبًا. ومع ذلك، نحتاج إلى أن ندرك أنه على الرغم من وجود الكثير من المعتقدات حول النشاط الجنسي بين السحرة والشياطين، فإنّ الكتلة السوداء الجنسية تعتمد أساسًا على تقليد رؤى الرعب المسيحية منذ القرن التاسع عشر. هناك حادثة عرضية منفصلة وقعت سابقًا؛ في عام 1673، في غمرة يأسها للحفاظ على مشاعر لويس الرابع عشر، من المفترض أن عشيقته مدام دي مونتيسبان شاركت في كتلة سوداء تضمّنت، من بين أشياء أخرى، امرأة عارية

ودماء ضحية من الأطفال. ولكن ليس قبل لافي يمكننا إثبات أن الكتلة السوداء التي تمارس الجنس الشعائري قد خطت خطوة من الفانتازية إلى الحقيقة. لقد كان تركيز لافي على الجنس المقدّس المستوحى من ما اعتبره لافي الموقف الزائف الأساسي تجاه الجنس المأخوذ عن المسيحية. وأشار، على سبيل المثال، إلى الطريقة التي يشتهي بها الرجال المسيحيون النساء شبه العاريات في السيرك الذي عمل فيه على مدى فترة طويلة، على الرغم من أن الرجال أنفسهم يرتدون لباس التقوى في قدّاس الآحاد عندما يدعون الله ويتضرّعون له أن يغفر لهم خطاياهم ويحرّرهم من شهوات الجسد.

عمل جيرالد جاردنر، الذي شارك في تأسيس حركة العرافة والسحر والشعوذة الدينية الجديدة «ويكا» Wicca، مع ما أسماه «الطقوس العظيمة»، التي اتخذ جزءًا منها شكل الجماع الغيري الشعائري حيث يتم وضع «حربة» الرجل (قصيبه) في «كأس المرأة» (فرجها). وكما ذكر في كتابه عنوانه «كتاب الظلال»: «وستتحرّرون من العبودية، وعلامة تحرّركم أن تكونوا عراة في طقوسكم، وأن ترقصوا، وتغنوا، وتقيموا الولائم وتعزفوا المعازف والموسيقا وتمارسوا الحب». ادّعى جاردنر أنه خُلق بوساطة ساحرة تدعى أولد دوروثي، والتي قيل إنّها عضوة في طائفة الساحرات التي يرجع تاريخها إلى قرون ماضية. ومع ذلك، تعتمد هذه الطقوس الجنسية الدينية في الواقع على الأفكار القديمة حول العربدة الجنسية في سبت السحرة أكثر من أيّ ممارسة ما قبل المسيحية الحقيقية في أوربّا الغربية. أثرت الأوصاف الأدبية عن المغايرة الجنسية الشعائرية بين عبدة الإلهه الوهمية في بريطانيا الآرثرية التي ذكرتها الأدبية والروائية ماريون زيمر برادلي في روايتها « ضباب أفالون»عام 1983 تأثيرًا كبيرًا على المفاهيم الدينية الجديدة حول أهمية الجنس في السياقات الدينية. تلعب أسطورة ما يصطلحون عليه بالزواج المقدّس بين الإلهه والإله ذو القرنين دورًا رئيسًا في حركة ويكا وغالبًا ما يُنظر إلى المغايرة الجنسية على أنها إعادة خلق للجماع الإلهي. وقد أدّى هذا التركيز على الاستقطاب الجنسي بين الرجال والنساء إلى ظهور بعض الانتقادات النسوية والغريبة داخل الحركة، على أساس أنّها متحيّزة للجنس الغيري وغير ضرورية.

هناك حدود قليلة لما يمكن تضمينه في الطقوس الدينية تشمل على سبيل المثال لا الحصر الطعام والشراب والقتل والتضحية بالحيوان والأغاني والرقص والرياضة والقراءة والصمت، وهذا غيض من فيض. لا يجعل الاستخدام الشعائري للجنس الجنس فريدًا في هذا السياق الديني. وفيما يتعلق بتاريخ الدين، لم تلعب الطقوس الجنسية دورًا مهمًّا على وجه التحديد. وهذا يرجع إلى هيمنة الديانات التوحيدية الثلاث الكبرى، وخصوصًا بسبب النزعة المسيحية المهيمنة لإفراغ الجنس من أي تعريف ديني. وهذا يعني أنّ فكرة ممارسة الجنس في جزء من الطقوس الدينية تبدو غريبة على كثير من الناس.

وفي الوقت نفسه، يمكننا أن نرى أن كثيرًا من الطقوس الجنسية الموجودة تنطوي على ممارسة نوع الجنس المحظور على خلاف ذلك بدلاً من النوع المقبول في إطار النظرة العالمية لأديان معينة، وهذا بالضبط يمثل حقيقة الحظر أو الاستثناء التي تجعل هذا النوع يتسم بالقوة.

اختصاصي**الديني الجنس**

عندما يُستخدم الجنس بهذه الطريقة المباشرة في السياقات الدينية، فمن الطبيعي أن تكون السيطرة عادة في أيدي الزعماء الدينيين العاديين. ومع ذلك، فإنّ اختصاصي الجنس الديني ليست ظاهرة واسعة الانتشار. تظهر فكرة اختصاصي الجنس الديني الذي تتمثّل وظيفته الأساسية في التعامل مع المسائل الجنسية بوضوح في الأوهام المثيرة جنسيًّا في الأديان القديمة في البلدان البعيدة. ولكن حتّى لو لم يكن اختصاصيّو الجنس الدينيون موجودين بالقدر الذي قد يعجب الكثير من الناس ويحظى بقبولهم، فهم غائبون تمامًا.

يحتوي الكتاب المقدس العبري على عدد من الإشارات إلى البغايا المقدسات في المعابد. ونظرًا لأن هذه الإشارات تتكون إلى حدّ كبير من إدانات للسلوك، والذي يُزعم أنه - يصف الشعوب المجاورة، لا يمكننا التعامل معه كدليل قاطع أو برهان ساطع على وجود البغايا في هذه الأديان الأخرى. لا تدعم المصادر الرئيسة المتعلّقة بمختلف الديانات في الشرق الأوسط القديم المزاعم اليونانية أو التوراتية بأن البغاء المقدّس كان واسع الانتشار. ومن المحتمل أن تكون الأقوال التوراتية مثالاً آخر على الإسرائيليين الذين يعزون عاداتهم لجيرانهم الذين يعدُّون أنفسهم غير شريرين. ومع ذلك، كان هناك خبراء في الجنس الديني غير المتعلق بالبغاء؛ حيث لعبت الكاهنات في بابل القديمة، على سبيل المثال، دورًا جنسيًّا عندما شاركن الإلهة إنانا Inanna في زواج مقدس مع الملك.

ومع ذلك، فإنّ حقيقة وجود أساس ضعيف لافتراض وجود الدعارة المقدسة بين أديان الشعوب المجاورة لإسرائيل ليست نهاية القصة. يشير الحظر المحدد ضد الإسرائيليين الذين إما أن يصبحوا داعرين وداعرات في المعابد إلى أن هذه الظاهرة ربما لم تكن معروفة في الديانة الإسرائيلية نفسها. ويخبرنا الكتاب المقدس، على سبيل المثال، أن مومسات المعبد قد تم إدخالهن إلى المعبد في القدس تحت حكم الملك رحبعام ابن سليمان. ونظرًا لوجود إشارات متكررة إلى أولئك الذين مارسوا البغاء في المعابد تم إقصاؤهم من الأرض، فقد تكون هذه الممارسة مرتبطة بالتدين الإسرائيلي. ومن المثير للاهتمام أنّ هناك عددًا من المناسبات التي تكون فيها الإشارات فقط لطرد البغايا من الذكور، ممّا قد يشير إلى أنه تمّ السماح للبغايا من النساء بالبقاء. ومع ذلك، لا توفر المصادر أساسًا لاستخلاص أي استنتاجات مؤكدة حول الكيفية التي مارس بها الإسرائيليون دينهم فيما يتعلق بالجنس الشعائري.

وإذا كانت الروايات التي قيلت في الشرق الأوسط عن عاهرات المعابد غامضة للغاية، فهناك أمثلة أكثر وضوحًا على خبراء الجنس الديني في أماكن أخرى. وغالبًا ما لعبت النساء الديفاداسي Devadasis (النساء اللائي كرّسن حياتهنّ لخدمة الآلهه)، اللائي ارتبطن بالمعابد الهندوسية، دورًا

جنسيًا متخصصًا في العبادة الهندوسية. وعلى الرغم من أن النساء الديفاداسي لم يعدن منتشرات على نطاق واسع، إلا أنهنّ ما زلن موجودات في ولايات أندرا براديش وكارناتاكا وماهاراشترا الهندية. إن واجبهنّ الأساسي هو أن يرقصن في المعابد، وعلى الرغم من أنّ النساء الديفاداسي في الأماكن الأكثر قداسة في المعبد يجب أن يكنّ عذارى، فإنّ الجنس يعدُّ جزءًا من الوظيفة الدينية للنساء الديفاداسي الأخريات. ومن بين واجباتهنّ التقليدية، على سبيل المثال، ممارسة الجنس مع الأمراء المحلّيين ومع قساوسة البراهمة، وكثيرًا ما يكن متاحات للرجال المحليين الآخرين الذين ينتمون إلى أعلى ثلاث طبقات اجتماعية. ومع ذلك، لا يمكن أن يُطلق عليهن اسم «مومسات المعابد»، حيث إنهن من حيث المبدأ لا يحصلن على أجر مقابل ممارسة الجنس. وانطلاقًا من خدماتهن الجنسية، تلعب النساء الديفاداسي في المعابد دور المومسات السماوية سوارجابيسيا أو أبسارا، اللائي ينتمين إلى محكمة إندرا، ملك الآلهة، واللائي يقدمن المتعة الجنسية للآلهة. يعتبر الجماع الجنسي الذي تمارسه النساء الديفاداسي قوة إيجابية لها تأثير مفيد على المجتمع عامة. ويرتبطن أيضًا مباشرة مع الآلهة، حيث يتمّ تكريسهنّ رسميًّا بشكل متكرر لآلهة هندوسية معينة - غالبًا شيفا Shiva أو كريشنا Krishna - وبعضهن مخصص فعلاً للآلهات، مثل الإلهة يِلاما Yellamma في ولاية كارناتاكا. وفي بعض الحالات، تحب النساء الديفاداسي أن يشرن إلى الإلهة كأزواجها.

ومثلما وجدت الأديان الحديثة طرقًا جديدة لاستخدام الجنس في السياقات الدينية، فقد توصلت أيضًا إلى نوع جديد تمامًا من اختصاصي الجنس. وعندما ناشد يسوع المسيح بطرس وشقيقه أندرو ليصبحا من حواريه، فقال لهما يسوع «هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا تَصِيرَانِ صَيَّادَيِ النَّاسِ». ومن الناحية التقليدية، فقد تمّ اعتبار هذا بمثابة ترغيب في النشاط التبشيري. وفي سبعينيات القرن العشرين، توصل ديفيد بيرج، مؤسّس وزعيم الحركة الدينية الجديدة «العائلة» (المعروفة أيضًا باسم «أبناء الله» أو «العائلة الدولية»)، إلى تفسير أصولي لموعظة يسوع ليصبح «صيادي الناس». وتمّ إرسال أفراد من العائلة «الشابات الصغيرات» لتشجيع الرجال على اعتناق الدين الجديد عن طريق استخدام الجنس. و«الطُعم» أي الشابات الصغيرات لا يمكنهنّ فهم صلب المسيح، أو فهم يسوع المسيح. ولكن بمقدورهنّ فهم قصة الخلق الكاملة للربّ، الخلق عن طريق امرأة. وقال بيرج مفسِّرا: «إن كلّ واحدة منكنّ أيتها الفتيات الصغيرات تمدّد ذراعيها وساقيها على السرير لهؤلاء الرجال تقوم بدور مثل دور يسوع المسيح، دورٍ لا يقلّ شأنًا عن دور يسوع المسيح. ومضى هذا العمل التبشيري الجنسي الذي كان يُطلق عليه «الصيد بالمغازلة» و«المومسات من أجل يسوع» (كما كان يُطلق عليهنّ) في إطار عملية التدريب قبل السماح لهنّ ببدء نشاطهنّ التبشيري الجنسي. واستخدمت «المومسات من أجل يسوع» الجنس أيضًا كوسيلة لكسب رضا الرجال المؤثّرين في السياسة والأعمال لصالح العائلة. ووفقًا للسجلات الشاقّة التي تحتفظ بها الحركة، فقد تمّ تزويد 223،3 رجلًا

بالرسالة المقدّسة بهذه الطريقة عن طريق المواقعة الجنسية. وعلى الرغم من سلامة النيّات، تم وقف هذه الممارسة في عام 1987 بسبب خطر الإيدز.

أحد أهمّ الأسباب وراء عدم وجود الكثير من اختصاصي الجنس الديني هو أنّ وجودهم قد يعني فرض عقوبات دينية وينطوي على تنظيم الجنس في سياقات لا يدخل فيها الزواج في الصورة. ونظرًا لأنّ هذا النوع من الجنس غالبًا ما يكون موجودًا على هامش ما هو مقبول من الناحية الدينية، فإنّ اختصاصي الجنس الديني هو شخصية مستحيلة في كثير من الأديان - وهذا ربما هو السبب الذي يجعل اختصاصي الجنس غالبًا ما يظهرون في تصوّرات غريبة حول ما يحدث في الأديان الأخرى. ولكن حتى ولو كان وجودهم نادرًا، فإنّ اختصاصي الجنس الديني ينتمون إلى المشهد الجنسي للدين. وحيثما يوجدون، يتمّ تكريمهم، ويشهدون على حقيقة أنه لا يوجد شيء في الدين كظاهرة تستبعد إمكانية ممارسة الجنس الشعائري بالكامل.

الرمزية الجنسية المقدّسة

وليس من قبيل المبالغة القول إنّ الإثارة الجنسية تصبح ملموسة تمامًا خلال مهرجان كانامارا ماتسوري (مهرجان القضيب الفولاذي) kanamara matsuri، مهرجان شينتو السنوي في مدينة كاواساكي في اليابان. تُحمل القضبان التي يبلغ طولها عدة أمتار، بعضها أسود اللون وبعضهم الآخر وردي فاتح في موكب مهيب مقدس. وتوضع قضبان خشبية ضخمة في معبد كانایاما Kanayama حتى تتمكّن الفتيات الصغيرات من الركوب عليها وضمان أنهنّ سيصبحن عرائس مثمرة في المستقبل. حتى النساء البالغات تتوق إلى الركوب علي هذه القضبان الضخمة أو على الأقل لمسها. كما يعتقد الرجال المصابون بالعُنة الجنسية أن هذه القضبان سوف تساعدهم في التغلب على العجز الجنسي عند لمسها. وتحمل النساء السعيدات اللواتي يرتدين الأزياء الاحتفالية قضبان اصطناعية بحجم قضبان الأطفال ويمكن للمؤمنين الأتقياء شراء مصّاص لأطفالهم على شكل قضبان اصطناعية لكي يلعقونها. يمكن للأشخاص الذين يبحثون عن التغذية الجيدة شراء الملفوف الصيني والخضروات الأخرى على شكل القضبان. وفي مهرجان مشابه في ضريح أوغاتا-جينجا Ogata-jinja في إنيوياما، تسير الناس في موكب في جميع أنحاء المدينة بالعوامات التي تحتوي على أعضاء جنسية ذكورية وأنثوية، بينما في ضريح تاغاتا-جينجا القريب، تُحمل القضبان الضخمة حمراء اللون.

يتمثّل ما هو مثير للغريزة الجنسية أو الشبق بالنسبة لشخص ما في الإباحية للآخر، ولذلك ليس من السهل تحديد كيفية تصنيف صور واضحة للغاية للجنس الديني مثل هذه. وعلى الرغم من أن هذا الشبق الجنسي الديني يعدّ دليلًا واضحًا على مدى الاختلافات الكبرى بين مواقف الأديان المختلفة تجاه الجنس. ويعني العداء العام لممارسة الجنس في المسيحية أن التصوّرات المثيرة

للغرائز من هذا النوع عادة ما تكون غائبة ما لم يكن الجحيم والشياطين جزءًا من المشهد. ولم يُقصد حشو الصور المسيحية القديمة للقديسات شبه العاريات ومريم العذراء التي تعطي ثديها بأعجوبة للقديسين الذكور مثل برنارد كليرفو بالإثارة الجنسية، على الرغم من أنها تبدو هكذا اليوم. لم تكن غُرْلَة يسوع المسيح التي من المفترض أنه تمّ حفظُها حتّى عام 1421 في الكنيسة الرهبانية في كولومب بالقرب من شارتر (وفي الكنائس الأخرى أيضًا)، كأثر مقدّس مثير للغريزة الجنسية، على الرغم من أنه كان من المفترض أن تحتوي على المعجزات الخارقة لزيادة الخصوبة. وبالمثل، عندما أنشد كريستيان هيرنهوتر ترانيم عن قضيب يسوع المسيح وثدي السيدة مريم العذراء ورحمها في القرن السادس عشر، أنكروا أن يكون هناك أي دلالة مثيرة للغرائز؛ وكان تفسيرهم هو أن أي خجل يتعلق بالأعضاء الجنسية ليسوع المسيح ومريم ينطوي على إنكار للطبيعة الإنسانية ليسوع المسيح.

غالبًا لا ترتبط المظاهر الدينية - المثيرة للغرائز بالدور المحوري للجنس داخل إطار الدين فحسب، بل ترتبط بجوانب أكثر تحديدًا. ترتبط طقوس القضيب في الشينتوية التي يُحتفل بها في المعابد في جميع أنحاء اليابان بشكل خاص بفكرة أن الآلهة قد تزيد من خصوبة المؤمنين إذا استخدموا الرموز المثيرة للغريزة الجنسية في طقوسهم الدينية. وتعتبر مساعدة الآلهة ضد العجز الجنسي وعدم الإنجاب عنصرًا واحدًا وقاسمًا مشتركًا في هذه المهرجانات الخاصّة بالأعضاء الجنسية – ويتمّ تحسين الزراعة وتعزيز الأعمال أيضًا بشكل خارق انطلاقًا من هذه الطقوس. تعدُّ قوة الخصوبة الإلهية أيضًا قوة إيجابية عامّة؛ فالقضبان، التي غالبًا ما توجد في المعابد أو على جانب الطرق، ليست موجودة فقط لضمان جميع أنواع الخصوبة ولكن أيضًا كحماية ضد قوى الشر.

تقدم إثارة الغريزة في الديانة الشنتوية أيضًا أمثلة على الرمزية الدينية التي تُستخدم مباشرة في النشاط الجنسي، كما لو كانت تضمن مباركتها إلهيًّا. وعلى سبيل المثال، منذ القرن السابع عشر، تم نحت قضبان اصطناعية في صورة أوتافوكو Otafuku، إلهة الفرح، أو بينتين Benten، إلهة الحب المشهورة. وهذه الأخيرة لا تزال الصورة الشائعة للقضبان الاصطناعية المستخدمة في حانات العراة اليابانية.

لا تقتصر القضبان والفروج الخاصة بالآلهة على الديانة الشينتوية فحسب، فهناك كثير من الديانات الأخرى التي تركز على الأعضاء الجنسية بطريقة مماثلة. ففي الهندوسية، يعدُّ القضيب - لينغام lingam - رمزًا دينيًا للغاية في الوقت نفسه، والفحولة الجنسية، ورمزًا للإله شيفا. عادة ما تحتوي الأضرحة الخاصة بالإله شيفا على قضبان كبيرة الحجم تستقرّ في منتصف الضريح، وعلى الرغم من أنها في كثير من الأحيان منمقة في الشكل بحيث قد يفترض غير المتمرسين أنهم ينظرون إلى شيء ليس أكثر من كونه حجرًا كبيرًا وطويلًا مصقولًا للغاية.

وتبدو قضبان شيفا كأنها أشياء لغرض العبادة، ويتمّ غسلها بالماء المقدّس، ومسحها بالحليب والزبدة والعسل، وزخرفتها بالزهور. ويعدُّ بعضها أكثر إثارة من الأخرى؛ يقوم الكهنة في معبد تيلاباندیشوار Tilabhandeshwar في فاراناسي Varanasi بإبلاغ الزوّار أنّ قضيب المعبد ينمو باستمرار، مثل القضيب الإلهي مع الانتصاب المتزايد إلى الأبد، وعاجلًا أم آجلًا سيكون عليهم زيادة ارتفاع السقف.

وعلى غرار القضبان في المعابد الهندوسية، هناك صور رمزية للأعضاء الجنسية الأنثوية. تأتي هذه الأعضاء الجنسية الأنثوية التي تُسمّى يوني (المهبل) yonis بأحجام مختلفة وعادة ما تشير إلى آلهة مختلفة. وغالبًا ما يستقرّ لينغام (القضيب) شيفا في كثير من الأحيان في منتصف يوني (المهبل) وهذا ليس إشارة على الإيلاج بقدر ما هو إشارة إلى النموّ في المهبل.

ليست الأعضاء الجنسية المنمّقة وحدها التي تلعب دورًا رئيسًا في الرمزية الدينية للهندوسية. حيث إنّ معابد خاجوراهو في ولاية ماديا براديش ومعبد كونارك في ولاية أوريسا مغطاة بالكامل تقريبًا بمجموعة متنوّعة من الصور التي تعبر عن الأنشطة الجنسية المختلفة، وتوجد صور مماثلة على نطاق أقلّ في معابد أخرى في الفترة نفسها في جميع أنحاء الهند. ويمكن أيضًا العثور على صور فن إثارة الغرائز في المعبد ولكن في مدة لاحقة في كثير من المعابد في نيبال. تعرض معظم الصور مجموعة كبيرة ومتنوعة من النشاط الجنسي بين الجنسين المغايرين والنشاط الجنسي بين السحاقيات، والجنس بين الرجال أقلّ شيوعًا، رغم أنّه موجود، إلى جانب الظواهر الجنسية الأكثر هامشية. يحوي معبد خاجوراهو، على سبيل المثال، صورة تجمع اثنين من الخيول السعيدة وعلى ما يبدو أنه تم التقاط الصورة من الخلف بوساطة أحد الرجلين، بينما الآخر يعرض قضيبه المنتصب على فم الحصان. يوجد في كونارك أيضًا صور لممارسة الجنس مع الحيوانات، كما يوجد في عدد من المعابد في بوبانيسوار، بينما في بهاكتابور في نيبال يمكننا أن نرى الحيوانات تمارس الجنس بعضها مع بعض بالإضافة إلى صور مختلفة عن الأبراج الجنسية البشرية. والكيفية التي يجب بها تفسير هذه الصور المثيرة للغرائز غير مؤكّدة، ولكن ليس من غير المحتمل على الإطلاق أن هذه الصور تخص الجنس المقدّس، وهي منفصلة تمامًا عن المثل العليا للزواج، وتمثّل شيئًا مشابهًا للاعتداء الممنهج الذي يكمن في صميم التنترية الهندوسية .

مثل الهندوسية، كانت الديانة الإغريقية مفتونة بالأعضاء الجنسية الإلهية؛ ومؤخرة الصورة التي تتضمّن الديانة التي تركز إلى الأبد على تأمّلات سامية وأفكار فلسفية ليست صحيحة تمامًا. وكانت القضبان المنتصبة موجودة على جميع الجوانب. استقرّت أعمدة الهيرما Hermai التي تتميز بوجود رأس إنسان وقضبان منتصبة عند كلّ باب من الأبواب الأمامية ووضعت أيضًا على حدود المدينة. وجدير بالذكر أنه حُملت القضبان الضخمة في جميع أنحاء أثينا أثناء العيد السنوي لديونيسوس وكان كشف النقاب عن أحد القضبان عنصرًا أساسيًا في كشف الأسرار الغامضة لديونيسوس.

وتمثّل القضبان المقدّسة عنصرًا أساسيًا في الديانة الرومانية. وكانت القضبان تزخرف بلفائف وتمزّق لتربط حول الأعناق كتمائم قوية - حتّى الأطفال الصغار كانوا يرتدون هذه التمائم بغرض الحماية. في الديانتين اليونانية والرومانية، ارتبطت الأهمية الدينية للقضيب بأكثر من الخصوبة ويبدو أنها تمثّل قوة قوية للحماية الإلهية التي ركّزت بشكل خاص على الأشخاص في المواقف الخطيرة، أو الذين كانوا يخضعون للتحوّلات البدنية.

تعدّ بعض الصور الدينية الجنسية الأكثر وضوحًا التي نعرفها، لسوء الحظّ، منفصلة عن سياقها الأصلي بحيث لا يوجد لدينا الكثير لنتتبعه أكثر من الصور نفسها. تكشف الموادّ الأثرية الباقية من حضارة موتشي Moche التي ازدهرت على الساحل الشمالي لبيرو في الفترة بين 100 - 800 عن تصورات ومظاهر متكررة للجماع بين الجنسين المغايرين في ما يبدو أنها في سياقات شعائرية. ومع ذلك، يندر وجود الجنس المهبليّ ومعظم الصور تمثّل الجنس الشرجيّ. وليست أنشطة المغايرة الجنسية التي تنقلها الصور دائمًا بين البشر بشكل كامل؛ فالنساء يظهرن في صور يمارسن أيضًا الجنس مع الحيوانات ومع مختلف المخلوقات الخارقة للطبيعة، وغالبًا ما تكون مخلوقات بشريّة لها مخالب كبيرة. وفي بعض الصور، يبدو أنّ الشريك الذكر أسير حرب، يتمّ التضحية به بعد ذلك للآلهة. وتبين بعض الصور الجنس الشرجيّ بين الجنسين المغايرين في سياق الطقوس الجنائزية. بينما تصوّر الصور الأخرى الأشخاص القادمين بالقرابين الكبيرة وهم يمارسون الجنس في الوقت نفسه. تمّ تعزيز العلاقة بين الطقوس الجنسية والموت انطلاقًا من الصور كثيرة لنساء يمارسن الجنس مع مخلوقات تشبه الجثث الحية، وانطلاقًا من وضع أشياء جنسية صريحة في المقابر جنبًا إلى جنب مع الجثّة.

تشير صور موتشي إلى ما يبدو أنه سلسلة من الطقوس الجنسية للغاية، ولكن من الصعب تحديد الدور الذي لعبته هذه الصور المثيرة للغرائز في الدين، بصرف النظر عن حقيقة أنها تبدو بمثابة هبات وعطايا شعائرية جنائزية مهمّة. ومع ذلك، فالصور الجنسية الصريحة ليست فريدة من نوعها في ثقافة موتشي ولا تقتصر عليها فقط ولكن يمكن العثور عليها أيضًا في عدد من ثقافات الأنديز الأخرى، على الرغم من أن هذا للأسف لا يساعدنا في الوصول إلى أيّ استنتاجات محدّدة. ومع ذلك، من بين كل الموادّ التي لدينا عن حضارة موتشي، تشير النسبة العالية جدًّا التي تتكوّن من رموز من هذا النوع إلى دين ذي فهم ديني جنسي الذي يختلف تمامًا عن أيّ شيء موجود بين الديانات الموجودة اليوم.

لعبت الأعضاء الجنسية الإلهية دورًا مهمًّا أيضًا في الديانة الإسكندنافية النوردية، وقد تمّ العثور على 56 قضيبًا منحوتة من الحجارة في العصور القديمة في النرويج، ومن الصعب تحديد أهمية هذه المنحوتات الحجرية لأنه يرجع تاريخها إلى فترة 400 - 600 ميلادية ، فضلًا عن عدم وجود مصادر موثوقة. تمّ العثور على واحد وعشرين من هذه المنحوتات الحجرية على القبور - وثلاثة بالقرب من ركام القبور، ممّا قد يوحي بأنّ لديها علاقة بعبادة الموتى. كما تمّ العثور على عدد من

القضبان الحجرية الأصغر حجمًا مع جثة في المقبرة نفسها. يعتبر بعض الأشخاص أن الأكواب - المجوفة الصغيرة مستديرة الشكل المنحوتة من الحجارة على شكل وعاء - رموزًا للرحم، ولكن المواد التي لدينا لا تمكننا من القول ما إذا كان هذا صحيح أم لا. وحتى الآن تم اكتشاف خمسة عشر قضيبًا من الحجارة تحتوي أيضًا على علامات أكواب منحوتة فيها.

وفقًا لآدم بريمن في القرن الحادي عشر، تم تصوير إله الخصوبة فرييِر بقضيب كبير في ضريحه في أوبسالا. ويوجد تمثالًا صغيرًا لرجل جالس بقضيب منتصب كبير الحجم من عصر الفايكنج Viking Age في السويد، وهو أيضًا عادة ما يشير إلى فرييِر. كانت فكرة أن إلهًا في حالة من الإثارة الجنسية فكرة محرجة، وكانت غريبة على الناس في ذلك الوقت. وفي الواقع، يبدو أنّ النشاط الجنسي القوي للآلهة كان جانبًا آخر من جوانب طبيعتها الخارقة التي تفوق البشر عمومًا.

في قصة فولسا شاتر، وهي قصة محفوظة في مخطوطة أيسلندية من القرن الرابع عشر تُسمّى فلاتينيسيز، حيث ذكرت كيف شهد أولاف هارلدسون، الملك والقديس النرويجي، طقوس تضحوية وثنية. في كل مساء في مزرعة في أقصى شمال النرويج، تُخرج امرأة واحدًا من الفولسا، (قضيب حصان مذبوح) الذي تم حفظه ملفوفًا في قطعة من الكتان والبصل على الملأ. ثم يتم تمرير هذا القضيب من يد إلى يد بين الجالسين حول الطاولة وينشدون عليه ترانيم الطقوس المختلفة. ومن بين أمور أخرى، يتضرّع الناس ويقدّمون صلواتهم إلى مورنير، العملاق الإلهي الأنثوي جوتن، حتّى يتقبّل منهم القرابين. يمثّل الكتان والبصل الملفوف فيهما قضيب الحصان أيضًا قيمة رمزية خاصّة في حدّ ذاتها وربّما يشير إلى تقليد قديم جدًّا. وقد عُثر على كاشطة عظمية من القرن الخامس في مزرعة فلوكساند في شمال هوردالاند تحتوي على نقش لينالاوكار linalaukar، «الكتان والبصل». ولسوء الحظ، لدينا فكرة ليست بالجيدة عن الأساس المنطقي وراء هذه الطقوس الدينية الجنسية القديمة. وبصفته شخصًا ورعًا وقديسًا مسيحيًا غير متسامح جدًّا، لم يكن أولاف بطل قصّة فولسا شاتر مهتمًّا بشكل خاصّ بالمعرفة ورمى القضيب المقدّس إلى كلب المزرعة على اعتبار أنّه قطعة لحم صغيرة.

كان هناك صدى حديث للنضال المسيحي ضد طقوس القضيب في النوردية في منطقة دونا على ساحل فليجلاند في شمال النرويج في عام 1993. وفيما يتعلّق بحجر القضيب القديم الذي تم إرجاعه إلى المقاطعة بوساطة متحف بيرجن، تم منح كل طفل حديث الولادة هدية من قضيب فضيّ وتمّ استغلال الفرصة التسويقية لبدء مسرحية الخصوبة. نظّم المسيحيون المحافظون معارضة قوية لهذه الحركات، بحجّة أن مثّلوا نشاطًا وثنيًا شيطانيًا غير مناسب. كانت ردود الفعل قوية، وبالأخص ضد إعطاء مشغولات فضية على شكل قضبان للأطفال حديثي الولادة - ما يحتاجونه هو الصليب فحسب.

تعدُّ رمزية الجنس المقدّس على أيّ حال ظاهرة تاريخية. اكتشفت الحكومة الإسلامية في إندونيسيا هذا في عام 2008 عندما طبقت قانون مكافحة الإباحية. لم يلق القانون، الذي يحظر العروض العامة سواء التي تحوي الأصوات أو الإيماءات التي قد تكون فاحشة أو جنسية أو تنتهك الأخلاق والآداب العامة في المجتمع «، ترحيبًا من قبل جميع الجماعات الدينية في الدولة. في حين فرح الأعضاء المسلمون المستقلون في البرلمان وصاحوا مهلّلين: «الله أكبر» عندما أقرّوا القانون، بينما غضب الباليون الهندوس وأتباع الديانات التقليدية المختلفة في بابوا. وكما أشاروا إلى هذا القانون قد يفرض قيودًا شديدة على ممارساتهم الدينية التقليدية، نظرًا لأنّ العروض المثيرة للغرائز ظهرت مرارًا وتكرارًا في هذه الممارسات.

تحتوي جدران كثير من المنازل في بوتان الحديثة على قضبان منتصبة مرسومة عليها. ترتبط هذه القضبان الضخمة والهائلة، التي عادةً ما يتمّ تصويرها في لحظة القذف وأحيانًا مع الأيدي المساعدة المرسومة عليها، بشكل خاصّ مع دروكبا كونلي «المجنون الإلهي»، الذي عرض رؤيته الدينية حول عام 1500 انطلاقًا من الإشارة إلى عضوه الخاصّ على أنه «الصاعقة المشتعلة من الحكمة». وفقًا للبوتانيين أنفسهم، فإنّ القضيب يحمي المنازل من الأرواح الشريرة.

لا تمثّل الصور الدينية للرموز والمواقف الجنسية النقيض المتطرّف لتلك الحركات الدينية المعادية للجنس فحسب، بل إنّها تنقل المجال الديني الجنسي كلّه إلى مستوى مختلف تمامًا. وتعني الصور المقدّسة أن المؤمنين يجب أن يلتزموا برؤية دينهم الخاصّ حول الجنس كظاهرة مقدسة جوهرية سواء أحبوا ذلك أم لا. وفي ضوء ذلك، توجد تشابهات بين هذا وبين الأشكال الدينية المختلفة لممارسة واجب الجنس.

وغالبًا ما يمثل وجود الرمزية الجنسية المقدسة - أو غيابها - الصيغة المتطرفة لرؤية دين معين حول الجنس. عندما تحتك الديانات المختلفة بعضها مع بعض، غالبًا ما يتمّ تسليط الضوء على الرمزية الجنسية على وجه الخصوص، وعندما يُوضع أتباع الديانات الأكثر قمعًا من الناحية الجنسية في مواجهة هذا التركيز الصريح على النشاط الجنسي المقدّس في بعض الديانات الأخرى، تميل التناقضات إلى دعم إدانتهم للدين موضع البحث والنقاش.

الفصل العاشر

الأولويات الدينية والجنسية

وكما رأينا، يتميّز المشهد الديني – الجنسي أكثر من أيّ شيء آخر بالتنوّع والتغيّر. ولكن إذا نظرنا عن كثب إلى الأوامر والمحظورات المقدّسة فيما يتعلّق بعضها ببعض والمراسيم الدينية الأخرى، يتبيّن أن التغييرات غالبًا ما تنطوي على كثير من الأوامر أو المحظورات التي يتم تحديثها باستمرار أو خفض تصنيفها ومستواها ورتبتها فيما يتعلّق بالآخرين. غالبًا ما يختار كلّ من المؤمنين العاديين والزعماء الدينيين، صراحةً أو ضمنيًّا، تجاهل بعض القواعد الدينية الواضحة والمطلقة عندما يشعرون أنّ الأوامر الزجرية والمحظورات الأخرى أكثر أهمّية. قد تُنحى التعاليم الدينية الجنسية جانبًا من أجل الترويج لأنواع أخرى من التعاليم، أو قد يتمّ منحها الأولوية على حساب القواعد الدينية الجنسية الأخرى.

وهناك النمط الآخر الذي يبين أنّ جميع التعاليم الدينية الجنسية لا تُمنح القدر من التركيز والاهتمام. في حين يتمّ تأكيدُ بعض الأوامر الزجرية والمحظورات مرارًا وتكرارًا باعتبارها ضرورية للإيمان، قد يتمّ التغاضي عن الأخري تمامًا - غالبًا دون أن نكون قادرين على تمييز أي منطق واضح حول تحديد الأولويات.

خفض رتبة القواعد الدينية الجنسية

منذ سبعينيات القرن الماضي، كانت عناوين الأخبار في العالم الغربي تخبرنا عن الاعتداء الجنسي الواقع على الأطفال والشباب من قبل القساوسة الكاثوليك، رغم أنّ الجوانب العامّة لهذه الفضيحة بدأت قبل عام 2009 تؤثّر في الفاتيكان مباشرة. يمكن أن يكون هناك عدد قليل للغاية من الناس الذين يعتقدون أنّ هذه الفضيحة تخبرنا بالكثير عن المذاهب الكاثوليكية على هذا النحو. لا يوجد في الكاثوليكية ما يشير إلى أنّ الكهنة يحقّ لهم إساءة معاملة أتباعهم أو الاعتداء عليهم جنسيًّا- بل الأمر عكس ذلك تمامًا. ويُمنع منعًا باتًّا ممارسة جميع أنواع الجنس خارج نطاق الزواج، وتُعدُّ الغالبية العظمى من القساوسة الكاثوليك غير متزوّجين ويعيشون في حالة من العزوبية. فالكهنة الذين يستغلّون الأولاد والشباب يخرقون الحظر التامّ الذي تفرضه الكنيسة الكاثوليكية على ممارسة المثلية الجنسية. وما يجعل استغلال الشباب من قِبل الكهنة مسألة أكثر خطورة من منظور كاثوليكيّ هو أنّ الأفعال من هذا النوع تتعارض مع الاختيار الجنسي الطوعيّ؛ وتنطوي على الأفراد الذين هم في موضع سلطة وينتهكون عقول الشباب.

على الرغم من أنّ الاستغلال يتعارض مع كلّ التعاليم الكاثوليكية، إلا أنّ الطريقة التي اختارتها الكنيسة الكاثوليكية للتعامل مع الأمر توضح كيف يمكن لمؤسّسة دينية في ظِلّ ظروف معيّنة أن تتجاهل أهمّ قواعدها الجنسية لأسباب تتعلّق بالأولويات الدينية الجنسية. لا تتضمّن ردود أفعال الفاتيكان وبقية القيادة الكاثوليكية بشأن الاستغلال إجراء تغييرات في المبادئ اللاهوتية، ولكنّها تكشف عن أولويات الكنيسة في التعامل مع القساوسة والكهنة الذين تصرّفوا بشكل سافر ضدّ التعاليم الكاثوليكية بشأن موضوع الجنس. بطبيعة الحال، لا يمثّل انتهاك هؤلاء الكهنة، للقواعد الجنسية واستغلال الأبرياء مشكلة للكنيسة فحسب، بل لأنّهم كانوا - أيضًا - ممثّلين رسميّين للكنيسة أثناء قيامهم بذلك. ولهذا، فإنّ الاستغلال المكتوب يهدّد سمعة الكنيسة عامّة.

يجب أن يوازن كلّ دين الاعتبارات بعضها بين بعض. وفي هذا الصدد، واجهت الكنيسة الكاثوليكية تحدًّيا ثلاثي الجوانب؛ كان يجب عليها إيجاد طرق لحماية سمعة الكنيسة نفسها؛ وكان عليها أن تضمن فرض العزوبية وتطبيقها؛ وحماية الأطفال الأبرياء. اتخذت الفاتيكان قرارًا واضحًا بشأن أولوياتها في هذه الأمور في أوائل عام 1962. ويمكن العثور على هذا القرار بين السطور التي أرسلت إلى جميع الأساقفة في مستندٍ رسميّ ولكن سرّي للغاية. يناقش المستند، الذي أصبح معروفًا للجمهور فقط عندما تمّ نشره في الجارديان في عام 2003، الإغواء الجنسي من جانب الكهنة، والأفعال الجنسية الموجهة ضدّ الحيوانات و«الأشخاص من الجنس نفسه»، والإساءة الجنسية المباشرة للشباب من كلا الجنسين. صرحت الكنيسة أنّ الشيء الأكثر أهمية في جميع هذه القضايا هو مراعاة السرية بشكل صارم. عندما يتابع الأساقفة قضايا من هذا النوع، يجب أن يلتزموا الصمت الأبدي. حتّى الضحايا الذين اتّهموا القساوسة بارتكاب مثل هذه الاعتداءات يجب عليهم أن يؤدّوا قسم الحفاظ على السرية. يجب على جميع المشتركين في التعامل مع هذه القضايا والتحقيق فيها التوقيع على نموذج يتعهّدون فيه بعد الإفصاح عن أيّ شيء من شأنه ينتهك الوفاء بمراعاة السرية، بصرف النظر عن جدّية الأسباب وخطورتها، أو حتّى كان لغرض الصالح العام. إنّ الطريقة الوحيدة التي يمكن بها إعفاء الفرد من واجب مراعاة السرية هي «إذا تم التعبير عن هذا الإعفاء صراحةً من قِبل كبير الكهنة». أي شخص يخالف هذا الطلب؛ طلب الحفاظ على السرية، دون مراعاة الصمت المطلق يتعرّض لخطر الطرد والإقصاء، ممّا يعني أنّ كليهما مستبعَد من الكنيسة ويعرِّض خلاصه للخطر. وهذا ينطبق على الضحية بقدر ما ينطبق على المتّهم.

يجب أن تُغفر ذنوب الكهنة الذين يعترفون بذنبهم والشكل الخاص يغفران خطيئة الكاهن كان جزءًا من الوثيقة التي أرسلت عام 1962. إنّما القساوسة الذين أدانتهم الكنيسة يمكن نقلهم أو إعفائهم من مناصبهم في الكنيسة. لا تؤدّي الإساءة الجنسية في حدّ ذاتها إلى الطرد – بينما يتعرّض فقط أولئك الذين يتحدثون عن هذه الاعتداءات والتجاوزات مع أيّ شخص خارج التسلسل الهرميّ للكنيسة لخطر الطرد. وبذلك تضع الكنيسة الضحايا على المستوى نفسه مع المتّهمين؛ لأن الضحايا معرضون بالقدر نفسه لخطر الطرد إذا ناقشوا ما تعرّضوا له مع أيّ شخص آخر غير قادة الكنيسة.

في هذه الوثيقة الرسمية منذ عام 1962، صرّحت الفاتيكان أنّ أولويتها القصوى في التعامل مع المشكلة تتمثّل في حماية سمعة الكنيسة. ولكن هذا ينطوي على طريقة جيدة في التعامل مع المشكلة أكثر من تجنب الصورة السيئة. إذا تلوثت سمعة الكنيسة التي تعتقد الفاتيكان أنها مؤسسة الله على الأرض، فقد يؤدي ذلك إلى تناقص عدد المتحولين إلى الدين، فضلا عن هجر الكثير من المؤمنين الكنيسة وابتعاد الكثير عن قيادة الكنيسة. وفي نهاية المطاف، فإن خلاص الملايين من الناس على المحك. ومن هذا المنظور، ليس من الغريب حقًا أن تحظى الأخلاقية الجنسية لخدّام الكنيسة بأولوية أقل.

ونظرًا لأن الحفاظ على صورة الكنيسة قضية لا تشوبها شائبة وكانت ذات أهمية مطلقة، فإن استدعاء الشرطة أو اللجوء إلى القضاء الطبيعي للتعامل مع الانتهاكات لم يكن خيارًا ممكنًا. وقبل عام 2000، كان هذا يعني أنه عندما انخرطت الشرطة والسلطات - كما حدث عندما تعرض عدد كبير من الأطفال للاعتداء الجنسي من قِبل القساوسة الكاثوليك في نيوفاوندلاند في نهاية السبعينيات - مارست الكنيسة ضغوطًا ممنهجة على الشرطة والسلطات القضائية بعدم المضي قدمًا في اتخاذ إجراءات ضد المتهمين. وبدلا من ذلك، تم نقل الكهنة المتورطين في هذه الانتهاكات إلى أبرشيات أخرى.

من بين المشكلات التي صاحبت التدابير التي اتخذتها الفاتيكان هي أنه ولا واحدة من هذه الخيارات الثلاثة: الغفران أو النقل أو الفصل، منعت الكهنة المتورطين من ارتكاب المزيد من الجرائم الجنسية. تعني حقيقة إعطاء الأولوية القصوى للحفاظ على الصورة العامة للكنيسة الكاثوليكية في التعامل مع سلوك الكهنة أن سلامة الأطفال ورعايتهم حظت بأولوية أقل. لقد كان من المعروف منذ عقود أن الكهنة الذين تجاهلتهم الكنيسة أو أعفت عنهم أو نقلتهم، استمروا في ارتكاب جرائم أخرى في إطار الرعاية المؤسسية للكنيسة. ويدل فحص الوثائق القانونية والتقارير المنشورة والمقابلات والوثائق الكنسية على أن حوالي ثلثي الأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة سمحوا للكهنة بمواصلة العمل حتى بعد اتهامهم بمثل هذه الجرائم. انعدام الرغبة في اتباع القواعد الخاصّة بالتحقيق ذهب سُدى مع قادة الكنيسة. وفي عام 2010، انتقد الكاردينال النمساوي كريستوف شونبورن وزير الدولة الكاردينال السابق للفاتيكان لعرقلة إجراء التحقيقات التي أجرتها الكنيسة حول الاعتداء الجنسي واسع النطاق في النمسا الذي ظهر عام 1995. حتى البابا يوحنا بولس الثاني تمّ اتهامُه بالتستر على مجموعة من قضايا الإساءة الجنسية والاعتداءات وحماية مرتكبي هذه الجرائم في التسلسل الهرمي للكنيسة. في القضايا التي طردت فيها الكنيسة الكهنة بسبب الاعتداءات الجنسية دون الاتصال بالشرطة أو السلطات القضائية، شرعت الكنيسة في غسل يديها من القضية إذا استمر هؤلاء الكهنة في ارتكاب جرائم خارج الكنيسة. يعني هذا التهاون الممنهج للاعتداء الجنسي واسع النطاق أنه يجب على الكنيسة الكاثوليكية دفع مئات الملايين من الجنيهات إلى الضحايا الذين زجّوا بالكنيسة في محاكم القانون العادية على سبيل التعويض.

يعتبر استعداد الكنيسة للتسامح مع الكهنة الذين ينتهكون المبادئ الأساسية للأخلاقية الجنسية من أجل الحفاظ على صورتها - وقدرتها على إنقاذ ملايين الأرواح - مثالًا نموذجيًا للطريقة التي قد يختار بها الدين أن يغض الطرف عن المبادئ الدينية الجنسية عندما تؤخذ الجوانب الدينية الأكثر أهمية في الاعتبار. تدين الفاتيكان باستمرار جميع السلوكيات الجنسية المغايرة خارج نطاق الزواج وكل الأفعال الجنسية المثلية، حتى أنها كانت على استعداد لعقود من الزمن لقبول كل من هذه الانتهاكات ضمنيًا داخل منظمتها الخاصة - بما في ذلك الاعتداء الجنسي واسع النطاق على الأطفال والشباب - حتى لا يتمّ تدنيس السمعة المقدّسة للكنيسة. والآن، بعد طوفان المكاشفات منذ عام 2009، تخوض قيادة الكنيسة الكاثوليكية معركة شرسة من أجل الحفاظ على سمعتها. ومن المثير للاهتمام أن نسمع كيف يفسّر البابا بنديكت الأحداث. وفي الوقت نفسه الذي عبر فيه عن الصلاة المؤجّلة من أجل المغفرة، قال: إن «العدو»، أي الشيطان نفسه، كان وراء الفضيحة بأكملها لأنه أراد أن يرى «الله مطرود من العالم».لذا فإن المشكلة الحقيقية ليست الإساءة الجنسية ضد جميع الأطفال، ولا التستر الممنهج، ولكن حقيقة أن الشيطان قد استخدم هذه الأفعال لتلويث سمعة الكنيسة.

ويمكننا أن نرى نفس النوع من التحول الراديكالي في الأولويات بين اليهود الأرثوذكس في الولايات المتحدة. وعلى الرغم من أن وسائل الإعلام الليبرالية كشفت عن مجموعة من القضايا التي تعرض فيها الأطفال والشباب للاعتداءات الجنسية من قبل الحاخامات وغيرهم من اليهود الأرثوذكس البارزين، إلا أن وسائل الإعلام اليهودية لم تول هذه القضايا اهتمامًا كبيرًا. وبتعبير آخر، يبدو أن الكثير من أفراد الجالية اليهودية الأرثوذكسية يعتقدون، مثل الفاتيكان، أنه من الأفضل تجاوز مثل هذه الأشياء في صمت بدلاً من تلطيخ سمعة الشخصيات الدينية البارزة لأن ذلك سيؤدي إلى تقويض الدين عامّة. حقيقة أنّ الاعتداء الجنسيَّ على الأطفال يتعارض بوضوح تامّ مع جميع التعاليم اليهودية أمر ثانوي؛ حيث تحظى الأسماء اليهودية الأرثوذكسية من الأعلام البارزين، ومن ثَمّ الدين نفسه، بأهمية أكثر من الحظر الجنسي الأساسي ورفاه الأطفال. ولكن هذا لا يزال وضعًا يكتنفه الالتباس والغموض. ومثلما سعى الكاثوليك الآخرون جاهدين ضد التستر الممنهج للكنيسة الكاثوليكية ضد الإساءات المكتوبة، ضلع اليهود الأرثوذكس في انتقاد ممارسات التستر الأرثوذكسية هذه.

وغالبًا ما تكون القضية أن الإجراءات الممنوعة بحد ذاتها تمثل مشكلة أقل من الأشخاص الذين يتحدثون بشأنها. وخير مثالٍ على ذلك تعامل الفاتيكان مع الاعتداء الجنسي من قبل القساوسة ومحاولة اليهود الأرثوذكس تجاهل الاعتداءات المماثلة. كان المبدأ نفسه معمول به في مصر عام 2005 عندما رفعت مصممة أزياء غير متزوجة تُدعى هند الحناوي دعوى إثبات نسب ضد الممثل أحمد الفيشاوي. لم تكن الفضيحة أنها أصبحت حاملاً خارج إطار الزواج، وبالتالي خرقت القواعد الجنسية الإسلامية الأصولية، ولكنها فشلت بعد ذلك في التصرف بالطريقة المعتادة لشابات مصر من الطبقة العليا اللائي يحملن قبل الزواج؛ ويجرين عملية إجهاض وترقيع غشاء البكارة. لا تمثل

هذه القضية، بالطبع، أي صورة عن الإسلام، ولكنها تقدّم مثالًا جيِّدا على الطريقة التي يمكن انطلاقًا منها التسامح مع انتهاك القواعد الجنسية الإسلامية طالما تمّ تمرير الجنس غير القانوني في صمت. وفي الهندوسية أيضًا تنتشر العلاقات الجنسية السرية بين النساء المتزوّجات من الطبقة العليا وخدمهن الذكور من الطبقة الدنيا على نطاق واسع إلى حد كبير دون أن تمثل قضية رئيسية داخل المجتمع الهندوسي؛ تصبح العقوبات الدينية والاجتماعية المستوحاة من الأديان نافذةً عندما تصبح مثل هذه العلاقات في العلن بسبب الطيش، والحمل أو هروب الزوجين معًا.

هناك، بالطبع، نمط آخر يمكن تمييزه أيضًا في الطريقة التي سُمح للقساوسة الكاثوليك واليهود الأرثوذكس البارزين فعليًا بالإفلات من انتهاك القواعد الدينية الجنسية. غالبًا ما تكون الشخصيات الدينية القوية والمهمة في وضع يسمح لها بتنحية القيود الدينية الجنسية جانبًا أكثر من الأشخاص العاديين؛ لقد رأينا بالفعل كيف يمكن للملوك المسيحيين والمسلمين، الذين لعبوا دائمًا دورًا رئيسًا في الدين، أن يفعلوا إلى حدّ كبير ما يحلو لهم.

ويبدو أنّ بعض الشخصيات المركزية في العالم الديني تمكّنت من العيش في صراع مع قوانينها. كان إبراهيم وزوجاته الكثيرات سببًا لإثارة النقاش اللاهوتي، على الرغم من أن تعدّد الزوجات لم يتعارض مع قانون الكتاب المقدّس. وعلق عدد قليل من الناس على حقيقة أنه كان متزوِّجا من أخته غير الشقيقة سارة. ويشير إبراهيم نفسه إلى ذلك قائلًا: «وَبِالْحَقِيقَةِ أَيْضًا هِيَ أُخْتِي ابْنَةُ أَبِي، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتِ ابْنَةَ أُمِّي.»على الرغم من أن التوراة التي تؤرخ حياة إبراهيم لاحقًا، حظرت سفاح المحارم بوصفه واحدًا من أهم قوانين اليهودية. ويأمر الله نفسه بما يلي: «وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار. يقطعان أمام أعين بني شعبهما». في حالة موسى، الذي انتهك قواعد الجنس العنصرية في التناخ من خلال الزواج من امرأة غير يهودية، دافع الله عنه وعاقب المرأة التي انتقدت موسى بإصابتها بالجذام. لذلك فإن إبراهيم وموسى، الأسلاف الأسطوريين للديانات الثلاث، يسمون فوق كل الانتقادات حتى عندما يفعلون ما قد يتسبب في إعدام الآخرين إن فعلوا نفس الشيء.

هناك أوقات يتم فيها إلغاء لوائح وقواعد ممارسة الجنس الديني عن عمد أو خرقها علنًا لأنها تقع ضمن ما يُعرف بالاعتبارات الدينية الأكثر أهمية. تعتبر قصة سدوم مثالًا مثيرًا للاهتمام للحظر الجنسي الذي تم استبعاده لدعم قاعدة دينية مختلفة لا علاقة لها بالجنس. وعندما طالب سكان سدوم وخاصة الرجال لوطًا، ابن أخ إبراهيم بتسليم الملائكة الذين نزلوا ضيوفًا عنده؛ كان لوط قلقًا من أن يقتحم أهل سودوم الغاضبين منزله ويأخذون ضيوفه عنوة. وهذا سيمثل انتهاكًا مطلقًا للواجب المقدّس لقواعد الضيافة. وقدم لوط اقتراحًا أصليًا لإنقاذ الموقف، وقال للمتجمهرين: «هُوَذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلاً. أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عُيُونِكُمْ». حتى لو تجاهلنا ما كانت تفكّر فيه الفتيات، وهو أمر غير ذي صلة على الإطلاق لأنه كان عليهما طاعة والدهما، فلا تزال هناك جوانب إشكالية حول العرض الذي قدمه لوط لقومه. لو سلمنا جدلًا أن بنات لوط كن

مخطوبات وبصدد الزواج، فإن اغتصاب بناته من قبل الغوغائيين من أهل سدوم كان يعني انتهاكًا لشرف أصهار لوط المستقبليين. وإذا مارست النساء المخطوبات اللائي بصدد الزواج الجنس داخل أسوار المدينة، فإن اغتصابهن يعني من حيث المبدأ أن البنات يجب رجمهن حتى الموت بعد ذلك.

يرفض أهل سودوم عرض لوط لاغتصاب بناته، وبالتالي لا نعرف أبدًا ما إذا كان لوط يعتقد أن الإعدام المقرر لبناته يجب أن يتم تنفيذه أم لا. وبغض النظر عن ذلك، فإن لوطًا وضح تمامًا أن انتهاك أحد أهم أشكال الحظر الجنسي أمر يمكن الدفاع عنه من أجل التمسك بقانون الضيافة الأكثر أهمية كما أعلن لوط لأهل سودوم غير المضيافين: «وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي.» تحظى قصة لوط هذه بأهمية تتجاوز بكثير المتورطين فيها مباشرة، حيث إن إصرار لوط على القيام بكل ما هو ضروري لحماية ضيوفه قد تم اعتباره سلوكًا مثاليًا في التقاليد اليهودية والمسيحية.

ويمكننا أن نرى بين كثير من المؤمنين من جميع الأنواع والفئات نوعًا مختلفًا تمامًا وهو من يخفِّض رتبة التعاليم والمحظورات الدينية الجنسية كثيرة. وتُرى القواعد الدينية الجنسية التقليدية بشكل متزايد أنها أكثر أهمية. لم يعد يُعتقد أن ممارسة الجنس قبل الزواج أو المثلية الجنسية أو الطلاق من بين أهم المعايير الدينية. وبالنسبة للغالبية العظمى من المسيحيين واليهود، هذا هو الحال الآن. إن القبول العام تقريبًا للجنس قبل الزواج، والطلاق، ولو بدرجة أقل إلى حد ما، والمثلية الجنسية يدل على أن معظم الناس يعتقدون الآن أن السلوك الذي أدانه اليهود والمسيحيون يتوافق تمامًا مع المعتقدات اليهودية والمسيحية المعاصرة. وتوجد مواقف مماثلة بين كثير من المسلمين والهندوس والبوذيين.

ولهذا، فإن التعاليم والمحظورات الجنسية يُنظر إليها على أنها جوانب أقل أهمية في الدين، في حين أن أشياء ومعايير مثل مستوى الفرد في النشاط الديني والأمانة والصدق والرضا والتضامن وغير ذلك من الأشياء والمعايير الأخرى تعتبر أكثر أهمية في علاقة الفرد بالدين. حتى في حالة الزنا، الذي لا يزال أقل من مقبول، فمن الواضح أن الجانب الجنسي قد تم خفض رتبته. الفعل الجنسي الذي يشكل الزنا لم يعد دائمًا يكمن في صميم إدانتنا كما كان من قبل، العنصر الأكثر رفضًا من الناحية الأخلاقية هو كونه خيانة الأمانة الأساسية التي تكمن وراء الفعل الجسدي؛ يُنظر إلى الجنس نفسه على أنه شكل من أشكال خيانة الأمانة هذه.

لقد تسببت التغييرات الهائلة في المواقف بين غالبية المؤمنين تجاه قضايا مثل الجنس قبل الزواج والعلاقات الجنسية بين أشخاص من نفس الجنس والطلاق في نشوء مجموعة من المشاكل المحرجة للزعماء والمؤسسات الدينية. كيف تصرف الكثير منهم تجاه أتباع دينهم الذين لم يعدوا يتصرفوا كالعادة وفقًا لعقائدهم من الناحية التقليدية، والأسوأ من ذلك، لم يعد أتباع هذا الدين يعتقدون فيما تمليه عليهم سلطاتهم الدينية.

وهناك في الأساس أربع إستراتيجيات متاحة للقادة الذين يرغبون في خلق توافق بين التوجيهات الدينية الجنسية وبين ما يفعله المؤمنون المخلصون. أولاً، يمكن تغيير القواعد نفسها تمامًا حتى تصبح ممارسة الجنس قبل الزواج (إذا ما أخذنا مثالًا واحدًا فقط) مقبولة تمامًا. وتختلف الاقتراحات في هذه الفئة اعتمادًا على نوع الجنس قيد المناقشة. ففي بعض الأحيان تتغير القواعد بالفعل إلى المدى الذي في إطاره تفكر الزعامات الدينية في وجهات النظر الجديدة حتى تبدو طبيعية منذ البداية. ويمكننا أن نرى هذا، على سبيل المثال، في المواقف المسيحية في الوقت الحاضر تجاه العنصرية الجنسية التوراتية التي ميزت معظم العالم المسيحي حتى وقتنا الحالي. ومن ناحية أخرى، إذا نظرنا في مسألة العلاقات المثليّة الجنسية المرتكبة، سوف يدافع الكثير من الناس اليوم عن هذا الشكل من العلاقات من منظور ديني، على الرغم من وجود قلة قليلة من الناس تعتقد أن هذه العلاقات تمثل شكلاً من أشكال السلوك الجنسي الذي قد أيدته المسيحية أو اليهودية أو أي دين آخر أيًا كان.

في الإستراتيجية الثانية، يحاول الزعماء الدينيون وغيرهم ممن يلتزمون بالقواعد التقليدية إكراه أتباعهم على فعل ما يقره الدين من تعاليم من الناحية التقليدية. لقد حاول كثير من القادة فرض هذا الحل، بل بالفعل خطوا خطوة إلى الأمام وحاولوا إجبار المجتمع بأسره، بصرف النظر عن العقيدة الدينية، على اتباع قواعد السلوك الجنسي الخاصة بهم. كانت هذه إلى حد بعيد الإستراتيجية الأكثر شيوعًا في الماضي ولا يزال هناك عدد قليل من الدول التي تلتزم بهذا المبدأ بشكل صارم للغاية. في أماكن أخرى، كما رأينا، تُبذل محاولات للسيطرة على الأخلاق الجنسية بشكل غير مباشر، على سبيل المثال عن طريق إعادة تعريف التربية الجنسية أو محاولة منع الوصول إلى وسائل منع الحمل. المشكلة في هذا النهج القسري هو أنه يتعارض مع حقوق الإنسان، حيث أكدت كل من المحكمة الأوربّية لحقوق الإنسان ولجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان أن للبالغين الحق في في ممارسة الجنس الرضائي وممارسة الجنس السري دون تدخل وانتهاك للخصوصية. حتى الجنس الجماعي في السر محمي بحقوق الإنسان. يتمتع الزعماء الدينيون بالحرية في تهديد أتباعهم والجميع بالتعذيب والجحيم والحرمان والعقوبات الدينية الأخرى، ولكن في اللحظة التي يُفرض فيها العقاب أو التمييز القانوني على الأشخاص في إطار العمل أو فيما يتعلق بالمزايا أو احترام حرمة حياتهم الخاصة، يتم انتهاك حقوق الإنسان الأساسية.

الإستراتيجية الثالثة التي طبقتها المؤسسات الدينية تمثلت في نفي كل أولئك الذين انتهكوا قواعد الجنس المختلفة. المعضلة هنا شائكة جدًا حيث قد تضطر غالبية المجتمعات الدينية إلى طرد ونفي غالبية أتباعها.

تتمثل الإستراتيجية الرابعة التي تتسم بالإختلاف قدرًا قليلًا في تجاهل التناقضات بين العقيدة والسلوك. وقد تستمر القيادة في إعلان المبادئ المعتمدة والترويج لها، وربما لضمان قيام الكهنوت بما يفترض القيام به، مع ترك الغالبية العظمى من أتباعها القيام بما يحلو لهم. وهذا هو الحل الذي

اختارته كثير من المجتمعات الدينية الرئيسية بصورة ضمنية فيما يتعلق بقضايا مثل منع الحمل وممارسة الجنس قبل الزواج. ومثالب مثل هذه الإستراتيجية يتمثل في أنها يمكن أن تؤدي إلى تآكل جوهر الدين وسلطة القيادة الدينية. عندما يعتقد المؤمنون أنهم لم يعودوا بحاجة إلى الإيمان بمبادئ دينية أساسية معينة أو الإلتزام بها، سيبدأ كثير منهم قريبًا في التشكيك في معتقدات أخرى. وإذا كانت السلطات الدينية مستعدة للسماح لهم بالتصرف كما يحلو لهم إزاء قضية ما، فلماذا لا يحدث ذلك إزاء القضايا الأخرى؟

وأي قبول ضمني للفصل بين النخبة الدينية والمؤمنين العاديين يعني أيضًا أن كل جماعة دينية سيكون لها حقيقتان مختلفتان على الأقل إزاء قضية ما من القضايا، حتى ولو كانت صغيرة. ونظرًا لأن الناس عادة ما يتطلعون إلى مؤسساتهم الدينية وقادتهم لتزويدهم بالحقائق الدينية، والذين سيكونون في وضع يمكنهم من أن يقولوا لفرد مسلم أو كاثوليكي أو يهودي أو هندوسي أنه ليس متدينًا تدينًا حقيقيًا ولديه خلل في عقيدته لأنه يعتقد في شيء مختلف تمامًا. وإذا كانت القيادة الدينية غير مستعدة للتخلي عنهم بسبب معتقداتهم وأسلوب حياتهم، فمن يستطيع القيام بذلك؟ ما المكانة الحقيقية للقيادة الدينية التي تقول شيئًا واحدًا وتقبل في صمت أن يفعل كثير من أتباعها شيئًا مختلفًا تمامًا؟

ومن ثم، فإن خفض رتبة التصنيف الديني للجنس يشكل تحديًا لكثير من الأطراف المعنية وبالأخص القيادة الدينية. وعند التعامل مع الخطر الذي يهدّد سمعة مجتمع ديني بسبب الانتهاكات الجنسية لرجال الدين، وعند مواجهة حقيقة أن كثيرًا من المؤمنين لم يعودوا يولون أي اهتمام لكثير من الأوامر الدينية الجنسية، يتعين على الزعماء الدينيين أن يقرروا ما إذا كان يجب عليهم الالتزام بالمبادئ الدينية الجنسية أو تجاهلها أو حتى خفض رتبتها من أجل دعم المبادئ الأخرى التي يعتقدون أنها أكثر حيوية.

تحسين القواعد الدينية الجنسية

أعلن البابا بينيديكت السادس عشر في عيد الميلاد عام 2008 أن المغايرة الجنسية تستحق الحماية مثل الغابات المطيرة. إن حماية المغايرة الجنسية، في نظر البابا، تنطوي على أشياء مثل قبول الحظر القانوني على المثلية الجنسية والتمييز ضد اللوطيين والسحاقيات، وفي الواقع اضطهادهم. تكشف سياسات الفاتيكان أن إنقاذ الغابات المطيرة هو في الواقع أقل أهمية من خوض معركة ضد المثلية الجنسية ومحاربتها. قد تأتي حماية البيئة الطبيعية على رأس الأجندة اللاهوتية لبعض المسيحيين المعاصرين، لكن فيما يتعلق بالكاثوليكية، فإن هذه القضية تأتي في ذيل الأجندة بسبب النضال الأكثر أهمية لهزيمة المثلية الجنسية.

في حين أن كثير من المؤمنين سعداء بخفض رتبة القواعد الدينية الجنسية من أجل الترويج لقضايا أخرى، هناك مواقف يكون العكس صحيحًا. ومرارًا وتكرارًا، نرى المتدينين والمؤسسات الدينية تخفض رتبة قضايا الإيمان الأخرى أو تنحيها جانبًا - وأحياناً حتى قضايا الإيمان المركزية - لأنها تقف في طريق الترويج لما يعتقدونه حقيقة دينية جنسية أكثر أهمية.

إذا كنت تريد أن تُعلن قديسًا في العالم المسيحي، فعادةً ما تكون ميزة عدم ممارسة الجنس أهم ميزة له. ومن الواضح أن هذا مرتبط بالرأي المسيحي التقليدي الأساسي وهو أن أفضل شيء هو عدم ممارسة الجنس على الإطلاق. وهناك حالات تتطلب النضال الصعب للحفاظ على عذريتك وهذا في حد ذاته سبب كاف لتصبح قديسًا. وذات يوم من الأيام في يوليو عام 1902، كانت ماريا غوريتي، وهي فتاة إيطالية تبلغ من العمر 11 أو 12 عامًا، في المنزل بمفردها عندما هاجمها شاب يدعى أليساندرو سيرينيلي وهدد بقتلها إذا لم تمارس الجنس معه. رفضت ماريا ممارسة الجنس معه وطعنها سيرينيلي عدة طعنات. وتوفيت الفتاة في اليوم التالي، ولكن بعدما أخبرت الناس بما حدث. وتمت إدانة سيرينيلي بالقتل وحُكم عليه بالسجن مدة ثلاثين عامًا. وأثناء وجوده في السجن، ظهرت له ماريا غوريتي في منامه وسامحته. وبعد قضاء العقوبة وإطلاق سراحه دخل سيرينيلي الدير وعندما تم تأبين ماريا تخليدًا لذكراها وإعلانها قديسة شهيدة في عام 1950 كنوع من التكريم، كان سيرينيلي حاضرًا مع والدة ماريا وبقية عائلتها.

يبدو أن ماريا كانت فتاة لطيفة طيبة القلب، لكن ليس جميع الفتيات الكاثوليكيات اللطيفات اللائي يمتن صغارًا يصبحن قديسات. وهناك شيء واحد مؤكّد؛ إذا كانت الفتاة قد تعرضت للاغتصاب بدلاً من قتلها عندما قاومت الشابّ المثار جنسيًّا، فلن يتمّ إعلانها قديسة مطلقًا. والمغزى من هذه القصة لشحذ القضية إلى أقصى الحدود، وهي أنّ الكاثوليكي الجيد حقًّا يجب أن يفضل الموت على ممارسة الجنس قبل الزواج.

تعتبر ماريا غوريتي الشابّة واحدة من كثير من القديسات الأخريات اللائي توفين بدلاً من فقدان عذريتهنّ. لخّص الأب الكنسي ترتليان هذا بإيجاز عندما قال إنّ إدانة المرأة المسيحية بالبغاء أسوأ من تقديمها وجبة سائغة للحيوانات التي تتضوّر جوعًا في البراري.

ونظرًا لأن الشابّات دائمًا ما يتم تنصيبهنّ قديسات بسبب الموت من أجل عذريتهنّ، يمكننا أن نرى مرة أخرى أنّ العذرية الأنثوية تعدّ أغلى وأثمن من العذرية الذكورية. هناك قديسون ذكور ماتوا لأنهم لم يمارسوا الجنس، ولكن ليس من المفاجئ أننا لم نعد نتحدّث عن الجنس الغيري. أصبح الشاب كريستيان بيلاجيوس، الذي أُعدم بعد رفض المناهج الجنسية للخليفة الإسباني عبد الرحمن في القرن العاشر قدِّيسا مسيحيًا شعبيًّا من فوره. قد لا يكون من المهمّ للغاية بالنسبة للرجال المسيحيين الحفاظ على عذريتهم عامّة، ولكن لا يزال من الأفضل أن تموت على أن تمارس الجنس مع رجال آخرين.

يعدّ تفضيل الموت بدلاً من ممارسة الجنس أمرًا مهمًّا في التأكيد على الرسالة المسيحية حول قيمة العذرية، لكنّه لم يؤدّ قطّ إلى مجموعة من المحاكين. والمثال الأكثر حداثة على الطريقة التي يعتقد بها الكثير من المسيحيين أنّ حظر أنواع معيّنة من الجنس أكثر أهمية من إنقاذ الأرواح يمكن العثور عليه في الأكاذيب المتكررة التي تدعي أنّ الواقي الذكري لا يمنع انتشار الإيدز. ادّعى الكاردينال ألفونسو لوبيز تروخيو، رئيس المجلس البابوي للعائلة، في عام 2003 أن فيروس نقص المناعة البشرية ينتقل بسهولة انطلاقًا من الواقي الذكري. في عام 2007 أعلن رئيس الأساقفة فرانسيسكو شيمويو من مابوتو في موزمبيق أنّ الواقي الذكري يسبّب العدوى بفيروس نقص المناعة البشرية. لم يفعل البابا بينيديكت السادس عشر في البداية شيئًا لتصحيح أي بيانات أو معلومات من هذا النوع. من ناحية أخرى، صرح بذلك أثناء زيارته الأولى لإفريقيا أنّ الإيدز «مأساة ... لا يمكن التغلّب عليها انطلاقًا من توزيع الواقي الذكري، والذي يمكن أن يزيد من تفاقم المشكلة». تُظهر التصريحات من هذا النوع التي يدلي بها قادة الكنيسة أنّ معارضتهم وسائل منع الحمل أكثر أهمّية من قول الحقيقة أو منع الناس من الموت بسبب مرض فتّاك. يبدو أن النقد الشديد والمتكرّر لهذا الموقف الكاثوليكي الرسمي، سواء داخل الكنيسة أو خارجها، كان له تأثير معيّن على البابا، كما أشار في عام 2010 إلى أنه قد يتمُّ استخدام الواقي الذكري «في بعض الحالات» لمنع انتقال العدوى البشرية المناعة نقص بفيروس.

يمكننا أن نرى الأهمية الخاصة للأخلاقية الدينية الجنسية في الأديان السماوية الثلاث في التأكيد على العقاب. تدين جميع الديانات الثلاث القتل العمد بطريقة أو بأخرى، لكنّ العقوبة على ممارسة الجنس غير المسموح به تكون في كثير من الأحيان صارمة أو أكثر صرامة من العقوبة على سلب الحياة. ويدعو التناخ عادة إلى إقرار عقوبة الإعدام في كلّ من جرائم القتل وبعض أنواع الجنس الرضائي، مثل ممارسة الجنس أثناء الحيض، والجنس الشرجيّ بين الذكور والزنا. حقيقة أن النساء اللواتي تعرضن للاغتصاب في المدينة والنساء المتزوجات اللائي اغتصبن في أيّ مكان يجب رجمهنّ حتى الموت هي واحدة من أوضح المظاهر حول مدى أهمية قواعد الجنس الصحيحة في ديانة بني إسرائيل.

لا يعطي الإسلام الأولوية الواضحة نفسها لما يعده جنسًا غير مسموح به. يطالب القرآن الكريم بتطبيق عقوبة الإعدام على تهمة القتل العمد ولكن ليس للجنس المحرم. ومع ذلك، في الأحاديث الشريفة يطالب النبي محمّد بتنفيذ عقوبة الإعدام على الزنا بين الجنسين المغايرين وممارسة الجنس بين الرجال.

في المسيحية، علينا أن نرجع إلى التقاليد لنرى كيف كان القتل والجنس غير المسموح به يقابلان بعضهما بعضًا. وكثيرًا ما كان يُعاقب عليهما بالإعدام ويمكن حينئذٍ عدّهما خطيرين بالقدر نفسه. عادةً لا يتمّ إخصاء الرجل المدان قبل إعدامه أو تشويه جسده بعد الموت إلا إذا كان قد أدين الرجل بممارسة الجنس مع رجال آخرين. تمّ إقرار تدرّج العقوبات حتى قبل أن يكون للمسيحيين الحق

القضائي في إعدام بعضهم بعضًا، كما قدم المجلس المسيحي للفيرا، الذي انعقد في إسبانيا في بداية القرن الرابع، نظرة عامة مثيرة للاهتمام حول كيفية تصنيف الانتهاكات المختلفة من منظور مسيحي. يجب أن تُرفض قرابين المرأة التي تهجر زوجها من أجل رجل آخر طوال حياتها، مما يعني أنّها محرومة من كلّ أمل في الخلاص. يجب ألا يُسمح للرجل الذي يعرف عن زنا زوجته ولا يهجرها بتقديم القرابين. ومع ذلك، إذا قتلت امرأة خادمًا عمدًا، فسيتم حرمانها من تقديم القرابين مدة سبع سنوات.

إن الأولوية العليا الممنوحة للقواعد الدينية الجنسية مقارنة بالمراسيم الدينية الأخرى يمكن أن تكون لها عواقب وخيمة حتى دون عقوبة الإعدام والاضطهاد المباشر. عندما اندلع حريق في مدرسة للبنات في مكة في عام 2002، منعت الشرطة الدينية السعودية بعض الفتيات من الفرار من المبنى المحترق، وفقًا لقواعد اللباس الديني الصارمة، لأنهنّ لم يكن يرتدين ملابس محتشمة. وكانت النتيجة موت 15 فتاة وهن محترقات في النيران. عندما قدم ريك بيري، حاكم ولاية تكساس الجمهوري، برنامجًا كبيرًا لتطعيم التلميذات ضد فيروس الورم الحليمي المنقول جنسيًا والذي يسبب حوالي 70% من حالات سرطان عنق الرحم، واجه البرنامج معارضة قوية من كثير من المسيحيين المحافظين. وقال ريك سكاربورو من جماعة ممارسة الضغط المسيحي المحافظة التي تُدعى «رؤية أمريكا»: «يبدو أن قرار الحاكم أنه يعني أن قوانين الله الأخلاقية حول الجنس خارج الزواج يمكن مخالفتها دون تبعات أو عواقب» وبمعنى آخر، من الأفضل أن تموت النساء بسبب سرطان عنق الرحم بدلاً من السماح لهن بممارسة الجنس مع عدة شركاء دون الحاجة إلى القلق بشأن هذا الاحتمال المحدد.

في بعض الأحيان توحد معارضة المثلية الجنسية الأشخاص المستعدين لتنحية الخلافات الدينية – الأساسية- جانبًا معًا بعض الوقت. توجد في القدس انقسامات دينية شديدة في بعض القضايا، وتقف السلطات اليهودية والإسلامية والمسيحية جنبًا إلى جنب في إدانتها لمسيرات المثليين في المدينة. لقد دأبوا على الضغط بقوة على السلطات المدنية لحظر المسيرات، وفي حين هدد كبار المسلمين بهدر دم الذين يشاركون في المسيرات»، وقطع النشطاء اليهود عهدًا - كما رأينا - بمكافأة أيّ شخص يقتل أي من المشاركين في المسيرات. تعرّضت مسيرة المثليين جنسيًّا في عام 2006 في موسكو للإدانة والتعنيف بوساطة البطريرك أليكسي الثاني، رئيس الكنيسة الأرثوذكسية الروسية برمّتها، ودعا القادة المسلمين الروس إلى المشاركة في «مظاهرات جماهيرية عنيفة» ضد المسيرات. وعملت المظاهرات المضادة على توحيد صفوف النازيين الجدد والمؤمنين الأرثوذكس التقليديين الذين يمثّلون رموزًا كبيرة.

هناك أوقات تبرز فيها الدعوة للتركيز على الجنس بشكل خاصّ. استجابة للاهتمام المتزايد الذي يوليه المسيحيون للقضايا البيئية، ادّعى الأصولي الأمريكي البارز جيري فالويل في عام 2007 أن ظاهرة الاحتباس الحراري هي «محاولة الشيطان لتغيير التركيز الرئيس للكنيسة».من بين الأشياء

الأكثر أهمية التي يجب على المسيحيين التركيز عليها، وفقًا لفالويل، كان الكفاح ضد الزواج بين الأشخاص من الجنس نفسه والمثلية الجنسية عامّة. كرّس فالويل الكثير من الوقت والجهد لإدانة برنامج الأطفال البريطاني «تلي تيوبيز» لأن واحدة من الشخصيات تظهر في ملابس بلون اللافاندر مع وجود مثلث على رأسها، وهذه الشخصية يمكن تفسيرها على أنها شخصية مثلية.

على الرغم من أنّ الكنيسة الكاثوليكية تتسامح مع الإساءة الجنسية من قبل كثير من كهنتها لعقود من الزمن، إلا أنّها لا تزال تؤكّد أن مكافحة المثلية الجنسية أكثر أهمية من كثير من القضايا الأخرى. الكفاح من أجل الحفاظ على الغابات المطيرة ليس هو الشيء الوحيد الذي يجب أن يكون في ذيل قائمة الأعمال انطلاقًا من حرب الكنيسة على المثلية الجنسية. تقول الفاتيكان إنه يجب علينا استبعاد المثليين والمثليات من الحماية التي يوفّرها قانون حقوق الإنسان في نواحٍ كثيرة مثل الحقّ في احترام الحياة الخاصة للفرد، والحق في عدم التعرّض للتمييز والحق في حرية التعبير. ولكن سيكون لاستثناء المثليين والمثليات من حقوقهم الإنسانية عواقب تتجاوز الأقليات الجنسية نفسها، لأن ذلك يعني أن حقوق الإنسان يتم النظر إليها بأهمية نسبية بطريقة تفتح الطريق أمام أي شخص لاستبعاد مجموعات أخرى لا تحظى بالقبول، مثل اليهود والنساء والأشخاص ذوي الإعاقة أو الكاثوليك. ولذلك ترى الكنيسة الكاثوليكية بوضوح أنه من المهمّ القيام بحملات للتمييز ضدَّ أولئك الذين يعيشون حياة المثليين والمثليات بدلاً من العمل من أجل ضمان بقاء حقوق الإنسان كنظام.

تعتبر المعارضة الدينية للنشاط الجنسي بين أشخاص من الجنس نفسه هي بلا شك القضية التي جعلت معظم الناس المتدينين اليوم يقللون من الأوامر والمحظورات الدينية للأديان الأخرى. تعد المعارضة الشديدة للمثلية الجنسية فريدة إلى حد ما عند النظر إليها في سياق تاريخي. غيّرت الغالبية العظمى من المؤمنين وجهات نظرهم بالكامل حول كثير من القواعد الأخرى التي كانت تُعطى أولوية عالية داخل المسيحية. في أوقات أخرى، وافقوا على عدم الاتفاق حول هذه القضايا. على الرغم من أن كثير من المؤمنين أصبحوا أكثر تعاطفًا مع المثليين والمثليات في العقود الأخيرة، فإن التركيز على المثلية الجنسية أصبح في وقت واحد أقوى وأكثر سلبية. في حين تمكّنت الكنيسة الأنجليكانية من التغلّب على الخلافات حول إلغاء العبودية والطلاق والكاهنات النساء، فإنّ الاتحاد الأنجليكاني الدولي في طور الانقسام بسبب الخلاف حول مسألة الأساقفة الشواذ. يدين ديزموند توتو، رئيس أساقفة جنوب إفريقيا والفائز بجائزة نوبل للسلام، كنيسته الخاصّة لاتّهامه بأنه مهووس بالمثلية الجنسية. يقول توتو: «إنّ الله يبكي» لرؤية الكنيسة تستخدم كلّ طاقاتها في محاربة المثلية الجنسية وتتجاهل القضايا المهمّة مثل محاربة الفقر. الأولوية نفسها التي نراها في الكنائس الأخرى. عندما تمّ توجيه الاتهام بالهرطقة رسميًّا إلى الأسقف والتر سي رايتر من قِبل الكنيسة الأسقفية الأنجليكانية في الولايات المتّحدة في عام 1995 بعد تعيينه وزيرًا للمثليين علنًا وتلبية دعوة رجال الدين المثليين والمثليّات، لم يكن سوى الأسقف الثاني في الكنيسة الأسقفية لاتهامه بالهرطقة. عندما

برأت المحكمة الأنجليكانية الداخلية الأسقف، شعر الكثير من اللوثريين الأمريكيين البارزين أنّ هذه كانت مسألة خطيرة للغاية، لذا أوقفوا جميع أشكال التعاون بين الكنائس اللوثرية والإنجليكانية.

عندما يصرّ الكثير من المؤمنين على أنّ قواعد الجنس المحدّدة هي أهمُّ العناصر في دينهم، فإن هذا يمثّل عادة إعادة تفسير راديكالي للتقاليد الدينية المحدّدة. يمثّل التغيير في الأولويات الدينية من هذا النوع تحدًّيا في وقت واحد للمجتمع عامّة، حيث يواصل كثير من المؤمنين النشطين المطالبة بإدخال قواعد الجنس التي حظيت بالأولوية في جميع أنحاء المجتمع، وذلك ببساطة لأنها «محورية جدًا» لدينهم.

قاعدة جنسية دينية أفضل من الأخرى

إن الطريقة التي أصبح بها الحظر المفروض على المثلية الجنسية يحتلّ هذا الدور المركزي الفريد في كثير من أنظمة القيم الدينية تقودنا إلى النوع الثالث من ترتيب الأولويات الدينية الجنسية؛ ترتيب التصنيف الداخلي لمختلف الأوامر والمحظورات الدينية الجنسية. غالبًا ما تكون هناك أولوية واضحة توضح أيّ القواعد الأكثر أهمية. تميل كثير من الحملات الدينية المؤيدة أو المعارضة لأحد أشكال النشاط الجنسي إلى تجاهل الأوامر والمحظورات الجنسية الأخرى التي، إذا اتبع النشطاء الدينيين المنطق في مناقشاتهم، يجب أن تحظى بنفس الأهمية أو أكثر.

وفي بعض الدول الإسلامية - إيران، على سبيل المثال - لا يتم فرض حظر على ممارسة الجنس بين الرجال بشكل أكثر صرامة من الحظر المفروض على الزنا بين الجنسين المغايرين. وفي بعض الدول الغربية، من ناحية أخرى، أعاد كثير من المسلمين ترتيب أولويات الأوامر الدينية التقليدية. ويعدُّ القرآن الكريم الزنا بين جنسين مغايرين أشد وطأة من ممارسة الجنس بين الرجال وفي الأحاديث الشريفة، يولي النبي محمّد اهتمامًا بالزنا بين جنسَين مغايرين أكثر من ممارسة الجنس بين الرجال على الرغم من أنّه يرى أنّ كليهما يستوجب عقوبة الإعدام. ومع ذلك، عندما طلب المجلس الإسلامي النرويجي، على سبيل المثال، من المجلس الأوربّي للإفتاء والبحوث أن ينظر فيما إذا كان الإسلام يشدّد على عقوبة الإعدام التقليدية للجنس المحظور، فقد أغفلوا أيّ إشارة للزنا بين جنسين مغايرين وسألوا فقط ما إذا كانت عقوبة الإعدام يجب أن تكون العقاب على المثلية الجنسية أم لا. كان تركيزهم على المثلية الجنسية مهيمنًا حتّى إنّهم لم يميّزوا بين الأفعال الجنسية المثلية للذكور، التي يجب أن يعاقب عليها وفقًا للأحاديث الشريفة بالموت بالطريقة نفسها التي يُعاقب عليها الزنا بين الجنسين المغايرين الذي يعتبر محظورًا سواء في القرآن أو في الأحاديث، والجنس بين النساء. يبدو أنّ هذا التغيير الغريب في الأولويات في أجزاء من الفكر الإسلامي الغربي يستندُ على أسس ضعيفة للغاية في المصادر الإسلامية. وتجدر الإشارة إلى ما إذا كان هذا

التركيز الإسلامي أحاديّ الجانب على المثلية الجنسية له في الواقع علاقة بإدانة المثلية الجنسية بشدة من قبل كثير من المسيحيين المحافظين أكثر من أيّ شيء في الإسلام نفسه.

وتزوّدنا المواقف المسيحية تجاه المثلية الجنسية بواحد من أفضل الأمثلة لدين يغيّر أولوياته الجنسية. ويعدُّ النشاط الجنسي بين أشخاص من الجنس نفسه هو إحدى القضايا الكثيرة التي لم يتناولها يسوع المسيح. ولقد أدرج القديس بولس المثلية الجنسية بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الأشياء الأخرى ضمن القائمة التي يمكن أن تحول دون دخول الفرد إلى ملكوت الله. ومع ذلك، وفقًا للعهد الجديد، هناك المحظورات الجنسية الأخرى التي هي أكثر صرامة. أشار يسوع المسيح إلى أنّ الزنا يقضي بالفرد تلقائيًّا إلى الجحيم، والطلاق محظور تمامًا على كلّ من الرجال والنساء. عندما نقارن بين هوس المحافظين المسيحيين المعاصرين بالمثلية الجنسية وقلّة الاهتمام الموجّه إلى الطلاق - في الواقع، فإنّ القبول العام للطلاق الذي يمكننا أن نراه في التغيير الديني الجنسي للأولويات الذي بات يصعب تفسيره على أساس المصادر المسيحية التي تُستخدم عادة لإدانة المثلية الجنسية.

من وجهة نظر دينية جنسية بحتة، ليس من السهل أن نفهم لماذا تمكّنت المعارضة الشديدة للمثلية الجنسية بين المسيحيين المحافظين من تمحيص الكثير من الأشياء الأخرى التي اعتُبرت أصلاً أسوأ بكثير، وقد يتعيّن علينا استخدام النماذج غير الدينية لتفسير ذلك.

يعدّ ميل جماعات معيّنة من الناس لبناء وتعزيز هُويّتهم انطلاقًا من اضطهاد وشيطنة جماعات أخرى ظاهرة تاريخية واجتماعية مألوفة. في هذا الإطار يمكننا أن نجد الأساس المنطقي الأساسي للعنصرية واضطهاد الأقليات الدينية أو الإثنية أو الاجتماعية التي تختلف بشكل أو بآخر عن الأغلبية. ربّما نحتاج إلى استخدام نموذج من هذا النوع لتفسير السبب وراء إعطاء المسيحيين المحافظين الأولوية للحظر المفروض على المثلية الجنسية أكثر من المحظورات الجنسية الأخرى التي كانت في الأصل أكثر أهمّية.

وعلى النقيض، على سبيل المثال، يمثّل الأشخاص المطلقون أو أولئك الذين مارسوا الجنس قبل الزواج أو خارج إطار الزواج، واللوطيون والسحاقيات في الوقت الحالي جماعة اجتماعية مميزة ويمكن التعرف على هويّتهم بوضوح. وليس من الغرابة أن يُنظر إلى الرؤية المتزايدة للمثليين والمثليات على أنها استفزاز خطير من قبل كثير من المسيحيين المحافظين، وبتركيز معارضتهم الدينية الجنسية على المثلية الجنسة، فإنّ المسيحيين المحافظين يحدّدون شريحة محدّدة بوضوح تامّ من السكّان باعتبار هذه الشريحة خصومهم. وتوفّر المعركة ضدَّ «المثليين جنسيًّا» سببًا يمكن للكثير من المسيحيين أن يتحدوا حوله مثلما يمكن للناس أن يتحدوا في معارضتهم لأشخاص ينتمون إلى جماعات دينية أخرى أو لأشخاص بشرتهم من لون مختلف. وعلى الرغم من أنّ المجتمعات الغربية الحديثة لا تقبل عمومًا الإدانة الممنهجة والاضطهاد لقطاعات وشرائح معينة من السكان، فإن

المحافظين المسيحيين يستخدمون الحظر الديني على ممارسة الجنس بين أشخاص من الجنس نفسه لإضفاء الشرعية على تحيّزاتهم ومطالبهم المستمرة بتفعيل التمييز وتطبيقه.

لا يوجد شيء جديد عن الله يُفترض أنه أعطى مباركته لإدانة جماعات معيّنة من الناس؛ إنها في الواقع سمة نموذجية لكثير من حالات الاضطهاد الديني للجماعات العرقية أو الدينية أو الاجتماعية المختلفة. وهكذا، عندما ننظر إلى الطريقة التي يدين بها كثير من المسيحيين المحافظين المثليين والمثليات بعنف، يمكننا أن نرى الآليات الاجتماعية نفسها التي يتمّ إعمالها كما في العنصرية؛ جميع الأساليب التي تستخدمها الجماعات لإدانة الجماعات الأخرى ومن ثم تصوير أنفسهم في شكل أحسن وتوظيف ذلك بالتوافق التام مع النموذج القياسي.

وتُناقش المحظورات الدينية التي تنظم السلوك الجنسي المغاير للنساء بشكل أقلّ تواترًا في هذه الأيام من حظر المثلية الجنسية، على الرغم من تاريخها الطويل جدًّا. فهذه المحظورات أكثر صرامة من تلك التي تشمل سلوك الرجال وتخضع أيضًا لدرجة أكبر من الإنفاذ. وكان هذا هو الحال في جميع الديانات الرئيسة منذ البداية. وفي أقدم المصادر التي لدينا عن اليهودية والإسلام والهندوسية والبوذية والمسيحية إلى حد ما، نجد مرارًا وتكرارًا أنّ التركيز الديني الأساسي على الرجال، ممّا يعني من بين أشياء أخرى كثيرة أنّ النشاط الجنسي للنساء يتمّ تحديده بشكل أساسي فيما يتعلّق بالرجال. في حين أن الرجال يميلون إلى الوصول إلى كثير من النساء داخل وخارج إطار الزواج، فإن القاعدة الدينية الرئيسية هي أنّ المرأة تقتصر جنسيًّا على رجل واحد - ليس دائما مدى الحياة، ولكن بالتأكيد ليس أكثر من رجل واحد في وقت واحد. ويتّضح هذا انطلاقًا من العقوبات الأكثر صرامة التي تنطبق على ممارسة الجنس قبل الزواج بالنسبة للنساء، وبالطريقة التي يتمّ فيها تعريف الزنا في كثير من الأحيان بما إذا كانت المرأة متزوّجة أم لا؛ وما إذا كان الرجل متزوجًا أم لا فهو أمر غير ذي صلة.

تعدُّ المثلية الجنسية القضية الوحيدة التي انصبّ فيها التركيز الأكبر - سواء على المستوى الإيجابي والسلبي- على تنظيم النشاط الجنسي للذكور أكثر من الإناث. الحقيقة البسيطة المتمثّلة في أن العلاقات بين السحاقيات لا تشمل الرجال أسهمت بلا شكّ في تجاهل ممارسة الجنس السحاقي أو اعتباره غير مهمّ.

لذا يجب أن نتوخّى الحذرَ في عدم التوصل إلى استنتاجات موثوقة تمامًا بشأن أسباب الاعتقاد الديني واسع الانتشار بأنه من المهم تنظيم المغايرة الجنسية للإناث أكثر من الذكور. ومع ذلك، فإن النزعة الرئيسة واضحة وفي أغلب الأحوال لا تزال موجودة في غالبية الأديان. إنهنّ الابنات، وليس الأبناء، اللائي يذهبن لحضور حفلات الطُهر والنقاء الأصولية المسيحية؛ إنهنّ الابنات، وليس الأبناء، اللائي ما زلن ضحايا ما يسمّى بجرائم الشرف بسبب سلوكهنّ الجنسي المغاير؛ النساء، وليس الرجال، هن اللائي يجب أن يعتنين بأن تغطي ملابسهنّ ما يكفي من أجسادهنّ في البلدان

الإسلامية المحافظة؛ والنساء، وليس الرجال، هن اللائي يتعرضن للضرب على أيدي اليهود الأرثوذكس المتطرّفين إذا جلسن في المكان غير المخصّص لهنّ في الحافلات.

يكمن التعامل المختلف مع النشاط الجنسي للرجال والنساء في الأديان المختلفة في صميم التنظيم الديني للنشاط الجنسي. ونظرًا لأنّ المغايرة الجنسية تنطوي على الرجل والمرأة معًا، فإنّ تأثير الاختلاف هو أنّ العقوبة على جنحة معينة تختلف تبعًا لمرتكب الجنحة. ويقوض هذا الافتقار المطلق للمنطق في نظام ترتيب الأولويات للمحظورات الدينية الجنسية على النشاط الجنسي للنساء بشكل أساسي شرعية كلّ التنظيم الديني الجنسي.

الخاتمة

بقدر ما يمكننا تتبع النشاط الجنسي، بقدر ما نجد أن النشاط الجنسي للإنسان كان متشابكًا بشدة مع المعتقدات الدينية بحيث يصعب تحديد أي قواعد جنسية مستقلة تمامًا عن الدين. وتبقى العلاقة بين الدين والجنس واحدة من أقوى أشكال التعبير الديني وأكثرها أهمية. إن المدى الذي تتبع فيه المذاهب والمبادئ الدينية والجنسية لدينك سيحدّد موقفك الديني في هذه الحياة، ومصيرك بعد الموت، وأحيانًا العلاقة بين الآلهة وبلدك وقومك. وبغض النظر عما إذا كنت تؤمن بها بنفسك، تحكم القواعد الدينية الجنسية أجزاء كبيرة من حياتك الخاصة والهياكل الأسرية التي تنتمي إليها وغيرها من العلاقات الاجتماعية الوثيقة. وإلى حد كبير، تحكم هذه القواعد مجتمعك بأسره، لا سيما بسبب الطريقة التي غالبًا ما تصمد بها هذه القواعد بوضوح كحقائق طبيعية، وبمعزل عن القناعات الدينية التي أوجدتها ذات يوم.

نعيش في مجتمعات تزخر بقوى مختلفة ومعتقدات دينية جنسية متنوعة تحاول التأثير في حياتنا، سواء بالإكراه أو بالإقناع. وفي الوقت نفسه، ومع ذلك، فإنّ الأفكار الدينية الجنسية دائمًا ما يدركها النقصان والتغيير. الحالة المستمرة لتدفّق النشاط الديني والجنسي، وتعدّد الأفكار الدينية الجنسية التي لا تُحصى ولا تُعدّ، ومجموعة لا حصر لها من الحقائق الدينية الجنسية المختلفة - كلّ هذه الأمور تخبرنا أنّنا لا نتعامل قطّ مع الحقائق الدينية أو الإنسانية أو الطبيعية الكاملة والنهائية.

فمن المستحيل إيجاد أيّ معايير مشتركة للتنوّع الهائل في السلوكيات والمعتقدات الدينية الجنسية. إنّ ما يراه أحد الأديان جنسًا مقدَّسا، يطالب أحد الأديان الأخرى بتطبيق عقوبة الإعدام عليه؛ فالأنواع المحدّدة من الجنس التي يراها بعضهم أساسية في رؤية العالم الديني الخاصّ بهم تمثّل قوى شيطانية للآخرين. ولذلك لا يمكن لأيّ دين من الأديان أن يفرض حقائقه الدينية الجنسية دون أن ينتهك في الوقت نفسه الحقائق الدينية الجنسية للأديان الأخرى.

ولهذا، لا يمكن للمجتمعات الحالية أن تنظم النشاط الجنسي البشري وفقًا للتعاليم الدينية الجنسية ما لم تُنحِّي الحرية الفردية والحرية الدينية جانبًا لمن يختلفون في معتقداتهم الدينية الجنسية. وفي نهاية المطاف، ربما يجب علينا أن ننظر خارج نطاق الدين إذا أردنا وضع مبادئ توجيهية يمكن قبولها في النهاية للطريقة التي نمارس بها حياتنا الجنسية. ربما يجب علينا بدلاً من ذلك أن ننظر إلى القواعد التي تحكم المناطق الحدودية التي تفصل بين الأديان وبين الدين والمجتمع عامّة. يجب أن ننظر إلى القيم الديمقراطية وحقوق الإنسان واحترام حرية تقرير الفرد لاختياراته بنفسه. وإذا فعلنا ذلك، فربما نستقر على ثلاثة مبادئ أساسية لتوجيه الأفكار الدينية الجنسية ليس فحسب ولكن كلّ النشاط الجنسي البشري؛ الإرادة الحرة والموافقة والاحترام. ويجب أن يكون لكلّ فرد الحقّ في أن يقرّر مدى رغبته في الالتزام أو عدم الالتزام بمختلف قواعد السلوك الدينية الجنسية؛ يجب أن يكون

النشاط الجنسيّ الفرديّ لكل إنسان مسألة اختيار نابعة من ذات الفرد؛ ويجب على الجميع احترام الاختيار التوافقي للآخرين عندما يتعلق الأمر بالعيش وممارسة حياتهم الجنسية.

سيجد الكثير من أصحاب العقائد أن فكرة الإرادة الحرة والموافقة والاحترام أمرًا يصعب قبوله لأن معتقداتهم الدينية الجنسية قوية جدًّا لدرجة أنهم يشعرون بالحاجة الماسة للسيطرة على الحياة الجنسية للآخرين. وعلى هذا الأساس، فإنّ رهاب المثلية والعنصرية الجنسية، والاعتقاد القائل بأن النشاط الجنسي للمرأة يجب أن تحكمه قواعدُ ولوائحُ خاصّة، والاعتراض على ممارسة الجنس قبل الزواج، وازدراء الأنواع الأخرى من ممارسة الجنس الرضائي، كلها شيء واحد والشيء نفسه: انعكاس الإيمان في التنظيم الديني الجنسي. ولكن ربما ينبغي أن نسأل أولئك الذين يريدون تنظيم حياة الآخرين وفقًا لمعتقداتهم الدينية الجنسية وكيف يشعرون إذا ما أُجبروا على أن يعيشوا حياتهم وفقًا للقواعد الدينية الجنسية التي يؤمن بها الآخرون. بعد ذلك سوف يدركون أنّ الإرادة الحرة والموافقة والاحترام ليست مفاهيم مخيفة على الإطلاق.